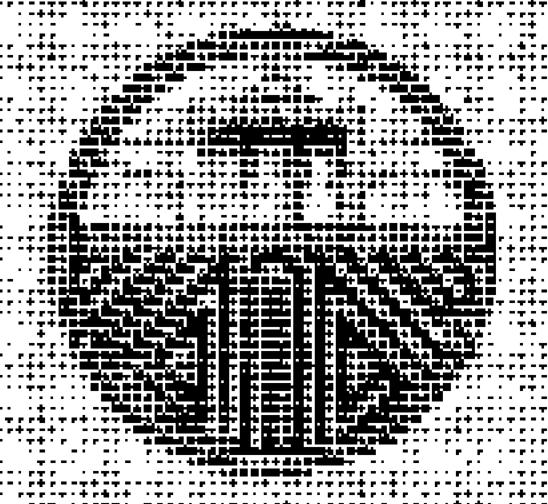
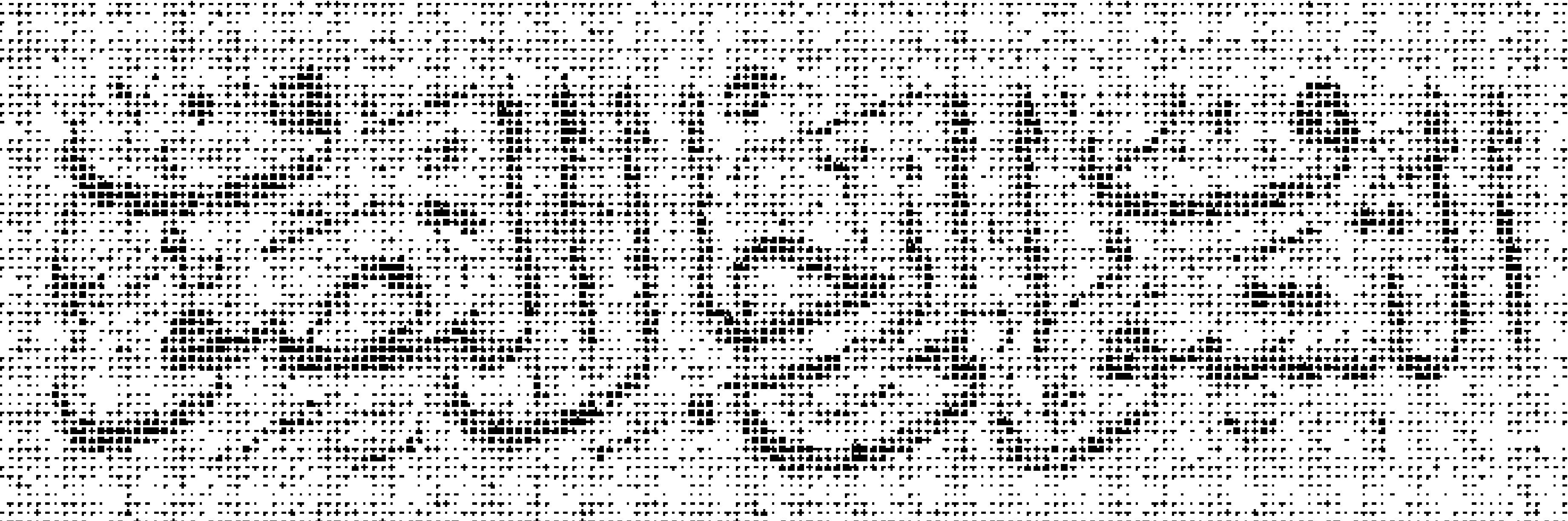
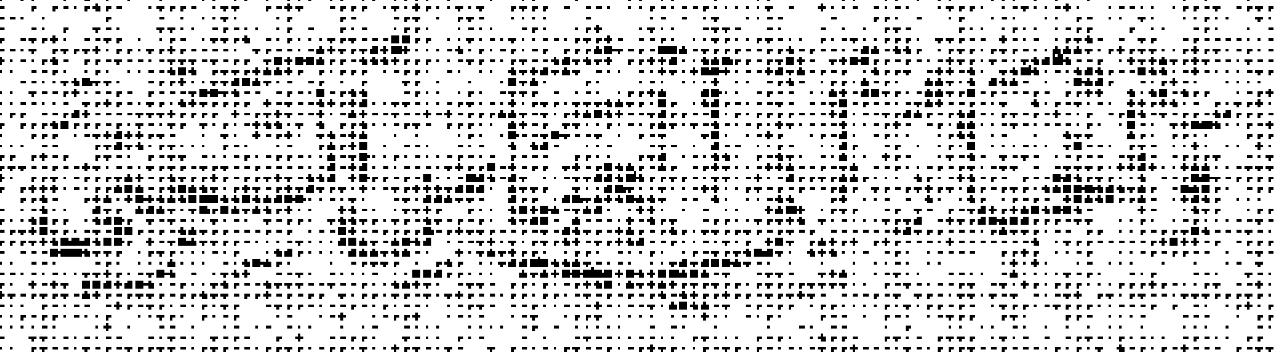
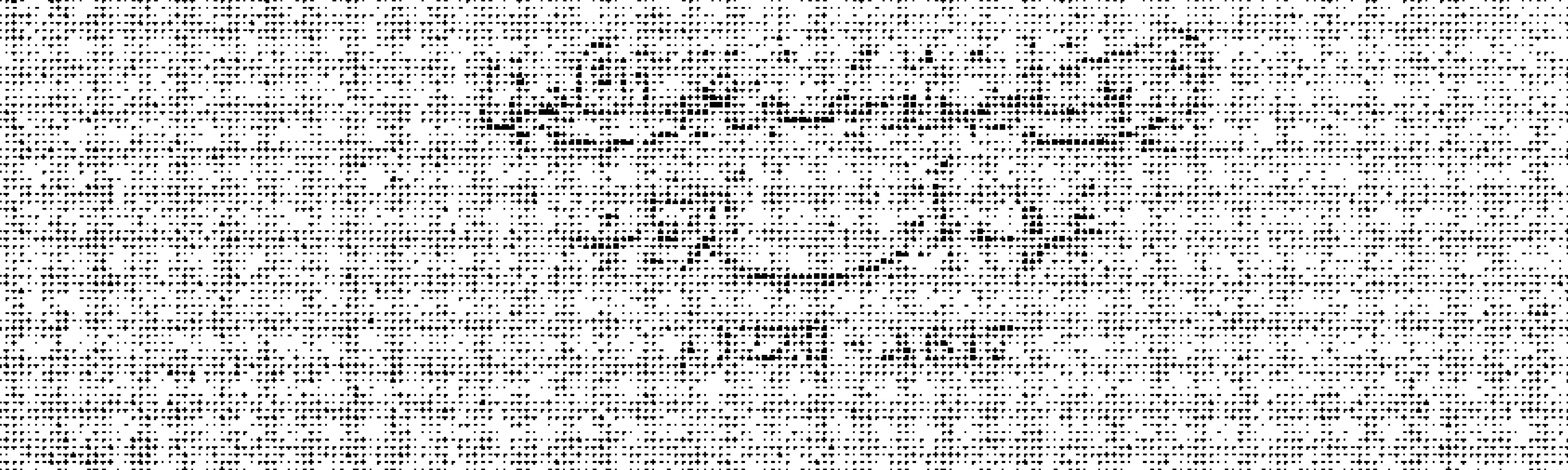










إهـــــــداء 2005

جمعية أصدقاء المكتبة

المغربية

التشوف إلى رجال التصوف

وأخبار أبي العباس السبتي





منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة بحوث ودراسات رقم 22

التشوف إلى رجال التصوف

وأخبار أبي العباس السبتي

لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي
عرف بابن الزيات
617 هـ - 1220 م

تحقيق :

أحمد التوفيق

الطبعة الثانية 1997

الكتـــــــاب : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.
المؤلـــــــف : أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي.
المحقـــــــق : أحمد التوفيق.
النـاشــــــر : منشورات كلية الآداب بالرباط.
سلسلـــــــة : بحوث ودراسات.
الغـــــلاف : إعداد عمر أفا.
الخطـــــوط : بلعيد حميدي.
الطبعـــــة : الثانية 1997.
الحقـــــوق : محفوظة للكلية بمقتضى ظهير 29-07-1970.
الطبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة ــ الدارالبيضاء.
الإيـــــداع : القانوني 1997/1756.
ردمـــــك : ISBN 9981-825-98-0.
التسلسل الدولي : 1113-0369.

طبع هذا الكتاب بدعم من برنامج التعاون بين الكلية ومؤسسة كونراد أدناور

مقدمة الطبعة الأولى من تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «**التشوف إلى رجال التصوف**» لأبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات سنة 1958 ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية (الجزء الثاني عشر). وقد اعتنى بنشر تلك الطبعة وتصحيحها أدولف فور Adolphe Faure الذي كان إذذاك أستاذا بمعهد الأبحاث العليا المغربية. وكان لهذا الباحث المقتدر اهتمام خاص بنصوص تاريخ المغرب الديني حيث اشترك مع الأستاذ محمد الفاسي بعد ذلك في تحقيق كتاب آخر في الموضوع هو «**انس الفقير وعز الحقير**»[1] لابن قنفذ القسنطيني.

وتشهد النشرة الأولى من **التشوف** على المجهود العظيم الذي بذله الأستاذ فور في مقابلة ثمان نسخ مخطوطة ترجع كتابة أقدمها إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري، أي أنها متأخرة عن تاريخ كتابة الأصل بأربعة قرون كاملة. والواقع أن «**التشوف**»، وهو يتضمن أخبار عدد من الرجال الذين تنتهي إليهم معظم الأسانيد الصوفية في المغرب الأقصى ليس من نوادر المخطوطات بل كثر نقل نسخه بعضها عن بعض للخزائن الخاصة والموقوفة، وكلما كثر النساخ، ولاسيما لمثل هذا الصنف من النصوص التي لا يقتصر الاهتمام بها على خاصة الناس، إلا وكثر الغلط والتصحيف ولاسيما في العجمي من أسماء الأشخاص والأماكن، وما أكثرها في كتاب ابن الزيات الذي يتناول فترة دقيقة في التحول الثقافي بالمغرب الأقصى، تمتد بين القرن الخامس والقرن السابع للهجرة. وقد نتجت عن ذلك مشاكل هي مما يوهن قرن الوعل، أدرك ذلك الأستاذ فور حيث قال في استدراكاته: «إن الأعلام البربرية في هذا الكتاب سواء كانت أعلام الأشخاص أو أعلام الأمكنة لعديدة جدا، وضبطها ضبطا لا شك فيه، مسألة يصعب حلها»[2]. لذلك لم

(1) ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. 1965.

(2) **التشوف إلى رجال التصوف**، طبعة فور، ص: 547.

يجرؤ هو على اقتحام هذه المصاعب ، بل لم يحاول ذلك البتة إلا في جزئية صغيرة لا نظن أنه وُفق في اجتهاده فيها حيث قال : «فيما يخص الأعلام التي أولها ألف ، نظن أن الصواب أن تستبدل الألف المهموزة بالألف الممدودة ، مثل ذلك : أزمور ، أسفي ، أغمات ، أمغار ...، الصواب : آزمور ، آسفي ، آغمات ، آمغار ...» ولم يبين مستنده في ذلك الظن ، مع العلم بأن كل من يلم الماما بسيطا بلغة المصامدة يدرك أنهم لا يمدون الألف في تلك الكلمات ولا في مثيلاتها .

وها هي كلية الآداب تقدم اليوم وبعد ربع قرن من الزمن على نشر طبعة ثانية من كتاب ابن الزيات ، وأجدر بها أن تفعل لأنها وريثة معهد الأبحاث العليا لا في بنايته فحسب بل في تقاليده وما اضطلع به من نشر كتب التراث .

وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى أو كادت ، وصار البحث عنها يزداد من قبل المهتمين بتاريخ المغرب عامة ، وبتاريخه الوسيط خاصة ، لا من زاوية التاريخ الديني فحسب ، على حد نظر أدولف فور ، بل حتّى من منظور التاريخ الكلي ، اجتماعيا وثقافيا ، فالنص يضم في ثناياه مادة حافلة مغرية يكاد يهم باستثمارها غير واحد من هؤلاء «القراء» الجدد . ويضم بين مطوره ما جعلهم يتمنون أن يتصدّى متصد لحل بعض مستغلقات النص في تحقيق أبعد غورا يقربه من تناول التحليل .

وكذلك أزمع الأستاذ العميد محمد القبلي أن يدرج إعادة طبع **التشوف** ضمن برنامج منشورات الكلية لسنة 1978 ، وكيف لا يقدر أهمية الكتاب وهو الباحث في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط . ولكن المال المرصود للمنشورات في ذلك العام ضاق عن تحقيق أمنيته ، ولما تفرغ للبحث وتولى العمادة بعده الأستاذ محمد حجي تتبع ذلك المشروع باهتمام مماثل ، والأمر ليس مما يختلف فيه باحثان . وظلت النية على أن يُصوَّر بالأوفسيت النص الذي اعتنَى بنشره الأستاذ أدولف فور ، ولما أثيرت المسألة أثناء مناقشة برنامج منشورات الكلية لسنة 1982 ضمن اللجنة المختصة طُرحت فكرة مراجعة النص قبل إعادة نشره على ضوء بعض النسخ التي ظهرت في الخزائن العامة بعد عمل أ. فور . وما لبث الأستاذ العميد حجي أن أبدَى تحمسه لهذه الفكرة فكتب إلي تكليفا بذلك ، وظل يلح علي في إتمام هذه المراجعة في الآجال الإدارية المطلوبة ، ويشجعني لكي أسرع بالإنجاز ، لكن ، هيهات !

وشاء الله ألا تتم هذه الطبعة إلا والأستاذ حجي قد انصرف لمهام أخرى وخلفه في عمادة كلية الآداب الدكتور حسن مكوار وتقرر أن يقدم هذا النص للطبع في هذه السنة .

إن الذي جعلني أبحث في هذا النص وأركب مركبه الصعب هو قراءة متكررة لتراجمه عندما كنت أبحث في تاريخ هسكورة في العصر الوسيط تمهيدا لتاريخ قبيلة إينولتان في القرن التاسع عشر ، فكتاب «التشوف» يتضمن تراجم عدد من أتقياء المساكرة ، ولما راجعتها على ضوء التحريات الميدانية التي كنت مضطرا إليها تبين لي إمكان إصلاح بعض أسماء الأعلام وإمكان التعريف ببعضها الآخر ، وأدركت أنه لو وقع التوسع في البحث ليشمل مجموع المناطق التي ينتمي إليها المترجَمون في الكتاب لأمكن التعرف على مواطن جلهم ولكان ذلك إسهاما في توضيح جانب من خريطة المغرب الدينية وجانب من التاريخ الثقافي والاجتماعي للمدن والبوادي على العموم ، لأن بعض الرسوم ماتزال قائمة بالرغم من تبدل الأحوال ودروس الديار وعفاء الزمن .

إن بحثا متقدما في تاريخ الثقافة كفيل بأن يبين لنا الإقبال المتغاير الذي لقيه كتاب «التشوف» والأسباب المفسرة لذلك . ولما كان هذا البحث لم يُنجز بعد فإن هناك ما يجعلنا نفترض أن هذا الإقبال قد زاد في القرون الأربعة الأخيرة ، وحتّى إذا كان الذين جاءوا في القرون التي تلت وفاة التادلي قد تداولوا الكتاب ، بل وألّفوا على منواله من أمثال ابن قنفذ في «**أنس الفقير**» والبادسي في **المقصد**[3] : فيظهر أنهم لم يكن لهم اهتمام مناسب بالمؤلف نفسه ، بالرغم من ورود ذكره عرضا في بعض كتب التراجم **كالذيل والتكملة** لابن عبد الملك . أما المتأخرون فإذا ترجموا له نقلوا عن عالم التكرور أحمد بابا المتوفَّى في العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري والذي ترجم للتادلي في كتابه «**كفاية المحتاج**»[4] حيث قال :

(3) **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** ، لعبد الحق بن اسماعيل البادسي وكان على قيد الحياة سنة 722 ، نشر الكتاب مترجَما إلى الفرنسية وعليه عدد من الحواشي المفيدة من طرف المستعرب جورج كولان سنة 1926 ، ضمن المجلد السادس والعشرين من سلسلة Archives Marocaines التي كانت تصدر بباريس ، ونشر النص العربي مؤخرا (1982) بتحقيق سعيد أحمد أعراب ، وطبع المطبعة الملكية بالرباط .

(4) **كفاية المحتاج بما ليس في الديباج** ، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 681 ، ص : 306 .

«يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي ، عرف بابن الزيات . قال الحضرمي : هو الشيخ الفقيه القاضي الأديب مؤلف كتاب **التشوف إلى رجال التصوف** وله تأليف في صلحاء المغرب ، لم يدخل الأندلس ، صحب أبا العباس السبتي ولقي ابن حوط الله والسلالقي ، وشرح **مقامات الحريري** شرحا نبيلا جدا ، وحدث بكتابه **التشوف** الأستاذان الفاضلان أبو القاسم بن الشاط[5] وابن رشيد[6] عن قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن علي الشريف[7] عنه إذنا . توفي قاضيا برقراقة[8] سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة» .

وقد وقع الإشكال في تعريف هذا الحضرمي الذي أكثر النقل عن **فهرسته** صاحب نيل الابتهاج . فالشيخ الطلعاء محمد عبد الحي الكتاني قد كتب في الصفحة الأولى من نسخة التشوف التي كانت بيده وانتقلت إلى الخزانة العامة وسجلت فيها تحت رقم ك 56 أن المنقول عنه هو «أبو سعيد محمد بن الأستاذ عبد المهيمن الحضرمي» كتب ذلك سنة 1333هـ ، وأبو سعيد الذي يذكره توفي سنة 787هـ ولكن الكتاني عاد لطرح الإشكال في «**فهرس الفهارس**»[9] ورجّح أن يكون المنقول عنه حضرميا آخر هو القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الذي كان صاحب البلوي . ونسب إليه عبد الحي كتاب «**السلسل العذب والمنهل الأحلى**»[10] .

- أما مخطوطات «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» في الخزانتين الحسنية والعامة بالرباط فلا توجد بها ترجمة التادلي ، بينما توجد في الطبعة الفاسية منه ، ص : 386 وبالطبعة اللبنانية على هامش «**الديباج المذهب**» لابن فرحون ، ص : 352 .

(5) توفي أبو القاسم سنة 725هـ ، انظر ترجمته في الديباج ، ص : 261 .

(6) توفي أبو عبد الله بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي سنة 721 بفاس . انظر ترجمته في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم ، ج 3 ، ص : 250 .

(7) توفي أبو عبد الله محمد بن علي الشريف بمراكش سنة 681 ، انظر ترجمته في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم ، ج 4 ، ص : 281 .

(8) وردت في **نيل الابتهاج** المطبوع هكذا : دقداق ، والصحيح : رقراقه أو رجراجة بجيم مصرية .

(9) طبعة فاس ، ج 1 ، ص : 258 .

(10) نشره محمد الفاسي في **مجلة معهد المخطوطات العربية** ج : 1 ، مجلد 10 ص 37 ـ 38 .

اما صاحب «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»[11] فقد نسب **السلسل العذب** وكذا كتاب **الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعبّاد** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد المهيمن الحضرمي ، وظن رحمه الله ، أنه استدرك على صاحب **فهرس الفهارس** تاريخ وفاته حيث ذكر أنه وارد في **لقط الفرائد**[12] ، وهي سنة 787. بيد أن الذي لم يقف صاحب «فهرس الفهارس» على وفاته هو عبد الله بن إبراهيم الحضرمي . أما صاحب **لقط الفرائد** فإنه أثبت تاريخ وفاة أبي سعيد الحضرمي . وبقطع النظر عن الاضطراب الواقع في نسبة الكتابين المذكورين فإننا نجد في كتاب طبقات المالكية[13] المجهول المؤلف ذكرا لصاحب **الفهرسة** التي ينقل عنها أحمد بابا السوداني . فهو القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي ينقل عنه في تراجم شيوخه وأصحابه . ومن شيوخه عثمان بن ليون التجيبي الذي قال عنه الحضرمي «شيخنا الفقيه الجليل (...) كتب للقضاة ببلدنا واستنابوه عنهم (...) ولد بألمرية وبها نشأ وشب واكتهل ولم يرحل عنها بوجه (...) لازمته ثلاثين سنة ، وحفظت بعض تآليفه (...) وأمدني من خزانة كتبه بما انتفعت به ، توفي شهيدا في الطاعون العام عام خمسين وسبعمائة» ، كما نقل عنه في تراجم آخرين من شيوخه كأبي القاسم بن جزي المتوفى عام واحد وأربعين وسبعمائة وأبي القاسم الشريف السبتي المتوفى عام ستين وسبعمائة وأبي البركات البلفيقي المتوفى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة . وكانت للحضرمي صحبة مع خالد بن عيسى البلوي المتوفى قبل 780هـ حيث قال عنه البلوي فيما أورده ابن القاضي في «**جذوة الاقتباس**» : «أخي وسيدي وصديقي الشيخ الفقيه القاضي المحدث الفاضل الراوية المقيد المسند محمد بن إبراهيم الحضرمي»[14] . وعلى هذا فمؤلف **الفهرسة** التي نقل عنها أحمد بابا ترجمة التادلي كان معاصرا لمؤلف كتاب «**السلسل العذب**» المهدى للسلطان أبي فارس عبد العزيز المريني المتوفى عام سبعة وستين وسبعمائة . ولكن كنية والده ليست أبا بكر ،

---

(11) **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** للمرحوم عبد السلام بن سودة ، ص : 53 و67 .

(12) انظر لقط الفرائد ص : 222 ، ضمن كتاب **ألف سنة من الوفيات** ، تحقيق محمد حجي ، الرباط 1976 .

(13) مخطوط الخزانة العامة : 3928 د .

(14) **جذوة الاقتباس** لابن القاضي ص : 188 ، طبعة دار المنصور بالرباط ص 188 .

ثم إنه معاصر لأبي سعيد بن عبد المهيمن المتوفى عام 787هـ كما أسلفنا . فلا عجب أن يؤدي الأمر إلى الالتباس . ثم إن من شيوخ هذا الحضرمي من أخذوا عن ابن الشاط وابن رُشَيد كأبي القاسم الشريف فيكون سمع منه عنهما كتاب **التشوف** والتعريف بصاحبه .

إن التعريف المنقول عن الحضرمي يتضمن ، على قصره ، معلومات نفيسة عن ابن الزيات الذي لم يجد مكانة في موسوعات الأندلسيين لأنه لم يدخل الأندلس . فالتعريف ينص على أنه لقي الأستاذ أبا محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري وهو المحدث الحافظ الشاعر النحوي الذي تصدر للقراءات والعربية وأدّب محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي بمراكش ، وكانت وفاته سنة ثنتي عشرة وستمائة . وقد روَى عنه المؤلف خبرا واحدا في مقدمة «**التشوف**» .

أما الشيخ الثاني الذي ذكر الحضرمي أن ابن الزيات قد لقيه فورد في مخطوطات «كفاية المحتاج» التي راجعناها أنه السلالقي ، ونقل عبد الحي الكتاني في النسخة المشار إليها أعلاه أنه السلالقي أو السلالجي . والسلالجي المعروف هو الأصولي أبو عمرو عثمان بن عبد الله القاسي الذي ترجم له في «**التشوف**» ولم يذكر ما يفيد أنه لقيه . وإن كان قد ذكر أنه قدم مراكش وفيها أخذ عن ابن الإشبيلي ثم رجع إلى فاس للتدريس بها . وذكر أن وفاته كانت سنة أربع وستين وخمسمائة . وحتّى على فرض أن وفاة أبي عمرو السلالجي قد تأخرت إلى سنة أربع وسبعين حسبما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين[15] فإن القرائن تستبعد أن يكون ابن الزيات لقيه ، فأساتيذه الآخرون متأخرون ، ولا يمكن أن يكون قد أخذ إلا عن الأقران فيكون الذي لقيه ابن الزيات هو المسلاقي فتحرفت إلى السلالقي أو السلالجي ، ونقصد بالسلاقي أبا بكر المترجم في الذيل والتكملة[16] لابن عبد الملك ، وهو محمد بن عبد العزيز بن خلف اللبلي ، سكن اشبيلية ثم مراكش و«كان متبحرا في حفظ اللغات والتواريخ والأشعار قديمها وحديثها متقدما في النحو (...) نقله المنصور من بني عبد المومن إلى حضرته مراكش فأنزله في جامعه الأعظم لتدريس ما كان عنده من المعارف» ، مولده سنة احدَى وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة احدَى وستمائة .

---

(15) انظر عبد الله كنون : **عثمان السلالجي** العدد 11 من سلسلة «ذكريات مشاهير المغرب» .

(16) **الذيل والتكملة** ، السفر السادس ، ص : 381 ، تحقيق الدكتور إحسان عباس .

أما ابن الأبار فقد ترجم لهذا السلاقي وكناه أبا عبد الله[17] ولكنه ترجم لسلاقي آخر كنيته أبو بكر واسمه محمد بن علي من أهل اشبيلية سكن مراكش وكان عالما بالعربية ووفاته سنة خمس وستمائة[18].

ومن المحقق أن ابن الزيات أخذ عن أساتيذ غير المذكورين كانوا من قمم العلم في عصره نذكر منهم، استنادا إلى ما أورده ابن عبد الملك في سفر الغرباء من **الذيل والتكملة**[19]، أبا موسى عيسى بن عبد العزيز القُزولي الذي كان قطبا في علوم العربية، وقد ذكر مؤلف **التشوف** أنه سمع منه خبرا يتعلق بوجاج بن زلو اللمطي. وكذلك أخذ ابن الزيات عن أبي القاسم أحمد بن بقي الأموي، وهو من أهل قرطبة، ولي قضاء الجماعة بمراكش وخطتي القضاء والمظالم والكتابة العليا فسمع منه الناس. وقد ذكر ابن الزيات في **التشوف** أنه قرأ عليه كتاب **العين** للخليل وروى عنه أخبارا عن ابن بشكوال وربما كان سنده في رواية **مسند** جده بقي بن مخلد. وقد توفي أبو القاسم بن يزيد بقرطبة سنة خمس وعشرين وستمائة[20].

وقد أثمر أخذ ابن الزيات عن هؤلاء الشيوخ متانة في العربية تظهر في هذا الأسلوب «الجاحظي» الملموس في مقدمة **التشوف**[21]، بل ان علو كعبه في العربية أقدره على وضع هذا «الشرح النبيل» **لمقامات الحريري** الذي ينسب له، كما أثمر لديه قدرة أهلته لتولي القضاء، ومنزعا أدَّى به إلى جمع أخبار الأولياء والتصنيف في تراجم الفضلاء والأصفياء.

أما تآليفه في التصوف فالذي بين أيدينا منها هو «**التشوف**» و«**أخبار أبي العباس السبتي**» وقد ذُكر له تأليف آخر في صلحاء المغرب، ولا نعرف عنه شيئا إلا هذه الإشارة التي نجدها عند أبي العباس الغبريني في «**عنوان الدراية فيمن عرف من**

(17) **التكملة** لابن الأبار، الترجمة 830 من طبعة كوديرا.

(18) نفس المصدر، ترجمة 594 من طبعة عزت العطار، وانظر **بغية الوعاة** للسيوطي ج 1، ص 160 وص 196. **والإعلام** للعباس بن إبراهيم ج 4، ص: 154 وص 156.

(19) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3784 د، ص 70

(20) ترجمة في **التكملة** لابن الأبار: 292، وفي **برنامج الرعيني** ص: 20، **والإعلام** ج 2 ص 135.

(21) انظر محمد بن تاويت، **الوافي بالأدب المغربي**، ج 1، ص: 307.

العلماء في المائة السابعة بيجاية» حيث أورد كرامة في ترجمة أبي عبد الله العربي من شيوخ أوائل القرن السادس الهجري وعقب عليها بقوله : «ووقفت على مثل هذا المعنى في ملخص من **المنتخب المغرب في ذكر بعض صلحاء المغرب**[22] ثم نقل قصة جرت بمراكش تتضمن كرامة حدث المؤلفَ بها أحمد بن حسن عن يعيش بن شعيب السقطي ، والقصة واردة بنصها في **التشوف** ، رواها التادلي عن أحمد بن حسن المذكور عن محدثه يعيش . وليس كتاب **التشوف** مما يخفَى على الغبريني ، ولا يمكن أن يكون ذلك الملخص المنقول عنه هو «**اختصار التشوف**» الذي وضعه أحمد بن محمد بن علوان الشهير بالمصري[23] لأن هذا الأخير قد تأخر عن الغبريني . ألا يكون كتاب «المنتخب» من كتب ابن الزيات الضائعة ؟ .

أما **الشرح** الذي وضعه **للمقامات الحريري** فهو من الكتب التي لم يتم العثور عليها كذلك ، ونجد عنوانه الكامل عند الفيروزابادي (729 ـ 817هـ) في كتابه «**البلغة في تاريخ أئمة اللغة**» حيث يقول عن ابن الزيات : «إمام في اللغة والنحو والأدب ، له شرح المقامات الحريرية سماه : **نهاية المقامات في دراية المقامات** وهو أحسن الشروح»[24] وعن الفيروزابادي نقل السيوطي في **بغية الوعاة**[25] . وكفَى التادلي فخرا أن يشهد له صاحب **القاموس** بالامتياز في هذا التمرين الذي كلف به الأساتيذ في ذلك العصر وهو شرح **مقامات الحريري** .

إن من المفيد حقا لمن يُقبل على قراءة كتاب **التشوف** أن يعلم لمؤلفه تلك المكانة العلمية حتَّى لا يحسبه ، وهو دالف بين أخبار الكرامات ، ساذجا بسيطا عامي الفكر ممن تستخفه طلاوة الأخبار أو تنسيه غرابتها صرامة التحقيق . فالتادلي لم يفته أن يُشعر القارئ بوعيه بطبيعة هذه المادة التي جمعها حيث يقول : **(والكرامة لأهل اليقين)**[26] ومع ذلك فقد أخذ للأمر عدته وسلك نهجا واضحا ليجمع مادته . فهو على ما أخبرنا قد شرع في تصنيف الكتاب في شهر شعبان من سنة سبع عشرة

---

(22) **عنوان الدراية** ، ص 50 طبعة بيروت بتحقيق عادل نويهض .
(23) انظر ترجمة ابن علوان في **نيل الابتهاج** ، ص 74 وفي **شجرة النور الزكية** ، ص 226
(24) الترجمة 421 طبعة دمشق 1972 ، تحقيق محمد المصري .
(25) الترجمة 2200 من طبعة القاهرة بتحقيق أبي الفضل ابراهيم .
(26) انظر الفصل الأول من الباب السابع من مقدمة كتاب «**التشوف**» .

وستمائة وفرغ من جمعه يوم الجمعة الثاني عشر من ذي القعدة من نفس العام . فيكون قد قضى في التصنيف أقل من أربعة أشهر ، ولعله يقصد تحريره أما جمع مادته فلربما استغرق وقتا طويلا ، فقد ذكر فيه أخبار مائتين وتسعة وسبعين من الرجال والنساء من بينهم تسعة عشر من المجاهيل ومترجمون بعضهم قديم الوفاة . وأما من عُلم تاريخ وفاته فأولهم محمد بن سعدون القروي المتوفى سنة خمس وثمانين وأربعمائة وآخرهم أبو علي عمر بن علي المتوفى عام ستة عشر وستمائة . كان هؤلاء المترجمون بأغمات ومراكش وأعمالها ودكالة وركراكة وتادلا وهسكورة وسجلماسة وفاس ومكناس وسلا وسبتة ودرعة وسوس الأقصى وتلمسان وبجاية وغيرها . ومن هؤلاء الرجال من هو علم معروف المكانة شهير من طريق غير طريق ابن الزيات ولاسيما الأندلسيين ، ومع ذلك فإن أخباره حتَّى عن بعض هؤلاء قد انفرد بها واعتمده فيها من جاء بعده ، ومنهم آخرون لا يعرفون إلا عن طريقه .

وقد أخذ هذه الأخبار عما يزيد عن خمسين من الرواة بلفظ «سمعت فلانا» و«حدثني فلان» وربما قال : «كتب إلي بذلك فلان» ، ويقل في هؤلاء الرواة من نجد له ذكرا في كتب التراجم . ويظهر بالاستقراء أن معظمهم من إخوان المؤلف في طريق القوم ومن أصحاب الشيوخ المترجمين أو من ذويهم . ويظهر بالاستقراء أيضا أنه أكثر من الرواية عن أشخاص معينين في أخبار مناطق معينة ، كأخبار سجلماسة عن محمد بن أبي القاسم ، وأخبار سبتة عن أحمد بن إبراهيم الأزدي ، وأخبار تادلا عن عبد الله بن موسَى ، وأخبار دكالة عن داود بن عبد الخالق الخ . وقد روي بعض مخبريه عن طبقة أخرى من الرواة بالنسبة للجيلين الأولين من المترجمين . وهناك طائفة من المترجمين عرفهم المؤلف وجلس إليهم وراقب أحوالهم بنفسه . وقد سلك في نهجه سبيل التحري وشهد له بذلك النقاد ، فنرَى ابن عبد الملك يذكره عرضا في ذكر عارض لأبي يعزَى في ترجمة أبي الحسن بن الصائغ فيحليه بالتاريخي العدل[27] . ونجد أبا زيد الثعالبي (785 – 875) يصفه بالموثق المحدث الثقة الصدوق[28] .

---

(27) سفر الغرباء من **الذيل والتكملة** ، ص 198 .

(28) انظر ترجمة يوسف بن يحيَى بن الزيات في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم ، ج 10 ، ص 394 .

غير أنه لا سبيل إلى إنكار ما يقر به المؤلف نفسه في مقدمة كتابه حيث ذكر أن قصده من تأليف الكتاب هو «إعلام كثير ممن خفي عنهم من كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء» . فالرجل ذو قضية . وقضيته تتصل إما بإظهار مدينة بين مدن أخرى أو بإبراز ظاهرة الصلاح مقابل ظاهرة أخرى ؛ ولربما قصد إلى الأمرين معا وهما وجهان لواقع واحد هو استفحال العمران في مراكش خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري وما صاحبه من العواقب المتناقضة المترتبة عنه بالضرورة .

وهناك عناصر لابد من إدخالها في الاعتبار عند التعرض لظرفية تأليف كتاب **التشوف** ، عناصر يرتبط بعضها بوقائع ذات صدى عميق مثل هزيمة العقاب . وعناصر أخرى يمكن استقاؤها من بين ثنايا النص ، وكلها توحي بأن الجيل الذي عاش بمدينة مراكش النصف الثاني من القرن السادس صار في بداية القرن السابع يشعر أن الأحوال في تبدل وانقلاب وأن «رجال الفضل والصلاح» قد ولى زمنهم . فلا عجب أن يقع الاهتمام بأخبارهم ، وكل هذه العناصر تستوجب تحليلا لسنا بصدده في هذا التقديم الوجيز . وما نظن أن مؤلف كتاب الاستقصا قد أراد أن يربط بين هذا التأليف وبين ظرفية السنة التي وقع فيها عندما قال : «وفي سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الذي عرف بابن الزيات كتابه المسمَّى بـ«**التشوف إلى رجال التصوف**» .

ويجوز لنا أن نتساءل عما إذا كان التادلي قد ترجم لجميع الزهاد والصالحين الفضلاء في المنطقة التي اهتم بها في المدة التي تناولها . فلماذا لم يدرج في كتابه ترجمة القاضي عياض مؤلف **الشفاء** رغم «منحاه الزهدي»[29] ، ولماذا لم يترجم للسهيلي صاحب **الروض الأنف** ؟ وماذا يقصد عندما يذكر أن الفقهاء قد ظهر عوارهم بصدد قضية **الإحياء** ؟ .

(29) انظر ماهر زهير جرار : مقدمة تحقيق **الغنية** (فهرسة شيوخ القاضي عياض) ، طبعة دار الغرب الاسلامي بيروت وقد تنبه غير واحد إلى غياب القاضي عياض عن رجال **التشوف** ، انظر كتاب اظهار الكمال في مناقب سبعة رجال للعباس بن ابراهيم مخطوط الخزانة الحسنية رقم 232 وانظر الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 311 .

ومما لا شك فيه أن ظهور عدد من الأشخاص الفضلاء والزهاد الذين يشبهون في أحوالهم رجال التشوف قد سبق في مراكز عمرانية أخرى كفاس وأغمات وغيرهما ولكن التصنيف في أخبارهم قد تأخر بالمغرب ، وإن كان قد بلغ نضجه في المشرق مع أبي نعيم المتوفى سنة (430هـ) في كتابه **حلية الأولياء** هذا الكتاب الذي تأثر به ابن الزيات وغيره من أصحاب المناقب . إلا أن ابن الزيات ليس أول مصنف مغربي في هذا الباب بل إنه يذكر لنا **تأليفا في صلحاء ركراكة** دون أن يذكر مؤلفه ، ومما يستغرب له أن مؤلف **التشوف** لم يتعرض قط لذكر مصنف مغربي في هذا الباب مع العلم بأن هذا الكتاب كان معروفا قبل نهاية القرن السادس الهجري فقد ذكره محي الدين بن عربي في «**الفتوحات المكية**» في الباب الثاني والأربعين في معرفة الفتوة والفتيان حيث قال : «وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الكريم التيمي الفاسي قال مخبرا عن أبي عبد الله الدقاق : كان بمدينة فاس وتذاكروا الفعل بالهمة فقال أبو عبد الله الدقاق : فزت بواحدة ما لي فيها شريك ، ما اغتبت أحدا قط ولا اغتيب أحد بحضرتي قط . فهذا من الفعل بالهمة» إلى أن قال عن الدقاق : «وكان سيد وقته في هذا الباب . خرَّج مناقبه شيخنا أبو عبد الله ابن عبد الكريم المذكور آنفا في كتاب **المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**» وذكر ابن عربي في باب الوصايا من **الفتوحات** (ج 4 ص 541) حديثا سمعه من هذا المؤلف أي أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التيمي بالمسجد الأزهر بعين الخيل بمدينة فاس سنة إحدَى وتسعين وخمسمائة . وفي مكان آخر من نفس الباب (ج 4 ص 549) قال ابن عربي : «سمعت محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التيمي الفاسي بمدينة فاس العدل أظن في سنة أربع وتسعين وخمسمائة» . وفي تكملة الصلة لابن الأبار ترجمة لهذا المؤلف حيث قال : «... محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم التيمي ، من أهل فاس يكنَّى أبا عبد الله سمع من أبي الحسن بن حنين وغيره ورحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاما ولقي نحوا من مائة شيخ أكثر من الرواية عنهم (...) ولم يكن بالضابط ، وقفت بخطه على أوهام وأغلاط ، وقفل إلى بلده فحدث وأخذ عنه (...) وتوفي ببلده آخر سنة ثلاث أو أول أربع وستمائة»[30] .

(30) الترجمة 1064 من طبعة كوديرا و1720 من طبعة عزت العطار .

وجاء في ترجمته عند ابن عبد الملك : «كان محدثا حافظا ذاكرا للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم ولم يكن في ضبطه بذلك ، وحدث بالمشرق والمغرب . ومن مصنفاته كتاب **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد** : سفران ..»[31] .

ولكن مؤلف «**جنى زهرة الآس**»[32] وهو أبو الحسن علي الجزنائي الذي كان حيا سنة 766هـ ذكر كتاب **المستفاد** مرتين : مرة في ترجمة دراس بن إسماعيل ولم يشر إلى مؤلفه ، ومرة أخرى عند التعرض لكرامات أبي جيدة وقال : «ومن أراد الوقوف عليها فليطالع كتاب **المستفاد في ذكر الصالحين في فاس والعبّاد** الذي ألفه الشيخ الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بالكتاني» .

وأبو عبد الله هذا الذي ذكره الجزنائي شخص غير أبي عبد الله التميمي بل هو الفندلاوي المعروف بابن الكتاني وله ترجمة في **التشوف** ؛ ووفاته فيه سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

وممن نقلوا عن كتاب **المستفاد** ابن القاضي (1025هـ ـ 1616م) في «**جذوة الاقتباس**» وابن عيشون (1109هـ ـ 1697م) في «**الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**»[33] .

وأما ابن القاضي فنسب «**المستفاد**» في عدة مواضيع لمحمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بالكتاني ؛ بل انه ترجم لهذا الأخير وقال عنه : إنه صاحب «**المستفاد**» ، وجعل وفاته سنة خمس وتسعين وخمسمائة[34] . ولكنه قال في ترجمة محمد بن أحمد البيراني التجيبي المتوفى بفاس بعد الأربعين وخمسمائة : «وقال ابن فرتون : ذكره شيخنا الحاج محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم التميمي في كتابه المسمى **بالمستفاد في مناقب العباد من أهل فاس وما يليها من البلاد**»[35] .

---

(31) سفر الغرباء من **الذيل والتكملة** ، ص : 125 .
(32) **جنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس** ، المطبعة الملكية ، 1967 .
(33) مخطوط الخزانة العامة رقم د. 2409
(34) **جذوة الاقتباس** ، ص 220
(35) نفس المصدر ، ص 258

أما ابن عيشون فينسب «**المستفاد**» لأبي عبد الله التميمي . فقد قال في ترجمة أبي ميمونة دراس بن إسماعيل المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة : «ممن حدث بأخباره الشيخ الفاضل المحدث الحافظ الراوية المؤرخ أبو عبد الله التميمي ، وصدر به في كتاب **المستفاد**» (ص 3) وكلما نقل عنه قال : «قال أبو عبد الله التميمي ....» . إن الاستناد إلى ما ورد في «الفتوحات» لا يترك مجالا للشك في نسبة الكتاب للتميمي ، فابن عربي قد لقي مؤلفه وسمع منه ولقي أبا عبد الله الكتاني وقال عنه : «ورأيت أبا عبد الله الكتاني بمدينة فاس إماما من أئمة المسلمين في أصول الدين والفقه» (ج 4 ص 80) .

ولا تخفَى الملابسات التي جعلت المتأخرين يضطربون في نسبة الكتاب . فابن الكتاني معاصر للتميمي وكلاهما فاسي وكلاهما من العلم والاهتمام بحيث يقدر على تأليف مثل هذا الكتاب ويظن به أن يفعل . بل ربما كان البعض أميل إلى نسبته للفندلاوي الزاهد الأصولي منه إلى نسبته للتميمي المحدث ، ثم إن كنية كليهما أبو عبد الله واسمه محمد واسم جده أو والد جده عبد الكريم ؛ وربما ورد في «**التشوف**» ما يفيد أن الكتاني مهتم بأخبار العبّاد وكراماتهم حيث يقول التادلي «سمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول : سمعت أبا عبد الله الكتاني يقول : «نُقلت كرامات أبي يعزَى نقل تواتر»[36] .

إن التادلي لم يشرع في كتابه «**التشوف**» إلا بعد مضي أكثر من عقدين على مرور ابن عربي بفاس وأكثر من عقد على وفاة التميمي ، ومع ذلك لا نجد في «**التشوف**» ذكرا لكتاب **المستفاد** ولا لمؤلفه . إلا أننا نجد ابن الزيات يترجم لعدد من الفاسيين الذين ينقل كل من ابن القاضي وابن عيشون بعض أخبارهم عن «**المستفاد**» كابني حرزهم والسلالجي وأبي عبد الله التاودي وأبي جبل وابن محسود والهواري ، كما اتفق التميمي وابن الزيات في الترجمة لأبي يعزى . لا شك أن هؤلاء هم الكبار الذين لابد أن يهتم بهم صاحب **التشوف** وإن لم يكونوا من عمل مراكش . بل إن التادلي والتميمي سمعا معا خبرا من أخبار أبي يعزَى من نفس الراوي وهو أبو حسن بن محمد الصواف الغافقي صاحب أبي مدين شعيب الأنصاري .

---

(36) انظر ترجمة أبي يعزى (رقم 77) في **التشوف**

ويتضح لمن تتبع ما نقل عن كتاب «**المستفاد**» أن أسلوبه في تأليف أخبار عبّاد فاس وأعمالها هو الأسلوب الذي سار عليه ابن الزيات في تأليف أخبار رجال مراكش وأعمالها . **فهل** هناك علاقة مّا بين تأليف الكتاب الأول وتأليف الكتاب الثاني ؟ **فهل** يكون تجاهل التيمي في كتابه «**المستفاد**» لعباد الجهات التي اهتم بها التشوف هو ما دفع ابن الزيات لتأليف كتابه ؟ أو هل يكون «عدم الضبط» الذي نعت به التيمي محققون كابن الأبار وابن عبد الملك هو ما جعل التادلي يتجاهله ؟ .

ومهما يكن الأمر فإننا لا نستطيع أن نفترض أن التادلي كان يجهل وجود كتاب **المستفاد** بل إننا نجد أخبارا أسندها صاحب المستفاد (حسب نقول ابن عيشون) أوردها ابن الزيات بنصها غير مسندة ، وكلما أورد خبرا منها صدره بقوله : «وحدثوا عنه» . أي عن المترجم المخبّر عنه .

وفيما عدا ذلك فمادة «**التشوف**» أصل لا مصادر لها إلا رواته ، غير أن من يود الاستفادة من هذه المادة في أي اتجاه كان من اتجاهات البحث لابد أن يضطر إلى تجاوز الرواية إلى مضمونها وسياق انتاج هذا المضمون وموقف المؤلف منه ، وخلفيات اختياره لمشروعه ومزوديه . إلا أن هذا التجاوز يتوقف على معرفة مزيد من المعلومات عن حياة المؤلف لا في جانبها العلمي فحسب بل في جوانبها العامة ولاسيما في اتصاله بتيار التصوف في مدينته . ومن حسن الحظ أننا نجد بين ثنايا الأخبار الواردة في الكتاب إشارات تتعلق بهذا الجانب .

فاسم المؤلف كما ورد إلينا هو يوسف بن يحيَى بن عيسَى بن عبد الرحمن ويلاحظ أن اسمه واسم أبيه واسم جده من الأسماء الشائعة في ذلك العصر وليس فيها بربرية على غرار ما في معظم أسماء رجال التشوف البلديين ، وقد وردت إشارات تفيد أن بعض الناس في ذلك العصر كانوا متحمسين لإزالة هذه العجمة من أسمائهم ، فهذا كتاب الأنساب[37] يذكر لنا مثلا أن إبراهيم بن جامع كان اسمه الأول هو يرريجن بن عمر .

فالمؤلف تادلي أي أنه ضارب بأصله في أعماق بادية من أهم المناطق وأغناها في ذلك العصر وهي التي يخترقها وادي وانسيفن (أم الربيع اليوم) ويلتقي فيها برافده

(37) يدرك هذه الظاهرة من تمعن في **كتاب الأنساب** وكتاب **أخبار المهدي** للبيذق .

درنة ، وقاعدتها مدينة داي مذكورة في كتب أوصاف البلدان والمسالك على أنها مستخرج معدن النحاس ومزرعة القطن وملتقى الرفاق الحاملين للسلع من جميع الآفاق . ان تادلا موطن قبائل متعددة وعمارة واسعة ، فمن أي جهاتها مؤلف التشوف ؟ وما صلته بها ؟ .

من المعلومات الواردة في ثنايا تراجم الكتاب أن المؤلف سمع من أبيه أخبار بعض الزهاد التادليين . ومن هؤلاء أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن من أهل داي المتوفى بها سنة خمسين وخمسمائة . قال ابن الزيات :

«وسمعت أبي رحمه الله يقول : كان أبو يعقوب رجلا طوالا جهير الصوت ، يسمع صوته على بعد ، فإذا كان في السحر ينشد في الصومعة :

يَا طَويلَ الرُّقادِ والغفلاتِ كثرةُ النوم تورث الحسراتِ
إنَّ في القبرِ إن دُفعت إليه لـرقاداً يطول بعد المماتِ
ومهادا مُمهَّداً لك فيه بذنوبٍ عملتَ أوْ حسناتِ

ثم يبكي فلا يسمع أحد صوته إلا بكى لبكائه» .

ثم قال : «وسمعت أبي رحمه الله يقول : كان أبو يعقوب عطارا بداي فإذا رأى الناس تكاثروا عليه للشراء منه ورأى السوق معمورة بالناس يرسل الشبكة على حانوته ويقول : سبحان الله ! سوق الدنيا عامرة وسوق الآخرة خالية ، فيدع البيع ويدخل المسجد ويصلي فيه ما قدر له»[38] .

فوالد التادلي إذا ليس من عوام بدو تادلا الغارقين في البداوة بل هو مشارك بدرجة تسمح له على الأقل بحفظ مثل هذا النظم وروايته ، ثم إنه كان مقيما بداي أو مترددا عليها بكثرة منذ ما قبل منتصف القرن . وتفيد هذه المعاينة اليومية لأحوال أبي يعقوب المؤذن أن الرجل كان مقيما بداي . ويستفاد من إشارات أخرى في ثنايا الكتاب أن والد التادلي لم ينتقل من تادلا إلى مراكش توا بل أقام قبل دخول مراكش في منطقة تقع إلى الجنوب من هذه المدينة وعلى الطرف الجنوبي للمنطقة التي كانت دكالة تشملها حينئذ ألا وهي ركونة[39] ، وكانت هذه القبيلة في المنطقة

(38) الترجمة رقم 50 في **التشوف**

(39) انظر **أخبار أبي العباس السبتي** المنشورة في هذه الطبعة ، الفقرة الأولى من (باب في ذكر أخباره) .

التي تحتلها قبيلة احمر اليوم ، لأن ولده نقل عنه ترجمة زاهد آخر هو أبو محمد جلداسن[40] الركوني المتوفى عام خمسمائة وسبعين وأنه «كان يدخل حائطه (أي بستانه) ويخلو بنفسه» فهذه معاينة يومية أخرى . فالمرجح أن والد التادلي كان مقيما بداي ثم جلا عنها يوم جلا عنها أهلها وتشتتوا في البلدان ، وكان ذلك سنة تسع وخمسين وخمسمائة أي في السنة الموالية لوفاة الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي . وخبر واقعة داي هذه وارد في الترجمة التي أفردها التادلي لأبي العباس السبتي[41] ، وإن كنا لا نعرف أسباب تلك الواقعة ولا تفاصيلها . ويجوز لنا أن نقيم علاقة افتراضية بين جلاء الناس عن داي وبين ثورة وردت الإشارة إليها في كتاب «**التشوف**» ولا نجد لها ذكرا في كتاب آخر وهي ثورة عتاب الذي اتهم بطلب الملك فقوبلت أطماعه بالقمع والمطاردة الشديدة لشيوخ التصوف في مناطق واسعة[42] ، إما لكونه شيخا منهم أو لتواطؤ مّا معه . ولابد وأن يكون لتلك الأطماع ولذلك التواطؤ سند من العصبية ، وقبائل تادلة مرشحة لها لأكثر من سبب . فالنظام الموحدي لم يكن يواجه الفقهاء فحسب بل واجه الصوفية أيضا ، وكتاب **التشوف** وثيقة في هذا الموضوع . ولا نعرف عن هذا الشخص الثائر شيئا ، إلا أن اسم القبيل الكبير المجاور إلى الآن لمنطقة داي يسمى أيت عتاب أي أهل عتاب . وقبائل المنطقة كلها صنهاجية وليست من المصامدة الذين أيدوا الموحدين ، ثم إن واقعة داي كانت في السنة الموالية لوفاة الخليفة عبد المومن الموحدي . ومن المعلوم أن هذه الفترات كانت تُنتهز فيها الفرصة من طرف مدبري الثورات . وعلى كل حال فوالد التادلي ظل بداي إلى هذه السنة لأنه شاهد فيها زاهدا ثالثا وهو أبو يحيَى أبو بكر بن فاخر العبدري الذي انتقل منها إلى سلا ومات بها في نفس السنة

(40) الترجمة رقم 80 في التشوف

(41) اعتمدنا في تحديد موطن هذه القبيلة على ما ورد في **كتاب اليفنق** وعلى هامش على نسخة عبد الله الواثق السعدي من **التشوف** من تعيين مكان مدفن أبي محمد جلداسن الركوني ، وقد ترددنا في ذلك لأن اسم جلداسن ليس مما يحمله المصامدة في هذه المنطقة ولأن أوجدام اسم مكان آخر بين نهر أم الربيع وموطن السراغنة اليوم ورباط أوجدام هو رباط أبي محمد جلداسن .

(42) انظر ما يفيد ذلك في ترجمة محمد بن تميم الزناتي (رقم 218) وفي ترجمة تيلجي الدغوغي (رقم 224) . في **التشوف** .

أي سنة تسع وخمسين وخمسمائة[43] .

إن الغالب على الظن هو أن والد المؤلف لم يدخل مدينة مراكش إلا في عشرة السبعين من القرن السادس ، ونزل الجانب الشرقي منها . ويبدو أن عددا من التادليين نزلوا هذه المحلة بعد النكبة ، وحملوا إليها بذورا أخرى أينعت بها أزهار الصلاح هنالك ، وكيف لا وتادلا كانت من قديم موطن الفرق والنحل والتيارات ! ويتحدث والد ابن الزيات عمن أدرك بها مائة وسبعين رجلا كلهم يُزارون . فالمؤلف يحدثنا عن تادلي نزل هذا الحي وهو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر محمد بن مع الله[44] وهو حفيد أبي محمد مع الله التادلي المترجم في **التشوف**[45] . ويذكر التادلي أبا زكرياء في الصالحين ويقول إنه توفي في سنة أربع عشرة وستمائة وأنه أول من قرأ عليه المؤلف كتاب الله تعالى . ولعل طفولته في هذه العشرة وأخذه العلم في شبابه في عشرة الثمانين وهي التي تأدب فيها الناصر على يد ابن حوط الله الذي لقيه التادلي . ولابد أن نتساءل عما إذا كان التادلي قد دخل مراكش طفلا صغيرا أو إذا كان قد وُلد بها . وليس في كتابه ما يدل على أنه يعرف اللغة البربرية ، ولا نجد لديه عبارات بهذه اللغة مما يجري على لسان صلحاء البوادي من البربر وهو الحريص على ضبط الروايه . ومثل هذه العبارة التي خلا منها التشوف نجدها في **عنوان الدراية** وفي «**أنس الفقير**» وفي «**دعامة اليقين**» وفي «**المعزى**» وفي «**إثمد العينين**» وغيرها . ولا نجد لديه حرصا على ضبط شكل أسماء أعلام البربر ، وما أكثرها في كتابه ، كما نجد ذلك عند ابن عبد الملك مثلا . بل إن ما يشكك في معرفته لذلك اللسان أنه ذكر الوادي الذي بجانب سور مراكش فسماه وادي إغزر ، فكأنما قال وادي الشِّعب . ولربما استنكف من كل ذلك حتَّى لا يخلط عجمة بلغة «المقامات» .

ومهما يكن فإن التادلي بدأ في بداية عشرة التسعين تشوفه إلى رجال التصوف . فهو يذكر عبد الواحد بن تومرت الذي استشهد بغزوة الأرك سنة 591هـ ويقول : «نزل بمحلتنا بالجانب الشرقي من حضرة مراكش (...) إذا أبصرته نالتني منه هيبة

---

(43) الترجمة رقم 53 .

(44) الترجمة رقم 267

(45) الترجمة رقم 25

ولم أقدر أن أكلمه إلا مرة واحدة استوهبت منه الدعاء فدعا لي»[46] ويقول عن صالح بن وندلوس المتوفى بعد التسعين بسجلماسة : «أدركته أنا بمراكش»[47] وهي عبارة تدل على أنه أدركه في الزمن لا أنه أدركه في المكان بالقدوم على مراكش.

ومما يدل على أن بداية هذا العقد كانت نقطة تحول في حياته ما ذكره عن أبي موسَى الوريكي المتوفى عام اثنين وتسعين وخمسمائة إذ يقول : «ما رأيته قط إلا ووعظني بحاله وحقر الدنيا في عيني (...) وإذا بت معه في جمع من المريدين لم يأكل إلا آخر الناس»[48].

وفي نفس العام زار أبا العباس الجباب[49] وفي العام الموالي له خرج لزيارة عبد الحليم الايلاني[50] وزار الصالحة العجوز منية نزيلة محلته[51]، ولم تكد تنتهي هذه العشرة حتَّى كان خالط القوم واستأنس بأحوالهم. فهو يذكر أن محمد بن عبد الله الصنهاجي المتوفى سنة 599هـ كان يفضي إليه بسره[52] وأنه خرج في شهر رمضان من عام ثلاثة وستمائة مع «جماعة من الفضلاء» إلى رباط شاكر وأقاموا به إلى ليلة سبع وعشرين[53]. وكان رباط شاكر ملتقَى الزهاد والصلحاء في ذلك العصر.

إن ذلك التعريف القصير بان الزيات المنقول عن الحضرمي يذكر صحبته للشيخ أبي العباس السبتي المتوفَّى عام واحد وستمائة. والواقع أنه قد اعتنَى بهذا الشيخ اعتناء خاصا فأفرد له ترجمة مطولة بعد أن رغب إليه «بعض الفضلاء» في ذكره ضمن كتاب **التشوف**. وقد كتب تلك الترجمة بعد الفراغ من التشوف ويشرح ذلك الإسهاب بضرورة بسط الكلام حول رجل اختلف فيه الناس في حياته وبعد موته إلى غاية كتابة تلك الترجمة. ويمكن أن يحمل كلامه على أنه مبرر علمي أكثر مما يحمل على أنه موقف دفاعي. ثم إنه يبين اختلاف الناس حول أبي العباس ويعلق على ذلك بقوله : «والله أعلم بحقيقته». وقد ذكر مرتين أنه حضر مجلس هذا

(46) الترجمة رقم 183
(47) الترجمة رقم 197
(48) الترجمة رقم 143
(49) الترجمة رقم 140
(50) الترجمة رقم 157
(51) الترجمة رقم 160
(52) الترجمة رقم 196

الشيخ عدة مرات وسمعه يحتج على منازعه بعدد من الآيات القرآنية . بل إنه لا يخفي إعجابه بفصاحته وقوة شخصيته بصفة عامة ، ولكنه لم يبين ما يدل على جواز التوسع في معنى الصحبة لأبي العباس ، بل إنه قال في آخر ترجمته : «وأخباره كثيرة وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيرا»[53] .

ويظهر أن صاحبنا لم يقتصر في طريق القوم على مورد أبي العباس السبتي ، فقد ذكره صاحب **المنح البادية**[54] في سند طريقة الشيخ محمد بن الحسن الإصلتني السجلماسي دفين باب الجيسة من فاس المتوفى عام خمسة وتسعين وخمسمائة عن طريق إسماعيل بن يعلى . كما ذكره في سند طريقة أبي جبل يعلى . وكلا الشيخين مترجم له في «التشوف» .

إن التادلي وإن كان قد تصوف أو خالط رجال التصوف ظل آخذا بمسلك الاعتدال في أمره ويتضح ذلك من عدة أمور منها :

- أنه لما ذكر أن كتابه مجرد من «التصوف» أحال من أراد الوقوف على ذلك المصطلح على كتاب **إحياء علوم الدين** للغزالي .
- أن الأشعار التي أتى بها لتعكس كالمرايا المصقولة تلك المعاني العميقة في أخبار الرجال ليست مما تُلمس فيها الشطحات أو دعاوي الأحدية ، وإنما هي أشعار تحنن وشكوى وزهد وموعظة .
- أن الرجل لم يصدف عن الدنيا في أخرياته بل اشتغل بالقضاء حتى مات .

إننا لا نعلم شيئا عن الظروف التي تولى فيها التادلي هذه خطة القضاء برگراگة ولكننا نستطيع أن نذكر بهذا الصدد أمرين اثنين :

أولهما أن أحوال حضرة مراكش لم تفتأ تضطرب منذ نهاية عهد الناصر بهزيمة العقاب المشؤومة (سنة 605هـ) .

ثانيهما أن المؤلف كان يعرف بلاد رگراگة منذ تردده على رباط شاكر وهي بلاد عرفت بصلحائها ورباطاتها منذ أوائل الفتح الإسلامي. ولربما كانت لأسرته صلات

---

(53) الترجمة رقم 207

(54) قال ذلك في آخر الباب الذي جمع فيه أخباره من الترجمة المنشورة في هذه الطبعة .

بالمنطقة عند مرور والده بركونة ، وحتّى لو لم يكن شيء من ذلك فقد تكون داخلته هذه الكراهية الصوفية للإقامة في قواعد البلدان كما يتحدث عنها في مقدمة الكتاب .

توفي التادلي بركراكة سنة 627هـ أو سنة 628هـ[55] حسبما نُقل عن الحضرمي . وليس هناك ما يؤكد ظن أدولف فور الذي كتب في دائرة المعارف الإسلامية أن جثمان التادلي نقل إلى مراكش وأن التادلي الذي تنسب إليه القبة القائمة خارج باب الخميس بمراكش هو صاحب **التشوف**[56] .

ويحق لنا أن نتساءل عن جهة ركراكة التي استقضي به التادلي . وأما ركراكة فكانت تشمل في ذلك العصر منطقة واسعة بين دكالة وحاحا ومعظمها جنوبي وادي تانسيفت ، يحدها البحر غربا ، وتدخل فيها منطقة وادي شيشاوة ، وتشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكة الحالية التي مركزها بوابوض . ويستفاد من **التشوف** أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز[57] وكانت مرسى على البحر عند مصب تانسيفت . وقد نعتها المؤلف بقرية أكوز ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل وبها يجبى الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع[58] .

من غير شك أن كتاب **التشوف** لقي عناية في حياة المؤلف وبعد مماته وتتجلى هذه العناية في عدة وجوه :

1 — روايته بالسند في فهارس كبار الأعلام وكنموذج لذلك نثبت هنا رواية عبد الحي الكتاني كما وردت بخطه على ظهر نسخته المحفوظة في الخزانة العامة قال : «روايتنا لكتاب التشوف عن القاضي المعمر أبي العباس أحمد بن الطالب المري بفاس عام 1318 عن مصطفى بن الكبابطي الجزائري عام 1268 عن علي بن الأمير الجزائري عن أبي عبد الله التاودي بن سودة عن محمد بن سلام البناني عن

---

(55) مخطوط الخزانة الحسنية رقم 11370 (غير مرقم) .
(56) انظر **السعادة الأبدية** لابن الموقت ص 105 وفيها ينفي أن يكون التادلي مدفونا بمراكش .
(57) انظر عن رباط أكوز بحث روزان بيرجي في مجلة Hespéris-Tamuda سنة 1967 .
(58) انظر الترجمة 180 في **التشوف** .

أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي عن أبي القاسم بن أبي النعيم القاضي عن أبي مجبر عن أبي عبد الله بن غازي عن الراوية أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن الشيخ أبي زكرياء السراج النفزي الحميري عن أبيه عن جده عن أبي سعيد محمد بن الأستاذ عبد المهيمن الحضرمي السبتي عن الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد الفهري دفين فاس عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي الشريف عن مؤلفه القاضي الأديب الراوية أبي الحجاج يوسف بن يحيَى بن عيسَى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات بما فيه . قاله وكتبه محمد عبد الحي الكتاني بالبراشوة من بلاد وقبيلة زعير صبيحة يوم الجمعة 22 شعبان عام 1337» .

2 — اختصاره كما فعل أحمد بن علوان المصري[59] المتوفى سنة 787هـ وأحمد بن عبد الله السملالي المتوفى سنة 1093هـ[60] أو نظم رجاله كما فعل أحمد بن عبد القادر التستاوني المتوفى سنة 1127[61] .

3 — كثرة النقل عنه من طرف الذين كتبوا في التراجم والمناقب سواء أشاروا إليه أو لم يشيروا ، ونذكر منهم على سبيل المثال صاحب **جذوة الاقتباس** وصاحب **سلوة الأنفاس** وصاحب **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** .

4 — التأليف على غراره في أخبار الصلحاء أفرادا وجماعات ، والنسج على منواله في سرد تلك الأخبار وكأنه رسم نموذج هذه الكتابة وحدد معالم تلك الصورة . ومن الأمثلة على ذلك الصدى المتردد بعد قرون كتاب «**يتيمة العقود الوسطَى في مناقب أبي عبد الله محمد المعطي**»[62] الذي ألف أبو عبد الله العيدوني المتوفى سنة 1189 وحاول فيه أن يذكر لشيخه كرامات جامعة لما في التشوف من نماذج الكرامات .

5 — لا شك أن تأثير هذا الكتاب في نفوس قرائه ورواة الأخبار المتضمنة فيه رواية شفوية في أوساط المتصوفين بالمغرب أعظم مما يمكن أن يلمس في النصوص المكتوبة . وها هو عبد الحي الكتاني يكتب في بعض هوامش نسخة من الكتاب :

(59) انظر **دليل مؤرخ المغرب الأقصَى** ، ص 257
(60) انظر محمد المختار السوسي : **سوس العالمة** ص 184
(61) توجد نسخة من هذا النظم في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1302
(62) مخطوط الخزانة العامة رقم ك 305

«كتاب التشوف كتاب جليل الفائدة لا يقوم مطالعه إلا باحساس نفساني أنه ليس على شيء ويقوى إيمانه» . ولا شك أن هذا الأثر النفسي هو الذي قصد إليه المؤلف . فهو عندما برَّر في المقدمة ذكر جملة من المجهولين والمجهولات قال : «إذ المقصود ايراد عجائب أخبارهم لعل الله أن ينفع بهم» .

ومن الطبيعي أن يقترن هذا الاعتناء بكثرة تداول الكتاب واستنساخه جيلا عن جيل ولعل هذا الإكثار من نسخه أدى إلى قلة الاعتناء بالأصول وبالنسخ الأولى ، فلا نعثر اليوم على تلك النسخ القديمة في الخزائن . وقد أشار مؤلف **«المنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح»** وهو أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ المترجم ، وكان على قيد الحياة في النصف الثاني من القرن السابع ، أشار إلى نسخة من التشوف في ملك أسرته بأسفي كانت عليها طرر مفيدة[63] . وهناك أمران يرجحان أن تكون أقدم نسخ الكتاب في أسفي وجهاته ، أولها ازدهار رباط الشيخ أبي محمد صالح في ذلك الثلث الأول من القرن السابع ، وثانيهما أن المؤلف قد قضَى أيامه الأخيرة في ركراكة المجاورة . وفي عشرة الثلاثين من قرننا هذا كتب عبد الحي الكتاني في بعض أوراقه ما يلي : «وقفت بأسفي على نسخة جيدة من التشوف فإذا هي نسخة مصححة ومعلم على كل مترجم فيه محل دفنه اليوم وشهرته» . وقد اطلع على هذه النسخة محمد بن أحمد العبدي الكانوني حين كتب كتابه **«أسفي وما إليه»** الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1353 ومن هوامشها نقل تعيين أماكن دفن عدد من الدكاليين والركراكيين من أهل القرن السادس الهجري ، بل انه يذكر صراحة أنه صحح كلمة «مشترايه» من نسخة عتيقة من **«التشوف»** . وهذه الإشارة قد تكون كافية للدلالة على أن النسخة المعنية ليست هي الأصل الذي كتبه المؤلف لأن مشترايه ليست هي الصحيحة بل هي مشتنزاية .

إن النسخ التي وقفنا عليها في مختلف الخزائن العامة والخاصة كثيرة يطول تعدادها . وقد اطلعنا على عدد من النسخ زيادة على تلك التي اعتمدها أدولف فور ومنها :

---

(63) مخطوط الخزانة العامة رقم د 674 الورقة 41

في الخزانة الحسنية بالرباط :

1 — نسخة أصلها من الخزانة الزيدانية ورقمها 11759 ويستفاد من رسم التملك الوارد في صفحتها الأولى أنها كانت بيد الشيخ محمد الصالح الشرقاوي صاحب زاوية أبي الجعد ثم انتقلت إلى ملك ولده الشيخ المعطى بن الصالح سنة ثلاث وأربعين بعد المائة والألف . والنسخة غير مذكورة في **فهرس الخزانة** الذي أنجزه عبد الله عنان ورمزها في التحقيق هو : ز .

2 — نسخة رقمها 1076 مذكورة في **فهرس** عبد الله عنان كان الفراغ من نسخها عام سبعة وستين وألف وعليها رسم تملك «لوصيف الدار العالية بالله مرجان الفيلالي بتاريخ شعبان عام خمسين ومائة وألف» . ورمزها في التحقيق : م .

3 — نسخة رقمها 4354 مذكورة في **فهرس** عبد الله عنان وهي خالية من تاريخ النسخ ورمزها في التحقيق : ح .

في الخزانة العامة بالرباط :

دخلت إليها بعد صدور طبعة فور عدة نسخ منها :

4 — نسخة كانت في ملك عبد الحي الكتاني ورقمها كتا 56 وقد سبق أن استفاد منها فور بواسطة نسخة كولان المقابلة بها ، وسقطت منها تسع تراجم تبدأ بابن محسود الهواري وتنتهي بابن يجاتن الزناتي . وعليها هوامش مفيدة .

5 — نسخة رقمها ج 859 كانت بخزانة الباشا الكلاوي وهي في مجلد فاخر عدد ورقاته 223 مكتوبة بخط أندلسي جميل . عليها هوامش تبين بعض المترجمين وأماكن دفنهم ولا مجال للشك في أنها انتسخت عن نسخة أسفي العتيقة الآنفة الذكر نظرا لتطابق تلك الحواشي مع الحواشي التي أشار إليها الكتاني ونقل عنها الكانوني ، وعلى أول صفحة منها نقرأ ما يلي : «تملك هذا الكتاب عبد الله ووليه أبو فارس ابن أمير المومنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الرفاء الحسنيين خلف الله» وهو عبد الله الواثق[64] بن أحمد المنصور السعدي وكانت وفاته سنة ثمان

(64) انظر ذكر عناية هذا الأمير بالكتب وتأسيسه لمكتبة الحرم العباسي بمراكش في «**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**» لمحمد حجي ص 185

عشرة وألف هجرية . فهي إذا نسخة أميرية رفيعة . وفي يسار آخر الصفحة الأولى منها طابع صغير تتعذر قراءة ما بداخله . وقد ورد في النسخة ذكر تاريخ الفراغ منها وهو يوم الأحد الثامن من رجب عام ستة وألف . وقد وردت بعد «التشوف» في نفس المجلد ترجمة أبي العباس السبتي . وبين نص التشوف وترجمة السبتي ورد ما يلي : «نقلت من خط أبي عبد الله بن قطرال رحمه الله نبذا في عشرة[65] (هكذا) نقلت من خط الشيخ الفقيه الأديب أبي يعقوب يوسف بن يحيَى بن عمر رحمه الله» وابن قطرال هو الفقيه محمد بن علي الأنصاري من أهل مراكش توفي سنة تسع أو عشر وسبعمائة ، ولا يستغرب أن يهتم بنقل كتاب «التشوف» وهو المعروف بالزهد والتصوف[66] ، وقد نقل عن أصل المؤلف وان كان قد تحرف اسم جده عيسَى فكتب عمر . وبهذا تكون هذه النسخة الأميرية أقرب النسخ إلى الأصل . ورمزها في التحقيق : س .

6 – توجد في خزانة الكلاوي نسختان أخريان : إحداهما تحت رقم ج 878 وتاريخ نسخها عام ثلاثين ومائتين وألف والثانية تحت رقم ج 62 وهي خالية من تاريخ النسخ ورمزها في التحقيق : ج .

في خزانة القرويين بفاس :

7 – نسخة رقمها 713 ذكرها العابد الفاسي في الجزء الثاني من فهرسه . صفحة 313 . وهناك نسخ أخرى بهذه الخزانة ، منها نسخة تحت عدد 684 . ورمزها في التحقيق : ق .

وتوجد في خزائن أخرى بالمغرب نسخ متعددة لا يختلف ما راجعناه منها عما في النسخ المذكورة . منها نسخة في خزانة تطوان رقمها 513 وأخرى في زاوية تانغملت رقمها 435 .

النسـخ الخاصــــة :

8 – نسخة الأستاذ محمد المنوني . وهي نسخة عتيقة الورق والخط خالية من

---

(65) لعله يقصد عشرة كراريس .
(66) ترجمته في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم : 4 : 338

تاريخ النسخ . في بعض صفحاتها خروم . سقطت منها بعض التراجم . وبهوامشها معلومات مفيدة عن المترجمين . ورمزها في التحقيق : غ .

9 — نسخة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، اطلعنا على نسخة مصورة منها في خزانة كلية الآداب ورمزها في التحقيق : ك

وليس من الترف في رأينا أن يُعتمد على هذا العدد من النسخ بعد التي اعتمدها فور إذ أن الكتاب الذي ليست له ، فيما عدا المقدمة ، أصول مكتوبة قد كثر فيه الغلط والتصحيف وليس من سبيل إلى تصحيحه إلا بمراجعة عدد أكبر من النسخ ، وبينما استعمل فور نسخه الثمان ليكثر من إثبات القراءات المختلفة في الحواشي ، سعينا إلى إبطال كثير من هذه الحواشي في القراءات التي ثبت فيها وجه لا يتطرق إليه الشك ، وأثبتنا الوجه المرجح في الحالات الأخرى ، فلا نشير إلى هذه الفروق دون تصحيح أو ترجيح إلا في حالات نادرة . وقد تأتى لنا أن نستدرك بهذه النسخ عددا من الكلمات والجمل التي لا توجد في طبعة فور . وكلما أشرنا إلى هذه الطبعة استعملنا رمز : **ف**

أما تصحيح رسم الأعلام أو قراءتها فقد اعتمدنا فيه لغة المواطن الأصلية للمترجمين ولاسيما القاموس الذي وضعه شارل دوفوكو للغة التوارگ التي حافظت على كثير مما اندثر في المغرب الأقصى من الدلالات الصنهاجية .

وقد أوردنا تعريفات مقتضبة لا يختنق بها النص لعدد من الأعلام قاصدين بذلك أن نقرب القارئ من السياق المحسوس التاريخي والجغرافي للأخبار الواردة في الكتاب ولم يتأت لنا الاستقصاء في ذكر مصادر تراجم المذكورين عرضا من الأعلام .

— وضعنا خريطة تبين ولو بصفة تقريبية في بعض الأحيان ، مواقع القبائل والأماكن المذكورة ومواقع الرباطات ومدافن المترجمين .

وقد ألحقنا بهذه الطبعة ترجمة أبي العباس السبتي وليست من **التشوف** لأن المؤلف قد وضعها تأليفا خاصا للأسباب التي شرحها في مقدمتها . ونسخها متوفرة بكيفية مستقلة أو ملحقة بالتشوف في مجلد واحد بمعظم المخطوطات المشار إليها

أعلاه[67] . وقد اعتمدنا في إخراجها نسختين هما :

1 ـــ نسخة ملحقة بنسخة **التشوف** في الخزانة الملكية وتحمل رقم 1076 ورمزها : م

2 ـــ نسخة ملحقة بنسخة **التشوف** الأميرية بالخزانة العامة ورمزها : **س** .

وفي الأخير وضعنا لكل من التشوف وترجمة أبي العباس السبتي فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقوافي والكتب وأعلام الأشخاص والجماعات والأمكنة والتراجم .

ولابد في آخر هذه المقدمة من أداء واجب الشكر للسادة الأساتذة محمد القبلي ومحمد حجي وحسن مكوار ومحمد المنوني ومحمد ابراهيم الكتاني على عملهم من أجل إخراج هذه الطبعة وعلى ما هونوا في نظري من مصاعب اعادة النظر في طبعة هذا الكتاب وأشكر الذين ساعدوني على القيام ببعض التحريات الميدانية وأخص منهم الشريف مولاي إدريس عزيزي سمير .

الرباط في فاتح أكتوبر 1983

---

(67) ذكر صاحب **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** ص 221 أن المخطوط الذي يحمل رقم 396 في الخزانة العامة هو **مناقب السبتي** للتادلي ، وليس كذلك وإنما كاتبه شخص مجهول اطلع على **أخبار السبتي** وصاغها بأسلوبه وأضاف إليها ذكر خوارق وغرائب كل ذلك بعبارة بين الدارج والفصيح . وقد لخص صاحب «**المعزى**» أخبار السبتي التي ننشرها وأوردها بنصها الكامل العباس بن إبراهيم في **الإعلام** ، ج 1 صفحة 259 وما يليها .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما

قال أبو يعقوب يوسف بن يحيَى بن عيسَى بن عبد الرحمن التادلي عرف بابن الزيات : الحمد لله رب العالمين . وصلَّى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنه لم يخل زمان من ولي من أولياء الله تعالى يحفظ الله به البلاد ويرحم به العباد . وكانت منهم طائفة عظيمة بأقصَى المغرب أُهملت أخبارهم وجُهلت آثارهم ، حتَّى ظن من لا علم له بهم أنه لم يكن منهم بأقصَى المغرب أحد وأنه استبعد أن يكون به ولي أو وتد . وهيهات ، هيهات ! ليس الأمر كذلك ، فاطلب تجد ، وكيف يكون ذلك كذلك ! وقد جاء في الحديث الصحيح من فضل أهل المغرب ما لا يدفعه دافع ولا ينازع في ثبوته منازع كمثل ما رويناه من طريق مسلم بن الحجاج بسنده إلى سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتَّى تقوم الساعة**[1]. ومن حديث سعد بن مالك ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال : **لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة** . ومن تأول قوله ، عليه السلام ، على أن الغرب الدلو وأنه أراد أهل الغرب وهم العرب فيبطل تأويله بما رويناه من طريق بقي بن مخلد[2] في مسنده قال : حدثنا يحيَى بن عبد الحميد : أخبرنا هشيم : أخبرنا داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي عن سعد عن النبي ﷺ ،

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، حديث 177 .
(2) قرطبي من حفاظ المحدثين ومن الزهاد الصالحين توفي في عشرة السبعين بعد المائتين ، ترجم له في **الصلة** (1 : 116) انظر : نوري معمر : **بقي بن مخلد ومسنده** ، أطروحة بدار الحديث الحسنية بالرباط 1978 .

قال : **لايزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتَّى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله**. وخرجه الدارقطني في **فوائده** بسنده إلى سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه. قال : قال رسول الله ﷺ : **لاتزال طائفة من أمتي قائمين على الحق في المغرب حتَّى تقوم الساعة** ذكره أبو ذر بن أحمد الهروي بسنده ولفظه : **لايزال أهل المغرب ظاهرين عن الحق حتَّى تقوم الساعة**[3]. وقال الامام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي[4] نزيل الاسكندرية في رسالته المشهورة التي بعثها إلى السلطان بمراكش بعد أن ذكر الحديث الذي خرجه مسلم فقال : والله أعلم هل أراذكم بذلك رسول الله ﷺ . أو أراد أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والإحداث في الدين والاقتفاء لآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم[5] فشرفوا بهذه المآثر شرفاً وشغفوا بهذه المفاخر شغفا[6].

وحدثني محمد بن محمد بن أبي القاسم[7] قال : سمعت أبا زيد الدقاق[8] وكان رجلا خيرا يقول : رأيت النبي ﷺ ، في النوم عند أحد أبواب مراكش فقلت له : يا رسول الله . أفي هذا البلد أحد من الأولياء ؟ فقال : فيه سبعة . فقلت : يا رسول الله . من هم ؟ فقال لي : هؤلاء ! فإذا بسبعة رجال خروج من الباب ما

(3) راجع كتاب عبد الحي الكتاني : **البيان المطرب في معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب** . طبع بفاس عام 1331هـ . وكتاب **طبقات علماء إفريقيا** لأبي العرب . ص 59 .

(4) الطرطوشي (451 — 520هـ) فقيه أندلسي مالكي زاهد أخذ عن الباجي ورحل إلى الشرق وأخذ عن أئمة كالشاشي والجرجاني وغيرهما . انظر ترجمته ومصادرها في **وفيات الأعيان** : 4 : 262 .

(5) راجع **رحلة أبي بكر بن العربي** مخطوط خ. ع. رقم د 1020 (3) . ورقة 9 . وفيها الرسالة المشار إليها ونص الفقرة كما يلي : «والله أعلم هل أراذكم رسول الله ﷺ . معشر المرابطين أو أراد بذلك جملة بلاد المغرب لما هم عليه ...» وقد نشرها عصمت دندش في دراسة في مجلة **المناهل** . عدد 9 ص 149 — 191 .

(6) ليست العبارة من نص الرسالة .

(7) هو أبو عبد الله بن القاسم بن أبي الفضل السجلماسي . تلميذ الشيخ أبي محمد صالح . أخذ عنه المؤلف أخبار من كانوا بسجلماسة من رجال **التشوف** ووالده هو المترجم رقم 200 . راجع : **عنوان الدراية** : 123 .

(8) في **إظهار الكمال** . ص : 33 : أبو زيد الرقاء .

عرفت منهم إلا أحمد بن محمد الغساني المعلم(9).

ومازال كثير من الصالحين يكرهون الإقامة في قواعد البلدان خيفة من الفتن ومنهم من كان مقيما بها على وجه الاضطرار، ولذلك قال بشر بن الحارث(10): بغداد، ضيقة على المتقين؛ ما ينبغي لمؤمن أن يقيم بها. قال أحمد بن يوسف: فقلت له: هذا أحمد بن حنبل. فماذا يقول؟ قال: يقول: دعتنا الضرورة إلى المقام بها، كما دفعت الضرورة المضطر إلى أكل الميتة. وقال علي بن الصباح: أتيت عبد الله بن داود فسألته عن سكنَى بغداد فقال: ولا بأس. قلت: فإن سفيان الثوري كان لا يدخلها. فقال: سفيان يكره جوار القوم وقربهم. قلت: فابن المبارك؟ قال: كان كلما دخلها، تصدق بدينار. قال: ومن يصحح هذا عن ابن المبارك؟ قلت: سمعت ابن حرب والفضيل بن عياض. قال: لم تذكر لنا فقيها بعد. وقال يحيى بن أيوب العابد: شهدت معروفاً الكرخي وعنده رجل؛ فذكر أن بغداد غصب. فقال له معروف: يا هذا، اتق الله واحفظ لسانك فما نعرف شيئا غصبا. وسئل أحمد بن حنبل عن العقار الذي كان يستغله، ويسكن في دار منه، كيف سبيله عنده. فقال: هذا شيء ورثته من أبي؛ فإن جاءني أحد فصحح أنه له، خرجت عنه ودفعته إليه(11).

ولما خفي عن كثير علم من كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء، رأيت أن أفرغ لذلك وقتا أجمع فيه طائفة أدون أخبارهم وأضيف إلى ذلك من كان من أعمالها وما اتصل بها من أهل هذه العدوة الدنيا. وربما ذكرت من قدم مراكش وما اتصل بها وإن كان من غيرها، إذا كان مماته بها. وذكرت من هو من أهل هذه العدوة وإن كان مماته بغيرها. وتحريت في نقل ذلك عن أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح والمستورين ما استطعت. وربما ذكرت بإسنادي ما نقلته من ذلك. وربما سمعت الخبر من عدة طرق بألفاظ كثيرة.

(9) كان معلما بمراكش. حدث عنه التادلي بأخبار أندلسيين من **رجال التشوف** بهذه العدوة ذكره **صاحب الإعلام** (2 : 107) ولم يضف شيئا إلى ما في التشوف.

(10) هو أبو نصر بشر بن الحارث المعروف بالحافي: كان من كبار رجال الزهد والصلاح. توفي ببغداد سنة 226 أو 227هـ. انظر: **حلية الأولياء** 6 : 336 **ووفيات الأعيان** 1 : 228.

(11) انظر **تاريخ بغداد**، الباب الأول والباب الثاني.

فاعتمدت على أصحها سندا وأقربها إلى الصواب لفظاً . ونبهت ، عند ذكر كل رجل ذكرته ، على مقامه المعلوم له . وسميت هذا الكتاب **بالتشوف إلى رجال التصوف** وإن كان مشتملا على أضراب من أفاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل ؛ فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين . فإن كثيرا من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه . والذي يعول عليه أن الصوفِي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى ، المتصرف في طاعته . وهو في الأصل منسوب إلى صوفة وهم قوم من العرب . والمتصوف هو المدخل نفسه في الصوفية ، كقولهم تقيس إذا أدخل نفسه في قيس أي في قيس عيلان ومن تقيس . وقال ابن فارس في مجمله : صوفة قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج . قال أبو عبيدة : هم قبائل اجتمعوا وتشبكوا كما تشبك الصوف . وأخبرني أبو القاسم أحمد بن يزيد[12] قراءة مني عليه في أصل كتابه قال : أخبرني أبو خالد يزيد بن عبد الجبار القرشي[13] عن محمد بن عبد الرحمن بن معمر[14] عن محمد بن هشام المصحفي[15] عن محمد بن مضي[16] ، قراءة ، قال : قرأته ، يعني كتاب **العين** ، على فضل[17] ، صهر القاضي منذر بن سعيد[18] وابن عمه قال : قال لي منذر بن سعيد : نسخت كتاب العين من كتاب أحمد بن محمد بن وليد المعروف بولاد ، روايته عن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن ليث بن المظفر عن الخليل بن أحمد قال : صوفة[19] حي من تميم وهم الصوفان الذين كانوا يجيزون الحاج من عرفات . كان أحدهم يقوم

(12) انظر مقدمة التحقيق حول أبي القاسم أحمد بن يزيد شيخ المؤلف .

(13) أندلسي مقرئ عارف بالعربية ، من شيوخ أبي القاسم بن يزيد ، توفي سنة 562هـ . انظر **تكملة الصلة** : 742 .

(14) مؤرخ الدولة العامرية ، توفي بالجزائر الشرقية سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . (**الذيل والتكملة** : 6 : 365) .

(15) راجع **الصلة** : 556 .

(16) راجع **الصلة** : 509 .

(17) راجع **الصلة** : 664 .

(18) هو أبو الحكم البلوطي ، أديب فقيه ، توفي قاضيا بقرطبة سنة 355هـ (**معجم المؤلفين** : 13 : 8) .

(19) انظر **لسان العرب** لابن منظور وفيه قول الجوهري أن صوفة أبو حي من مضر ، وقول ابن سيدة أنهم حي بن تميم ، يجيزون ثم يؤذن للناس بعدهم في الإجازة وهي الإفاضة .

فيقول : أجيزي صوفة . فإذا أجازت قال : أجيزي خندف فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الاجازة وفي الإفاضة .

أخبرنا تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر الفارسي[20] جملة عن ضياء الدين أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن عبيد الله الصوفي البغدادي المعروف بابن سكينة[21] عن المظفر عبد المنعم ابن الاستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري[22] عن أبيه برسالته إلى جماعة الصوفية وفيها : اعلموا رحمكم الله ، أن المسلمين بعد رسول الله ، عليه السلام ، لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوَى صحبة رسول الله ﷺ ، إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة . ولما أدرك أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة لهم ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين . ثم اختلفت الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد . ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا وعبادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى والحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف . واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة[23] .

وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود الأنصاري[24] في أخرى عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري عن الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله

---

(20) هو ابن حمويه السرخسي مولده سنة 572هـ . رحل إلى مراكش وسمع من شيوخ منهم ابن حوط الله سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأدرك بها أبا العباس السبتي . كان شيخ الشيوخ بدمشق وله تصانيف . توفي سنة 642 . راجع **نفح الطيب** : 3 : 99 ، والمصادر التي ذكرها المحقق .

(21) هو محدث العراق ومسنده ، ولد سنة 519 وتوفي سنة 607 ببغداد . راجع **طبقات الشافعية** : 1227 **ووفيات الأعيان** : 3 : 214 .

(22) هو الفقيه الشافعي الصوفي الشهير (376 ــ 465هـ) راجع ترجمته في **وفيات الأعيان** : 3 : 205 . وله مؤلفات من أشهرها **الرسالة** المعروفة في أصحاب الطريقة وعنوانها في فهرست ابن خير (ص 296) : **الرسالة إلى الصوفية بأفق الإسلام** .

(23) راجع **الرسالة القشيرية** : باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة . وراجع الأبواب الخمسة الأولى من **اللمع** للطوسي .

(24) ابن حوط الله ، وهو من شيوخ المؤلف ، راجع مقدمة التحقيق .

المعافري[25] عن أبي الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن طوق البغدادي قال : كان الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ المحققين إذا جلس إليه الصوفية وعليهم الهيئات والمرقعات ينشد :

لَا وَٱلَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ ... مُسْتَقْبِلِينَ ٱلرُّكْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ ... إِلَّا ذَكَرْتُ أَحِبَّتِي بِفِنَائِهَا
أَمَّا ٱلْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ ... وَأَرَى نِسَاءَ ٱلْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا[26]

ثم يقول : أما الهيئات والمرقعات فمعروفة وأما القلوب فمنكرة .

وجردت هذا الكتاب من علوم التصوف واقتصرت على إيراد أخبار الرجال . فإن **إحياء علوم الدين** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ، رضي الله عنه ، هو المنتهى في ذلك . وقد ذكرت من فضائل الإحياء في أثناء ذكر الرجال الأكابر ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى . وما طعن عليه إلا علماء الدنيا الذين أظهر عوارهم ، والنهار لا يحتاج إلى دليل . فمن أحواله السنية ما حدثنيه شيخنا أبو القاسم أحمد بن يزيد قراءة عليه : حدثني الشيخ الأجل الفقيه العلامة الأوحد أبو بكر بن طفيل[27] رضي الله عنه : حدثني رجل صالح ، من عقب ابن عباد يكنّى بأبي الحسن كان نزل بمراكش حرسها الله وكان طبيبا وتنسك في آخر عمره ، فكان يعيش من عمل الأمشاط ، عن الحاج المعروف بالبغدادي من بني جموح[28] من أهل فاس أنه حدث ، بعد انصرافه عن رحلته المتصلة في بلاد المشرق ومقامه ببغداد لطلب العلم وصحبة الفقيه أحمد أخي الفقيه الأوحد أبي حامد الغزالي ، رحمه الله تعالى ، قال : كان الشيخ الامام أبو حامد ، رحمه الله ، في آخر عمره قد غلب عليه التبتل واستصحاب أحوال المشاهدة وكان يأوي إلى موضع ، على

(25) هو القاضي ابن العربي الاشبيلي المتوفى بفاس سنة 543هـ . راجع ترجمته في **الغنية** (66) وفي المصادر التي ذكرها المحقق .

(26) في هامش ج : أولها :

قِفْ بِٱلْخِيَامِ وَنَادِ فِي صَحْرَائِهَا ... فَلَعَلَّهَا تُنْبِيكَ عَنْ أَبْنَائِهَا

. وفي البيت الثاني : بقبابها بدل بفنائها .

(27) ولد بالأندلس سنة 494هـ . جمع بين الشريعة والطب والحكمة والشعر ، وهو ممن صحب يوسف بن عبد المومن الموحدي ، توفي بمراكش سنة 578هـ أو 581 ، راجع ترجمته في **وفيات الأعيان** والمصادر التي ذكرها المحقق وفي **الإعلام** : 4 : 117 .

(28) راجع **جذوة الاقتباس** : 262 **وسلوة الأنفاس** : 3 : 266 .

مسافة أميال من بغداد ، ينفرد فيه إلى العبادة وكان يخدمه رجل من أهل الفضل والإرادة ويتكفل له بضروراته إلى أن قضى نحبه . وظهر له عند ذلك من الكرامات ما أعرب عن علو منصبه في مقامات الأولياء . فما وصفه الحاج المذكور من ذلك أن قال : كنت ملازما للحضور بحلقة أخيه لسماع العلم مياومة . وكان في بعض الأيام يلم به الرجل الذي كان يخدمه أعني أبا حامد ، رضي الله عنه قال : فبينما نحن في بعض الأيام جلوس عنده إذ دخل عليه الرجل المذكور . فدنا من الفقيه أكثر من عادته وأسر إليه حديثا فهمنا على أثره التغير العظيم في وجه الفقيه وقام على الفور ولم نقدر على مكالمته وغاب عنا يوما أو نحوه . فلما رأيناه بعد ذلك استفهمناه عن السبب الذي أزعجه من مقامه فأخبرنا بوفاة أخيه أبي حامد الغزالي رحمه الله ، وذكر أن الرجل المذكور الذي كان مختصا بخدمة أخيه حدثه أن أبا حامد ، رحمه الله ، كان في اليوم الذي مات بالليلة المتصلة به استدناه ، ولم يكن به ألم ولا ظهور تغير ، فأعلمه بأنه يموت في تلك الليلة وأوعز إليه أن يدرجه إذا مات في أكفان عينها له ويستدعي قوما من أهل قرية كانت قريبة من موضعه ذلك ، لحضور الصلاة عليه ويحفر قبره في موضع بينه له ويضعه على شفيره ولا يتقدم أحد للصلاة عليه حتى يصل شخص لا يعرف فيتقدم للصلاة عليه بغير أمر . قال : وبقي على حالته التي كان عليها ، لم يظهر عليه مرض . ثم انغمس في الماء وتطهر وجن الليل فأقبل على صلاته وذكره . قال : وكنت أسمعه الساعة بعد الساعة فأسمع هينمته وخشوعه . فلما أصبح تفقدته فألفيته قد قضى نحبه مستقبل القبلة . ففعلت جميع ما أمر به . وحضر الناس جنازته للصلاة عليه وهو موضوع على شفير قبره . فلما اعتدلوا للصلاة عليه شاهدوا رجلا يقبل من البرية ملتفا في ثوب ، مشتدا . فلما وصل النعش سلم على القوم واستقبل القبلة وتقدم للصلاة فصلى عليه وصلينا بصلاته ثم سلم وانصرف على أدراجه دون أن يكلمنا أو نكلمه . ولم تزل تتبعه أبصارنا حتى توارى عنا . واشتغلنا بعده بدفن الفقيه وقضينا ، لما شهدنا من كرامته ، كل العجب . وهذه الحكاية صحيحة ورأيت من يوهنها ويقول : انما دفن أبو حامد ، رحمه الله ، ببلده طوس . وتوفي في عام ثلاثة عشر وخمسمائة ، ولا يبعد أن يكون نقل الى طوس حيث قبره الآن والله أعلم[29].

---

(29) بشأن مكان وفاة الغزالي ، راجع :

Farid Jabre — **La biographie et l'oeuvre de Ghazali reconsidérées à la lumière des TABAQAT de Sobki,** in MIDEO, 1954, 73-102

وقد ذكرت جملة من المجهولين والمجهولات إذ المقصود إيراد عجائب أخبارهم لعل الله أن ينفع بها. فإن الفائدة في ذكر أولياء الله تعالى تقوية قلب سالك طريق الآخرة لقوله سبحانه: «وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ»[30] وكفى بسبيلهم شرفا، أن الله تعالى أمر نبيه، عليه السلام، باتباعهم وأضاف السبيل إليهم إضافة تكريم فقال تعالى: «وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»[31] وقال له: «وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»[32] وقال سفيان بن عيينة: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وقال يونس بن محمد: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين. وقال سفيان الثوري: ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين:

وَصَفْنَا طَرِيقَ ٱلصَّالِحِينَ وَفِعْلَهُمْ ... وَمَا حَظُّنَا إِلاَّ ٱلتَّزَيُّنُ بِٱلْوَصْفِ[33]

أترى خلت الأرض منهم أم لا تراهم؟ كلا! لو صفت أعمالنا عرفناهم. أما الأحياء منهم فالقطر يجري من جراهم. وأما أمواتهم فعنا في الأخبار معناهم. وإن كان لك انتقاد، عرفتهم بسيماهم، لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر، ذلوا ليرضى. فإذا رأيت القوم، قلت مرضَى. لِله درهم من أقوام! قطعوا أعمارهم في طلبه وأتعبوا أعضاءهم في فرضه وواجبه. وقطعوا قواطعهم لأجل التعلق به. وحلموا عن الجهال خوفا من غضبه. فقدموا القيامة بقلوب تشتاقه وأقدام تسعَى في طلبه. فإذا مروا على النار قالت: جز يا مؤمن قد أطفَى نورك لـهبي. وإذا رأت النار من جهر بالخير وما خَافَتَ خافت. وإذا شهدت نفوسا طالما ضاقت ضاقت وإذا عاينت أجساما باينت الحرام وعافت عافت. هلا تشبهت، يا هذا، بهؤلاء القوم؟ هلا تنبهت من ذلك الرقاد والنوم؟

وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى ... وَتَظُنَّ نَفْسَكَ فَائِزاً مَقْبُولاَ

---

(30) سورة هود: 120.
(31) سورة لقمان: 15.
(32) سورة الكهف: 28
(33) من الطويل.

كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى نَعِيمٍ آجِلٍ
فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ فِي ٱلْأُولَى[34]

فواها لقوم هجروا لذيذ المنام وأنصبوا لما نصبوا الأقدام وانتصبوا للنصب في الظلام ، يطلبون نصيبا من الأنعام . إذا جن الليل سهروا . وإذا جاء النهار اعتبروا . وإذا نظروا في عيوبهم استغفروا ، وإذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا . وأقبلوا بالقلوب على مقلبها وأقاموا النفوس بين يدي مؤدبها وسلموها إذ باعوها إلى صاحبها وأحضروا الآخرة فنظروا إلى غائبها . وسهروا الليالي كأنهم وكلوا برعي كواكبها . ونادوا أنفسهم : صبرا على نار البلاء لمن كواك بها ، ومقتوا الدنيا فما مالوا إلى ملاعبها واشتاقوا إلى لقاء حبيبهم فاستطالوا مدة المقام بها .

يَا طَالِبَ ٱلدُّنْيَا وَمَا تَبْقَى لَهُ … أَلْهَاكَ مَغْشُوشُ ٱلنَّصِيحَةِ آفِكُ[35]
دَارٌ يُرِيقُ دَمَ ٱلْمُصَدِّقِ زُورُهَا … بِصَوَارِمِ ٱلْآفَاتِ وَهْيَ تُضَاحِكُ
كَمْ غَرَّ غَيْرَكَ حُسْنُهَا وَوَرَاءَهُ … بِيضٌ لِآجَالِ ٱلنُّفُوسِ فَوَاتِكُ
غُرَرٌ تُخِيلُ الحُسْنَ وَهْيَ قَبِيحَةٌ … أَيْدٍ تُخِيلُ ٱلْبَذْلَ وَهْيَ مَوَاسِكُ
تَتَقَلَّدُ ٱلْآثَامَ فِي مَرْضَاتِهَا … مَقْتاً لَهَا وَهِيَ ٱلْبَغِيُّ ٱلْفَارِكُ
يَا وَاهِماً لَمْ يَبْدُ مِنْهُ تَدَارُكٌ … وَلَقَدْ يُحَسِّنُ وَهْمَهُ ٱلْمُتَدَارِكُ
أَتَرَكْتَ قَلْبَكَ وَهْوَ مُضْنًى حَاسِرٌ … رَهْنَ ٱلتَّغَالُطِ وَهْوَ سَيْفٌ فَاتِكُ
فَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ فَٱلزَّمَانُ كَمَا تَرَى … مِنَحٌ تَرُوقُ ٱلْعَيْنَ وَهْيَ مَهَالِكُ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ شَخْصاً هَالِكٌ … فَٱحْذَرْ عَلَيْكَ فَأَنْتَ ذَاكَ ٱلْهَالِكُ
تَرَكَ ٱلَّذِي جَمَعَتْ يَدَاهُ لِغَيْرِهِ … وَكَذَاكَ أَنْتَ غَداً لِغَيْرِكَ تَارِكُ
لَا تَطْمَعَنْ فِيمَا جَمَعْتَ تَفَرُّداً … فَٱلْمَوْتُ فِيمَا قَدْ جَمَعْتَ مُشَارِكُ
وَوَرَاءَ صِحَّتِكَ ٱلَّتِي أُودِعْتَهَا … مَوْتٌ وَحَيٌّ أَمْ سَقَامٌ نَاهِكُ
بِمَنِ ٱقْتَدَيْتَ وَفِي ٱلصَّحَابَةِ كَثْرَةٌ … مَا مِنْهُمُ إِلَّا تَقِيٌّ نَاسِكُ
وَٱلتَّابِعُونَ ٱلرَّاشِدُونَ وَكُلُّهُمْ … عَمَّا يَقُودُ لَهُ ٱلْهَوَى مُتَمَاسِكُ
وَٱلشَّافِعِيُّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَأَحْمَدُ … وَأَبُو حَنِيفَةَ قَبْلَ ذَاكَ وَمَالِكُ
خُضْنَا لَعَمْرُكَ فِي خِلَافِ سَبِيلِهِمْ … فَٱلنَّاسُ إِمَّا تَارِكٌ أَوْ فَاتِكُ

(34) ورد البيتان في **إظهار الكمال** ، ص . 60 دون نسبة .
(35) من الكامل .

هَذَا ٱلضَّعِيفُ دَمَ ٱلْمُدَامَةِ سَافِكٌ ... هَـٰذَا ٱلْقَوِيُّ دَمَ ٱلْبَرِيَّةِ سَافِكُ
مَلَكَ ٱلْهَوَى رِقَّ ٱلنُّفُوسِ فَكُلُّنَا ... لاَ يَعْتَنِي إِلاَّ بِمَا هُوَ مَالِكُ
نُورُ ٱلْحَقِيقَةِ نُصْبَ عَيْنِكَ لاَمِعٌ ... لَكِنْ يَصُدُّكَ عَنْهُ قَلْبٌ حَالِكُ
هَيْهَاتَ ! فِي أَهْلِ ٱلْحَقِيقَةِ قِلَّةٌ ... صَعْبَ ٱلطَّرِيقُ فَقَلَّ فِيهِ ٱلسَّالِكُ

هيهات ! لا تنال الراحة بالراحة . ومعالي الأمور لا تنال بالراحة . فمن زرع حصد . ومن جد وجد . فلله قوم شغلهم شغلهم بتحصيل زادهم عن أهليهم وأولادهم ومال بهم عن المال ذكر المآل في معادهم . وصاحت بهم الدنيا فما أجابوا ، شغلا بمرادهم . وتوسدوا أحزانهم بدلا من وسادهم . واتخذوا الليل مسلكا إلى جدهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارحهم في هذه الدار عن غيهم وفسادهم . أقبلت قلوبهم تراعي حق الحق . فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق . فالأبدان بين أهل الدنيا تسعَى والقلوب في رياض الملكوت ترعَى . بان لهم الحق فصاروا والهين وناجاهم الفكر فعادوا متحيرين . وجن عليهم الليل فباتوا ساهرين . فناداهم منادي الصلاح : حي على الفلاح ! فقاموا متهجدين . وهبت عليهم ريح السحر فجالوا مستغفرين وقطعوا بيداء المجاهدة فأصبحوا واصلين . فلما رجعوا وقت الفجر بالأجر نادوا منادي الهجر : يا خيبة النائمين . والله لا أدرك المفاخر من كان في الصف الآخر . سلع المجد كاسدة وكأن قد غلت . ومراعي الفضل قريبة وكأن قد علت . فيا منازل الأحباب أين ساكنوك ؟ ويا بقاع الإخلاص أين قاطنوك ؟ ويا مواطن الأبرار أين عامروك ؟ ويا مواضع التهجد أين زائروك ؟ خلت والله الديار وباد القوم . وارتحل أرباب السهر وبقي أهل النوم . واستبدل الزمان آكلي الشهوات بأهل الصوم . لله در أعظمهم ! كم تعبت في طاعة ! وذهبت والله أوصابهم وربحت البضاعة . وبقي الثناء عليهم إلى قيام الساعة . لو رأيتهم في الظلام قد لاح نورهم . وفي مناجاة الملك العلام قد تم سرورهم . فإذا تذكروا ذنبا قد مضى ، ضاقت صدورهم وتقطعت قلوبهم أسفا على ما حملت ظهورهم . وبعثوا برسالة الندم ، والدمع سطورهم . جال الفكر في قلوبهم فألاح صوابهم وتذكروا منن الإله فمحا الذكر إعجابهم . وحاسبوا أنفسهم فخففوا حسابهم . وهادوا للمخافة فأضحت دموعهم شرابهم . وترنموا بالقرآن فكان مزمارهم وربابهم . وكلفوا بطاعة الله فألفوا محرابهم . وخدموه مبتذلين في خدمته شبابهم . فيا حسنهم وريح الأسحار قد حركت أثوابهم وحملت قصص غصصهم ثم ردت جوابهم :

نَسِيمَ ٱلصَّبَا إِنْ زُرْتَ أَرْضَ أَحِبَّتِي فَخُصَّهُمُ عَنِّي بِكُلِّ سَلَامِ
وَبَلِّغْهُمُ أَنِّي رَهِينُ صَبَابَةٍ وَأَنَّ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامِ
وَأَنِّي لَيَكْفِينِي طُرُوقُ خَيَالِهِمْ لَوَانَّ جُفُونِي مُتِّعَتْ بِمَنَامِ
وَلَسْتُ أُبَالِي بِالْجِنَانِ وَلَا لَظًى إِذَا كَانَ فِي تِلْكَ ٱلدِّيَارِ مَقَامِي
وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَّاتِ نَفْسِيَ كُلِّهَا وَيَوْمُ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي[36]

وقد شرعت في تصنيف هذا الكتاب شهر شعبان المبارك من سنة سبع عشرة وستمائة ولم أتعرض فيه لأحد من الأحياء ؛ وأكبر من في وقتنا هذا ، ممن هو حي الشيخ الصالح الصوفي أبو محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي ثم الماجري[37] نزيل رباط آسفي[38] وهو إلى الآن لا يفتر عن الاجتهاد والمحافظة على المواصلة والأوراد ومن كلامه : الفقير ليس له نهاية إلا الموت . وأخبرني عنه تلاميذه بعجائب الكرامات والكلام على الخواطر وهو على سنن المشايخ الأول من أهل التصوف . وبالجملة فقد قل الصالحون المخلصون في هذا الأوان ، وبذلك جاء الخبر عن سيد البشر كمثل ما خرجه البخاري في صحيحه من حديث مرداس الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : يذهب الأولياء الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يبالي الله بهم[39] ومن طريق البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لَتُنتقون كما ينتقى التمر من الحثالة وليذهبن

---

(36) من الطويل.

(37) راجع **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح** ، لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح بن ينصارن الماكري ، المطبعة المصرية سنة 1352هـ ، وتوجد نسخ مخطوطة منه في الخزانة العامة بالرباط . ذكرها الركراكي وعلوش في **فهرسها** ، وفي الخزانة الحسنية ؛ ذكرها عبد الله عنان في **فهرسه** . وينصارن أو إينصارن بنطق الصاد زايا مفخمة . معناه الغيث ، والماجْري بجيم مصرية نسبة إلى بني مَاكَرْ من دكالة وهم بلسان البربر : إِماكَرْن ومعناه الأكابر أو الأسياد .

(38) أسفي المدينة المغربية الشهيرة على المحيط الأطلسي ، ومعنَى اسمها : المصب ، وقد ذكر الإدريسي في **نزهة المشتاق** قصة مختلقة لتأويل هذا الاسم عند التعرض لمدينة اشبونة وفتيتها المغررين . وربما جاز نطقها بفتح السين استنادا إلى إميل لاوست الذي ذكر أنه ينطق كذلك ويعني حوض الناعورة في بلاد مزاب . راجع دراسة **Emile Laoust** المذكورة في مراجع التحقيق .

(39) **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق ، باب ذهاب الصالحين .

[الله] بخياركم وليبقين شراركم فموتوا ان استطعتم[40] . قال صاحب المجمل : الحثالة حطام التبن في هذين الخبرين بيان جلي على أن الخير يقل وأن حلية الفضائل في الصدر الأول . فأما ما خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : من أشد أمتي لي حبا أناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني لفداني بأهله وماله[41] ، فخبر حق ؛ فإن طائفة من أمته يكونون بعده هم من أشد أمته له حبا ؛ فيمن أدركه من كان شديد الحب له وفي هؤلاء الذين بعده من هو من أشد أمته له حبا ، فلم يثبت لهم شدة الحب خصوصا ، بل جاء بمن التي للتبعيض ؛ ولم يقل : أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي ، حتّى يثبت لهم شدة الحب دون غيرهم ممن أدركه ، بل أخبر بذلك عن ناس يكونون بعده وأنهم من الذين اشتد حبهم له .

وأما قوله ﷺ : وددت أني قد رأيت اخواننا ، فقالوا : يا رسول الله ، ألسنا باخوانك ؟ قال : بل ، أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد . وأنا فرطهم على الحوض[42] ، فإنه أثبت لهم حكم الصحبة التي هي أفضل . وبرهان ذلك ما خرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابي فوالّذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه . والنصيف لغة في النصف[43] . وقد نص ﷺ ، أنهم خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[44] . فانه ما من عامل بطاعة من الطاعات من التابعين إلا وهو في صحائف الصحابة رضي الله عنهم . فإن التابعين انما عملوا بتعليم الصحابة وما نقلوه اليهم من القرآن العظيم والسنة . وجميع الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة في صحيفة رسول الله ﷺ . فإنه المرشد والهادي والدليل إلى الصراط المستقيم ومن سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم

(40) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب 24
(41) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، 12 .
(42) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء . ولم يورده المؤلف كاملا هنا .
(43) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة .
(44) نفس المصدر والكتاب ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

القيامة . فكل من رأيته من التابعين فمن بعدهم من العمال لله تعالى المجتهدين فلا تظن أن له فضلا على من تقدم ، بل هو حسنة من حسنات الصحابة . فإنه انما يعمل بما يرويه عن أستاذه فهو في صحيفته فلا تعتقد فضلا لمتأخر على متقدم بكثرة علم أو استفاضة كرامة . هذا هو الحق الذي لا خفاء به لمن أنصف عقله ودينه .
وصدرت هذا المجموع بسبعة أبواب لازمة هي كالمدخل إليه .

الباب الأول : في صفة الأولياء
الباب الثاني : في حفظ قلوبهم وترك النكير عليهم
الباب الثالث : في محبتهم
الباب الرابع : في زيارتهم ومجالستهم
الباب الخامس : في حسن الثناء ووضع القبول لهم في الأرض
الباب السادس : في إثبات أحوالهم
الباب السابع : في إثبات كراماتهم ويشتمل على جملة فصول .

الباب الأول
في صفة الأولياء

خرج أبو بكر البزار عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله من أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رؤوا ، ذكر الله[1] . وخرج أبو عيسَى الترمذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ ، قال : إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذّ ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس ، لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك . ثم نقر بيده ، فقال : عُجلت منيته ، قلت بواكيه وقل تراثه[2] . وروينا من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ وقد ذكر الأبدال ، فقال : كلما مات منهم واحد ، أبدل الله مكانه من المؤمنين واحدا . بهم يحيي الله الموتَى وبهم يصرف الآفات عن الأرض وبهم يميت الأحياء وبهم يسوق الماء إلى الأرض الجرز . قالوا : يا رسول الله فما به نالوا ذلك ، أبالصوم والصلاة ؟ قال : والذي نفسي بيده ، ما نالوها بصوم ولا صلاة ولكن نالوها بسخاء الأنفس وصدق الحديث وسلامة الصدور ، وسلامة الصدور ، وسلامة الصدور . قالها ثلاثا . وخرج بقي بن مخلد في مسنده بسنده إلى أنس قال : قال رسول الله ﷺ : دعائم أمتي عصائب أهل اليمن وأربعون رجلا من الأبدال بالشام . كلما مات رجل أبدل الله آخر مكانه أما إنهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين[3] . وخرج أبو بكر بن أبي خيثمة[4] في تاريخه بسنده إلى مالك بن عبيدة الديلي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ ، قال : لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا .

---

(1) راجع سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب 4 .
(2) راجع سنن ابن ماجة . كتاب الزهد ، باب 14 .
(3) راجع مسند الإمام أحمد ، ج 1 ، ص 112 .
(4) أبو عبد الله بن أبي خيثمة المتوفى قبل 279هـ . راجع جزءا من تاريخه : ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط رقم 778 .

الباب الثاني

في حفظ قلوبهم وترك النكير عليهم

اعلم أن الانسان ينكر ما لم يحط به خبرا . وقد أمر الله تعالى موسَى ، عليه السلام ، بالرحلة إلى الخضر[5] . فقال له الخضر ، لما طلب منه أن يتبعه : «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا» . ثم عذره مع ذلك بقوله : «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا»[6] . ومع ذلك فأنكر عليه ما شهد منه في الأولى والثانية والثالثة . فبين له وجه ما أنكر عليه . وخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . قال : فقال أبو بكر ، رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ ، فأخبره فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ! فأتاهم أبو بكر ، رضي الله عنه ، فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ! فقالوا : لا . يغفر الله لك يا أخي[7] . وخرج البخاري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ . ان الله تبارك وتعالى قال : من عادَى[8] لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ؛ ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتَّى أحبه ؛ فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ ولئن سألني، لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته. وخرج البزار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : خرج عمر، رضي الله عنه، إلى منبر رسول الله ﷺ .

(5) في موضوع الخضر ، راجع تفسير الآية 65 من سورة الكهف في **جامع البيان** للطبري وفي **تفسير ابن كثير** وراجع ما جاء عنه في الإصابة لابن حجر ج 1 ص 429 من طبعة مصر 1928 ، وراجع مادته في **دائرة المعارف الإسلامية** .

(6) سورة الكهف ، 67 ، 68 .

(7) **صحيح** مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل سلمان وبلال وصهيب .

(8) **صحيح** البخاري ، كتاب ، الرقاق ، باب التواضع .

فإذا معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، يبكي عند قبر النبي ﷺ ، فقال : ما يبكيك ، يا معاذ ؟ قال : يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر : أن يسيرا من الرياء شرك وأن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وأن الله يحب الأبرار الأخفياء الأتقياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ؛ قلوبهم مصابيح الهدَى يخرجون من كل غبراء مظلمة[9] .

الباب الثالث

في محبتهم

خرج أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : الأرواح جنود مجندة تطوف بالليل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . فقوله تطوف بالليل زيادة على ما ذكره مسلم بن الحجاج ؛ وفي بعض الروايات : فما تعارف منها في ذات الله[10] . وخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب وله ما اكتسب[11] وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[12] . وعن أبي سعيد ، رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لاتصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي[13] . وخرج النسائي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسول الله ﷺ ، أحب إليه مما سواهما ؛ وأن يحب في الله ويبغض في الله ؛ وان توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا[14] . وخرج البزار عن أنس قال : قال رسول الله

(9) راجع سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب 16 .
(10) صحيح مسلم ، كتاب البر ، حديث 159 ، 160 .
(11) راجع صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب علامة حب الله : المرء مع من أحب .
(12) راجع سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس .
(13) راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل .
(14) راجع صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، وباب من كره أن يعود في الكفر ، وكتاب الأدب ، باب الحب في الله .

ﷺ : ما تحاب اثنان في الله تبارك وتعالى إلا كان أفضلهما أشد حبا لصاحبه[15] . وخرج النسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ان من العباد لعبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب ، وجوههم من نور ، يعني به على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس[16] . وقال أبو داود في هذا الحديث : فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ؛ ذكره باسناد آخر . وخرج مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي[17] . وخرج الترمذي عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : قال الله ، عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء . قال أبو عيسَى : هذا حديث حسن صحيح .

الباب الرابع
في زيارتهم ومجالستهم

خرج البزار عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، قال : قيل : يا رسول الله ، أي جلسائنا خير؟ قال : من ذكركم بالله رؤيته وزادكم في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة علمه[18] . وخرج مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، عن معاذ قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتباذلين في ، والمتزاورين في[19] . وخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ! غير أني

(15) ليس بهذه العبارة في الكتب التي فهرسها وينسينك . وفي معناه أحاديث في صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الحب في الله .
(16) غير وارد في كتب الحديث التي فهرسها وينسينك .
(17) راجع صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب فضل الحب في الله .
(18) لم يرد في كتب الحديث التي فهرسها وينسينك .
(19) الموطأ : 1735 .

أحببته[20] في الله عز وجل . قال : فإني رسول الله إليك فإن الله تعالى قد أحبك كما أحببته فيه . وفي هذا الخبر بيان كلام الملك مع من ليس بنبي وسيأتي ذلك في فصول الكرامات .

الباب الخامس

في حسن الثناء ووضع القبول لهم في الأرض

خرج أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبيه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، بالنباء أو النباوة من الطائف فقال . توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أو قال خياركم من شراركم . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيء . أنتم شهداء الله بعضكم على بعض[21] . وخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ما من عبد إلا وله صيت في السماء ؛ فإن كان صيته في السماء حسنا وضع له في الأرض حسنا وإن كان صيته في السماء شيئا وضع له في الأرض سيئا . قال أبو داود : بعضه لم ألقنه جيدا . خرجه في كتاب الزهد[22] . وخرج البزار عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله ، دلني على عمل أدخل به الجنة . قال : لا تغضب ، وأتاه آخر فقال : متَى أعلم أني محسن ؟ قال : إذا قال جيرانك انك محسن فإنك محسن وإذا قالوا إنك مسيء فإنك مسيء[23] . وخرج الطحاوي عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : إذا رضي الله عن العبد أثنى عليه سبعة أصناف[24] من الخير لم يعملها . وقال في السخط مثله . خرجه أبو داود في كتاب الزهد : فقال : إذا سخط على العبد أثنى عليه سبعة أصناف من الشر لم يعملها[25] وخرج البزار عن أنس قال : قيل : يا رسول

---

(20) راجع **صحيح** مسلم . كتاب البر . باب فضل الحب في الله .
(21) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب 25 .
(22) لم يرد في الكتب التي فهرسها وينسينك .
(23) راجع **صحيح** البخاري . كتاب الزكاة ، باب 1 .
(24) في ط : سبعة أضعاف .
(25) راجع **مسند** ابن حنبل .

الله من أهل الجنة[26] ؟ قال : من لا يموت حتَّى تملأ مسامعه مما يحب . قيل : فمن أهل النار ؟ قال : من لا يموت حتَّى تملأ مما يكره . وخرج مسلم عن أبي ذر قال : قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرَى المؤمن[27] . وخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك ؟ قال رسول الله ﷺ : له أجران ، أجر السر وأجر العلانية[28] . وخرج مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه ! فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في أهل السماء فيقول : ان الله يحب فلانا ! فأحبوه ! فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه ! قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ! ثم توضع له البغضاء في الأرض[29] .

الباب السادس

في إثبات أحوالهم

اعلم وفقنا الله وإياك أن للصالحين أحوالا ينكرها كثير من الناس فأردت الإتيان باستنادهم فيها إلى الشريعة . فمنها تفرغهم للعبادة دون تعلق بحرفة وكذلك كانت طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ . كمثل ما خرجه البخاري عن أبي هريرة قال : مرني رسول الله ﷺ فقال : «يا أبا هر ؟» فقلت لبيك يارسول الله . قال : «الحق أهل الصفة فادعهم» قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا إلى أحد . إذا أتت رسول الله صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها[30] . قال الهروي : الصفة

(26) لم يرد في كتب الحديث التي فهرسها وبنسينك .
(27) راجع **صحيح** مسلم . كتاب البر . حديث 166 .
(28) **سنن** الترمذي . كتاب الزهد . باب 49 .
(29) **صحيح** مسلم . كتاب البر . حديث 157 .
(30) **صحيح** البخاري . كتاب الرقاق . باب 17 . والحلية لأبي نعيم : I : 338 .

موضع مظلل في المسجد كان يأوي اليه المساكين . والحجة في ذلك إقرار رسول الله ﷺ ، لهم على ذلك . وخرج الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك قال : كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ . فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ ، والآخر محترف . فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ ، فقال : لعلك ترزق به . قال : حديث حسن صحيح[31] .

ومنها لبس المرقعات لمن لا يجد غيرها . فقد لبسها الصحابة ، رضي الله عنهم . كمثل ما خرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . قال : انا لجلوس مع رسول الله ﷺ . في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو . فلما رآه النبي ﷺ ، بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم من البؤس وذكر الحديث[32] . وقال الطبري في **تهذيب الآثار** : أخبرنا ابن عبد الأعلى محمد : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس قال : لقي عمر عبد الرحمن بن عوف فجعل ينهاه عن لبس الحرير ، فجعل عبد الرحمن يضحك ويقول : لو أطعتنا للبسته معنا . فنظرت إلى قميص عمر وإذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا[33] .

ومنها سفرهم في كل رمضان إلى رباط شاكر[34] الذي ذكر أنه من أصحاب

(31) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب 33 .

(32) سنن الترمذي ، كتاب القيامة ، باب 35 .

(33) في النهي عن لبس الحرير راجع صحيح البخاري ، الجنائز والهبة وبدء الخلق وفضائل الصحابة ... ، وعن كتاب **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت من الأخبار** ، انظر مقدمة **تاريخ الطبري** لمحققه .

(34) انظر موقع هذا الرباط على الخريطة المرفوقة بهذه الطبعة ، ومحله اليوم قرية تسمى سيدي شيكر بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط حيث كان اجتماع صالحي المغرب ولاسيما في شهر رمضان من أجل ختم القرآن وحيث كانت منابر الوعظ من أجل نشر الإسلام وتثبيته في أوساط المصامدة وغيرهم . ورباط شاكر واحد من رباطات نشأت على هوامش المناطق السهلية التي كانت تحتلها قبائل برغواطة التي وردت الأخبار بأنها كانت تتبع نحلة مخالفة لشعائر الإسلام لمدة تزيد عن ثلاثة قرون سابقة عن الموحدين . والمعلومات الواردة في **التشوف** عن هذا الرباط هي من أصح ما توفر عليه وأقدمه . ويقال إنه ينسب لشاكر من أصحاب فاتح المغرب عقبة بن نافع الذي تركه هناك . انظر : عبد الحي الكتاني : **أشرف بقعة وأقدس – بناحية مراكش . مجلة المغرب** يونيه – يوليوز 1936 ومحمد بن علي الدكالي – **تقييد في الرباطات** . مخطوط في مكتبة =

عقبة بن نافع الفهري[35] وأنه مات هناك وأن يعلى بن مصلين الرجراجي[36] بناه وكان يقاتل كفار برغواطة[37] وغزاهم مرات وأن طبله هو الباقي هناك إلى الآن والله أعلم. واحتج المنكرون عليهم بالحديث المشهور : لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيليا[38] وهو بيت

= ابن غازي. والعباس بن ابراهيم : **الإعلام** : 9 : 309 — 317.

(35) ولد عقبة سنة 1 قبل الهجرة وتوفي سنة 63هـ. شهد فتح مصر وولاه معاوية افريقية فبنى مسجده الشهير بالقيروان. ثم عزله سنة 55هـ، وفي سنة 62 بعثه يزيد بن معاوية فوصل إلى المغرب الأقصى، وقد ذكر صاحب **كتاب الأنساب** (ص 41 من المخطوط) مراحل تنقله في المغرب بشيء من التفصيل وهو النص الذي ترجمه وعلق عليه ليفي بروفنصال في العدد الأول من مجلة **Arabica** سنة 1954.

(36) يعلى بن مصلين، ومصلين بميم ساكنة عليها شد وصاد تطق زايا مفخمة ساكنة وهو ثالث ثلاثة انتدبهم شيخهم أبو محمد بن تيسيت بأغمات لقتال برغواطة فقُتل الأول وهو داود بن عِلْوِل من صنهاجة، فقدم تلامذة الشيخ لقيادتهم يَحْيَى بن ويدفا الصادي (بنطق الصاد زايا مفخمة) حتَّى قتل. فقدموا يعلى بن مصلين هذا وهو رِكْراكي، وهو الذي بَنَى مسجد رباط شاكر وكان ذلك في قرابة نهاية المائة الرابعة للهجرة (انظر كتاب القبلة المخطوط بالخزانة العامة في مجموع رقمه ق 985).

(37) برغواطة قبائل كانت بتامسنا وهي السهول الساحلية الممتدة بين وادي أبي رقراق شمالا ووادي أم ربيع جنوبا، تحدث البكري بشيء من التفصيل عمن قام في تلك القبائل في القرون السابقة عن دولة المرابطين من متنبئين وما ابتدعوا لهم من نحلة. ويبقَى أمرهم غامضا. وانظر البحث المهم الذي كتبه عنهم الدكتور محمد الطالبي في :

Actes du Premier Congrès d'Etudes des Cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère

أما تسميتهم فقد قال البكري : انها نسبة لحصن برباط بالأندلس، وذلك مجرد تمحل. قال ابن دحية في **المطرب** (ص 88) عند ذكر إنشاد لموسَى بن عيسَى البلغواطي : «وهذه القبيلة يقال لها : بلغواطة. بلام مفتوحة وإسكان الغين». والذي نص على أنها بالراء هو ابن حزم، وليس في الأمر إشكال لأن اللام تنطق راء عند بعض قبائل صنهاجة بالمغرب إلى اليوم. كبني ورياغر أو ورياغل. وصنهاجة كانوا مجاورين لبرغواطة في جهات أزمور. أما الأصل الصحيح لهذا الاسم فهو بلغواطن أو الغواطن وهي صيغة جمع يستعاض عن النون الأخيرة في مثلها عادة عند التعريب بتاء كما يقال في إزناكن : صنهاجة، وفي إمصمودن : مصمودة، ومعنَى الغواطن المنحرفون. راجع مادة د غ. ت في :

De Foucauld (CH.) — Dictionnaire touareg — français, Imprimerie Nationale de France, 1952

(38) وفي روايات أخرى : لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصَى.

المقدس . فوجه الخبر ، والله أعلم ، أن الممنوع إنما هو ان يقصد أحد مسجدا غير هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها . فأما من قصد غيرها لمعنًى آخر فغير ممنوع كمثل ما خرج مسلم عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا فيصلي فيه ركعتين(39) . وفي طريق آخر يأتيه كل سنة فقيل : انما كان يأتيه ليجتمع فيه بالأنصار .

ومنها رفع أصواتهم بالدعاء . ودليل جوازه ما خرجه الترمذي من حديث أبي ذر ، قال : قال رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث وفيه : والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله(40) قال أبو عبيد : الصعدات : الطرقات وتجأرون : ترفعون أصواتكم . فأما قوله تعالى : «ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً»(41) قال النحاس : وخفية ، أي وأخفوا الدعاء ، كما أمرنا بإخفاء ما يخاف عليه الرياء لأن الدعاء عبادة وهذا عند خوف الرياء لا وقت الإنفراد الذي يؤمن فيه الرياء . وقوله تعالى : «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ»(42) يحتمل أن يكون الاعتداء في الدعاء كمثل ما جاء في حديث سعد وهو صحابي لما سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وكذا وكذا فقال : يا بني ، سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : سيكون قوم يعتدون في الدعاء فإياك أن تكون منهم ، فإنك إذا أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير وإذا أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر(43) . خرجه أبو داود في سننه وقال الطبري : قوله تعالى : «ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً» يحتمل غير الدعاء بأن ندب إلى إخفاء التسبيح وغيره من الأذكار . وقوله : «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ»(44) ذكر البخاري عن ابن عباس أنها نزلت في رفع النبي ﷺ ، صوته بالقرآن فيسبه المشركون ؛ وأما

(39) راجع صحيح البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة . باب 3 ، كتاب الاعتصام، باب 16 .
(40) صحيح البخاري ، كتاب الكسوف ، باب 2 كتاب الرقاق ، باب 27 .
(41) سورة الأعراف : 55 .
(42) سورة الأعراف : 55 .
(43) راجع سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب 23 .
(44) سورة الإسراء : 110 .

قول أبي موسَى : كنا مع النبي ﷺ ، في سفر وكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي ﷺ : اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا[45] . فمعنَى اربعوا : ارفقوا . ندبهم إلى ترك رفع الصوت في السفر لما فيه من المشقة . وأما قوله تعالى : «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءاً خَفِيّاً» فحكاية حال لا تقتضي حكما وانما أخفَى نداءه لما ذكره في دعائه وهو قوله : «وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» ؛ أي خفت أن يرث مقامي من النبوءة بنو عمي ؛ «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي»[46] ، أي هب لي ولدا نبيا يرث النبوءة عني . فأخفَى نداءه هذا حفظا لقلوب بني عمه .

الباب السابع
في إثبات كراماتهم

اعلم أن كرامات الأولياء جائزة عقلا ومعلومة قطعا . وممن قال بها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب[47] فقال : ان المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء . وقال إمام الحرمين : المرضي عندنا تجويز خوارق العادات في معارض الكرامات . وذكر الإمام أبو حامد ، رحمه الله تعالى ، كرامات الأولياء فقال : ذلك مما لا يستحيل في نفسه لأنه ممكن لا يؤدي إلى محال . وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : أما كرامات الأولياء فجائزة عقلا وواردة سمعا ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم وتعسير أسباب الشر عليهم ، وحيثما كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر . وما ينقل عن صالحي هذه الأمة أكثر من أن يحصَى وهي بآحادها إن لم تفدنا علما بوقوعها فهي بمجموعها أفادتنا علما قطعيا ويقينا صادقا بأن خوارق

---

(45) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب 38 ، كتاب الجهاد ، باب 131 ، الدعوات باب 5 .

(46) سورة مريم : 3 ، 5 ، 6 .

(47) الباقلاني ، البصري ، المتكلم المشهور ، توفي ببغداد سنة 403هـ . انظر : **وفيات الأعيان** : 4 : 269 والمصادر التي ذكرها المحقق .

العادات تظهر على أيدي أصحاب الكرامات . واعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة للنبي إذا كان الولي في معاملاته تابعا لذلك النبي فكل ما يظهر في حقه فهو دليل على صدق صاحب شريعته . فلا تكون الكرامات قادحة في المعجزات بل هي مؤيدة لها ، دالة عليها ، راجعة عنها ، عائدة إليها ثم قال : قال الله تعالى : «إِنْ تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً»(48) وليت شعري أي كرامة تزيد على نيل الفرقان بين الحق والباطل وسبيل النجاة والهلاك .

فصل

اعلم أن الكرامات إنما هي لأهل اليقين دون غيرهم . وقال أهل اللغة : اليقين زوال الشك . خرج الطبري عن أبي أمامة قال : أتى رسول الله ﷺ . بقيع الغرقد فوقف على قبرين توءمين فقال : أدفنتم فلانا وفلانة ؟ أو قال : فلانا وفلانا ؟ قالوا نعم . يا رسول الله . قال : قد أُقعد فلان الآن يُضرب . ثم قال : والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عضو إلا انقطع ولقد تطاير قبره نارا ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق إلا الثقلين الإنس والجن ولولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع . ثم قالوا : يا رسول الله ما ذنبهما ؟ فقال : أما فلان فانه كان لا يستبرئ من البول وأما فلان أو فلانة فكان يأكل لحوم الناس . والتمريج . التخليط ، ومنه مرجت عهودهم إذا خلطوها ولم يوفوا بها . وقال صاحب المجمل : الناقة تمرج أي تزيد في مشيها إذا تكلفت فوق ما ينبغي . وخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلًى فأفاق . فقال له رسول الله ﷺ : ما قرأت في أذنه ؟ فقال : قرأت «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ»(49) حتّى ختم السورة . فقال رسول الله ﷺ : لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال(50) وخرج عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال : كان مطرف بن عبد الله بن الشخير وصاحب له

---

(48) سورة الانفال : 29 .
(49) سورة المؤمنين : 115 .
(50) راجع **حلية الأولياء** : 1 : 7 .

سريا في ليلة مظلمة فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء ، فقال لصاحبه : أما انا لو حدثنا الناس بهذا كذبونا . فقال مطرف : المكذب أكذب يقول المكذب بنعمة الله أكذب[51] .

فصل

اعلم أني ، انما ذكرت من الكرامات ما ورد عن الصحابة وكبار التابعين لأن كثيرا من المنكرين لها يقولون : لم يرد شيء من هذا عن الصحابة فكيف يصح عن غيرهم ؟ ولو قصدت استيعاب ما ورد منها عن الصدر الأول لكان كتابا مستقلا وانما ذكرت المشهور المنقول من الأمهات وقد نسبت كل خبر منها إلى مخرجها لأخرج عن عهدته والله تعالى هو المسؤول والمأمول أن يهدينا إلى سواء السبيل .

فصل

قال قوم : إن الخضر ، عليه السلام ، نبي ، لقوله تعالى : «وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي»[52] وقال قوم انه ولي . وليس لأحد من الفريقين دليل قاطع وهو كما قال الله تعالى عنه في قصة موسى وفتاه : «فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً»[53] . وزعم قوم أنه ميت لقوله تعالى : «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ»[54] . وليس لهم في هذا دليل قاطع ، وقد أطبق الصالحون على التحدث برؤيته والحديث معه . ونقل ذلك علماء المسلمين وأئمتهم . وخرج الحارث بن أبي أمامة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : الخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وياجوج وماجوج ويحجان في كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل .

(51) راجع **المصنف** لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، حديث 20543 ، **وحلية الأولياء** : 2 : 205 . وراجع **صحيح البخاري** ، كتاب الصلاة ، باب 79 ، كتاب مناقب الأنصار ، باب 13 .
(52) سورة الكهف : 82 .
(53) سورة الكهف : 65 .
(54) سورة الأنبياء : 34

وطعامها الكرفس[55] وخرج بقي بن مخلد في مصنفه عن رباح بن عبيدة قال : صلّى بنا عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه . فلما انصرف إذا بشيخ يتوكأ على يده فقلت في نفسي : ان هذا الشيخ جاف يتوكأ على يد الأمير . قال : فقلت ، أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذي يتوكأ على يدك ؟ قال لي : أفرأيته يا رباح ؟ قال : قلت : نعم . قال : أحسبك يا رباح رجلا صالحا ذاك أخي الخضر ، أتاني وأعلمني أني سأولى هذا الأمر وأعدل فيه[56] .

ورويت بسند متصل عن بقي بن مخلد مسنده وفيه قال : وأخبرنا ابن كاسب عن عبد الله بن ميمون المكي : أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه أنه دخل على أبيه علي بن الحسين رجلان من قريش فقال : ألا أخبركما عن رسول الله ﷺ ؟ فقالا : بلى ! فحدثنا عن أبي القاسم فقال : سمعت أبي ، رحمة الله تعالى عليه ، يقول : لما كان قبل وفاة النبي ﷺ ، بثلاثة أيام هبط عليه جبريل عليه السلام فقال : يا أحمد إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك تفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا . قال : فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل وملك الموت وهبط معهما ملك من الهواء يقال له اسماعيل على سبعين ألف ملك ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل فقال : يا محمد ان الله تبارك وتعالى أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك ، أسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال : يا جبريل أجدني مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا . واستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك . لم يستأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك . فقال : ايذن له . فأذن له جبريل . فأقبل بين يديه فقال : يا أحمد ، ان الله تبارك وتعالى أرسلني اليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني . إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها . فقال النبي ﷺ : يا ملك الموت أتفعل ذلك ؟ فقال : نعم بذلك أمرت ان أطيعك فيما أمرتني به . فقال جبريل عليه السلام : يا أحمد ان الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك . فقال النبي ﷺ : يا ملك الموت ، امض لما أمرت

(55) لم يرد في كتب الحديث التي فهرسها وينسينك ، وانظر هامش 118ب بشأن الكرفس .
(56) راجع حلية الأولياء : 5 : 254 .

به . فقال جبريل عليه السلام : يا أحمد هذا آخر وطآتي الأرض ، إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا . قال : فلما توفي النبي ﷺ ، وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه . فقال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ»[57] . ان في الله تبارك وتعالى عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا . فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال جعفر . قال أبي : قال علي : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام .

فصل في معناه

وخرج بقي بن مخلد في مسنده بسنده إلى أنس بن مالك قال : بينما نحن نطوف مع رسول الله ﷺ إذ رأينا بردا ويدا فقلنا : يا رسول الله ما هذا البرد الذي رأينا واليد ؟ قال : وقد رأيتم ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : ذلك عيسَى ابن مريم سلم علي .

فصل

أما انخراق العادات بإجابة الدعوات فمتفق عليه دون خلاف يوثر في ذلك . خرج البخاري عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي ﷺ . قال : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره[58] . وخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره[59] . وخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك[60] . وذكره أبو عمر بن عبد البر[61] في كتاب **الاستيعاب** عن أنس قال :

(57) سورة آل عمران : 185 .
(58) راجع **صحيح** البخاري ، كتاب الإيمان ، باب 9 ، تفسير سورة القلم ، كتاب الأدب ، باب 61 .
(59) **صحيح** مسلم ، كتاب البر ، حديث 138 . كتاب الجنة ، حديث 48 ، 60 .
(60) **سنن** الترمذي ، كتاب المناقب ، باب 54 — 65 .
(61) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ، امام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما . توفي سنة 463هـ . ترجمته في **المدارك** : 2 : 308 وفي **وفيات الأعيان** : 7 : 66 والمصادر التي ذكرها المحقق .

قال رسول الله ﷺ : كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك . وان البراء لقي زحفا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له : يا براء إن رسول الله ﷺ . قال : لو أقسمت على ربك لأبرك ، فأقسم على ربك ! فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ! ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين . فقالوا له : يا براء أقسم على ربك ! فقال : أقسمت عليك يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بالنبي ﷺ ! فمُنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا[62] .

وخرج أبو داود عن أنس بن مالك قال : كسرت الربيع أخت أنس بن النضر ثنية امرأة . فأتوا النبي ﷺ . فقضى بكتاب الله تعالى : القصاص . فقال أنس بن النضر : والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها اليوم . قال : يا أنس . كتاب الله القصاص . فرضوا بأرش أخذوه . فعجب النبي عليه السلام وقال : إن من عباد الله عز وجل من لو أقسم على الله لأبره[63] . وخرج مسلم عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر : ان رسول الله ﷺ . قد قال : إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر له[64]. وخرج عبد الرزاق في مصنفه[65] عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله بشيء إلا استجاب لهم . بهم تنصرون وبهم تمطرون وقال : حسبت أنه قال : وبهم يدفع الله عنكم . قال عبد الملك بن حبيب في كتاب الواضحة : حدثني أسد بن موسَى وغيره عن السري بن يحيى عن قتادة أن امرأة أتت ابن عباس ، فقالت : اني أرضعت هذا وامرأته . فقال لها ابن عباس : ويلك ! اتقِ الله واصدقيني . قالت : أرضعته وامرأته . فأمره ابن عباس بفراق امرأته . فقال الزوج : إنها جارة سوء

---

(62) راجع **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** . ترجمة البراء بن مالك ، ج 1 ص . 153 .
(63) **سنن أبي داود** ، كتاب الديات ، باب 28 .
(64) **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة . وحديث 223 .
(65) **المصنف** : 20458 .

حاسدة . قال ابن عباس : اللهم إن كانت كاذبة فأبرص ثديها . فما حال عليها الحول حتَّى برص ثدياها . وذكر أبو عمر بن عبد البر عن حماد بن سلمة قال : أخبرنا علي بن زيد بن جذعان قال : قال لي سعيد بن المسيب : انظر إلى وجه هذا الرجل . فنظرت فإذا هو مسود الوجه . قال : سله عن أمره . فقلت : حسبي أنت فحدثني . قال : ان هذا كان يسب عليا وعثمان فكنت أنهاه فلا ينتهي . فقلت : اللهم ان هذا يسب رجلين قد سبق لهما ما تعلم . اللهم ، ان كان يسخطك ما يقول فيهما ، فأرني فيه آية . فاسود وجهه كما ترى . وهذا الفصل في إجابة الدعاء واسع فيكفي منه ما أوردناه والحمد لله .

فصل

خرج البخاري عن أنس أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ ، في ليلة مظلمة فإذا نور بين أيديهما حتَّى تفرقا فتفرق النور معهما[66] وفي طريق آخر له : كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ . وقال عبد الرزاق في مصنفه : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ ، في حاجة لهما حتَّى ذهب من الليل ساعة وكانت الليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عنده ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصا أحدهما لهما حتَّى مشيا في ضوءها حتَّى إذا افترق بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فصار كل واحد منهما في ضوء عصاه حتَّى بلغ أهله . وخرج البخاري عن قتادة قال : أخبرنا أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ ، سريا في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما ضوء حتَّى أتى أهله[67].

فصل

خرج عبد الرزاق في مصنفه عن هشام بن حسان عن واصل عن لقيط عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : غزا الناس برا وبحراً فكنت ممن غزا في البحر فبينما نحن نسير في البحر إذ سمعنا صوتا يقول : يا أهل السفينة ،

(66) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب 79 ، مناقب الأنصار ، باب 13 .
(67) المصنف : 20541 .

قفوا ، أخبركم ! قال : فنظرنا يمينا وشمالا فلم نر شيئا إلا لجة البحر . ثم نادَى الثانية حتَّى نادَى سبع مرات يقول كذلك . قال أبو موسَى : فلما كانت السابعة قمت فقلت : ما تخبرنا ؟ قال : أخبركم بقضاء قضاه الله نفسه : أن من أعطش نفسه لله في يوم حار أن يرويه الله يوم القيامة[68] . وذكره عبد الملك بن حبيب في الواضحة بلفظ آخر . وخرج الحافظ أبو نعيم[69] والامام أبو الفرج بن الجوزي كلاهما يروي بسنده إلى ميمون بن مهران قال : شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتَّى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمعنا صوتا يسمع ولا يرَى شخصه يقول : «يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً»[70] إلى آخر السورة . ذكره الحافظ أبو بكر السمنطاري بلفظ آخر .

فصل

خرج الترمذي عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ ، نهَى عن الكي : قال : فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا[71] . قال أبو عيسَى : هذا حديث حسن صحيح . قال أبو عمر بن عبد البر : يقول عنه أهل البصرة إنه كان يرَى الحفظة وكانت تكلمه حتَّى اكتوَى . وقال مطرف بن عبد اللّه : قال لي عمران بن حصين : كانت تسلم علي ، يعني الملائكة حتَّى اكتويت . فلما اكتويت رفع عني فلما تركته عاد إلي يعني تسليم الملائكة ، يعني لما ذهب أثر النار عادت إلى السلام عليه .

فصل

خرج الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري أنه كانت له سهوة فيها تمر ؛ فكانت تجيء الغول فتأخذ منه ؛ فشكا ذلك إلى النبي ﷺ ، قال : اذهب ، فإذا رأيتها ، فقل : بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ ، قال : فأخذها . فحلفت ألا تعود . فأرسلها فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود .

---

(68) الحلية : 1 : 260 . ومسند البزار ص 280 (مخطوط خ. ع : ك 393) .

(69) الحلية : 1 : 329 .

(70) سورة الفجر : 27 ـ 28 .

(71) سنن الترمذي ، كتاب الطب ، باب 10 .

فقال : كذبت وهي معاودة للكذب . قال : فأخذها مرة أخرى . فحلفت ألا تعود فأرسلها فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . فقال : كذبت وهي معاودة للكذب . فأخذها فقال ما أنا بتاركك حتَّى أذهب بك إلى النبي ﷺ . فقالت : إني ذاكرة لك شيئا : آية الكرسي . اقرأها في بيتك ، فلا يقربك شيطان ولا غيره . قال : فجاء إلى النبي ﷺ فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : فأخبره بما فعلت وقالت ، قال : صدقت وهي كذوب وهي من السعالى وهي ساحرة الجن[72] . وفي الباب عن أبي هريرة ومعاذ بن جبل .

فصل

خرج الحافظ أبو بكر السمنطاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ ، أنه قال : إن لله طيارين من عباده يغذيهم في رحمته ويحييهم في عافيته ، إذا توفاهم توفاهم إلى جنته ، أولائك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية . قلت : المشي في الهواء جائز وقد قال الله تعالى : «وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ»[73] . ونتقنا : رفعنا . وظلة : سحابة . فأخبر تعالى أنه أمسك قطعة من الجبل فوقهم وهي في الهواء فكذلك لا يمتنع إمساك غيره من الأجسام في الهواء ولا فرق .

فصل

خرج الحافظ أبو نعيم عن أبي هريرة قال : لقد رأيت للعلاء بن الحضرمي ثلاث خصال ، ما منهن خصلة إلا وهي أعجب من صاحبتها . انطلقنا نسير حتَّى قدمنا البحرين وأقبلنا نسير حتَّى كنا على شاطئ البحر . فقال العلاء : سيروا . فأتَى البحر فضرب دابته ، فسار وسرنا معه ما يجاوز ركب دوابنا ، فلما رآنا عامل كسرَى قال : لا والله لا نقاتل هؤلاء ! ثم قعد في سفينة فلحق بفارس . وذكر أبو نعيم عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي . فسرنا حتَّى أتينا دارين[74]

(72) سنن الترمذي . كتاب ثواب القرآن . باب 3 .

(73) سورة الأعراف : 171 .

(74) جزيرة على الساحل الشرقي من بلاد العرب (إحسان عباس ، هامش في **الروض المعطار**) .

والبحر بيننا وبينهم . فقال : يا علي . يا حكيم . يا علي يا عظيم . إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك ! اللهم . فاجعل لنا إليهم سبيلا ! فتقحم بنا البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء فخرجنا إليهم[75] . وذكر الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه **صفوة الصفوة** بسنده إلى سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن : نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده فقام فصلّى ركعتين فقال : اللهم إنا عبيدك . وفي سبيلك نقاتل عدوك . اللهم اسقنا غيثا لنتوضأ ونشرب منه فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا . فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حي أقلعت عنه السماء . فتوضأنا وتزودنا منه وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتّى أنظر أستجيب له أم لا . فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي[76] : نسيت إداوتي . فجئت إلى ذلك المكان كأنه لم يصبه الماء قط . ثم سرنا حتّى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم . فقال : يا علي . يا حكيم . يا علي . يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاجعل لنا إليهم سبيلا . فتقحم البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا . فجزنا اليهم فلما رجع أخذه وجع البطن . فمات . فطلبنا ماء نغسله به فلم نجد فلففناه في ثيابه ودفناه ، فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير . فقال بعضنا : لو رجعنا فاستخرجناه ثم غسلناه ! فرجعنا فطلبناه فلم نجده فقال رجل من القوم : سمعته يقول : يا علي يا عظيم يا حكيم أخف عليهم موتي . أو كلمة نحوها . ولا يطلع على عورتي أحد ! فرجعنا وتركناه[77] . وذكر أبو عمر بن عبد البر في **الاستيعاب** العلاء بن الحضرمي[78] فقال : كان مجاب الدعوة دعا الله تعالى باسمه الأعظم فعبر البحر وجاوزه . وذكر أبو جعفر الطبري في **تاريخه** أن أهل البحرين لما ارتدوا في خلافة أبي بكر ندب الناس إلى دارين ونهض بهم إلى ساحل البحر ثم اقتحموا على الصاهل والجامل والشاحج والناهق والراكب والراجل ودعوا الله وتضرعوا فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعا يمشون على مثل رملة مشياء فوقها ماء يغمر أخفاف الابل . فالتقوا بها فاقتتلوا فما ترك المسلمون بها مخبرا وسبوا الذراري واستاقوا الإبل والأموال وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر .

---

(75) **حلية الأولياء** : 1 : 7 .

(76) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(77) **صفوة الصفوة** : 1 : 695 (طبعة بيروت 1979) .

(78) انظر ترجمة العلاء بن الحضرمي في **الاستيعاب** ورقها 1840 . (طبعة مصر بتحقيق البجاوي) .

أَلَـمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ ذَلَّـلَ بَحْرَه فَـأَنْزَلَ بِٱلْكُفَّارِ إِحْدَى ٱلْجَلَائِلِ
دَعَوْنَا ٱلَّذِي شَقَّ ٱلْبِحَارَ فَجَاءَنَا بِأَعْجَبَ مِنْ فَلْقِ ٱلْبِحَارِ ٱلْأَوَائِلِ[79]

فصل

خرج اللالكائي عن فروة مولى سعيد بن أمية المقري قال : ركب أبو ريحانة البحر وكان يخيط فيه بإبرة معه فسقطت إبرته في البحر فقال : عزمت عليك يا رب إلا رددت عليّ إبرتي ! فظهرت حتّى أخذها . قال : واشتد عليهم البحر فقال : اسكن أيها البحر فإنما انت عبد حبشي ! قال : فسكن حتّى صار كالزيت[80]. وأبو ريحانة هذا من أصحاب رسول الله ﷺ . وقريب من هذا ما روي عن غير واحد من شيوخ أهل مصر أن المسلمين لما افتتحوا مصر في زمان عمر بن الخطاب. رضي الله عنه ، وأتى وقت مدود النيل أمسك مدوده فلم يمد فسألوا القبط عن ذلك فقالوا : إنا كنا إذا أتى وقت مدوده عمدنا إلى جارية من بنات ملوكنا فألقيناها حية في عرضه فيمد ومتى لم نفعله لا يمد . فأشفق المسلمون من ذلك وكتبوا به إلى عمر بن الخطاب . فكتب عمر بن الخطاب إلى النيل كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، سلام عليك . فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فان كنت تجري بحولك وقوتك فلا حاجة لنا بك ، وإن كنت تجري بحول الله وقوته فاجر على بركة الله والسلام . وكتب إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر يومئذ يأمره أن يلقي كتابه في عرض النيل . ففعل . فمد النيل[81].

فصل

خرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر بن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي عن

(79) انظر **تاريخ الرسل والملوك** : 3 : 311 ، تحقيق أبي الفضل ابراهيم . دار المعارف .
(80) انظر كتاب **الرقائق** : 304 ، ونقله عن الألكائي في شرح السنن صاحب **حياة الصحابة** : 3 : 422 .
(81) انظر **فتوح مصر والمغرب** لابن عبد الحكم ، ص 202 ، تحقيق عبد المنعم عامر . طبعة القاهرة .

ابن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ ، أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا بالأسد ، فقال له : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ ، فإن من أمري كيت وكيت . فأقبل الأسد اليه يبصبص حتّى قام إلى جنبه كلما سمع صوتاً أتى إليه . ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتّى بلغ الجيش . ثم رجع الأسد . ذكره في باب ما يعجل لأهل اليقين من الآيات(82).
وخرج الإمام الحافظ أبو الفرج بسنده إلى محمد بن المنكدر عن سفينة أنه ركب سفينة في البحر فانكسرت بهم قال : فتعلقت بشيء منها حتّى خرجت إلى جزيرة فإذا بها الأسد . فقلت : يا أبا الحارث ، أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجبهته ويدلني على الطريق . فلما خرجت إلى الطريق همهم فظننت أنه يودعني . وخرج عبد الله بن المبارك في **رقائقه** عن حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال : خرجنا في غزوة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم قال : فنزل الناس عند العتمة فقلت : لأرمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته . فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتّى إذا هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبة منا . فدخلت في أثره . فتوضأ ثم قام فصلّى فافتتح الصلاة وجاءه أسد حتّى دنا منه فصعدت في شجرة . قال : فلم أره التفت ولا حدث فيه تحرك حتّى سجد . فقلت الآن يفترسه بلا شك ! ثم سلم فقال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان غير هذا ! فولى وإن له زئيراً أقول يصدع الجبال . وذكر باقي الحديث(83)
ويروى أن ابن عمر ، رضي الله عنه ، كان في بعض الأسفار فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوف السبع . فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء .

فصل

ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب **الاستيعاب** عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : لما افتتح عقبة بن نافع افريقية وقف على القيروان فقال : يا أهل هذا الوادي ، إنا حالون ان شاء الله فاظعنوا ! ثلاث مرات . قال : فما رأينا حجرا ولا

---

(82) **المصنف** : 20544 .
(83) **الرقائق** : 296 والحلية : 2 : 240 .

شجرا إلا وتخرج من تحته حية أو دابة حتَّى هبط بطن الوادي ثم قال : انزلوا بسم الله . قال أبو عمر : قتل سنة ثلاثة وستين بعد أن غزا السوس الأقصَى(84) ؛ قتله كسيلة بن لمزم الأوربي(85) بعد أن فتح بلاد عامة البربر . قال أبو عمر : ويقولون : إن عقبة بن نافع كان مستجاب الدعوة وذكر الطبري في **تأريخه** أن معاوية بعث عقبة بن نافع إلى افريقية فافتتحها واختط قيروانها وكان موضع غيضة لا يرام من الحيات والسباع والدواب . فدعا الله عز وجل فلم يبق فيها شيء إلا خرج هاربا حتَّى إن السباع لتحمل أولادها عنها(86).

فصل

خرج قاسم بن أصبغ بسنده إلى شرحبيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبأ باليمن فبعث إلى أبي مسلم الخولاني فلما جاء قال : أشهد أني رسول الله . قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ! قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ! فردد ذلك عليه كل ذلك يقول له مثل ذلك . قال : فأمر بنار عظيمة فأُججت فألقَى فيها أبا مسلم فلم تضره . قال : فقيل له : انفه عنك ، والا أفسد عليك من اتبعك . قال : فأمره بالرحيل . فأتَى أبو مسلم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر . فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ودخل المسجد فقام يصلي إلى سارية وبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقام اليه وقال : ممن الرجل ؟ قال : من أهل اليمن . قال : ما فعل الرجل الذي حرقه الكذاب . قال : ذلك عبد الله بن ثوب . قال أنشدك الله ، أأنت هو ؟ قال : اللهم ، نعم . فاعتنقه عمر ، رضي الله عنه ، وبكَى ، ثم ذهب به حتَّى أجلسه فيما بينه وبين أبي

---

(84) انظر الهامش : 65 .

(85) كسيلة بن لمزم أمير مغربي غزاه عقبة فثار عليه وقتله ، ولمزم بسكون جميع حروفه يطلق على بعض الأمكنة في المغرب الأقصَى ولم نعثر على معناه ولا على معنَى كسيلة ولا شكله الصحيح . انظر **البيان المغرب** : I : 28 . ومادة Kusayla في E.I. الطبعة الجديدة وقد حررها الأستاذ محمد الطالبي .

(86) انظر أخبار عقبة في **الاستيعاب** : 1830 . وانظر **طبقات علماء افريقيا** لأبي العرب ص : 58 .

بكر رضي الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتَّى أراني في أمة محمد ﷺ ، من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله[86] . وخرج أبو داود عن معاوية بن حرمل قال : وقعت في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، نار بالحرة فأرسل اليها تميماً الداري . فجعل يحوشها بردائه . وفي رواية : يحوشها بيده ، حتَّى أدخلها في الغار الذي خرجت منه واقتحم على أثرها وخرج ولم تضره شيئا . وخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني عن أبي سليمان الداراني قال : قيل لعامل بن عبد قيس : النار قد وقعت قريبا من دارك . قال : دعوها ، فانها مأمورة . وأقبل على صلاته فأخذت النار ، فلما بلغت النار داره عدلت عنها[87] .

فصل

خرج قاسم بن أصبغ عن السري بن يحيَى قال : قالت جارية لأبي مسلم الخولاني : قد وضعت لك السم في طعامك فلم يضرك ! قال : فلم فعلت ذلك ؟ قالت : أردت أن أتعجل العتق . فقال لها : اذهبي ، فأنت حرة . وذكر الطبري في **تاريخه** أن خالد بن الوليد لما صالحه أهل القصور من المشركين كان مع عمرو بن عبد المسيح رجل قد علق كيساً من حقوه . فتناول خالد الكيس ونثر ما كان فيه في راحته فقال : ما هذا ؟ قال : هذا ، وأمانة الله ، سم ساعة . قال : ولما تحقب السم ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت وقد أتيت على أجلي ، والموت خير لي من مكروه ينالني . فقال خالد ، رضي الله عنه : إنها لن تموت نفس حتَّى تأتي على أجلها ! وقال : بسم الله خير الأسماء ، ورب الأرض والسماء الذي ليس يضر مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم ! ثم ابتلع السم ؛ فأهووا إليه يمنعوه ؛ فبادرهم وابتلعه . فقال الرجل : يا معشر العرب ، والله ، لتملكن ما أردتم مادام منكم أحد !

فصل

قال أبو عمر بن عبد البر النمري : روَى ابن عباس وأنس بن مالك أن عمر بن

(87) راجع حلية الأولياء : 2 : 129 . وقال ابن سبع في إثبات **كرامات الأولياء** : خرجه أبو بكر بن أبي خيثمة في **تاريخه** عن عبد الرزاق بن نجدة عن إسماعيل بن عياش عن شرحبيل .

الخطاب ، رضي الله عنه ، كان إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعباس رضي الله عنه . قال أبو عمر : وكان سبب ذلك أن الأرض أجدبت إجدابا شديدا على عهد عمر ، رضي الله عنه ، زمان الرمادة وذلك سنة سبع عشرة . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، إن بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء عليهم السلام . فقال عمر ، رضي الله عنه : هذا عم النبي ، ﷺ ، وصنو أبيه وسيد بني هاشم . فمشى إليه عمر ، رضي الله عنه ، فشكا اليه ما فيه الناس ، ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال : اللهم ، إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين . ثم قال عمر ، رضي الله عنه ، يا أبا الفضل ، قم فادع . فقال بعد الحمد لله والثناء عليه : اللهم ، إن عندك سحابا وعندك ماء ، فانشر السحاب ، ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الأصل وأطل به الفرع وأدر به الضرع . اللهم ، إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة وقد توجه القوم [بي][88] إليك فاسقنا الغيث ، اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا ، اللهم إنا شفعاء عمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا . اللهم ، اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما . اللهم إنا لا نرجو إلا إياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب إلا إليك ، اللهم إليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف ، في دعاء كثير . قال أبو عمر : وهذه الألفاظ كلها لم تجيء في حديث واحد ولكنها جاءت في أحاديث جمعتها واختصرتها ولم أخالف شيئا منها . وفي بعضها : فسقوا والحمد لله وفي بعضها قال : أرخت السماء عزاليها . فجاءت بأمثال الجبال حتَّى استوت الحفر بالآكام وأخصبت الأرض وعاش الناس . فقال أبو عمر ، رضي الله عنه : هذه والله الوسيلة إلى الله والمكان منه وقال حسان بن ثابت :

سَأَلَ ٱلْإِمَامُ وَقَدْ تَتَابَعَ جدبنَا ... فَسَقَى ٱلْغَمَامُ بِغُرَّةِ ٱلْعَبَّاسِ
عَمِّ ٱلنَّبِيِّ وَصِنْوِ وَالِدِهِ ٱلَّذِي ... وَرِثَ ٱلنَّبِيَّ بِذَاكَ دُونَ ٱلنَّاسِ
أَحْيَى ٱلْإِلَهُ بِهِ ٱلْبِلَادَ فَأَصْبَحَتْ ... مُخْضَرَّةَ ٱلْأَجْنَابِ بَعْدَ ٱلْيَاسِ[89]

---

(88) ما بين معقفين غير وارد في **الاستيعاب** .

(89) بشأن هذا الخبر ، راجع **الاستيعاب** : 814 وقد قال محققه : ليست الأبيات في **ديوان** حسان . وقد أثبتها الدكتور وليد عرفات في **ديوان** حسان الذي جمعه وصدر سنة 1971 واعتمد في نسبتها لحسان على **الاستيعاب** .

فصل

خرج البزار في مسنده عن أبي هريرة ان أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه . قال لابنه : يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ . فإنه يأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . وذكر محمد بن إسحاق قصة خبيب وفيها عن مارية مولاة حجير بن أبي أهاب وكانت قد أسلمت قالت : كان خبيب قد حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوما وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل . وفي صحيح البخاري : ولقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة[90] وكانت تقول : انه لرزق رزقه الله خبيبا . وقال عبد الله بن المبارك في **رقائقه** : أخبرنا جرير بن حازم قال : حدثنا حميد بن هلال عن صلة بن أشيم العدوي قال : خرجت في بعض قرى نهر تيرَى أسير على دابتي في زمن فيوض الماء فأنا أسير على مسناة فسرت يومي لا أجد شيئا آكله فاشتد جوعي . قال : فلقيت علجا يحمل على عنقه شيئا . فقلت : ضعه . فوضعه فإذا هو خبز ؛ فقلت أطعمني منه . قال : نعم ، إن شئت ولكن فيه شحم خنزير . فلما قال ذلك تركته ومضيت ثم لقيت آخر يحمل على عنقه طعاما فقلت : أطعمني منه شيئا . قال : تزودت هذا لكذا وكذا من يوم فإن أخذت منه شيئا أضررت بي وأجعتني . فتركته فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة كخواية الطير — يعني صوت طيرانه — فالتفت فإذا بشيء ملفوف في سب أبيض أي خمار . فنزلت إليه فإذا دوخلة من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة فأكلت منه فلم آكل رطبا قط أطيب منه وشربت من الماء ثم لففت ما بقي وركبت الفرس وحملت نواهن معي . قال جرير : حدثني أوفى بن أدهم قال : رأيت ذلك السب مع امرأته ملفوفا فيه مصحفها ثم فقد بعد ذلك فلا يدرون أسرق أم ذهب أم ما صنع به[91].

فصل آخر منه

خرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن محمد بن واسع عن أبي العلاء بن

(90) راجع **صحيح** البخاري ، كتاب المغازي ، باب 28 ، 10 .
(91) **الرقائق** : 295 .

عبد الله قال : أخبرني ابن أخي عامر بن عبد قيس أن عامرا كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه فلا يلقَى أحدا من المساكين يسأله إلا أعطاه فإذا دخل على أهله رمَى بها إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها[92]. [وقال عبد الله بن المبارك في **رقائقه** عن معمر قال : حدثني محمد بن واسع عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : أخبرني أخي عامر عن عبد قيس كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ثوبه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه ، فإذا دخل بيته رمَى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها][93] . ونقل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسَى المري[94] في كتابه **حياة القلوب** عن حارثة بن النعمان وكان من أصحاب النبي ﷺ ، يقول : إذا جاء الهلال وسأله أهله نفقته قال لابنه : يا بني ارفع الفراش وخذ ما تجد تحته فكان يرفع الفراش فيجد من الدراهم ما يكفيهم .

فـصـــل

من الدليل على طي الأرض قول الله تعالى في قصة آصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام : «قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»[95] وخرج أبو الفرج بن الجوزي في كتابه **صفوة الصفوة** بسنده إلى أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ ، بتبوك . فطلعت الشمس لها نور وشعاع لم أرها قط طلعت به فيما مضَى . فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فسأله عن ذلك . فقال له : إن معاوية بن معاوية الليثي مات اليوم بالمدينة . فبعث الله تعالى سبعين ألف ملك يصلون عليه قال : وفيم ذلك ؟ قال : كان يكثر قراءة : «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ»[96] بالليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده . فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرضْ فتصلي عليه ؟ قال : نعم . فصلَّى عليه ثم رجع[97] وذكره أبو

(92) **المصنف** . 20542 .

(93) كتاب **الزهد والرقائق** : 295 وما بين معقفين ساقط من طبعة فور .

(94) هو ابن أبي زمنين ، ذكر له هذا الكتاب في **فهرسة** الإشبيلي ، محدث فقيه ، صوفي توفي بألبيرة سنة 399هـ — انظر : **معجم المؤلفين** : 10 : 229 ومصادر ترجمته فيه .

(95) سورة النمل : 40 .

(96) سورة الاخلاص : 1 .

(97) **صفوة الصفوة** ، ترجمة معاوية بن معاوية الليثي ورقها : 91 . وعلق المحقق على الحديث . بقوله : ضعيف .

عمر بن عبد البر النمري . وذكر الحارث بن مسكين عن عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك : سار ابن عمر من مكة إلى المدينة في سفر سافره ثلاثة أيام . وخرج أحمد بن حنبل عن السري بن يحيى قال : كان حبيب أبو محمد يُرَى بالبصرة يوم التروية وبعرفة عشية عرفة .

فصل

خرج البخاري عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ ، قال : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يك من أمتي منهم أحد فإنه عمر[٩٨] . قال الثعالبي : إذا كان الصواب : ألقي في روعه ، فهو مروع ومحدث . وخرج أبو بكر بن أبي خيثمة في **تاريخه** عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ ، قال : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل ، وخرج البزار عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم . قال أهل اللغة : الفراسة ، التفرس في الشيء وإصابة النظر فيه ، والتوسم من ذلك وأصله من قولهم : فلان موسم بالخير وفلانة ذات ميسم إذا كان عليها أثر الجمال . وخرج مالك بن أنس عن عائشة زوج النبي ﷺ ، أنها قالت إن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة . فلما حضرته الوفاة قال : والله ، يا بنية ما من الناس أحد أحب إلي غنَى بعدي منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك واني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحترتيه كان لك وإنما هو اليوم مال وإرث وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله عز وجل . قالت عائشة : فقلت : يا أبت ، والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء ، فمن الأخرى ؟ فقال أبو بكر ، رضي الله عنه : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية[٩٩] . وخرج أبو نعيم الأصبهاني عن الحارث بن عميرة : قال : انطلقت حتَّى أتيت المدائن فإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان ومعه أديم أحمر يعركه . فالتفت فنظر إلي فأومأ بيده وقال : مكانك يا عبد الله . فقمت وقلت لمن كان معي : من هذا الرجل ؟ قالوا : سلمان . فدخل بيته فلبس ثيابا

---

(98) **صحيح** البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب 6 . كتاب الأنبياء ، باب 54 .

(99) **موطأ** مالك ، كتاب الأقضية ، حديث 40 .

بيضاء ثم أقبل علي وأخذ بيدي وصافحني وسألني . فقلت : يا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني ولا عرفتك . قال : بلى ، والذي نفسي بيده لقد عرفت روحي روحك حين رأيتك ، ألست الحارث بن عميرة ؟ قلت : بلى . قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر منها في الله اختلف[100] .

فصل

خرج أبو جعفر الطبري في تاريخه قال : قصد سارية بن زنيم الديلي حتّى انتهى إلى عسكر أهل فارس المشركين وحاصرهم ثم ان المشركين استمدوا بأكراد أهل فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير . فرأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم وكأنه رأى في ساعة من النهار الذي يليها وهم في صحراء وخلفهم جبل . فنادى من الغد الصلاة جامعة حتّى إذا كان في الساعة التي رأى فيها اجتماعهم قام فقال : يا أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين ! وأخبر بحالها ثم قال : يا سارية ، الجبل ! الجبل ! وأقبل على الناس وقال : إن لله جنودا لعل بعضهم أن يبلغهم . ولما كان في تلك الساعة من ذلك النهار تقلع سارية والمسلمون إلى الجبل وقاتلوا القوم فهزمهم الله لهم وكتبوا بذلك إلى عمر ، رضي الله عنه ، باستيلائهم على البلد وإصابتهم لمغانمهم . وقدم الرسول بالفتح على عمر رضي الله عنه . فسأله أهل المدينة عن سارية وهل سمعوا شيئا يوم الوقيعة . فقال : نعم ، سمعنا : يا سارية الجبل ! وقد كدنا نهلك فنجانا الله وفتح علينا[101] .

فصل

خرج عبد الرزاق في مصنفه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه : قال : بعث النبي ﷺ ، سرية عينا له وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر ، رضي الله عنه ، وانطلقوا حتّى إذا كانوا ببعض الطريق بين عسفان ومكة نزولا ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان . فتبعوهم بقريب من مائة رجل رام .

(100) الحلية : 1 : 198 .

(101) تاريخ الطبري : 4 : 178 .

[فاقتصوا][102] آثارهم [حتى نزلوا منزلا يرونه فوجدوا فيه نوى تمر يرونه من تمر المدينة ، فقالوا : هذا يترب ، فاتبعوا آثارهم][103] حتَّى لحقوهم ، فلما أحسهم عاصم بن ثابت وأصحابه لجأوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا يقتل منكم رجل واحد . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ! اللهم اخبر عنا رسولك ، عليه السلام ! قال : فقاتلوهم فرموهم حتَّى قتلوا عاصما في نفر وبقي خُبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ورجل آخر . فأعطوهم العهد والميثاق ان ينزلوا إليهم . فنزلوا إليهم . فلما استمسكوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها . فقال الرجل الثالث الذي كان معهما : هذا أول الغدر . فأبَى أن يصحبهم . فجروه فأبَى أن يتبعهم وقال لهم في هؤلاء إسوة . فضربوا عنقه وذهبوا بخبيب وزيد بن دثنة حتَّى باعوهما بمكة، وذكر قصة خبيب إلى صلبه . قال : وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده ليعرفوه وكان قد قتل عظيما من عظمائهم [يوم بدر][104] . فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شيء منه[105] . فلما أعجزهم قالوا : إن الدبر ستذهب إذا جاء الليل . فما جاء الليل حتَّى بعث الله مطرا بسيل حمله فلم يوجد . وكان قد قتل كثيرا منهم . فأرادوا رأسه فحال الله تعالى بينهم وبينه وقال حسان بن ثابت :

لَعَمْرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلَ بْنَ مُدْرِكٍ ... أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خُبَيْبٍ وَعَاصِمِ
أَحَادِيثُ لِحْيَانٌ صَلُوا بِقَبِيحِهَا ... وَلِحْيَانُ رَكَّابُونَ شَرَّ الْجَرَائِمِ[106]

وقال ابن إسحاق في حديثه : فلما قتل عاصم ، أرادت قريش أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت قد نذرت ، حين أصاب ابنيها يوم أحد ، لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر . فمنعته الدبر . قال ابن إسحاق : كان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر يعني النحل منعته : يحفظ الله العبد المؤمن . كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا في حياته[107]

---

(102) **المصنف** : حتَّى رأوا .
(103) زيادة من **المصنف** .
(104) غير وارد في **المصنف**
(105) بقية الخبر غير واردة في **المصنف** .
(106) **ديوان** حسان ، جمع وليد عرفات ، ص : 513 . وفيه : «جرامون» محل «ركابون» .
(107) **سيرة** ابن إسحاق ، تحقيق حميد الله . الخبر 508 .

فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته .

وذكر ابن أبي شيبة عن قيس قال : رمَى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة يعني ابن عبيد الله بسهم في ركبته . فجعل الدم يسيل . فإذا أمسكوه استمسك وإذا تركوه سال . قال : فقالوا : دعوه . قال : وجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت ركبته . فقال : دعوه ، فإنما هو سهم أرسله الله . فمات ، فدفناه على شاطئ الكلا . فرأى بعض أهله أنه أتاه في المنام فقال : ألا تريحونني من هذا الماء فإني قد غرقت ! ثلاث مرات يقولها . قال : فنبشوه فإذا هو أخضر كأنه السلق . فنزحوا عنه الماء ثم استخرجوه فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض واشتروا له دارا من دور آل أبي بكرة بعشرة آلاف فدفنوه فيها .

فصل

جامع لأنواع الكرامات

خرج أبو داود(108) عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم ومر بنهر قال : أجيزوا بسم الله ! ومر بين أيديهم . قال : فيمرون بالنهر الغمر . فربما لم يبلغ من الدواب الا الركب أو بعض ذلك أو قريبا من ذلك . قال : فإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم شيء ؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامن له . قال : فألقَى بعضهم مخلاته عمدا . فلما جازوا قال الرجل : مخلاتي وقعت في النهر . قال : اتبعني . فاتبعه . فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر فقال : خذها . ونقل الناقلون أنه كانت بين يدي سلمان وأبي الدرداء ، رضي الله عنهما ، قصعة ، فسبحت حتَّى سمعا التسبيح . وذكر أبو بكر المطوعي(109) عن أبي ذر قال : بعثني رسول الله ﷺ : ادعوا عليا ، رضي الله عنه ، فأتيت بيته فناديته فلم يجبني . فأتيت النبي ﷺ ، فقال : بل هو في البيت فاذهب فادعه . فرجعت إلى البيت فناديته والرحَى تطحن ليس معها أحد يديرها . فناديت ، فخرج إلي متوشحا فقلت له : إن رسول الله ﷺ ، يدعوك . فخرج معي وأصغَى اليه رسول

(108) راجع **حلية الأولياء** : 5 : 120 .

(109) أبو بكر محمد بن علي بن عمر المطوعي الغازي النيسابوري ، علم في مكة في عشرة الثلاثين من القرن الخامس ، وألف في التصوف .

الله ﷺ . فقال له شيئا لم أفهمه ثم ذهب وجعل ينظر الي وأنظر إليه فقال لي : يا أبا ذر مالك تنظر الي؟ فقلت : يا رسول الله عجبت كل العجب من رحًى تطحن ليس معها أحد يديرها ! فقال : يا أبا ذر أما علمت أن لله تبارك وتعالى ملائكة سياحين في الأرض موكلين بمعونة آل محمد ﷺ ؟ ومر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بالمقابر . فقال : السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا اله الله بحق لا إلا إلا الله ! كيف وجدتم لا اله إلا الله ؟ فهتف به هاتف من المقابر قال : وجدناها منجاة من هلكة . وذكر أبو سعيد التيمي أنهم خرجوا مع علي ، كرم الله وجهه ، بصفين وهم عطاش فانتهى إلى صخرة فاقتلعها فخرجت من تحتها عين غزيرة طيبة عذبة فشربوا واستقوا وتزودوا . ومر بخالد بن الوليد رجل بزق خمر فقال له : ما هذا؟ قال له : خل . فقال : اللهم اجعله خلا ! ففتح الزق في الحين فإذا هو خل . ودخل سليمان على رجل من أصحابه وهو في النزع . فلم عليه فسمع رد السلام ولم ير الشخص فقال سلمان : يا ملك الموت ارفق بصاحبنا ! فقال : إني بكل مؤمن رفيق ، فقيل ليحيَى بن معين : يا أبا زكرياء ، هل يصح هذا الحديث ؟ فقال : رواه شبابة المدائني وليس ينكر أن يكون لسلمان مثل هذا .

لاَ تَرْتَبْ فِي كَرَامَاتٍ يُخَصُّ بِهَا
مَنِ ٱتَّقَى ٱللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلاَنِ

وَأَصْغِ سَمْعاً لِمَا يَرْوِي أَئِمَّتُنَا
عَمَّنْ مَضَى مِنْ ذَوِي ٱلْمِقْدَارِ وَٱلشَّانِ

وَأَمْرُ مَرْيَمَ يَكْفِي ٱلْمُسْتَدِلَّ بِهِ
فِي شَأْنِ مِحْرَابِهَا فِي آلِ عِمْرَانِ

تُؤْتَى ٱلْفَوَاكِهَ أَنْوَاعاً مُنَوَّعَةً
بِلاَ مُحَاوَلَةٍ فِي غَيْرِ إِبَّانِ

وَفِتْيَةُ ٱلْكَهْفِ فِي إِيقَاظِهِمْ عَجَبٌ
بَعْدَ ٱلْمِئِينَ كَمَا بِتِلْوِ حُسْبَانِ

وَعَرْشُ بِلْقِيسَ فِي إِيصَالِهِ عِبَرٌ
مَا بَيْنَ سُرْعَةِ جِنِّيٍّ وَإِنْسَانِ

جَاءَتْ بِهِ قُدْرَةُ ٱلرَّحْمَانِ فِي زَمَنٍ
حَتَّى ٱسْتَقَرَّ بِمَرْأًى مِنْ سُلَيْمَانِ
عِلْمُ ٱلْكِتَابِ وَأَعْمَالٌ بِمُوجِبِهِ
أَعَادَ آصَفَ ذَا قَوْلٍ وَإِيقَانِ
كَانَتْ مُسَارَعَةُ ٱلْجِنِّيِّ سَابِقَةً
فَأَحْرَزَ ٱلسَّبْقَ هَذَا ٱلْعَالِمُ ٱلثَّانِي
وَكَمْ دَلِيلٍ بِأَقْوَالِ ٱلرَّسُولِ لَنَا
فِيهَا وَكَمْ حُجَّةٍ فِيهَا وَبُرْهَانِ
ثُمَّ ٱلْكَرَامَاتُ أَنْوَاعٌ إِذَا نُظِرَتْ
كَالزَّهْرِ فِي حُسْنِ أَنْفَاسٍ وَأَلْوَانِ
مَشْيٌ عَلَى ٱلْمَاءِ أَوْ فِي ٱلْجَوِّ قَدْ نُقِلَا
وَشِبَعُ ذِي سَغَبٍ أَوْ رِيُّ ظَمْآنِ
وَكَمْ أُجِيبَ وَلِيٌّ حِينَ دَعْوَتِهِ
وَكَمْ أُغِيثَ وَلِيٌّ عِنْدَ إِذْعَانِ
وَفِيهِمُ مَنْ يُجِيبُهُ ٱلْجَمَادُ وَمَنْ
يَغِيبُ عَنْ دَرْكِ أَسْمَاعٍ وَأَجْفَانِ
وَمِنْهُمُ مَنْ يَرَى ٱلْمُخْتَارَ مِنْ مَلَكٍ
وَمَنْ يُجَالِسُهُمْ فِي حَالِ إِخْوَانِ
وَكَمْ لَهُمْ مِنْ مَقَامَاتٍ مُكَرَّمَةٍ
هَذَا ٱلَّذِي قُلْتُهُ مِنْهَا كَعُنْوَانِ
صَفَوْا فَصُوفُوا وَنَالُوا ضِعْفَ سَعْيِهِمُ
الْمَرْءُ يَكْسِبُ إِحْسَاناً بِإِحْسَانِ
فِي عَيْشِ أَرْوَاحِهِمْ مَاتَتْ نُفُوسُهُمُ
وَقَدْ تَمُوتُ نُفُوسٌ دُونَ أَبْدَانِ
فَٱفْعَلْ كَفِعْلِهِمُ تَقْرُبْ كَقُرْبِهِمُ
فَٱلْفَضْلُ عُمِّمَ فِي ٱلْقَاصِي وَفِي ٱلدَّانِي

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ ٱلْجِدِّ ٱلَّذِي لَهُمُ
فَاصْمُتْ فَلَيْسَ مُجِدُّ ٱلْقَوْمِ كَٱلْوَانِي[110]

فصل آخر منه

ذكر أبو بكر المطوعي عن أحمد بن محمد العابد قال : كنت جالسا في مسجد بيت المقدس عند باب سليمان عليه السلام ، يوم الجمعة بعد العصر إذ جاء إلي شخصان أحدهما يشبه خلقه خلقنا والآخر عظيم الخلقة . كانت جبهته عريضة وكان فيها أثر ضربة . فسلما علي وجلس الذي يشبهنا إلى جانبي وجلس الآخر ناحية . فقلت للذي جلس إلى جانبي : من أنت ، رحمك الله ؟ قال : أنا الخضر . قلت : فذاك ، من هو ؟ قال : أخي اليأس . فلحقني ما يلحق مثلي من الرعب فارتعدت . فقال الخضر عليه السلام : لابأس عليك ، فلولا أنا نحبك ما جئناك . فقلت : كما أنستني أنسك الله بقربه . ثم قلت : أكل ولي في الأرض تعرفه ؟ قال : أما المعدودون فأعرفهم . قلت : ما معنَى المعدودين ؟ قال : اعلم أنه لما قبض رسول الله ﷺ ، بكت الأرض فقالت : إلهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي إلى يوم القيامة ! فأوحَى الله تعالى وتبارك إليها : سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم كقلوب الأنبياء عليهم السلام ، ولا أخليك منهم إلى يوم القيامة . قلت : وكم هم ؟ قال : ثلاثمائة وهم الأولياء ، وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الأوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فإذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد فجعل الغوث ونقل من السبعة إلى الثلاثة ومن العشرة إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلاثمائة إلى السبعين ومن سائر الخلق إلى الثلاثمائة هكذا إلى يوم ينفخ في الصور فمنهم من قلبه كقلب موسَى عليه السلام ، ومنهم من قلبه كقلب نوح عليه السلام ، ومنهم من قلبه كقلب إبراهيم عليه السلام . فقلت إبراهيم عليه السلام ، تعظيما له . فقال : نعم . وقلب داود وسليمان وأيوب وعيسَى ابن مريم عليهم السلام ، أما سمعت قول الله عز وجل : «فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ»[111] فما من نبي إلا وعلى

---

(110) من البسيط .
(111) سورة الأنعام : 90 .

طريقته رجل يسلكها من هذه الأمة إلى يوم القيامة فلو اطلع الأربعون على قلوب العشرة لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا وكذلك لو اطلع السبعون على قلوب الأربعين لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا . أما رأيت إلى قصة موسَى ، عليه السلام ، معي ؟ فقلت : أي شيء طعامك ؟ قال : أما أنا فطعامي الكرفس[112] والكمأة وأما أخي الياس فرغيفان كل يوم . فقلت : فأين مقامه ؟ قال : في جزائر البحر . قلت : فهل تجتمعان ؟ قال : نعم ، إذا مات أحد المعدودين اجتمعنا وتوليناه ونجتمع من موسم إلى موسم . فيأخذ من شعري وآخذ من شعره . وهم ليقوم فقمت معه فقال لي : إلى أين ؟ فقلت : أصحبك . قال : ما إلى ذلك سبيل . قلت : أين تصلي ؟ قال : وما تريد من ذلك ؟ قلت : التبرك بذلك . قال : أنا أصلي في حجر الكعبة من مكة وأجلس إلى أن يرتفع النهار وأطوف سبعا وأصلي ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام ؛ وأصلي الظهر بمدينة الرسول عليه السلام . وأصلي العصر ههنا ببيت المقدس وأصلي المغرب على جبل الطور وأصلي العشاء الآخرة عند سد ذي القرنين أحرس المسلمين وأسير فأصلي الصبح بمكة . وغاب عني . وذكر أبو بكر المطوعي أيضا ، عن أبي عبد الله أحمد بن مالك السجستاني قال : دخلنا جماعة ومعنا أبو بكر الدمشقي إلى جبل لبنان نلتمس من فيه من العباد . فسرنا فيه ثلاثة أيام نلتمس ، فما رأينا فيه أحدا . فلما كان اليوم الرابع ضربت على رجلي وذلك أني كنت حافيا فضعفت عن المشي . فطلعنا على جبل شامخ وفوقه شجرة فقعدنا فقالوا لي : اجلس على موضعك حتَّى نذهب لعلنا نلقَى أحدا من سكان الجبل . فمضوا جميعا فبقيت أنا وحدي . فلما جن الليل صعدت على شجرة . فلما كان الصبح نزلت ألتمس الوضوء . فانحدرت في الوادي أطلب الماء . فوجدت الماء من قبل أن أستقر في الوادي عينا صغيرة . فتوضأت وقت أصلي . فسمعت صوت قراءة القرآن . فلما سلمت طلبت الأثر . فوجدت كهفا أمامه صخرة . فرميت بحجرتين إلى الكهف خشية أن يكون فيه وحش ؛ فلم أر شيئا فدخلت إلى الكهف فإذا شيخ ضرير . فسلمت عليه فقال لي : أجني أنت أم انسي ؟ فقلت : بل إنسي . قال : لا اله إلا الله ! ما رأيت ولا لقيت إنسانا منذ ثلاثين سنة غيرك . فلما دخلت عليه قال : لعلك مر بك البارحة تعب ، فاطرح نفسك . فدخلت داخل الكهف وفيه

---

(112) اعتبر القدماء الكرفس رمزا للشباب الخالد ، راجع مادة ache في :
Dictionnaire des symboles, Seghers, 1973.

ثلاثة قبور. فلما كان بعد زوال الشمس ناداني فقال: الصلاة، رحمك الله. فخرجت إلى العين، فتطهرت وصلينا جماعة. ثم قام فلم يزل يركع إلى وقت العصر ثم أذن وصلينا العصر ثم قام يدعو رافعا يديه. فسمعت من دعائه: اللهم أصلح أمة محمد! اللهم فرج عن أمة محمد! اللهم ارحم أمة محمد! إلى أن سقط القرص فأذن ولم أر أحدا أعرف بأوقات الصلوات منه. فلما صلينا المغرب قلت: لم أسمع منك من الدعاء إلا هذه الكلمات الثلاث. فقال: من قال هذا كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من البدلاء. فقلت: من أين لك هذا؟ قال: لا يحتمل إيمانك أن أقول لك. فلما صلينا العشاء الآخرة قال لي: أتأكل؟ قلت: نعم. قال: ادخل داخلا فكل ما ثم. فدخلت فوجدت صخرة كبيرة عليها جوز ناحية وفستق ناحية وزبيب ناحية ومن ناحية تفاح يابس وحبة خضراء فأكلت منه ما أردت. فلما كان عند السحر جاء هو فأكل منه شيئا يسيرا ثم أوتر فمازال يدعو فسمعته يقول في سجوده: اللهم امنن باقبالي عليك وإصغائي إليك وإنصاتي إليك والفهم عنك وارزقني بصيرة في أمرك ونفاذا في خدمتك وحسن الأدب في معاملتك. فلما رفع رأسه قلت له: من أين لك هذا الدعاء؟ فقال: أُلهمته. لقد كنت في بعض أوقاتي أدعو به فسمعت هاتفا يهتف لي ويقول: إذا دعوت به فخمه فإنه مستجاب. فلما صلينا قلت: من أين هذه الفواكه وأنا لم آكل شيئا أطيب منها؟ فقال: تَرَى معاينة. فلما كان بعد ساعة دخل إلى الكهف طائر له جناحان أبيضان، وصدره أخضر وفي منقاره حبة زبيب وبين رجليه جوز. فوضع الزبيب على الزبيب والجوز على الجوز. فقال لي: أرأيته؟ قلت: نعم. فقال لي: منذ ثلاثين سنة يأتيني بهذا. فقلت له: كم مرة يدخل إليك بالنهار؟ فقال: سبعا. فلما كان ذلك اليوم عددت أنا فإذا هو دخل خمس عشرة مرة. فقلت له ذلك. وكان عليه قميص بلا كمين ومئزر شبْه لون الورس فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: يأتيني به في كل سنة هذا الطائر وكان عنده مسلة يخيط بها. فلما كان بعض ليال دخل عليه سبعة أنفس بثيابهم وشعورهم وعيونهم مشققة بالطول ليس فيها دوارة. فسلموا فقال لي: لا تخف فهؤلاء الجن، فقرأ عليه واحد منهم **طه** والآخر **الفرقان** وتلقن الآخر منه شيئا من سورة **الرحمن** ثم مضوا. فقلت له: كم لك في هذا الجبل؟ قال: أربعين سنة؛ كنت فيها عشر سنين بصيرا وكنت أجمع في الصيف من هذه المباحات إلى هذا الكهف. فلما ذهب بصري بقيت أياما لم

أذق شيئا حتّى جاءني هؤلاء فقالوا لي : قد رحمناك ، دعنا نحملك إلى حمص أو دمشق . فقلت : اشتغلوا بما وكلتم له . فلما كان بعد ساعة ، جاءني هذا الطائر الذي رأيته بتفاحة فطرحها في حجري فقلت : لا تشغلني ، اطرحها ثم إلى وقت حاجتي إليها . ثم قال لي : وقد قال هؤلاء إن القرمطي[113] دخل مكة وقتل بها وفعل وصنع . فقلت : قد كان ذلك وقد كثر الدعاء عليه ، فلم منع الناس الإجابة فيه ؟ فقال : لأن فيهم عشر خصال فكيف تستجاب لهم دعوة ! فقلت : وما هي ؟ قال : الأولى أقروا بالله عز وجل وتركوا أمره ؛ والثانية قالوا : نحب الرسول ﷺ ، ولم يتبعوا سنته ؛ وقرأوا القرآن ولم يعملوا به ؛ وقالوا نحب الجنة وتركوا طريقها ؛ وقالوا : نكره النار ، وزاحموا طريقها ؛ ودفنوا أمواتهم ولم يعتبروا بهم ؛ وقالوا : إن إبليس لنا عدو ، ووافقوه ؛ واشتغلوا بعيوب إخوانهم ونسوا عيوبهم ؛ وجمعوا المال ونسوا الحساب ؛ وبنوا القصور ونسوا القبور . فأقمت عنده أربعة وعشرين يوما في أطيب عيش . فلما كان الرابع والعشرون قال لي : كيف وصلت إلى هنا ؟ فحدثته بحديثي . فقال لي : إنا لله وإنا إليه راجعون لو علمت أن قصتك هذه لم أقررك عندي ، شغلت قلوبهم ورجوعك اليهم أفضل مما أنت فيه . فلست أشك أن القوم قد ندموا في أمرك . فقلت له : إني لا أعرف الطريق . فسكت . فلما كان عند طلوع الشمس قال : قم ! فقلت : إلى أين ؟ قال : تمضي . قلت : أوصني . قال : إذا حججت وكانت الزيارة فاطلب عند المقام أو بين المقام وزمزم رجلا أشعريا خفيف العارضين بعد العصر فتقرئه مني السلام واسأله أن يدعو لك فإنها فائدة كبيرة ان شاء الله تعالى . فخرجنا من الكهف وإذا سبع قائم قال : لا تخف ! وتكلم بكلام لم أعرفه إلا أني أظن أنه بالعبرانية فقال لي : اذهب خلفه فإذا وقف فانظر عن يمينك فإنك تجد الطريق إن شاء الله . فسار ساعة وأنا خلفه فنظرت فإذا أنا على عقبة دمشق . فدخلت دمشق والناس قد انصرفوا من صلاة العصر . فقالوا : هذا الذي قيل إنه هلك في الجبل ؛ من يبشر دارك ؟ فقلت : أنا . فمضيت وجماعة من ورائي فسروا سرورا شديدا فحدثتهم بحديثي فقال القوم : ما رأينا إلا واحدا نصرانيا . ثم كثروا وخرجنا جماعة فوق الخمسين نفسا إلى ذلك الجبل ، فما رأينا شيئا . فقالوا : كشف له ومنعنا نحن . ورجعنا . فكنت أحج

(113) كان ذلك سنة 317هـ — 930م . وهذا القرمطي هو أبو الطاهر سليمان الجنابي انظر : الجنابي في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية .

وأطلب الرجل الذي وصف لي . فلما كان في سنة ست وعشرين وثلاثمائة وجدت الرجل بين المقام وزمزم جالسا بعد العصر وعليه ثوب شرب ومئزر دبيق وهو قاعد على منديل وأمامه كوز نحاس ونعل . فسلمت عليه ، فرد علي السلام . فقلت : إن إبراهيم بن نصر الكرماني يقرئك السلام . فقال لي : وأين رأيته ؟ فقلت في جبل لبنان . فقال : رحمه الله قد مات . قلت : متى مات ؟ قال : الساعة ؛ دفناه ودفنا الطائر عند رجليه . ثم قال : قم بنا إلى الطواف . فطفت معه شوطين ثم غاب عني .

تراجم الأولياء

قال أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن :

وهذا الباب واسع ولو تتبعته بالاستقصاء لخرجت عن مقصد الكتاب ؛ وفيما أوردته مقنع . وهذا أوان الشروع فيما اعتمدته من ذكر عباد الله الصالحين وإمائه . واخترت أن أبتدئ وأختتم بمن اسمه محمد تبركا باسم نبينا ﷺ . والله سبحانه المسؤول والمأمول في المعونة على ما فيه رضاه والعصمة من الزلل في القول والعمل وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم . انه سميع مجيب وهو حسبي ونعم الوكيل .

1 - فمنهم أبو عبد الله محمد بن سعدون ابن علي بن بلال القيرواني [1]

أصله من القيروان ولقي بمكة أبا بكر المطوعي [2] ؛ فحمل عنه توأليفه في التصوف وغيرها [3] ؛ واستقر اخيرا بأغمات وريكة [4] وبها مات سنة خمس وثمانين

(1) راجع **ترتيب المدارك** : 4 : 799 (طبعة بيروت) ، **الصلة** : 2 : 602 ، **الديباج** : 2 : 299 وفيه : البدوي ، **تهذيب معالم الإيمان** : 3 : 345 ، **الإعلام** : 4 : 9 . **الأعلام** : 6 : 137 . **معجم المؤلفين** : 5 : 185 . ونسبته في ز وفي **ترتيب المدارك والغنية** : القزوي .

(2) انظر الهامش رقم 116 قبله .

(3) ذكر أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي في **فهرسته** (ص . 294 و295) ستة كتب للمطوعي أخذها عنه ابن سعدون وهي : كتاب **من صبر ظفر** وكتاب **المقالات في المقامات** وكتاب **أخبار الشبلي** وكتاب **الشيب والشيب** وكتابان **فيهما كل من وقف بالناس بعرفات من سنة تسع من الهجرة إلى سنة 435** . وفي خزانة الوثائق بالرباط رسالة في التصوف لأبي بكر

واربعمائة *. وأهل أغمات إلى الآن يستشفون بتراب قبره[5]. وكان من أهل العلم والفضل.

حدثني علي بن عيسَى * عن شيوخه أن فقيها من فقهاء أغمات وقف عند قبر ابن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه. فقال له ذلك الصالح: سمعتك تتكلم

* المطوعي لعلها كتاب **المقالات في المقامات** وأولها: «قال الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عمر المطوعي النيسابوري ..» وهي في مجموع رقمه: د 984 من ص. 66 إلى ص: 71.

(4) اغمات وريكة على بعد حوالي ثلاثين ميلا شرقي مدينة مراكش عند قدم جبال الأطلس وسط بساتين ممتدة تسقيها مياه النهر المنسوب لقبيلة وريكة المذكورة قديما في عداد قبائل المصامدة. وقد استعرض العباس بن ابراهيم ما جاء عن أغمات في كتب البلدان وكتب المسالك وغيرها في الفصل الثاني من مقدمة كتابه: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، وتدل أخبارها على ازدهار اقتصادي قائم على التجارة البعيدة المدَى وعلى اشعاع ثقافي يؤيده ما جاء في **كتاب القبلة** من كون مساجدها أقدم مساجد الإسلام في جنوب المغرب، ومنها انطلق الدعاة والمجاهدون، وقد كانت لها صلات بالقيروان والأندلس، وفيها استقر المرابطون قبل بناء مدينة مراكش في منتصف القرن الخامس الهجري، وإذا قيل: أغمات وريكة، فلتمييزها عن أغمات هيلانة التي سنذكرها فيما بعد، أما اليوم فقد اندثرت هذه الثانية ويقال أغمات وكفَى، وقد تحدث الوزان عن خرابها في بداية القرن السادس عشر. وما بقي منها في وسط البساتين سوَى قرَى متفرقة مركزها مكان عامر تقام به سوق أسبوعية، وبجانب هذا المركز مقبرة أغمات التاريخية. وقد ورد في السفر السادس من **الذيل والتكملة** (ص 346) عند الترجمة لأبي بكر بن عفير أنه تأول معنَى أغمات بلغة المصامدة: خُذْ مَات، أي أنهم بخلاء، وهذا غير صحيح لأنها غير مركبة من كلمتين كما ذكر، إذ أن همزة القطع التي درج الكتاب على وضعها من قديم في أول هذا الاسم زيادة على الأصل وهو غمّاتْ بغين فوقها سكون وضم، وهو فعل أمر معناه: خضّبوا أو اصبغوا، وتوجد أسماء أماكن أخرى بصيغة مماثلة. فالمكان عند القبائل المجاورة هو الجامع نايْت غمات أي جامع (أو سوق جمعة) أهل غمات أي المتخضبين.

(*) في **ترتيب المدارك** (4: 800) أن وفاته في جمادي الأولى سنة ست وثمانين وأربعمائة.

(5) على قبره بناء ضيق بسيط جدا من الطابية، ويعرفونه بسيدي سعدون، وهو اليوم مزارة للنساء خاصة بعد أن كان للرجال كذلك، قرونا بعد وفاته (انظر أنس الساري والسارب لابن مليح، ص 14). ويتناقل عرفاء البلد أن علماء الأندلس كانوا يحجون إليه.

(*) هو أبو الحسن علي بن عيسَى بن ناصر، طالب من أهل اغمات أخذ عن شيوخ بمراكش، ومما حدث به المؤلف عنه عن أولئك الشيوخ قضية إحراق كتاب **الإحياء** للغزالي وعنه أخذ كثيرا من أخبار اهل أغمات.

عند قبر ابن سعدون . فقال له ذلك الفقيه : أنت رجل صالح ، ولولا ذلك ما حدثتك ، فاكتم علي ؛ أشكلت علي مسألة ، فبحثت عنها ، فلم أجدها فأتيت قبر ابن سعدون ، فذكرت له المسألة ، فقال لي من قبره : اطلبها في الديوان الفلاني .

عَجَائِبُ صُنْعِ ٱللّٰهِ فِي ٱلْخَلْقِ حِكْمَةٌ
تَـدُلُّ عَـلَـى تَوْحِـيـدِهِ بِشَوَاهِـدِ
فَلَا يُـنْـكِـرِ ٱلزِّنْدِيقُ لِلَّـهِ قُدْرَةً
فَغَيْرُ نَكِيرٍ مِنْهُ خَرْقُ ٱلْعَوَائِدِ[6]

2 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن لا الأذَى الرجراجي[7]

من أهل بلد ونكيلة[8] بوادي شفشاون[9] . قديم الوفاة . وكان قد رحل إلى المشرق رحلته التي حج فيها . وكان عبدا صالحا مجاب الدعوة .

حدثوا عنه أنه أخذ ذات يوم منجله لقطع شجر السدر . فبينا هو يقطعه إذ صادف رجل قنفذ فكسرها . فآلمه ذلك وقال : اسمي يحيَى بن لا الأذَى ، فإذا أنا يحيَى بن الأذَى ، أوذي خلق الله ! فأخذ القنفذ ، فربط رجله بجبائر وأدخله في خابية . فكان يسقيه الماء ويطعمه التين والزبيب إلى أن انجبر فذهب[10] .

---

(6) من الطويل .

(7) لا الأذَى ترجمة وارْلادا في لسان المصامدة أي الذي لا يُنتظر منه الأذَى ولا يصدر عنه ما يؤذي . والرجراجي نسبة إلى بلد رجراجة (انظر الهامش 13 بعده) .

(8) أصلها إيوْنكيلْنْ ، ولم يعد لها ذكر في المنطقة ، وهنالك جماعة تحمل نفس الاسم بصيغة أخرى حُذفت منها الجيم المصرية فبقيت ونيلة ، وهم بقبيلة كلاوة وهم مذكورون في **كتاب الأنساب** للبيذق ص 67 من طبعة ليفي بروفنسال وص 52 من طبعة دار المنصور .

(9) يعرف اليوم بوادي شيشاوة وأصله وادي إيشيشاوْنْ ومعناه : صغار الدجاج . وفي المنطقة فرق أخرى كانت تحمل أسماء حيوانات سنتعرض لذكر بعضها .

(10) يسلك الصالح بعمله هذا سلوكا مخالفا لما عليه القبائل المصمودية التي منها رجراجة ، فهي تعتبر القنفذ من الحيوانات المتطير بها . وفي **معجم الرموز** أن هذا الحيوان رمز جماعة في طريق الاستقرار ، ولعل الجبليين الذين قدم استقرارهم تنكروا لهذه المرحلة وأرادوا تناسيها وتناسي رمزها فتطيروا به .

3 - ومنهم أبو عبد الله الرجراجي[11]

من أهل تالَغْتْ[12] من بلد رجراجة[13] وهو شيخ أبي زكرياء يحيى بن أبي موسَى بن أبي موسَى المليجي وخميس بن أبي زَرْج .

وحدثوا عنه أن أبا محمد عبد العزيز التونسي كان ينكر اتيان الناس إليه من الآفاق على وجه التبرك به إلى أن رأى النبي ﷺ في النوم . فأمره بزيارته . فقصده حينئذ عبد العزيز التونسي للزيارة من أغمات وريكة .

وحدثوا عنه أيضا أن رجلا من الصالحين عقد على نفسه أن يقصد إلى مسجده ليقيم فيه أياما معلومة ليشاهده ولا يتعرض لرؤيته وكلامه . فحمل زادا يقوم به في الأيام التي عزم على الاقامة فيها . فنفد له ذلك الزاد قبل تمام الأيام التي نواها . وقعد في المسجد مهتما مستقبل القبلة لا يعلم بأمره أحد . فجاءه أبو عبد الله برغيف فوضعه في حجره وقال له : خذ يا من ليس له هم سوَى بطنه !

وحدثوا عنه أن أبا زكرياء المليجي جاء إلى داره ليزوره ؛ وكان طرف قوس قزح عند باب داره والطرف الآخر في موضع آخر . فلما خرج أبو عبد الله من داره قال : بسم الله الرحمن الرحيم . وجعل رجله على طرف قوس قزح ؛ فلم يزل يمشي عليه إلى أن هبط من الطرف الآخر . فصاح أبو زكرياء المليجي وقال : وصل

---

(11) هذه الترجمة والتي قبلها مما ليس في أخبارها للمؤلف سند مذكور ، فلعلها مما نقله عن كتاب **أخبار صالحي رجراجة وعلمائها** الذي يذكره في ترجمة تلميذ أبي عبد الله الرجراجي وهو أبو زكرياء (رقم 20) .

(12) تَالَغْتْ أو تالَخْتْ كما في بعض النسخ معناها : الوحَلْ أو الطين الأحمرِ الذي تصنع منه الأواني الفخارية .

(13) رجراجة جمع رجراجي وأصلها إيرْكْرَاكْنْ ومفردها أرْكْرَاكْ وهو من فعل أرْكْ الذي معناه بارك ومنه تارَّاكْتْ وهو موكب التبريك وأرْكْرَاكْ هو المتبرك به ، ولعل لهذه التسمية علاقة بما يذكر لهم من السابقة في الاسلام ، وكان موطنهم ممتدا على مناطق واسعة وتقلص اليوم إلى جبل الحديد حول أقرمود .

الرجال إلى هذه المنازل وانا هكذا ! وخر مغشيا عليه . فلما أفاق هام على وجهه ثم أقبل على الجد والكد إلى أن لحق بالأفراد .

فاطْوِ ٱلْغَرَائِبَ عَمَّنْ لَيْسَ يَعْرِفُهَا فَرُبَّمَا جَرَّتِ ٱلْأَقْدَامَ لِلزَّلَلِ
ولا تُدَاوِ سَقَاماً لَستَ تُبْرِئُهَا مِمَّن تَخَبَّطَ تَحْتَ ٱلْغَيِّ وَٱلْكَسَلِ[14]

4 – ومنهم أبو عمران موسَى بن عيسَى ابن أبي حاج الفاسي[15]

أصله من مدينة فاس ونزل القيروان فأخذ عن أبي الحسن القابسي[16] ثم رحل إلى بغداد . فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب . ثم عاد إلى القيروان وبها مات لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة . وكان مقدما في الفضل والإمامة . نقل أبو عبد الله محمد بن عمار الميورقي[17] عن أبي القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الديباجي[18] قال : جرت عندنا بالقيروان مسألة في الكفار هل يعرفون الله تعالى أم لا . فوقع فيها اختلاف كثير وتنازع بين العلماء وتجاوز ذلك إلى العامة . وكان أكثر ما يلهج بها رجل من المؤدبين يركب حماره ثم يذهب من واحد إلى آخر لا يترك متكلما ولا فقيها إلا ويناظره في هذه المسألة . فذكرت الحكاية لرجل

---

(14) من البسيط .

(15) راجع **ترتيب المدارك** : 4 : 702 (طبعة بيروت) **وجذوة الاقتباس** : 1 : 344 **والاستقصا** : 2 : 6 وعبد الله كنون : **أبو عمران الفاسي** ، في ذكريات مشاهير المغرب ، وعبد القادر زمامة : **أبو عمران الغفجومي** ، في مجلة **البينة** ، العدد الثالث . وغفجومة الذين ينتسب إليها من تادلا ، وهم قوم الشاعر أبي العباس الكورائي أو الجراوي وهم أيْتْ أوغفْكُمي بجيم مصرية عليها سكون وضم ومعناه المستوطنون على الممر أو المضيق أو المدخل .

(16) علي بن محمد بن خلف المعافري القروي . شيخ المالكية بإفريقية في عصره ولد سنة 324هـ وتوفي بالقيروان سنة 403هـ . راجع **وفيات الأعيان** : 3 : 320 **ووفيات ابن قنفذ** : 227 .

(17) نزل بجاية وسمع منه أبو بكر بن العربي في رحلته إلى المشرق سنة 485 ووصفه بالعلم راجع : **ترتيب المدارك** : 4 : 826 **والتكلة** : 1135 .

(18) راجع **التكلة** : 1817 (طبعة مدريد) **وجذوة الاقتباس** : 383 .

من تجار العامة ركبت معه البحر فقال لي : على الخبير بها سقطت ! هذه المسألة كما أخبرك الشيخ أبو القاسم عبد الجليل بجريانها حتّى تمارى الناس فيها عندنا بالأسواق وقام بعضهم لبعض وخرجوا عن حد الاعتدال [من الجدال][19] إلى القتال . فقال قائل منا : لو ذهبنا إلى الشيخ أبي عمران لشفانا من هذه المسألة . قال : فقمنا إليه جماعة أهل السوق . فأتينا باب داره واستأذنا عليه ، فأذن لنا فدخلنا عليه فقال : ما لكم ؟ فقلنا له : اصلح الله الشيخ ، انت تعلم أن العامة إذا حدثت بها حادثة إنما يفزعون إلى علمائهم وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك وما لنا شغل في الأسواق إلا الكلام فيها والخوض فيها حتّى يقوم بعضنا لبعض . فقال لهم الشيخ : إن أنتم أنصتم وأحسنتم الاستماع أجبتكم بما عندي . فقلنا : ما نحب منك إلا جوابا على مقدار أفهامنا . فقال لهم : بالله التوفيق ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلينا وقال : لا يكلمني منكم إلا واحد ويسمع الباقون . قلنا له : نعم . فقصد واحدا منا وقال له : أرأيت ، لو أنك لقيت رجلا فقلت له : أتعرف الشيخ أبا عمران الفاسي ؟ فقال لك : أعرفه ، فقلت له : صفه لي . فقال : نعم ، هو رجل يبيع البقل والحنطة [والزبيب][20] في سوق ابن هشام[21] ويسكن [بصرة][22] . أكان يعرفني ؟ قال له : لا . قال : فلو لقيت آخر ، فقلت له : أتعرف الشيخ أبا عمران ؟ فقال لك : أعرفه ، فقلت له : صفه لي . فقال لك : نعم ، هو رجل يدرس العلم ويدرسه ويفتي الناس ويسكن بقرب السماط[23] . أكان يعرفني ؟ قال له : نعم . قال له : والأول ما كان يعرفني . قال : لا . قال لهم الشيخ : فكذلك

---

(19) ف : من الجد .

(20) س : والزيت ، وكذلك في **ترتيب المدارك** .

(21) من أسواق صبرة الشهيرة في عهد الفاطميين والزيريين .

(22) كذا في جميع النسخ وهو خطأ والصحيح : صبرة كما في **ترتيب المدارك** : 3 : 148 مخطوط : د 2633 . أما طبعة بيروت فسقطت منها الفقرة التي فيها هذه الكلمة . وصبرة كانت مقر الأمراء الفاطميين والزيريين أي الحاضرة السياسية والادارية للقيروان ، بناها المنصور إلى جانبها . وقد أفل نجمها عندما انتقل مركز الحكم إلى المهدية ثم إلى تونس وتهدمت سريعا لأنها كانت مبنية بالطوب . راجع :
Revue Tunisienne 1931, PP. 309-339

(23) هو الشارع الرئيسي المسقوف في القيروان الذي كانت على جانبيه الدكاكين ويمتد من باب تونس شمالا إلى باب أبي الربيع جنوبا . راجع :
Idris (R.H.) — **La Berberie Orientale sous les Zirides, t. 1, P. 417.**

الكافر ، إذا قال إن لمعبوده صاحبة وولدا وانه جسم من الأجسام وقصد بعبادته من هذه صفته فلم يعرف الله ولا وصفه بصفته وهو بخلاف المؤمن الذي يقول إن معبوده ٱللَّه الأَحَد الصَّمَدُ الَّذِي «لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» فهذا قد عرف الله ووصفه بصفته وقصد بعبادته من يستحق الربوبية سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . قال : فقامت الجماعة إليه وقالوا له : جزاك الله من عالم خيرا ! لقد شفيت ما في نفوسنا . ودعوا له كثيرا وانصرفوا عنه . ولم تجر هذه المسألة بالقيروان بعد ذلك المجلس واكتفوا فيما بقول الشيخ وبيانه رحمه الله تعالى .

5 – ومنهم واجاج بن زلُّو اللمطي[24]

من أهل السوس الأقصى . رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس فبنَى دارا سماها بدار المرابطين[25] لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة[26] يزورونه ويتبركون بدعائه وإذا أصابهم قحط استسقوا به . فسمعت الشيخ أبا موسَى عيسَى بن عبد العزيز الجزولي[27] يقول : أصاب الناس جدب

---

(24) أكاك بجيم مصرية عليها فتح وشد وجيم مصرية أخرى في الأخير عليها سكون معناه في لسان صنهاجة والتوارڭ : الشخص الملم بالقرآن ومبادئ الدين (راجع **قاموس دوفوكو** ج . 1 ص 408) فيكون واجاج هو ابن الطالب . وزلُّو بزاي ساكنة ولام عليها ضم وشد . وقد كان واكاك من تلامذة أبي محمد بن تيسييت بأغمات قبل قيام المرابطين وكان من بين طلبة هذا الشيخ الذين جاهدوا برغواطة (**كتاب القبلة** : 16) راجع : **الأنيس المطرب بروض القرطاس** : 123 **والاستقصا** : 2 : 6 **وايليغ قديما وحديثا** : 7 وفيه إشارة إلى عقبه بسوس . وفي طبقات الحضيكي (مخطوط خ . ع : د 1124) ص 201 وفيه أنه ابن زلوان ، وفي **المعسول** : 11 : 30 ، أن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب ومدفنه بأكلو بساحل البحر بـ (سوس) الأقصَى بين ماسة ، وهو مشهور هناك يزار . وقد ذكر في المصدر الأخير أن التاحلي قال : «ولم أقف على وفاته» وليس ذلك في النسخ التي راجعناها . وذكر محمد بن عبد الله الروداني في هامش صفحة 7 من **ايليغ** أن وفاته كانت سنة 445هـ دون ذكر المصدر .

(25) راجع **المعسول** : 11 : 38 .

(26) سكان قبائل في جبال الأطلس والسهول المجاورة لها جنوب أم ربيع ، تفصيلها في **كتاب البيذق** وفي **كتاب العبر** ج 6 . وهم إيمْصْمُودْنْ مفرده أمْصْمُودْ ولعل الصاد في الأصل زاي مفخمة كالتي في صودة .

(27) هو من شيوخ المؤلف كان من أساطين العربية (راجع مقدمة التحقيق) وترجمته في سفر

بنفيس[28] فذهبوا إلى واجاج بن زلو اللمطي وهو بالسوس. فلما وصلوه، قال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا له: قحطنا وجئناك لتدعو الله لنا أن يسقينا. فقال لهم: إنما مثلكم كمثل قوم أبصروا جبح نحل فظنوا أن فيه عسلا! ولكن انزلوا عندي فانكم أضياف. فأضافهم ثلاثة أيام، فلما عزموا على الانصراف وجاؤوه لوداعه ليرجعوا إلى بلادهم قال لهم: إياكم أن ترجعوا من طريقكم الأولى التي أتيتم فيها فارجعوا من طريق أخرى لتسكنوا في الغيران والكهوف من الأمطار. فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحاب بالأمطار ودامت عليهم الأمطار فلم يصلوا إلى بلادهم إلا بعد ستة أشهر.

لِلْأَوْلِيَاءِ مَنَاقِبٌ مَشْهُورَةٌ
فَاشْهَدْ بِهَا حَقَّ الشَّهَادَةِ وَاقْطَعِ *

= الغرباء من **الذيل والتكملة** الذي يحققه عن نسخة فريدة الدكتور محمد بن شريفة وقد نقل تلك الترجمة العباس بن إبراهيم في **الاعلام**: 9: 404. وفيها أنه ابن يلبخْتْ أويلا البخت ومعناه مسعود؛ ابن وماريلي، واجتهادنا أن معناه: العزيز لأن المصامدة يقولون: أمارْإيلًا أو أماريلي مركبة من أمار ومعناه هنا: بالله، وإيلًا أو إيلّي ومعناه كائن أو موجود، والواو في أوله اقتضاه الوصل بما سبق فأبدلت عن ألف. وهو كُزُوْلي أي من إيكُوزُولنْ التي تكتب عادة: جزولة: وهو إزْدكْتي نسبة إلى قومه فرقة من ايكُوزولن، وقال ابن عبد الملك: وأمه: تيلّان وهو مقتضب تين لا مان ومعناه: صاحبة الأمان (راجع **مفاخر البربر**، ص 64). واجتهادنا أن التسمية تتضمن دعاء من باب النسب للمعنى المدعو به. وهي بنت تيفاوت ومعناه الضياء كما قال. وقال: وموضعه من قزولة يدعَى إيدا وغردا، وشرح معناه ولكن موضع الشرح امحَى من المخطوط، وهم: المنسوبون للفار، ويعرفون إلى اليوم. وقال ابن عبد الملك: «وهو أول من أدخل صحاح الجوهري إلى المغرب وله مصنفات في النحو مفيدة (...) ولما حضرت المنصور (الموحدي) الوفاة عهد أن يتولى غسله أبو موسَى تبركا به فكان كذلك» وذكر أن ابنه الناصر وجهه في قضية إلى أزمور فتوفي هنالك ليلة السبت الثالثة عشرة من شعبان سنة سبع وستمائة ودفن بتربة أبي شعيب.

(28) لم يحدد هنا ما إذا كان يقصد مدينة نفيس التي تحدث عنها أصحاب المسالك والممالك وهي منقرضة وقد أعيي الباحثين التخمين في تحديد موقعها انطلاقا من النصوص، أم يقصد وادي نفيس في مجراه الأسفل قبل التقائه بتانسيفت وهو محل عمارة إلى اليوم. وقد ذهب العبدري في **رحلته** (ص 159) إلى القول بأن البكري وهم في ظنه أن نفيس مدينة وإنما نفيس واد لا غير، ولم يقدر أن الزمان الذي بين عهد البكري وعهده وهو

وَرَدَ ٱلْكِتَابُ بِهَا وَسُنَّةُ أَحْمَدٍ
فَٱشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى ٱلْحُسَامِ ٱلْأَقْطَعِ
خَرْقُ ٱلْعَوَائِدِ مُمْكِنٌ لَاسِيَّمَا
فِي حَقِّ أَصْحَابِ ٱلْمَقَامِ ٱلْأَرْفَعِ
قَوْمٌ فَرَائِضُهُمْ وَمَنْدُوبَاتُهُمْ
مِنْهُمْ بِمَرْأَى لَا يَغِيبُ وَمَسْمَعِ
قَطَعُوا ٱلظَّلَامَ تَأَمُّلاً وَتَمَلْمُلاً
وعُيونُهُمْ تَمْرِي عُيونَ ٱلْأَدْمعِ
وَتَسَارَعُوا نَحْوَ ٱلْمَدَى وَوَرَاءَهُمْ
مِنِّي وَمِنْكَ كَوَادِنٌ لَمْ تُسْرِعِ
وَرَدُوا بِحَارَ مَوَاهِبٍ مَخْتُومَةٍ
عَنْ غَيْرِهِمْ وحُرِمْتَ رِيَّ ٱلْمَشْرَعِ
لَوْ كُنْتَ مِثْلَهُمُ لَنِلْتَ مَنَالَهُمْ
لَكِنْ نَزَعْتَ خِلَافَ ذَاكَ ٱلْمَنْزَعِ
أَتَقِيسُ نَفْسَكَ يَا جَبَانُ بِمِقْدَمٍ
أَتَقِيسُ نَفْسَكَ يَا عَصِيُّ بِمِطْوَعِ
وَمِنَ ٱلْمُحَالِ مَعَ ٱلتَّفَاوُتِ أَنْ يُرَى
مَاضِي ٱلْجَنَانِ مَعَ ٱلْجَبَانِ بِمَوْضِعِ
لَا تَسْمُوَنَّ وَفِي ٱلْفِعَالِ مُحَطَّةٌ
سَبَقُوكَ أَيَّامَ ٱلْبَطَالَةِ فَٱرْجِعِ
قَسَمٌ يُخَصُّ بِهَا ٱلسَّرِيعُ إِلَى ٱلتُّقَى
لَوْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ لَمْ تُمْنَعِ

▪ أكثر من قرنين كاف لطمس حضارة كاملة . ومما يستأنس به في تحديد تقريبي لموقع المدينة المذكورة ما جاء في **كتاب الأنساب** (ص 46) حيث ذكر أنها بين تايْزَلْتْ ودركالة وهو موضع إنْمِّيغَرْنْ ، وموضع تايزلت وإنميغرن معروفان إلى اليوم .

(ه) من الكامل ، وعجز البيت السابع في **إظهار الكمال** : وعيونهم تجري بفيض الأدمع وانظر : **الروض اليانع** .

إنْ لَمْ تُعَايِنْ فِي ٱلْبِطَالَةِ مُفْلِحاً
فَأَصِخْ بِقَلْبِكَ قَبْلَ أُذْنِكَ وَٱسْمَعِ

6 ـ ومنهم أبو محمد عبد العزيز التونسي[29]

أصله من تونس وأخذ الفقه عن أبي عمران الفاسي وأبي اسحاق التونسي[30] واستقر أخيرا بأغمات وبها مات سنة ست وثمانين وأربعمائة ودرس الناس الفقه ثم تركه لما رآهم نالوا به الخطط والعمالات وقال : صرنا بتعليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص . وكان ورعا متقللا من الدنيا ، هاربا من أهلها . حدثني بذلك كله أبو القاسم أحمد بن يزيد عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري عن أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي[31] .

إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطُنَا طَلَّقُوا ٱلدُّنْيَا وَخَافُوا ٱلْفِتَنَا
فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

---

(29) راجع : **الصلة** : 807 **والإعلام** : 1249 . وقبره بقرية قرب اغمات ويعرف هنالك بسيدي التونسي . وقف عليه ابن مليح ، وذكر في **أنس الساري والسارب** ص 15 أنه أبو عبد الله بن محمد.

(30) هو الفقيه الجليل إبراهيم بن حسن بن إسحاق ، كان مدرسا بالقيروان وامتحن فيها مع الفقهاء سنة 437هـ . راجع **ترتيب المدارك** : 4 : 766 (طبعة بيروت) **والديباج** : 1 : 279 . وفي **وفيات** ابن قنفذ أن وفاته كانت سنة 443هـ.

(31) هو علم سبتة والمغرب في العلم والورع ، ولد بسبتة سنة 476 وتوفي بمراكش سنة 544هـ . راجع مقدمة تحقيق هذا الكتاب في موضوع عدم ورود ترجمته بين رجال **التشوف** . وراجع : **التعريف بالقاضي عياض** لولده أبي عبد الله محمد ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، من منشورات وزارة الأوقاف بالرباط ، وراجع ز **الغنية** ، فهرسة شيوخ القاضي عياض ، تقديم وتحقيق ماهر زهير جرار ، نشر دار الغرب الاسلامي . وراجع العدد 19 من مجلة **المناهل** الذي أصدرته وزارة الثقافة بالمغرب خاصا بالقاضي عياض في شهر دجنبر سنة 1980 . وأضيف إليها أن للقاضي عياض مزارات تحمل اسمه إلى اليوم ببعض قرى جبال الأطلس تدل على نفوذه في عقر دار الموحدين .

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَٱتَّخَذُوا صَالِحَ ٱلْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا[32]

حدثنا يحيى بن عبد الرحمن[33] عن محمد بن عبد الرحمن بن الأخنس عن شيوخه أنهم سألوا عبد السلام التونسي عن عمه عبد العزيز وعن أحواله فقال : لا أطيق أحواله ولا أقدر عليها ؛ فمنها اني كنت أسيح معه على ساحل بحر المغرب . فأقمنا أياما لم نجد شيئا نأكله إلى أن أضر بنا الجوع . فبينا نحن نسير يوما على ساحل البحر إذ قال لي : يا عبد السلام ، هذا القوت ! فنظرت ، فإذا سمكة قد لفظها البحر ؛ فقطعت منها بالسكين فقلت له : أحمل هذا إلى أن أجد الملح والنار فأصنع منه ما نأكله فقال لي : يا عبد السلام أفي كل مكان يوجد الملح والنار ؟ فأخذ القطعة من السمك ونهش نهشة بأسنانه وابتلع وقال لي : أما أنا فقد اكتفيت . وأما أنا فلم أقدر أن أفعل كما فعل .

وحدثوا عن عبد العزيز أن المصامدة أخذوا عنه الفقه ثم عادوا إلى بلادهم فسادوا في أقوامهم بما تعلموه من الفقه وصاروا قضاة وشهودا وخطباء وغير ذلك من المراتب . فذهب عبد العزيز في بعض سياحته إلى أقصى أرض المغرب فكلما مر بقوم تلقوه . فوجد تلامذته قد نالوا الخطط والمراتب بما تعلموه منه ، فقطع تدريس الفقه وأمر تلامذته بالنظر في **رعاية** المحاسبي[34] ونحوها من علوم التصوف إلى أن عثر على بعض تلامذته وقد وقعوا من جهل الفقه في الربا . فقال : سبحان الله كرهت تدريس الفقه خوفا من أن تنال به الدنيا ، فضيعتم معرفة الحلال والحرام ! فعاد إلى تدريس الفقه . وكان عبد العزيز زاهدا في الدنيا ، متقشفا ، وكان يقتات مدا من الشعير في اثني عشر يوما وهو ، مع ذلك ، قادر على تدريسه وأوراده . فإذا اقتات مدا في عشرين يوما لم يضعف إلا عن التدريس خاصة .

---

(32) منسوبة للإمام الشافعي في **ديوانه** : 12 ، وكان الطرطوشي ينشدها كثيرا ، نفح الطيب 2 : 87 .

(33) يحيى بن عبد الرحمان بن عبد الله ، تلمساني نزل مراكش ، اعتمده المؤلف في أخبار التلمسانيين خاصة .

(34) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البصري الأصل الزاهد المشهور . توفي سنة 243 . وكتابه : **الرعاية لحقوق الله والقيام بها** ، حققه عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ونشر بالقاهرة سنة 1958 . راجع الجزء الثاني من الترجمة العربية لكتاب **تاريخ التراث العربي** لفؤاد سزكين ، ص 437 .

7 – ومنهم امرأة مجهولة

رأيت قبلي مدينة أغمات وريكة على قرب من قبر عبد العزيز التونسي قبرا يتبرك الناس به ويدعون عنده ويذكر أنه قبر أخت عبد العزيز التونسي وأنها انقطعت إلى عبادة الله تعالى إلى أن ماتت وهي بكر. وأن عبد العزيز كان إذا جاءه أحد يستوهب منه الدعاء يأمره أن يذهب إليها لتدعو له.

وَجُودِي أَنْ أُغِيبَ عَنِ ٱلْوُجُودِ لِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ ٱلشُّهُودِ
وَمَا فِي ٱلْوَجْدِ لِي فَخْرٌ وَلٰكِنْ فَخَرْتُ بِوُجْدِ مُوجِدِ ٱلْوُجُودِ[35]

8 – ومنهم أبو محمد صالح بن محمد ابن عبد الله بن حِرْزِهِم[36]

من أهل فاس وهو عم أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم[37]. وكان قد رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقي هناك الإمام أبا حامد الغزالي ثم عاد إلى فاس ومات بها.

وحدثونا عنه أنه لما زار بيت المقدس انقطع بقرية قريبة منه. فقدمه أهل تلك

---

(35) من الوافر.

(36) راجع **جذوة الاقتباس** : 377، **والروض العاطر الأنفاس** : 6 وكلاهما نقل عن المستفاد، وانظر **سلوة الأنفاس** : 3 : 69. وقد ذكر هذا الأخير وجوه نطق حرزهم باختلاف الرواة وهي حِرزِهم وحَرَازِمْ وحَرَزَهم وقال ان هذه الصيغة الأخيرة جاءت في نسخة عتيقة من **التشوف**. وقد جاء في **بغية السالك** للساحلي (مخطوط : ك 2630 ص 130 : «ورأيته بخط أهل العناية بالضبط والتصحيح ابن حَرَازَمْ» وفي نظرنا أن هذا النطق أقرب إلى ما يمكن أن يكون أصل الكلمة وهو : إحْرَا إزَمْ، وإحْرا في لسان الأمازيغ : ساق. وإزَمْ هو الأسد إشارة إلى أن الكرامة الشهيرة عن الصلحاء ومنهم ابن حرزهم هي مؤالفة الأسد، حتَّى إن الكرامات في لسان البربر يُطلق عليها إزْماوُون وهي الأسود. ولا تدخل هذه الصيغة فيما ذهب إليه جورج كولان في الهامش 385 على الترجمة الفرنسية لكتاب **المقصد** للبادسي حيث ظن أنها من قبيل : سِيدَهُمْ ولالاَّهُم، فتلك تقابلهم في الأمازيغية الصيغ التي في أواخرها نون مثل : يدْراسن وكليداسن، الخ.

(37) تأتي ترجمته بعده تحت رقم 51.

القرية للصلاة يؤم بهم في مسجد تلك القرية . فأقام هناك إلى أن أقبل الإمام أبو حامد ، رحمه الله ، في جماعة من تلامذته . فنزلوا في ذلك المسجد وكان فيه عريش عنب قد ظهر فيه الحصرم . فقال لأبي حامد تلامذته : اشتهينا حصرمة . فقال لهم : سلوا إمام المسجد على من حبس عنب هذه الشجرة ، أعلى الإمام ، أم على المؤذن أم على المسجد أم على من هو حبس حتّى يعلمكم . فسألوا أبا محمد . فقال لهم : لا أدري على من حبس ولا تعرضت له ولا أكلت شيئا منه قط . فأخبروا أبا حامد بذلك . فقال لهم : هذا مغربي ، له أعوام في هذا المسجد ، لم يتعرض لهذا العريش ولا عرف خبره وأنتم من ساعة واحدة لم تملكوا أنفسكم .

لِمَنْ طَالِعَاتٌ فِي ٱلسَّرَابِ أُفُولُ   يَمِيلُ بِهَا ٱلحَادُونَ وَهْيَ تَمِيلُ
هَوَاهَا وَرَاءٌ وَٱلسُّرَى مِنْ أَمَامِهَا   فَهُنَّ صَحِيحَاتُ ٱلنَّوَاظِرِ حُولُ[38]

9 – ومنهم أبو الفضل يوسف بن محمد ابن يوسف المعروف بابن النحوي[39]

من قلعة بني حماد[40] وأصله من توزر ، دخل سجلماسة[41] وفاسا ، ثم عاد

(38) راجع **ديوان مهيار الديلمي** : 3 : 188 . والبيت الأول فيه هكذا :
لمن طالعات في السراب تجول   يـقـوّمـهـا الحادون وهي تميـلُ

(39) راجع **الذيل والتكملة** ، سفر الغرباء (مخ) : 211 وفيه أنه توفي في محرم وهو ابن ثمانين سنة . وراجع : **القرطاس** : 33 – 34 . وجنى **زهرة الآس** : 96 **والبستان** : 299 **والاستقصا** : 2 : 74 . ونيل **الابتهاج** : 383 .

(40) هي قلعة أبي الطويل . راجع **الروض المعطار** بتحقيق الدكتور احسان عباس ، ص 469 . وكذا بشأن توزر ، ص 144 .

(41) سجلماسة مدينة في تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب ، عرفت ازدهارا عظيما بفضل التجارة خلال القرون السبعة الهجرية الأولى . راجع في معنى اسمها بحث :
Mezzine (Larbi) — Note sur l'étymologie du toponyme Sijilmasa in Hespéris-Tamuda, vol. 21 — 1984.
وراجع في موضوع بنائها وأحوالها كتاب **الروض المعطار** الذي نقل عن كتب المسالك وفي موضوع أفول نجمها وخرابها راجع : **وصف افريقيا للوزان** وهامشا على ترجمته للدكتور محمد حجي ص 121 من الجزء الثاني وكذا **تقييدا في التعريف بسجلماسة** لأبي محلي . مخطوط خ. ح رقم 2634 . **والحركة الفكرية في عهد السعديين** : 2 : 519 و528 للدكتور محمد حجي **وتقييدا في تاريخ سجلماسة لابن زيدان** (مخطوط خ . ح . رقم =

إلى القلعة وبها مات سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. صحب أبا الحسن اللخمي[42] وأخذ عن أبي الفضل أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمامة[43] وأبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي[44] وغيرهما. وكان أبو الفضل من أهل العلم والفضل وعلى هدى السلف الصالح. ولما أفتى فقهاء أهل المغرب بإحراق كتب الغزالي وأمر السلطان بإحراقها انتصر لأبي حامد، رحمه الله تعالى، وكتب إلى السلطان في ذلك.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال: أخبرني الاستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري السقطي[45] عن ابن حرزهم قال: لما وصل إلى فاس كتاب علي بن يوسف بالتحريج* على كتاب الإحياء وأن يحلف الناس بالأيمان المغلظة أن الاحياء ليس عندهم، ذهبت إلى أبي الفضل أستفتيه في تلك الأيمان. فأفتى بأنها لا تلزم. وكانت في محمله أسفار فقال لي: هذه الأسفار من كتاب **الإحياء** ووددت أني لم أنظر في عمري سواها. وكان أبو الفضل قد انتسخ **الإحياء** في ثلاثين جزءا. فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا. وكان الغالب عليه الحضور مع الله تعالى. فيقال إنه بات عنده ضيف؛ فدخل في بيت يصلي فيه. فكثر اللغط وارتفعت الأصوات في الدار فقال الضيف لابنه: أما تشغلون خاطر

12224) حيث ذكر أن أهل سجلماسة اختلفوا مع السلطان الأكحل فحاصرها واشتغل بتغوير ماء العين التي تُسقى منها فكان ذلك سببا في خلائها. ولعله يشير إلى حصار أبي الحسن المريني أخاه أبا علي بسجلماسة حتى اقتحمها عليه سنة 734هـ (**الاستقصا**: 3: 120).

(42) علي بن محمد الربعي، من فقهاء المالكية، أصله من القيروان، مات بسفاقس سنة 478هـ راجع **عنوان الدراية**: 101 والمصادر التي ذكرها المحقق.

(43) فقيه ولد بقلعة بني حماد سنة 478هـ ودخل الأندلس تاجرا وطالبا للعلم وعاد إلى فاس فتولى قضاءها وأخذ عنه. راجع سفر الغرباء من **الذيل والتكملة**، ص 103. **وسلوة الأنفاس**: 2: 120. **ومعجم أعلام الجزائر**: 164.

(44) من جلة الفقهاء في وقته تولى القضاء بمراكش وبها توفي سنة 535هـ. راجع: **الصلة**: ص 614. **والإعلام**: 7: 288.

(45) كذا في جميع النسخ وقد سقط منه، علي بن محمد وعبد الله.

(*) بمعنى التضييق، وفي احدى نسخ ط: التحريم. راجع **الحلل الموشية**: 104، في موضوع كتاب الأحياء والموقف منه.

الشيخ بهذا في صلاته ؟ فقال له ابنه : إنه إذا دخل في الصلاة لم يشعر بذلك . فتعجب الضيف من قوله كالمنكر له . فأخذ ابنه السراج وأدناه من عيني أبي الفضل وهو في صلاته فلم يحس به لحضوره مع الحق وغيبته عن الخلق .

ومر به رجل وهو يمشي في طرق فاس فقال له : أين الطريق إلى سوق البقر ؟ فقال له أبو الفضل : هو الذي تمشي فيه .

إنْ كُنْتُ أدْرِي مِنَ أيْنَ آتِي وَأيْـنَ مِنْ خَـيْـرَةٍ أمُـرُّ
فَـأنْتَ يَـا مَـرْكَبِـي حَبِيسٌ وَيَـا غُلامِي فَـأنْتَ حُـرُّ(46)

حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال : أنشدني أبو العلاء إدريس بن محمد الكتامي قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر القيسي المعروف بابن الرمامة قال : أنشدني أبو الفضل :

أصْبَحتُ فِيمَنْ لَهُ دِينٌ بِلا أدَبٍ
ومَنْ لَهُ أدَبٌ عَارٍ مِنَ ٱلدِّينِ
أصبحْتُ فِيهِمْ فَقِيدَ ٱلشَّكْلِ مُنْفَرِداً
كَبَيْتِ حَسَّانَ فِي دِيوَانِ سَحْنُونِ(47)

أشار ، رحمه الله ، إلى البيت الذي لحسان في كتاب الجهاد من **المدونة** وهو قوله :

فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَـرِيقٌ بِـٱلْبُوَيْـرَةِ مُسْتَـطِيرُ

وكان يقال : نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي لأنه كان مجاب الدعوة .

حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري وغير واحد عن عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن علي بن حرزهم ان أبا الفضل كان يلبس البياض . فدخل عليه شاب من طلبة العلم . فبادر يسلم عليه ، فأراق المداد على ثوب أبي الفضل من محبرته فخجل من ذلك فقال له أبو الفضل ، رفعا للخجل عنه : كنت أقول : أي لون أصبغ به هذا الثوب ؟ فالآن أصبغه حبريا . فجرده وبعثه إلى الصباغ .

---

(46) ج : فأنت يا مركبي حُبس .
(47) من البسيط .

حدثنا علي بن عيسَى قال : حدثني أبو محمد عبد الله بن عثمان قال : حدثني أبو الحسن علي بن حرزهم قال : أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل بن النحوي متَى لقيته ولو لقيته في اليوم مائة مرة . فبعثني يوما إليه ليدعو لي . فأتيته وقت غروب الشمس فوجدته يتوضأ . فلما فرغ من وضوئه نظرت إلى الإناء فكأنه لم ينقص منه شيء . فلما غربت الشمس أذن وأقام وصلَّى وصليت معه . فلما أراد أن يكبر نظرت إلى ثوبه الذي على كتفه يتحرك حركة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ثم قرأ قراءة مبينة يسردها حرفا حرفا . فلما سلم دعا لي فانصرفت إلى أبي فحدثته وقلت له : رأيته صلَّى عند غروب الشمس قبل الوقت الذي يصلي فيه أهل البلد . فأهوَى إلي بيده ولطمني وقال لي : أتتكلم في ولي من أولياء الله تعالى وهل وقت المغرب إلا ذلك الوقت الذي صلَّى فيه أبو الفضل وإنما الناس ابتدعوا في التأخير عن ذلك الوقت . ثم أمرني أبي أن أحكي له فعل أبي الفضل من أوله إلى آخره ففعلت . فقال لأمي وكانت حاضرة : هذا صبي نرجو من الله تعالى أن ينفعنا به فإنه وجد بركة أبي الفضل . ولقد رأيته حين دخل علي ، وعليه نور . فعلمت أن الله قد أجاب فيه دعوة أبي الفضل .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : حدثني أبو علي سالم بن سلامة السوسي[48] أن أبا الفضل لما قدم سجلماسة نزل مسجد ابن عبد الله ليدرس أصول الدين وأصول الفقه فمر عليه عبد الله بن بسام وكان من رؤساء البلد فقال : ما العلم الذي يقرئه هذا الإنسان ؟ فقيل له : أصول الدين وأصول الفقه وكانوا قد اقتصروا على علم الرأي . فقال : أرَى هذا أراد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها . فأمر بإخراجه من المسجد . فقام أبو الفضل من مكانه ثم قال له : أمت العلم ، أماتك الله ههنا . وكانت عادة أهل البلدان أن يعقدوا أنكحتهم بالسحر في المسجد . فكلم قوم عبد الله بن بسام أن يحضر لهم لعقد النكاح صبيحة اليوم الثاني . فأسحر وقعد بالمكان الذي دعا عليه فيه أبو الفضل . فمرت به من صنهاجة[49] قبيلة من

(48) ترجمته تأتي بعده تحت رقم : 128 .

(49) صنهاجة هم إِزْنَاكَنْ ، وهم مع مصمودة وزناتة يكونون المجموعات القبلية الكبرَى في المغرب مواطنهم متفرقة ، والمقصودون هنا هم صنهاجة القبلة أي الذين على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي أو وراءه على تخوم الصحراء . راجع كتاب **أخبار المهدي** الذي نشره ليفي بروفنسال ، ص 44 من النص العربي و68 من الترجمة . وفي قاموس لغة التوارك أن معنى إِزْنَاكَنْ كل صوت مبهم غير مبين صادر عن إنسان أو حيوان .

ملوانة[50] فقتلوه بالرماح .

فتوجه أبو الفضل إلى فاس فنزل في عقبة ابن دبوس القاضي[51] فجرَى له مع أهل فاس مثل ما جرَى له مع أهل سجلماسة ولقي من ابن دبوس مثل ما لقي من ابن بسام . فدعا على القاضي المذكور فأصابته أكلة في قرن رأسه فانتهت إلى حلقه فمات . ويقال أن أول ما أنكره على أهل سجلماسة أنه جاء إلى المسجد فأراد أن يصلي في موضع منه فقيل له : هذا موضع أبي فلان ، فجاء إلى موضع آخر فقيل له كذلك . فقال : ما ظننت أن مثل هذا يكون في بيوت الله تعالى .

وحدثني ابن أبي القاسم عن أبي علي سالم قال : لما دخل أبو الفضل سجلماسة أمر أن ينزل في دار قريبة من الحمام بعيدة من المسجد . فأنكروا عليه ذلك وسألوه فقال : خطاي إلى الحمام ، في حق بدني ، فأريد أن تكون قليلة ، وخطاي إلى المسجد فيها الأجر ، فأريد أن تكون كثيرة .

وحدثني محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله بن عثمان عن ابن حرزهم أن أبا الفضل لما أغار عليه ابن دبوس وعزم على الخروج من فاس قطع الليلة التي عزم على الخروج في صبيحتها بسجدة واحدة دعا في آخرها فقال : اللهم عليك بابن دبوس . فأصبح القاضي ميتا . سمعت أبا موسَى عيسَى بن عبد العزيز الجزولي يحدث بهذا الحديث فقال : لما خرج أبو الفضل من فاس شيعه تلامذته وفيهم ولد القاضي ، فأمره بالرجوع وقال له : ارجع لتحضر جنازة أبيك ، فرجع فوجد القاضي ميتا .

أَتَــهْـزَأُ بِــالــدُّعَــاءِ وَتَــزْدَرِيــهِ   تَــأَمَّــلْ فِــيكَ مَــا صَــنَعَ ٱلدُّعَاءُ
سِهَامُ ٱللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلَاكِنْ   لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ ٱنْقِضَاءُ[52]

= قويا كان أو ضعيفا . وعليه نرجح أن يكون معنى اسم صنهاجة هو ما ترجم باسم «البربر» الذي قيل إن معناه : من لا يبينون في أصواتهم ولغتهم ، وليست من باربار الذي كان يعني الأجنبي غير المواطن الروماني .

(50) ملوانة هم إمْلوان وكان من صنهاجة القبلة في بلد امرغَاد بتافيلالت . (راجع المصدر السابق ، **والترجمانة الكبرى** للزياني : 106) .

(51) هو عبد الحق بن عبد الله ابن دبوس اليفرني . كان بيتهم بيت علم وثروة بفاس ، وإليهم تنسب هذه العقبة ، توفي بفاس سنة 557هـ (**جذوة الاقتباس** : 388) .

(52) ورد البيتان في **ديوان الشافعي** : 24 .

حدثني يحيَى بن عبد الرحمن عن يحيَى بن أبي بكر بن الأخنس عن أبيه عن أحمد بن عشرة[53] قال : تزوجت ابنة عمي . فلما خرجت من عندها مررت بسوق الصيارفة فرأيت سلكا بيد دلال ينادي عليه بخمسمائة دينار . فاشتريته إلى أجل وحملته إلى ابنة عمي على عادة الناس في إتحاف العروس ولم يكن عندي من أين أقضي ثمنه . فلما بقي من أجله يوم بتّ متحيرا . فأسبغت الوضوء وصليت وجعلت أهتف طول ليلتي بدعاء كان قد علمنيه أبو الفضل وكان لا يقبل من أحد شيئا وإنما يأكل ما يساق إليه من بلده فإذا احتاج وتأخر عنه ماله دعا بذلك الدعاء فيفرج عنه . فلما طلع الفجر سمعت قارعا يقرع الباب فخفت أن يكون صاحب السلك فإذا هو رسول أبي . فقلت في نفسي : لعله صاحب الدين شكا إلى أبي . فأردت أن أكتم منه . فلم يكن بد من النهوض إليه . فلما دخلت عليه سألني عن حالي وآنسني وقال لي : ارفع ما تحت البساط . فحملت خريطة فإذا فيها ألف دينار فقضيت الدين بنصفه وأصلحت بعض حالي ببقيته . ويقال إن هذا الدعاء هو المأثور عن الخضر ، عليه السلام ، على ما ذكره الغزالي في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من **كتاب الإحياء** : اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء . وعلوت بعظمتك على العظماء . وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك ؛ وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك . وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك ، اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا ؛ اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ؛ أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك لمحسن إلي واني لمسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك ؛ تتودد إلي بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك ، فعد بفضلك وإحسانك علي ، إنك التواب الرحيم[54] .

ولما عاد أبو الفضل إلى القلعة أخذ نفسه بالتقشف وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف وكانت جبته إلى ركبتيه . فمر يوما بأبي محمد بن عصمة وكان

(53) راجع حول بني عشرة بحث الأستاذ محمد بنشريفة في مجلة **تطوان** . العدد العاشر .

(54) راجع : **الإحياء** . كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

فقيها مفتيا بالمدينة فلم يسلم عليه أبو الفضل لشغل باله. فعظم ذلك على ابن عصمة. فلما رجع أبو الفضل ناداه ابن عصمة محقرا له: يا يوسف! فلباه أبو الفضل وجاءه. فقال له: يا توزري صفرت وجهك ورققت ساقيك وصرت تمر فلا تسلم! فاعتذر له أبو الفضل فلم يقبل عذره وأغلظ له القول. فقال له أبو الفضل: غفر الله لك، يا أبا محمد، وانصرف عنه.

وَمَا تَنْفَعُ ٱلْآدَابُ وَٱلْعِلْمُ وَٱلْحِجاً ... وَصَاحِبُهَا بَعْدَ ٱلْكَمَالِ يَمُوتُ
كَمَا مَاتَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ وَغَيْرُهُ ... فَكُلُّهُمُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ خُفُوتُ[55]

10 – ومنهم أبو جَبَل يعلَى من أهل فاس[56]

ولقي بمصر أبا الفضل عبد الله بن حسن الجوهري[57] ومات عام ثلاثة وخمسمائة وقبره بجبل العرض بخارج مدينة فاس. وكان جزارا أسود إلى السمرة. ويقال إنه من الأبدال.

حدثني محمد بن علي الهواري قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوي[58] عن المراوي الزاهد أن أبا جبل حدثه أنه مشَى على جبل درن[59]

(55) ديوان ابن المعتز: 3 : 246 والغنية: 165 وفيها في عجز البيت الأول: وصاحبها عند الكمال يموت.

(56) أبو جبل هو أبو دُرار، وترجمته في جذوة الاقتباس: 560 والروض العاطر الأنفاس: 189 (نقلا عن المستفاد) وسلوة الأنفاس: 3 : 162.

(57) من أكابر المشايخ المصريين ذكره في الغنية ووسمه بالواعظ، في ترجمة أبي بكر بن عطية الذي صحبه (ص: 190 – 191) وذكره السخاوي في المزارات والنبهاني في جامع كرامات الأولياء (1 : 286) وقال: إنه مات منصرفا من الحج سنة 480هـ.

(58) ترجمته في التشوف تحت رقم 168.

(59) يسمى أدْرارْنْ دْرْنْ أي جبل دْرْنْ بسكون حروفه، ويطلق عادة على الأطلس الكبير الغربي جنوبي مراكش بين تِيزِي نــ أومَاشُو وتيزي نــ تْلُوات، لكن اطلاقه هنا قد توسع فيه ليشمل السلسلة الجبلية التي تعد امتدادا له في مجموع الشمال الافريقي. والتسمية قديمة واردة عند الجغرافيين القدماء مثل سطرابون وبلين. وقال في كتاب الأنساب (ص 3): «والجبل الذي هو في قبلة أغمات كان الأوائل يسمونه خشكو عماردت ملوية إلى ايغِيرْنْ يطُوفْ، ويسمى في المغرب الأوسط درن ويسمى ببلد هوارة بجبل أوراس ويسمى في المغرب الفوق: المقطم» وقد أورد اميل لاوست في دراسته

حتَّى انتهَى إلى طرف أوثان[60] . فاستقبل الإسكندرية ، فضل في الصحراء ونفد زاده فلقي رجلا مصفر الوجه فناوله رغيفين وغاب عنه . فلما دخل جامع مصر[61] وجد فيه أبا الفضل الجوهري وهو يتكلم . فقال له : ادن يا أبا جبل وهو أول من ناداه بأبي جبل . فدنا منه فإذا رجل مصفر الوجه قد قام عنه . فقال له الجوهري : أتعرف هذا ؟ قال : لا . فقال له : هو الرجل الذي ناولك الرغيفين في الصحراء .

وحدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد[62] ومحمد بن علي بن عبد الله الأنصاري[63] ومحمد بن خالص الأنصاري[64] قالوا كلهم : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني عن أبي الحسن بن حرزهم ، وبعضهم في حديثه زيادة على صاحبه فجمعت ذلك كله ، أن أبا جبل كان جزارا بفاس فكان يتورع في البيع والشراء فلا يشتري الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم ولا يبيع إلا من قوم بأعيانهم يقطع لكل واحد منهم قدر ما يكفيه .

فكان إذا صلَّى الصبح أقام في المسجد إلى أن يصلي الضحَى ويتعالى النهار فيخرج إلى دكانه بالسوق وقد ذبح تلامذته الغنم وأعدوها للبيع فيختطفها المبتاعون فيذهب ويغتسل ويتوضأ ويدخل المسجد ولا يزال متنفلا إلى أن يصلي الظهر ثم لا يزال متنفلا كذلك إلى أن يصلي العصر . ثم يجلس إلى حلقة الذكر والفقه إلى أن يصلي المغرب ، ثم لا يزال متنفلا إلى أن يصلي العشاء الآخرة فينصرف إلى أهله فيقوم إلى ورده بالليل . فأقام على ذلك اثنى عشر عاما وكان إذا علمه أحد آية من القرآن أو مسألة من دينه ، أعطاه درهما . فسمع أن الصالحين بأغمات وريكة . فنهض إليها وأقام بها سبعة أعوام متفرغا للعبادة ، ثم توجه إلى مكة فحج وجاور

= عن أسماء الأماكن في جبل دون مختلف التأويلات الممكنة لأصل هذه الكلمة (20) .

(60) قال في **الروض المعطار** عند ذكر باغاية : وعلى أميال منها جبل أوراس المذكور ، وهو يشق بلاد الغرب وبلد افريقية ، فطرفه من البحر الغربي حيث البحر المحيط حيث انتهى عقبة المستجاب رحمه الله ، وطرفه الثاني في البحر الشرقي بقرب الاسكندرية وهو المسمى بطرف أوثان الذي إذا عدته المراكب استبشرت بالسلامة .

(61) جامع الفسطاط وهي حاضرة مصر . انظر : **الانتصار لواسطة عقد الأمصار** . ص 59 .

(62) في س . وهـ ، أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن محمد .

(63) لعله ابن قطرال المتوفى بمراكش سنة 645هـ ؟

(64) أخذ عنه التادلي أخبارا كثيرا ، وهو من أهل مراكش وكان يتردد على سبتة ، وأخوه أبو العباس الأنصاري مترجم له في **التشوف** تحت رقم 234 .

تسعة أعوام . ثم نهض إلى مصر فكان يحضر مجلس أبي الفضل الجوهري في لفيف الناس لا يعرفه أحد . فانصرف إلى مدينة فاس . فلما قرب منها وقد أصابه جوع شديد أبصر الحصادين قد سيقت لهم ثردة الفول بالسمن . فاستولت عليه شهوة الطعام ومالت به رائحته . فقال في نفسه : أنا أسمر وهؤلاء الحصادون من جنسي ؛ فلعلهم يدعوني للمؤاكلة معهم . فمال إلى جهتهم فصاحوا عليه وانتهروه . فرجع على نفسه باللوم والتوبيخ فقال : والله لا أفلحت أبدا ! ولأعاقبن هذه النفس بالرجوع من هذا المكان ! ولا أدخل عليها السرور بلقية من كان يعرفها من الناس بفاس ! فانقلب راجعا ، فمر برابطة بعض المنقطعين فخرج إليه وصافحه واعتنقه وقال له : ان الله قد حماك من طعام الحصادين فانه حرام وقد أمرت زوجتي أن تصنع لك مثله . قال : فأخرج له مثل ذلك الطعام . فعمل خيمة قريبة من خيمته وعزم على المقام عنده . فجاءه سارقان ليلة ليأخذا عباءته فناشدهما الله أن ينصرفا عنه فأبيا . فقال : اللهم ادفعهما عني ! فاختطف الأسد أحدهما وهرب الثاني . وتسامع الناس بذلك فهرب من الشهرة وعاد إلى المشرق . فلما وصل إلى مصر دخل جامع عمرو بن العاص وأبو الفضل الجوهري يتكلم مع الناس فلما رآه ناداه : تعال ، يا أبا جبل ! فلما دنا منه اعتنقه وأجلسه بإزائه فرأى رجلا قد سد باب المسجد بطوله وعرضه ودنا من أبي الفضل ، فساره في أذنه وانصرف ؛ فقال له أبو الفضل : أرأيته؟ فقال له أبو جبل : نعم ؛ ولم يره من الحاضرين في المسجد غيرهما . فقال له : ذلك الخضر وقد قال لي : اقرئه مني السلام وبشره بأنه قد لحق بالأبدال وذلك على رأس أربعين سنة من إقباله على الله تعالى . قال أبو جبل : فلما بشرني بذلك اشتقت إلى أهلي وبلدي فاستأذنته في الرجوع إلى الوطن . فأمرني بإقامة أيام ثم قال لي : خذ هذه الدراهم لتتزود بها . فقلت له : ألهذا حبستني ! فأبيت من أخذها وقلت له : ما ضيعني قط قبل هذا فالآن يضيعني !

سَافِرْ لِتَكْسِبَ فِي ٱلْأَسْفَارِ فَائِدَةً
فَرُبَّ فَائِدَةٍ تُلْقَى مَعَ ٱلسَّفَرِ

ولا تُقِمْ بِمَكَانٍ لا تُصِيبُ بِهِ
دِيناً وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ ٱلظِّلِّ وَٱلزَّهَرِ

فَـإِنَّ مُـوسَـى كَـلِـيمَ ٱللَّـهِ أَعْـوَزَهُ
عِـلْمٌ تَـكَسَّبَهُ فِي لُقْيَةِ ٱلْخَضِرِ(65)

ولما عاد أبو جبل إلى فاس اعتكف في زاوية المسجد فلم يبرح منها حتّى لقي الله تعالى . وقحط الناس في بعض الأعوام فبعثوا إليه رجلا عساه أن يدعو لهم بماء المطر فما رجع الرجل حتّى غيمت السماء وغيث الناس .

تَـأَخَّـرَ ٱلنَّـاسُ وَٱلْأَبْـدَالُ قَـدْ سَبَقُوا
لَيْـسَ ٱلطَّلِيقُ كَمَنْ دَارَتْ بِهِ ٱلْحَلَقُ
وَٱلْـخَـلْـقُ فِـي ٱلْخَلْقِ أَمْثَالٌ مُـسَاوِيَةٌ
ولا مُـمَـيِّـزَ إِلاَّ ٱلْـوَصْـفُ وَٱلْـخُـلُـقُ
هَـلْ يَـسْـتَوِي مُتَـأَنٍّ فِـي بَطَالَتِـهِ
وَحَـازِمٌ نَـحْـوَ بَـابِ ٱلْقُـرْبِ مُنْطَلِقُ
أَلْـقَـوْمُ أَظْـمَـأَهُـمْ خَـوْفٌ فَـأَرَّقَـهُـمْ
فَـأَنْـتَـجَ ٱلْأَمْـنَ فِـيـهِـمْ ذَلِكَ ٱلْفَرَقُ
شَـدُّوا ٱلْـحَـيَـازِمَ وَٱشْتَدُّوا إِلَى عَلَمٍ
تَاهَتْ عَنِ ٱلـسَّعْيِ فِي إِدْرَاكِهِ ٱلْفِرَقُ
هُـمُ ٱلْـعُـكُـوفُ بِـبَـابِ ٱللَّـهِ تَكْرِمَةً
فِي ٱللَّـهِ إِنْ صَـمَتُوا بِٱللَّـهِ إِنْ نَطَقُوا
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ تَحْسِبُهُ
سَـيْـفـاً تَـفَـرَّى عَـلَـيْـهِ غِمْدُهُ ٱلْخَلَقُ
وَهَـلْ تَـشِـيـنُ بَـيَـاضَ ٱلصُّبْحِ لِبْسَتُهُ
مَـعَاوِزَ ٱللَّـيْـلِ وَهْـوَ ٱلْأَبْـيَـضُ ٱلْيَقَقُ
يُـقَـطِّـعُ ٱلـلَّـيْـلَ تَـفْـكِيراً وَتَـذْكِـرَةً
وَٱلـدَّمْـعُ مُـنْـدَفِـقٌ وَٱلْـقَـلْـبُ مُـحْـتَـرِقُ

---

(65) من البسيط ، وهي منسوبة في **الأنيس المطرب بروض القرطاس** (ص 170) لأبي جبل المترجم . ويستبعد أن تكون له . وفي **ديوان الشافعي** الأبيات التي أولها :
سافر تجد عوضا عمن تفارقه   وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

فَجِسْمُهُ فِي بِسَاطِ ٱلْأَرْضِ مُرْتَهَنٌ
وَقَلْبُهُ فِي بِسَاطِ ٱلْغَيْبِ مُخْتَرِقُ
فَفِي ٱلْهَوَاجِرِ أَحْلَى وِرْدِهِ ظَمَأٌ
وَفِي ٱلدَّيَاجِرِ أَهْنَا نَوْمِهِ أَرَقُ
سِيمَاهُ دَمْعٌ كَسَيْحِ ٱلْوَبْلِ تَبْعَثُهُ
جَوَانِحٌ فِي رِيَاضِ ٱلشَّوْقِ تَصْطَفِقُ
خَرْقُ ٱلْعَوَائِدِ مِنْهُمْ لَسْتَ تُنْكِرُهُ
وَكَيْفَ يُنْكِرُ نُورَ ٱلْأَنْجُمِ ٱلْأُفُقُ
يَا مَنْ تَشَكَّكَ جَهْلاً فِي كَرَامَتِهِمْ
حَقِّقْ وَصَدِّقْ بِأَنَّ ٱلْقَوْمَ قَدْ صَدَقُوا
الْعَقْلُ جَوَّزَهَا وَٱلشَّرْعُ أَثْبَتَهَا
وَمَا بِكَفِّكَ إِلاَّ ٱلْعِيُّ وَٱلْخَرَقُ
قَهْقِرْ فَمَا لَكَ فِي مَيْدَانِهِمْ أَثَرٌ
وَإِنْ شَكَكْتَ فَهَذَا ٱلْيَوْمُ وَٱلطَّلَقُ
جَدُّوا وَقَصَّرْتَ عَنْ إِدْرَاكِ جِدِّهِمُ
وَٱلْكَيْسُ وَٱلْعَجْزُ شَيْءٌ لَيْسَ يَتَّفِقُ[66]

11 - ومنهم أبو الحجاج يوسف ابن موسى الكلبي الضرير[67]

أصله من سرقسطة[68] وسكن مراكش وبها توفي سنة عشرين وخمسمائة . من أشياخه أبو مروان بن سراج[69] وأبو علي الجياني[70] وكان آخر أئمة المغرب فيما

(66) من البسيط ، وفي **إظهار الكمال** : البيت 12 : كسحِّ بدل كسيح ، وهو الصواب .
(67) راجع **الغنية** : 226 **والصلة** ، ص 682 **وبغية الملتمس** ص 492 ، **والاعلام** ج . 10 . ص . 308 .
(68) من قواعد الأندلس وهي في شرقها ، راجع **الروض المعطار** .
(69) عبد الملك بن سراج ، إمام اللغة في الأندلس غير مدافع ، توفي سنة 489هـ . راجع **الصلة** ، ص 363 ، **وبغية الملتمس** : 380 . **والديباج** : 2 : 17 .
(70) حسين بن محمد الغساني من كبار علماء الأندلس ومحدثيها ، توفي سنة 498 ، راجع

أخذه عن أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي[71] من علوم الاعتقادات [وكان مختصا به ، وكان المرادي أول من أدخل علوم الاعتقادات][72] بالمغرب الأقصى . فنزل بأغمات وريكة . فلما توجه أبو بكر بن عمر[73] إلى الصحراء حمله وولاه القضاء فمات بأزْكِّي[74] من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربعمائة . فخلفه أبو الحجاج في علوم الاعتقادات . وغلب عليه الزهد في الدنيا وأهلها . وكان لباسه الخشن من الصوف وكان يختلف من مراكش إلى أغمات .

حدثني عبد الله بن موسَى[75] قال : حدثني محمد بن الزاهد قال : أدركت أبا الحجاج الضرير بمراكش وشاهدته جميل الصورة يلبس عباءة صوف وكان عالما زاهدا . وحضرت مجالسه . ووفد مرة على السلطان فبعث إليه بجملة من مال فلم يخرج إلى أغمات من مراكش حتَّى فرقه على المساكين فقيل له : لو أمسكت منه لنفسك ! فقال : لا حاجة لي به ، فإن فلانا من اخواني في الله تعالى ، يحرث لي قوتي ويبعث إلي أضحية في كل عام فتصنع امرأتي من صوفها عباءة لي ألبسها .

فَحَسْبِي أَنْ آوِيَ إِلَى ٱلْوَاحِدِ ٱلْفَرْدِ
فَإِنَّ سِوَاهُ لَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي

---

* **الصلة** : 142 ، **وبغية الملتمس** : 265 ، **ووفيات الأعيان** : 1 : 435 . والمصادر التي ذكرها المحقق .

(71) من الفقهاء الأصوليين ، أصله من القيروان ، قربه أبو بكر بن عمر مؤسس دولة المرابطين بأغمات بعد وفاة عبد الله بن ياسين ، توفي سنة 489هـ . وضريحه بأطار بالجنوب الموريطاني ، راجع ذكره في مواضع من **الغنية** وراجع **الإعلام** : 4 : 12 . وكتابه **السياسة** ، بتحقيق الدكتور سامي النشار ، الدار البيضاء ، 1975 .

(72) سقط ما بين معقفين من ط .

(73) اللمتوني ، مؤسس دولة المرابطين رجع إلى الصحراء وترك الأمر ليوسف بن تاشفين بأغمات سنة 453هـ . راجع كتاب **الاستقصا** : 2 : 13 وما بعدها .

(74) راجع **الروض المعطار** ، ونطقها أزكي بجيم مصرية بين ضم وكسر ، ومعناه : إناء الفخار أو شقفه .

(75) أبو محمد بن يحيى بن أبي بكر ، أخذ عنه المؤلف أخبار التادليين .

هَلِ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَى سِوَى ٱللَّهِ وَحْدَهُ
وَهَلْ بَعْدَ نَيْلِ ٱلْحَقِّ نَيْلٌ لِذِي قَصْدِي
يَجِلُّ مَقَامُ ٱلْقُدْسِ عَنْ كُلِّ وَارِدٍ
وَإِنْ كَانَ كُلُّ ٱلنَّاسِ يَطْمَعُ فِي ٱلْوِرْدِ
فَيَا رَاحِلاً فِي بُغْيَةِ ٱلْحَقِّ إِنَّهُ
يُنَادِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ
وَمَنْ سَطَعَ ٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ أَمَامَهُ
فَمَا بَالُهُ يَبْغِيهِ بِٱلنَّصِّ وَٱلْوَجْدِ
أَعِنْدَكَ أَنِّي لاَ أَرَى غَيْرَ خَالِقِي
وَلَوْلاَ قُصُورُ ٱلْخَلْقِ بُحْتُ بِمَا عِنْدِي
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَقِّ أَهْلاً أَضَرَّهُ
كَإِضْرَارِ عَيْنِ ٱلشَّمْسِ بِٱلْأَعْيُنِ ٱلرُّمْدِ
فَسُبْحَانَ مَنْ يَبْدُو إِلَيْنَا بِذَاتِهِ
فَنُدْرِكُهُ مِنْ غَيْرِ رَسْمٍ وَلاَ حَدِّ
نَرَاهُ عِيَاناً بِٱلْقُلُوبِ وَإِنَّهُ
لَأَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ إِلَى ٱلْعَبْدِ
وَيُبْدِي إِلَيْنَا أَنْعُماً فَاتَ حَصْرُهَا
وَلاَكِنْ تَجَلِّيهِ لَنَا خَيْرُ مَا يُبْدِي
تَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَسْمُوَ ٱلْفِكْرُ نَحْوَهُ
وَجَلَّ عَنِ ٱلتَّكْيِيفِ بِٱلْقَبْلِ وَٱلْبَعْدِ
وَمَا ٱلرَّبُّ إِلاَّ حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ
وَإِنْ طَاحَ ذُو ٱلإِلْحَادِ فِي هُوَّةِ ٱلْجَحْدِ
إِذَا مَا تَبَدَّى نُورُهُ لِقُلُوبِنَا
مَحَا كُلَّ ظِلٍّ لِلضَّلاَلَةِ مُمْتَدِّ
فَلَوْلاَهُ كُنَّا هَائِمِينَ بِمَهْمَهٍ
مِنَ ٱلشَّكِّ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ مُسْوَدِّ

وَلَيْسَ بِحَيٍّ مَنْ يَرَى ٱلْحَقَّ بَاطِلاً
وَلاَكِنَّهُ مِنْ ظُلْمَةِ ٱلْجَهْلِ فِي لَحْدِ
أَرَى ٱلْعَارِفِينَ ٱلسَّابِقِينَ إِلَى ٱلْمَدَا
كَثِيرِينَ فِي ٱلْمَعْنَى قَلِيلِينَ فِي ٱلْعَدِّ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ طَهَّرَ ٱلْحَقُّ سِرَّنَا
فَفِي ٱللَّهِ مَا نُخْفِي وَفِي ٱللَّهِ مَا نُبْدِي
فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَرْضَى سِوَى ٱلْحَقِّ مَطْلَباً
فَيَمِّمْهُ مِنْ بَابِ ٱلتَّجَرُّدِ وَٱلزُّهْدِ
فَمَا يُسْتَفَادُ ٱلْفَوْزُ دُونَ مَشَقَّةٍ
وَلاَ تُجْتَنَى ٱلرَّاحَاتُ إِلاَّ مِنَ ٱلْكَدِّ
خَلَوْتُ بِنَفْسِي كَيْ تَتِمَّ سَعَادَتِي
فَأَجْنِي ثِمَارَ ٱلْفَوْزِ مِنْ مَنْبِتِ ٱلْجِدِّ
وَمَا أَنَا وَحْدِي حِينَ أُعْرِضُ عَنْكُمُ
وَلاَكِنْ مَعِي مَنْ لَيْسَ يَتْرُكُنِي وَحْدِي[76]

12 – ومنهم أبو موسَى عيسَى ابن سليمان الرَّفروفي[77]

من أهل تاجنيت[78] من بلاد تادلا[79] وبها مات وكان من العلماء العمال .

(76) من الطويل . أوردها صاحب **إظهار الكمال** دون نسبة .

(77) ورد في طرة في **نشر المثاني** (حوادث 1085هـ) أن مدفنه في قبيلة أيت عتاب . ولعله سيدي عيسى الذي بسوق السبت .

(78) تَاكْنِيتْ ، بجيم مصرية عليها سكون وضم ، اسم مكان شائع في المغرب وكذا صيغة المذكر أكْني ، ومعناه منخفض أو شعب أو منخفض به بساتين تشرف عليه قرية ، وموقعها قريب من محلة داود بن عائشة المعروفة في العهد المرابطي غير بعيد عن بني ملال الحالية . ويؤكد بعض عرفاء البلد أنها كانت من قواعد منطقة داي فوق مساكن مغيلة الحالية .

(79) تادْلا معناها حزمة الزرع . وسهل خصب واسع . راجع :
Massignon (L.) – Le Maroc au début du 16è siècle, p. 206.

ويقال إنه كان من الأبدال. رحل إلى المشرق وأخذ عن الشاشي[80] وعن الطرطوشي وغيرهما وكان متفرغا لتعليم العلم والعبادة. ما تزوج قط إلى أن مات وما تلبس من الدنيا بشيء. كان إذا احتاج إلى القوت أدخل يده في الوادي فيخرج منه حوتا فيقتات به. وسافر مرة إلى مدينة فاس. فبات بها ليلة واحدة فخرج منها كارها السكنَى فيها. فسئل عن ذلك. فقال: لم أر فيها إلا الدنيا. وأقام وهو صغير في المكتب صائما سبعة أعوام ولم يعلم بذلك أحد.

حدثني عبد الله بن موسَى قال: حدثني ابراهيم بن يحيَى بن بطان[81] قال: أدركت شيخا من تلاميذ أبي موسَى وقد أناف على مائة سنة وما سقطت له سن ولا شابت له شعرة وكان قد دعا له أبو موسَى بذلك.

وحدثوا عنه أنه خرج ذات يوم فرأى الناس بسوق الأحد برفروفة[82] وما كان رأى السوق قبل ذلك فقال: ما بال الناس قد اجتمعوا هنا؟ فقيل له: انه يوم سوقهم. فدعا لهم بالربح في تجارتهم. فمن ذلك اليوم لا يشتري أحد في تلك السوق تجارة الا ربح فيها. وهذا متواتر إلى الآن ينقله الخلف عن السلف: ويقول التجار: هذه بركة دعوة أبي موسَى. وحدثوا أنه لما مات أبو موسَى جاء العباد لحضور جنازته من كل أفق وجاء أكثرهم من بلاد بعيدة واجتمعت عصيهم في بيت أبي موسَى فبلغت خمسمائة عصا.

يَا نَفْسُ مَا هِيَ إلاَّ صَبْرُ أَيَّامِ
كَأَنَّ مُدَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلاَمِ

(80) هو أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالمستظهري. فقيه شافعي. درس بالنظامية إلى حين وفاته سنة 507هـ. (**وفيات الأعيان**: 4: 219).

(81) يظهر مما ورد عنه في **التشوف** أنه من أهل محلة داود بن عائشة بتادلا. أدرك أبا الأمان الوفروفي المتوفى سنة 615هـ.

(82) لم يعد لها ذكر عند أهل تلك البلاد وليس لها في ما وقفنا عليه من الكتب. ويتأكد مما ورد في التشوف أنها منطقة بها بلدة تاكنيت وأنها على وادي تانسيفت قريبا من داي بمسافة معقولة تقتضي أن تقوم بها سوق أسبوعية غير سوق داي. وتنسب لقوم يسمون ايرفروفن.

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ ٱلدُّنْيَا مُبَادِرَةً
وَخَلِّ عَنْهَا فَإِنَّ ٱلْعَيْشَ قُدَّامِ[83]

13 – ومنهم أبو محمد عبد السلام التونسي[84]

أصله من تونس وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغمات . فلما مات بها عمه ، نزل هو إلى تلمسان وبها توفي . ودفن بالعُبّاد[85] في الرابطة المعروفة برابطة التونسي[86] . وكان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا صليا في الحق مغلظا على الامراء ، لا يخاف في الله لومة لائم . وكان يلبس كساء خشنا على جلده ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده فإذا اشتهَى اللحم اصطاد السلاحف في البرية فأكل لحمها .

إِنَّ ٱلْغِنَى تَطْغَى ٱلنُّفُوسُ بِهِ فَمَا
بَيْنَ ٱلْغِنَى وَتُقَى ٱلْإِلَهِ مُنَاسَبَةْ
وَلِذَاكَ قِيلَ وَيَا لَهَا مِنْ حِكْمَةٍ
ٱلْفَقْرُ مِلْكٌ لَيْسَ فِيهِ مُحَاسَبَةْ*

وحدثوا عن أبي محمد عبد السلام انه كان ذات يوم يعمل في أرضه فإذا مزدلي بن تلكان[87] وهو أمير تلمسان قد جاءه . فنزل عن فرسه فبسط له غلامه برنسه

(83) وردت في **ديوان أبي العتاهية** : 354 .
(84) راجع **البستان** : 122 والإعلام : 8 : 470 .
(85) قال الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور محقق **الإعلام** في هامش ترجمة التونسي : «العباد قرية بظاهر تلمسان من جهة الجبل ، بها ضريح الشيخ أبي مدين الغوث ، وهي مدفن لعدد كبير من العلماء والصالحين» .
(86) نسبة للمترجم .
(*) من الكامل .
(87) في ح و س : ابن ينلكان ، وفي **الإحاطة** لابن الخطيب : تيولتكان . وهو صنهاجي لمتوني أمير من أقارب يوسف بن تاشفين ، من مناقبه استرجاع بلنسية في منتصف عام 505هـ وعمل في قرطبة وغرناطة . وتوفي غازيا عام 508هـ . راجع **نظم الجمان** : 19 **والإحاطة** : 3 : 274 .

فقعد عليه ، فقال له عبد السلام : ما هذه الأخلاق يا مزدلي ؟ أين تجد غدا برنسا تقعد عليه ؟ فاستحيى من قوله وقام عن البرنس وقعد على الأرض . فقال له عبد السلام : ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير ؟ فقال له : جئت لأتبرك بك وآكل من طعامك . فقال له : وما تصنع بطعامي وهل هو إلا خبز شعير ولحم السلحفاة . وقدم له خبز شعير ولحم سلحفاة في قدر .

وأخبرنا يحيى بن عبد الرحمن قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي عرجون[88] أن حمود بن ميمون اللخمي من تجار الصحراء لما أسن ترك السفر فوضعه بيده احباس جامع تلمسان . قال : فكنت يوما في الجامع وفيه الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين (فصاح) عبد السلام : يا حمود ! [لا تعد !][89] فقال له حمود : وما ذلك ؟ فقال له عبد السلام : استسلف منك الأمير تميم بن يوسف من مال الأحباس خمسمائة دينار . فأسلفته وهل عنده مال يقضي منه مال الحبس إلا ماله الخبيث ؟ فقال له حمود : أشهد الله وأشهدك ان الأمير في حل مما استسلف مني وأشهد الله وأشهدك أن أدفع من مالي ، في مال الأحباس ، للجامع ، خمسمائة دينار . فقال عبد السلام : الآن طابت نفسي .

وحدثوا عنه أنه جاءته أخته من تونس بألف دينار وقالت له : هذا ميراثك في أخيك . فقال لها : جئتني بهذه الشياطين لا حاجة لي بها ! فقالت له : خذ مني مالك . فقال : انما هو مالك لأنه بيدك وأما أنا فلا أدري ما هو ولا آخذه منك .

وحدثني يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه أن أبا بكر ومحمدا ابني مخلوف بن خلف الله كانا ممن أخذا عن أبي الفضل النحوي وكانا ذكيين عالمين بالمناظرة وكان عبد السلام مقتصرا على حفظ المسائل فكانا يعترضان عليه في مجلس تدريسه فدعا الله تعالى عليهما فماتا معا في جمعة واحدة .

وحدثوا عنه أنه كان بتلمسان رجل من أهل الدعارة . فشكاه الناس كثيرا . فلقيه عبد السلام فأخذ بأثوابه وضرب به الحائط وقال له : يا هذا آذيت المسلمين حتّى أكثروا بك الشكوَى ! فانكب الرجل على رجليه يقبلها وهو يقول : أتوب إلى

(88) في نسخة من ط : ابن عرضون .
(89) ح : لا تقعد .

الله عز وجل ! فأرسل عبد السلام يديه منه ولف كساءه على عنقه يعاتب نفسه ويقول : يا عبد السلام ، يا مسكين ! ما عذرك عند الله تعالى فيما فعلت برجل مسلم ؟ والرجل يقول : ما أبرك علي هذا اليوم الذي أدبتني فيه ! فتاب الرجل إلى الله تعالى وأقبل على العبادة إلى أن لحق بالأولياء .

وحدثني يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الله قال : حدثتني جدتي أن أمية بنت [يغروسن](90) حدثتها ، وكانت قد أدركت عبد السلام التونسي وأنافت على مائة سنة ، أن عبد السلام كان يجتمع إليه الناس إثر كل صلاة الجمعة فيدعو لهم . قالت : فوقفت مع الناس وهو يدعو لهم واحدا واحدا إلى أن انفصلوا كلهم فوقفت وحدي وأصابتني رعدة من هيبته . فقال لي : ما تريدين ؟ فقلت : ياسيدي ادع الله لي أن يتوب علي ! فقال : تاب الله عليك . قالت : فانصرفت إلى منزلي وتجردت من أثوابي وتطهرت وأقبلت على طاعة الله عز وجل . وكانت تلبس خمار صوف وجبة صوف وتقيم النهار من أوله إلى آخره بجامع تلمسان إلى أن لحقت بالله عز وجل .

أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ عَلِمَ ٱلْأَنَامُ
لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرَتْهُ
عُيُونُ قُلُوبِهِمْ سَاحُوا وَهَامُوا
مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ
وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
لِيَوْمِ ٱلْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ
فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ زُجِرْنَا
كَأَهْلِ ٱلْكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ(91)

---

(90) ح و س : يعروسن وهو المرجح .
(91) وردت الأبيات في المدهش . ص 115 دون نسبة .

14 – ومنهم أبو محمد خميس بن أبي زَرج الرجراجي الأسود[92]

من أهل إِنْمِيطِرْ[93] من بلاد رجراجة . تلميذ أبي عبد الله الذي كان بتالغت من أقران أبي زكرياء المليجي . وكان يقال إنه من الأبدال وانه ممن لقي الخضر عليه السلام . وأقام أبو محمد خميس ما ينيف على عشرين سنة لا ينام ليلا ولا نهارا الا وقت وقوف الشمس عند الزوال فإذا زالت انتبه للصلاة وكان لا يأكل إلا الزرع الذي تناول حرثه بيده وحصاده ودرسه .

وحدثوا عنه أنه لما استحق فدانه الحصاد تواصَى فتيان القرية على حصاده غدوة دون أن يعلموه . فأقبل أبو محمد وقد رآهم قد حصدوا طائفة من فدانه فقال : كفوا بارك الله فيكم فقالوا له : ما حصدنا إلا طائعين متبرعين . فقال لهم : يكفيكم ما حصدتم فعسَى أن تجمعوه . فجمعوا ما حصدوا وحازه بموضع واحد . فعزله وتصدق به وكره أن يأكل ما عملوه من غير أجرة . وكراماته مشهورة متواترة .

لِلصَّالِحِينَ مَنَاقِبٌ مَأْثُورَةٌ ... يَجْلُو مَآثِرَهَا الطَّرِيقُ الأَوْفَقْ
شَاعَتْ بِأَلْسِنَةِ الثِّقَاتِ وَكُلُّهُمْ ... مُتَحَقِّقٌ فِيمَا رَوَاهُ مُحَقِّقْ[94]

15 – ومنهم الفقيه لقمان السايُويّ[95]

أصله من هسكورة[96] وكان أسود . فقيه جليل القدر من الأكابر . حدثوا عنه

(92) ح و س . زرج وهو المزجج . بسكون حروفه ونطق جيمه مصرية . ومعناه سعد .
(93) إيميطرْ أوإيميطِرْ معناه المكان الذي تتم منه المراقبة (لاوست : 73) أو الحدود . (Berque, Structure, 457) ويلتقي المعنيان ليدلا على الرباط والثغر . فيحتمل على هذا أن يكون بين ركراكة وموطن برغواطة على خط رباط شاكر وغير بعيد عن البحيرة المالحة زعما حيث أنقاض رباطات .
(94) من الكامل .
(95) نقل ترجمته هذه في **الإعلام** (3 : 274) ونسبه : السابوري . وهو وهم . فهو منسوب إلى سايويه وهم إسايوِيْنْ من هسكورة الظل . كانوا على نهر تاساوت المسمى بواد الأخضر اليوم. راجع **المقتبس من كتاب الأنساب.** للبيذق. ص 44 .
(96) اسم الخادية قبائل كانت إلى العصر المريني تعرف بهذا الاسم. ذكرها النسابون وفصل=

أنه أم الناس بجامع وطاس[97] بأغمات وريكة نحوا من أربعين عاما أو خمسين ما سها قط في صلاة من تلك الصلوات إلا يوما واحدا ، صلّى صلاة الظهر بالناس فلما سلم سجد سجدتي السهو . فتعجب الناس منه وسألوه عن ذلك فقال لهم : اشتغل خاطري في الصلاة بقتل أخي فلذلك سجدت . فجاءهم خبر قتل أخيه بعد أيام وأنه قتل بدكالة[98] في الساعة التي مر بخاطر لقهان قتله .

صَدِّقْ بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ وَمَا تَلَقَّوْا مِنْ فَوَائِدْ
وَإِذَا هَوِيتَ شُفُوفَهُمْ فَاسْلُكْ سَبِيلَهُمْ وَجَاهِدْ
فَوَرَاءَ ذَلِكَ لَذَّةٌ يَغْتَابُهَا مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ
صَحَّتْ كَرَامَاتُ الرِّجَالِ بِنَقْلِ أَرْبَابِ الْمَسَانِدْ
مَا نَائِمٌ مِلْءَ الْجُفُونِ كَقَائِمٍ لِلَّهِ سَاجِدْ

= الكلام عنها ابن خلدون في **كتاب العبر** (ج 6) على طريقتهم . وموطنهم على سفحي الأطلس الكبير الأوسط حسب التعبير الحالي . من واد دادس جنوبا إلى واد العبيد شمالا . وأصل التسمية : إسْكُورْنْ وهي الحجل . راجع **المقتبس من كتاب الأنساب** للبيذق : 44 . وراجع كتابنا عن **إينولتان** . من منشورات كلية الآداب بالرباط .

(97) أطّاس هو الإناء النحاسي الكبير الذي يحمى فيه الوضوء أو غيره ، والواو التي قبله للنسبة يجب فتحها وتقتضي حذف الهمزة . أما واطّاس المنسوب إليه الجامع فاسم رجل بمعنى صاحب الإناء أو لتشبيه مّا . والمسجد الأم بأغمات وريكة كان يسمى مسجد الفيل (**كتاب القبلة** : 16) وأما المساجد الأخرى فبنتها تلامذة أبي محمد بن تيسيت قرابة 400هـ . ولعل جامع وطّاس أحد تلك المساجد . وهو وطّاس بن يحيى وفي ركن من هذا المسجد درس المهدي بن تومرت للطلبة (**أخبار المهدي** : 70) .

(98) دُكّالة منطقة سهلية واسعة ما بين نهر أم ربيع شمالا ووادي تانسيفت جنوبا كانت تجاورها تامسنا وهسكورة وركراكة وتمتد على صقعها الحالي وعلى موطن عبدة والرحامنة . كان يسكنها في عصر المؤلف من المصامدة الا في ساحلها قرب أزمور حيث كانت فرقة من صنهاجة . ويظهر أنها تسمية قوم هم إيدُوكَالْنْ وفيها ادُّو بمعنى تحت أو أسفل أو إدْ ومعناه أهل وأكَالْنْ : الأراضي أو الأطيان . وتسامها في المعنى تسمية فرقة مجاورة بحوز مراكش كانت تسمى إدْرْكَالن ، وإدْرا معناه ، عميق لمن ينظر من أعلى . ومنها دْرا أي بلاد درعة التي يشرف عليها سكان الأطلس في الجهة المعاكسة أي الجنوبية بينما ينظرون إلى دكالة إذا نظروا نحو الشمال . وقد تؤول التسمية على أنها من تِيدِيكلت أي راحة اليد التي يشبه بها البسيط وهي مشهورة كاسم مكان بالصحراء . وقد تكون بهذا المعنى مرادفة لتامسنا التي تطلق على السهل المجاور . وذهب ماسينيون (المغرب... ص 201) أن معنى دكالة هو : المجتمعون ، وربما ظن أنهم من إمْدُّوكَالْ أي الأصحاب .

هَـــلْ يَسْـــتَوِي هَـــذَا وَذَا ... مَـــا نَـــاقِصٌ حَـــالاً كَـــزَائِـــدْ
يَـــا رَاقِـــداً فِي لَـــيْـــلِـــهِ ... وَإِذَا تَـــنَـــبَّـــهَ فَـــهْـــوَ رَاقِـــدْ
أَتَـــرَكْـــتَ جُـــمْـــهُـــورَ ٱلأَئِـــمْـــ ... ـــمَـــةِ وَٱقْـــتَـــدَيْـــتَ بِـــقَـــوْلِ وَاحِـــدْ
نَـــظَـــرٌ لَـــعَـــمْـــرُكَ فَـــاسِـــدٌ ... يَـــقْـــضِـــي بِـــأَنَّ ٱلْـــقَـــلْـــبَ فَـــاسِـــدْ
فَـــوُقُـــوعِ مَـــا هُـــوَ مُـــمْـــكِـــنٌ ... لِـــلْـــقَـــوْمِ مِـــنْ خَـــرْقِ ٱلْـــعَـــوَائِـــدْ
شَـــهِـــدَ ٱلْـــوِفَـــاقُ لَـــهُـــمْ بِـــهَـــا ... فَـــدَعِ ٱلْـــخِـــلاَفَ وَلاَ تُـــعَـــانِـــدْ[99]

16 – ومنهم أبو عثمان سعد
ابن ميمُونَاسْنْ الرجراجي[100]

من أهل بلد رجراجة من أقصَى المغرب وهو جد أبي عبد الله محمّد بن ياسين[101] فقيه المصامدة الآن ومفتيهم وهو الآن في قيد الحياة وكان أبو عثمان من أكابر الأولياء.

---

(99) من الكامل

(100) ميمُونَاسْنْ . من مِيمُونْ وهو في اللسان المغربي الدارج وعند المصامدة أيضا : الحظ والسعد والبخت . واسْنْ المضافة إليه نجدها في عديد من الأسماء ورد بعضها في **التشوف** . مثل جِلْدَاسْنْ . و«اسن» في لسان الأمازيغ في وقتنا تعني : لهم . في مثل قولك : فعلتُ لهم . ولم تعد تُلحق بالأسماء كما هي في مِيمُونَاسْنْ = (هُو سعْدٌ لهم) أو في جِلْيداسْن = (هو ملك لهم) ، وإنما يُستعمل فعل الكينونة في أول الجملة ليؤدي هذا المعنَى فيقولون : إكَّاياسْن ميمُون أو إكَّاياسْن أكلِّيد . وإكا . لا يؤدي معناها فعل كان ولا فعل صار وإنما يؤدي معناها الضمير المنفصل : هو . أو الفعل
وهناك احتمال في أن تكون هذه الأسماء قد وصلت إلينا وقد سقطت همزة قطع تحتها كسر في الأول : إميمونَاسْن وإكّليدَاسْنْ . لأن بها يتحول الاسم إلى فعل فيكون المعنَى : يمُن لهم وتَسلْطَن لهم بتضمينه معنَى الدعاء أو التفاؤل لأن الولد يسميه قومه ويرجون أن يكون لهم منه ما يكون ، ولعلهم يلحقون ضمير الغائب بالمعنَى المراد لأن المقصود هو الحضور عند الآخر وفي تقديره . ولا ندري ما إذا كانت هذه الصيغة صنهاجية أو زناتية وقد أثار الانتباه إليها الباحث :
Basset (R) – Les Sanctuaires du Djebel Nfousa, in Journal Asiatique, PP 209-113, 9è série, t. 14, 1899.

(101) ركراكي . ذكر صاحب **مفاخر البربر** (ص 63) أنه توفي سنة 624هـ . وذكر صاحب **المنهاج الواضح** (ص 178) أنه شهد لأبي محمد صالح بمقام التوكل وأن موضعه يسمى كراين . ومن القرائن الواردة في **التشوف** يتبين أنه كان بجهات إيغي ن تانوت الحالية .

وحدثوا عنه أنه كان له جملة أصحاب من مؤمني الجن وقرأت في بعض أخباره أنهم من النفر الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ والله أعلم.

وحدثوا أن مؤذن مسجده طلبه ذات يوم بداره فلم يجده. فذهب في طلبه إلى البحر فوجده نائما على لجج البحر وفي حجره كتاب تعبث الرياح بأوراقه ولا يصل إليه من رشاش الموج شيء. فأراد المؤذن أن يصل إليه وشرع في دخول البحر ظانا أن العبور إليه سهل. فغلبه الماء وخاف على نفسه الغرق. فخرج وقعد على شاطئ البحر ينتظره. فلما أفاق أبو عثمان من نومه خرج من البحر. فلما علم أن المؤذن قد رآه قال له: يا فلان. عاهدني أن لا تحدث أحدا بما رأيت حتى أموت. فعاهده على ذلك ولم يحدث بذلك أحدا من أصحابه إلى أن مات رحمه الله.

بَرَاهِينُ ٱلْأَفَاضِلِ لَيْسَ تَخْفَى ... بِمَا أَدَّى إِلَيْنَا ٱلْأَتْقِيَاءُ
رِجَالٌ لَا يُلِمُّ بِهِمْ قُصُورٌ ... وَلَا يُعْزَى لِجِدِّهِمُ رِيَاءُ
فَهُمْ أَبَداً بِدِينِهِمُ شِحَاحٌ ... وَبِالدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ أَسْخِيَاءُ
يَحُضُّهُمُ عَلَى ٱلْعَمَلِ ٱلتَّوَقِّي ... وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ ٱلْكَسَلِ ٱلْحَيَاءُ
فَصَدِّقْهُمْ بِمَا فَعَلُوا وَقَالُوا ... فَإِنَّ خِلَافَهُمْ دَاءٌ عَيَاءُ
تُقَصِّرُ عَنْهُمْ وَتَخُوضُ فِيهِمْ ... فَلَا نُورٌ لَدَيْكَ وَلَا ضِيَاءُ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُصِرُّ عَلَى ٱلْمَعَاصِي ... وَيُنْكِرُ مَا يَقُولُ ٱلْأَوْلِيَاءُ (102)

17 — ومنهم أبو محمد عبد الله ابن محسود الهواري (103)

من أهل مدينة فاس. قديم الوفاة وكان قاضيا بها على سنن قضاة العدل

■ وقد تفقه على أبي محمد يرزجان (التشوف: 114) الذي أخذ عن أبي بكر بن العربي. ولأبي عبد الله هذا تلاميذ في الفقه ممن ترجم لهم التادلي (انظر الترجمتين 129 و143). وقد ذكر صاحب **الإعلام** (4: 154) أنه أخو الشيخ عبد الخالق بن ياسين المتوفى عام 571هـ. وهو غلط واضح. وقد اختلط عليه الأمر كذلك في ترجمة عبد الله بن ياسين الدغوغي (8: 203) حيث ذكر أنه أبو عبد الله المذكور في هذه الترجمة.

(102) من الوافر.

(103) نقل ابن عيشون (ص 191) ترجمته عن **المستفاد**. وعن **المستفاد** نقل التادلي هذه

والفضل وكان زاهدا في الدنيا . مقبلا على الله تعالى .

حدثوا عنه أنه نزل به ضيف ، فرهن غزل امرأته في سمن يأتدم به الضيف فإذا ذاك السمن مر لا يطاق أكله . فبينما ابن محسود يوما في مجلسه إذ أبصر السمان مقبلا إليه مع خصمه . فقام ابن محسود وأمر من حضر أن يحكم بينهما . فلما عاد إلى مجلسه أخبرهم أن ذلك السمان كان قد باع منه سمنا مرا وقال : خشيت من أجل ذلك أن لا أسمع منه كما أسمع من خصمه ، فكرهت الحكم بينهما .

وحدثنا أبو زكرياء يحيى بن أحمد الليثي عن أبيه سمعه يقول : كان بفاس رجل مسرف على نفسه . فمات ودفن . فأبصر الناس قبره يهتز التراب الذي حواليه إلى أن ظهرت أكفان الميت . فقالوا : لعله لم يعمق له الحفر . فأخرجوه وأعمقوا له الحفر وأدخلوه في القبر فإذا به أيضا يهتز ويربو ترابه إلى أن ظهرت الأكفان . فلما رأوا ذلك ضج الناس بالبكاء والعويل وقالوا : لفظته الأرض ولم تقبله وأطالوا البكاء . فقال لهم بعض الحاضرين : يا قوم لا ينفع هذا البكاء ، ولكن انظروا له قبر رجل صالح وادفنوه جواره لعله يشفع فيه . فأخذوا في ذلك إلى أن اتفقوا على أن يدفنوه جوار قبر ابن محسود . فاستقر به القبر ولم يكن منه مثل ما كان قبل ذلك .

مَا ٱلنَّاسُ إِلاَّ ٱلصَّالِحُونَ حَقِيقَةً ... وَسِوَاهُمُ مُتَطَفِّلٌ فِي ٱلنَّاسِ
كَمْ بَيْنَ أَمْوَاتٍ زَمَانَ حَيَاتِهِمْ ... مَعْنىً وَأَحْيَاءٍ مَعَ ٱلْأَنْفَاسِ
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِصَالِحٍ فَٱشْدُدْ بِهِ ... كَفَّيْكَ تَشْدُدْ بِٱلطَّبِيبِ ٱلْآسِي (104)

= الفقرة الثانية من الترجمة وغيرها من الأخبار المصدرة بقوله : حدثوا عنه . له ترجمة جيدة في جنى زهرة الآس (ص 95) ذكر فيها أنه أوربي الأصل رحل إلى القيروان ولقي الفقيه الحافظ ابن أبي زيد ، وأنه توفي سنة احدى وأربعمائة ، ودفن بباب الجيسة . راجع **الأنيس المطرب** (ص 117) **وجذوة الاقتباس** (ص 420) **وسلوة الأنفاس** (3 : 160) .

(104) من الكامل

18 – ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن موسَى ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف[105]

ذكره ابن بشكوال[106]. فقال : كان متناهيا في الفضل والدين منقطعا إلى الخير وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته. وسعي به إلى السلطان. فأمر باشخاصه إلى حضرة مراكش. فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة صدر الليل، ودفن بها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة [سبع][107] وثلاثين وخمسمائة. واحتفل الناس بجنازته. فندم السلطان على ما كان منه في جانبه وظهرت له كرامات. حدثني بذلك أبو القاسم أحمد بن يزيد قراءة عليه عن أبي القاسم بن بشكوال.

وقال أبو بكر بن خير[108] : أخذت عنه واستفدت منه مواعظ ووصايا وذاكرته في أشياء من طريق الصوفية وأفادني. وله منثور رفيع ومنظوم بديع فن مليح نظمه قوله :

مَازِلْتُ مُذْ سَكَنُوا قَلْبِي أَصُونُ لَهُمْ
لَحْظِي وَسَمْعِي وَنُطْقِي إِذْ هُمُ أَنَـسِي
حَـلُّوا الْفُؤَادَ فَمَا أَنْدَى وَلَوْ وَطِئُوا
صَـخْـراً لَجَادَ بِمَـاءٍ مِنْهُ مُنْبَجِسِ

---

(105) ضريحه مشهور بمدينة مراكش حيث يعرف بـ بلعريف. راجع مصادر ترجمته كما ذكرها محقق **نفح الطيب** (3 ، 229). وراجع **الإعلام** (ج 2 ، ص : 5 – 57) وهي ترجمة مطولة وانظر **تاريخ الفكر الأندلسي** : 369.

(106) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري القرطبي (494هـ – 578هـ) ومن تآليفه كتاب **الصلة** الذي جعله ذيلا على **تاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي وفرغ من تأليفه سنة 534 ، وقد ذكر فيه ابن العريف (ص 81 من طبعة مصر ، 1966).

(107) س : ست. وكذا ذكر صاحب **مفاخر البربر** (ص 70) نقلا عن التادلي وفي **تاريخ الفكر الأندلسي** أن وفاته عام 535هـ.

(108) محمد بن خير بن عمر الإشبيلي ، الحافظ ، المتوفى سنة 575هـ. صاحب **الفهرسة** الشهيرة.

وَفِي ٱلْحَشَا نَزَلُوا وَٱلْوَهْمُ يُخْرِجُهُمْ
فَكَيْفَ قَرُّوا عَلَى أَذْكَى مِنَ ٱلْقَبَسِ
لَأَنْـهَضَنَّ إِلَى حَشْرِي بِـحُـبِّـهِـمُ
لَا بَارَكَ ٱللَّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ فَنَسِي[109]

حدثني الشيخ الصالح أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن خلف السلمي[110] قال : حدثني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الغزال[111] وهو من أكبر تلامذة ابن العريف أن أصل أبي العباس بن العريف من طنجة وإنما سمي والده بالعريف لأنه كان بطنجة صاحب حرس الليل . وذكر عنه أن القاضي ابن أسود[112] كان بالمرية . فوفد على علي بن يوسف[113] بمراكش فسعَى بابن العريف عنده وخوفه منه غاية التخويف . فكتب علي إلى عامل المرية يأمره بإشخاصه إلى مراكش . فأمر به العامل فأدخل في القارب ليخرج به في البحر إلى سبتة[114] . فأشار القاضي على العامل بتكبيله بعد خروجه في المركب . فبعث إليه من يقيده . فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج منه بعد . فكبله وذهب راجعا في البحر إلى المرية . فقال ابن العريف : روعنا ، روعه الله ! فلقيه العدو في

(109) راجعها له في **معجم أصحاب الصدفي** (ص 18) وفيه زيادة بيتين . ونقلها ابن الزيات أربعة من **برنامج** ابن خير وهو غير الفهرسة المنشورة .

(110) ينطبق اسمه واسم أبيه واسم جده وكنيته ونسبته على ابن فرتون السلمي الفاسي المتوفى عام 537هـ حسبما ذكر ابن الأبار في **المعجم في أصحاب الصدفي** (ص 62) وليس هو .

(111) ابن اليتيم الأندرشي (**الذيل والتكلة** (6 : 44)) مولده سنة 544هـ . أي بعد وفاة ابن العريف ولكن والده أبا العباس المتوفى سنة 581هـ هو الذي كان مختصا بابن العريف (**الذيل والتكلة** : 1 : 439).

(112) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الغساني . توفي في نكبته بمراكش سنة 536هـ . ترجمته في **الصلة** . ص 546 وفي **المعجم في أصحاب الصدفي** . ص 130 **والإعلام** : 4 : 82 .

(113) مولده بسبتة سنة 477هـ . بويع له يوم مات أبوه بمراكش في غرة المحرم من سنة خمسمائة وسنه يومئذ ثلاث وعشرون سنة . وملك من بجاية إلى آخر بلاد السوس ومن السودان إلى الأندلس ، وقد توفي بمراكش سنة 537هـ . راجع **الحلل الموشية** ، ص 84 .

(114) في موضوع هذه الظروف ، راجع **تاريخ سبتة** لمحمد بن تاويت . ص 54 وما بعدها .

البحر فحمله أسيرا . فلما وصل ابن العريف إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبتسريحه وحل قيوده فقال ابن العريف : كنت أريد أن لا يعرفني السلطان وقد عرفني الآن فلابد من رؤيته . فوصل إلى مراكش . فأقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض عليه حوائجه . فقال له : ليس لي حاجة إلا أن أخلى أذهب حيث شئت . فأذن له في ذلك . فلما رأى القاضي ما حصل له من الحظوة لديه . سأل عن أحب الطعام إليه . فقيل له : الباذنجان . فصنعه وعمل فيه السم واحتال عليه إلى أن أكله فمات . رحمه الله . ودفن في قرب الجامع القديم الذي بوسط مراكش في روضة القاضي موسَى بن حماد الصنهاجي(115) . قال أبو اسحاق : فلما علم السلطان بما كان من ابن أسود في جانب ابن العريف قال : [لأعذبنه](116) ولأسمنه كما فعل بابن العريف ! فبعثه إلى السوس الأقصَى وأمر أن يسقَى سما هنالك فامتثل ما أمر به فمات هنالك .

وحدثني محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري عن أبيه عن أخي ابن العريف أنه أراد حضور مجلس أخيه مع صاحبه . فقال أحدهما للآخر : نتطهر لحضور مجلس الشيخ . فقال له الآخر : إنما نتطهر لله . فذهبا إلى مجلسه فوجداه يتكلم . فلما رآهما قال : ولقد أحسن القائل منكما حيث قال : انما نتطهر لله .

وحكَى أبو الحسن علي بن خلف بن غالب أن أحد أصحاب ابن العريف كان عقد على نفسه أن لا يتكلم وقت وضوئه الا بذكر الله تعالى وألا يرد سلاما على أحد حتَّى يفرغ من وضوءه . فبينما هو يوما يتوضأ على ساحل البحر بالمرية إذ مر به رجل يمشي على الماء . فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فكلمه فلم يجبه . فلما فرغ من الوضوء عاد إلى المجلس فقعد فيه . فإذا بالرجل الماشي على الماء قد دخل المسجد وأتَى الشيخ فسلم عليه وكلمه في وديعة أودعها عنده فسلم عليه وانصرف . فلما ولى قال ابن العريف : أتظنون انه ليس لي أصحاب غيركم ؟ قال : ما بال أحدكم يعقد على نفسه ما لا يجب في وظائف الشرع ؟ .

---

(115) بخصوص موسَى الذي تنسبُ إليه الروضة راجع الهامش رقم 44 قبله . وضريح ابن العريف مشهور بمراكش . وقد نبه صاحب **الاعلام** (2 : 9) إلى أن قبره وقبر ابن برجان ليسا في روضة واحدة خلافا لما ذكره ابن الأبار ، وزاد في ص 13 أن مقام ابن العريف قد جدد بناءه القائد عبد الله أوبيبي الحيحي سنة 1286هـ .

(116) س : لأغرِّبنه .

وحدثوا عنه أنه قال : قلت لعبد الرحمن بن رويل وكان ممن رأى الصالحين : أخبرني عمن رأيت من الصالحين . فقال : سمعت برجل من الأولياء . فمشيت إليه أربعا وعشرين ليلة . فوجدته مع جماعة يجتمعون في وقت الصلاة ثم يفترقون فأقمت عندهم فقلت له : متى يعلم المريد أنه مريد؟ فأعرض عني . فسألته يوما ثانيا . فأعرض عني فعدت إليه في اليوم الثالث فقال : متى علم المريد أنه مريد . سقط عن درجة الإرادة ، فلا تقل هكذا ! ولكن قل : متى يضع المريد أول قدمه في الارادة؟ فقلت له : متى يضع المريد أول قدم في الإرادة؟ فقال لي : إذا كانت فيه أربع : إذا مشى على هذا بلا وساطة ، وأشار إلى البحر ، وكان قريبا منه ، وصارت له هذه قدما واحدا ، وأشار إلى الأرض ، وأكل من الكون ، واستجيب له دعاؤه . فقال ابن العريف : فلما سمعت ذلك ، صحت وبكيت وقلت : أيستنا من الإرادة يا أبا القاسم وقطعتنا عنها إذا كان أول قدم في الإرادة الذي ذكرته ! وأنشدنا أبو اسحاق السلمي قال : انشدنا أبو عبد الله الغزال قال : أنشدنا أبو العباس لنفسه :

شَدُّوا ٱلرِّكَابَ وَقَدْ نَالُوا ٱلْمُنَى بِمِنىً
وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ ٱلشَّوْقِ قَدْ بَاحَا
رَاحَتْ رَكَائِبُهُمْ تُبْدِي رَوَائِحُهَا
طِيباً بِمَا طَابَ ذَاكَ ٱلْوَفْدُ أَشْبَاحَا
نَسِيمُ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى لَهُمُ
رَوْحٌ إِذَا شَمَمُوا مِنْ ذِكْرِهِ فَاحَا
يَا وَاصِلِينَ إِلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
زُرْتُمْ جُسُوماً وَزُرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا[117]

أنشدني [البيت الآخر][118] على شوق وعلى [عذر][119] معا . وحدثني أبو

(117) الأبيات من **بغية الملتمس** : 166 (ص 166) وفي **وفيات الأعيان** (1 : 169) .
(118) س : الليلة الأخرى .
(119) س : قدر .. كذلك في **بغية الملتمس** وفي **نفح الطيب** (4 : 331) :

إسحاق السلمي عن الغزال قال : كان الشيخ أبو العباس كثير البسط فعاب عليه ذلك بعض الناس فقال في ذلك :

يَا مَنْ رَأَى ضَحِكِي عَيْباً وَمَنْقَصَةً
اَللَّهُ أَعْلَمُ مَا أَبْدَى وَمَا سَتَرَا
اَلْمُجْنُ أَوَّلُهَا وَصْفِي وَآخِرُهَا
ظَنِّي بِرَبِّي إِذَا مَا غَائِبِي حَضَرَا
وَأَنْتَ وَجْهُكَ يَتْلُو لِلْوَرَى عَبَساً
فَاحْذَرْ أَوَاخِرَهَا لاَ تَتْرُكِ الحَذَرَا(120)

وأنشدني أبو إسحاق قال : أنشدني أبو عبد الله قال : أنشدني أبو العباس مخاطبا بعض إخوانه من أبيات له :

بِنَفْسِي إِذَا نَفْسِي أَنَابَتْ وَأَصْلَحَتْ
غَرِيبٌ جَرَتْ مِنْ مُقْلَتَيْهِ غُرُوبُ
إِذَا ذَكَرَ الْمَوْلَى تَنَسَّمَ قَلْبُهُ
وَإِنْ غَلَبَتْهُ النَّفْسُ كَادَ يَذُوبُ
أَنَاخَ بِعِلِّيِّينَ رَائِدُ سِرِّهِ
إِلَى حَيْثُ لاَ تَمْضِي الْعُقُولُ يَجُوبُ
أَبَى اللَّهُ أَنْ تُدْرَى ذَخَائِرُهُ الَّتِي
إِلَى شِعْبِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَصُوبُ
هُمُ حَسَنَاتُ الدَّهْرِ عِنْدَ كَمَالِهِ
وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ ذُنُوبُ
مَحَبَّتُهُمْ فَرْضٌ وَرُؤْيَتُهُمْ هُدىً
وَلِلدِّينِ مِنْهُمْ أَلْسُنٌ وَقُلُوبُ

- انا أقمنا على شوق وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا

(120) ح : البيت الثاني : الهجرة أولها ...

بَقِيتَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ مَا دُمْتَ فِيهِمْ
وَجَانَبَكَ ٱلْمَكْدُورُ وَهُوَ نَكُوبُ(121)

أنشدني قوله عند كماله وكمالهم معا .

19 - ومنهم أبو زكرياء بن يُوغان الصنهاجـي(122)

تلميذ أبي محمد عبد السلام التونسي وكان من أمراء صنهاجة . مات بتلمسان عام سبعة وثلاثين وخمسمائة . وكان ابتداء أمره أنه جاء إلى عبد السلام وقال له : أريد أن أكون من تلامذتك . فقال له عبد السلام : إنك لا تقدر على ذلك . فقال له أبو زكرياء : أقدر إن شاء الله . فقال له : إن كنت كما تقول فاذهب إلى الجبل واحتطب حزمة وادخل رحبة القصر بحزمة الحطب على ظهرك حتَّى يذهب ما فيك من الكبر والنخوة والزعامة . فذهب ابن يوغان إلى الجبل وجمع حزمة الحطب وجاء بها على ظهره إلى أن دخل بها رحبة القصر . فأبصره رؤساء صنهاجة . ففروا حياء منه ان يبصروه على تلك الحالة . فشق الرحبة والحزمة على ظهره إلى أن خرج بها من باب آخر ثم دخل بها البلد إلى أن توسطه فأنزلها عن ظهره وباعها بدرهم ثم مر إلى التونسي وأخبره بذلك . فقال له التونسي : اما الآن فأنا أستوهب منك الدعاء . فكان إذا أتاه من يستوهب منه الدعاء يقول له : اذهب إلى ابن يوغان واستوهب منه الدعاء فإنه ملك زهد في الدنيا وأما أنا فكنت فقيرا وبقيت فقيرا وما زدت شيئا .

وَكَانَ فُؤَادِي خَالِياً مِنْ هَوَاكُمُ
وَكَانَ بِذِكْرِ ٱلْحَقِّ يَلْهُو وَيَمْزَحُ

(121) من الطويل .

(122) في بعض نسخ ط : بُوَاغَانْ ويتسمَّى به الناس إلى الآن ، ومعناه : صاحب الحقل . وفي بعضها الآخر : بُوَاغَازْ وهي نسبة معروفة كذلك إلى أَغَازَ وهي جذور نبات الدوم . وأما يُوغَان ، فلعلها نسبة إلى أوغان جمع أغي ، حركة الغين بين ضم وكسر ومعناه : العجل .

فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ
فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ فِنَائِكَ يَبْرَحُ
رُمِيتُ بِبُعْدٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِباً
وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ
وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا
إِذَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِي لِعَيْنَيَّ يَمْلُحُ
فَإِنْ شِئْتَ وَاصِلْنِي وَإِنْ شِئْتَ لَا تَصِلْ
فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِي لِغَيْرِكَ يَصْلُحُ(123)

ولما تاب ابن يوغان أقبل بهمته على الله تعالى وزهد في الدنيا وانتهى إلى أعلى مقامات الأولياء.

حدثوا عنه أن أهل تلمسان قحطوا فاستسقوا به فسقوا. اخبرنا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الله قال : حدثني عمر بن عبد الله قال : لما مات أبو محمد عبد السلام التونسي انتقل ابن يوغان من تلمسان إلى الصحراء وكانت له ناقتان يرعاهما ويشرب من ألبانهما. فأقام بها عنا مدة ثم قدم علينا فسلمنا عليه وسألناه عن سبب قدومه فقال لنا : رأيت في النوم شيخي عبد السلام. فقال لي : لا إله إلا الله. يا يحيى هجرتنا فلا تزورنا ! فعلمت أن الله أراد قبض روحي بهذه الأرض. فأقام عندنا ابن يوغان شهرين ومات رحمه الله. ودفناه بالعباد في روضة عبد السلام التونسي(124).

---

(123) الشعر لأبي بكر سمنون الصوفي. راجع **تاريخ بغداد** (9 : 236). ونسبه إليه كذلك في **طبقات الصوفية** : 198. وقال الشيبي محقق **ديوان الحلاج** (ص 352) : والحقيقة أن فيه نفس محمد بن داود الأصفهاني. وفي تاريخ بغداد بعض الاختلاف أقرب إلى الصواب :

البيت الأول : من هواكم = قبل حبكم.
الحق = الخلق، وهو الصحيح.
يمزح = يمرح.
البيت الثاني : يبوح = يسرح.

(124) التي دفن فيها أبو مدين الغوث. **البستان** : 122.

اَلطُّرْقُ شَتَّى وَطُرْقُ ٱلْحَقِّ مُفْرَدَةٌ   وَٱلسَّالِكُونَ طَرِيقَ ٱلْحَقِّ أَفْرَادُ
لاَ يُعْرَفُونَ وَلاَ تُدْرَى مَقَاصِدُهُمْ   فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَّادُ
وَٱلنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ   فَجُلُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ ٱلْحَقِّ رُقَّادُ

20 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن موسَى المليجي(125)

من أهل قرية مليجة(126) من بلاد رجراجة من تلامذة أبي عبد الله الذي كان بتالَغْتْ ، ومن أشياخ عبد الخالق بن ياسين ، من أكابر الأولياء . يقول إنه من الأبدال وكان يحج في كل عام وتواترت عنه عجائب الكرامات .

وحدثوا عنه أنه كان يصلي أول الوقت . فيؤذن المؤذن الأول والثاني والثالث فيقيم الصلاة ويصلي . فانصرف يوما من الصلاة فلقي جماعة من المريدين مقبلين على المسجد . فأنكر عليهم تأخرهم عن الصلاة . فقالوا له : كنا قد تأهبنا للصلاة فسمعنا الأذان الأول ولم نسمع بعده أذانا من غلبة أصوات الصرار وكان الصرار كثيرا بذلك المكان لا يكاد يسمع منه كلام . فقال : اللهم . إن هذا الصرار قد

( ) لأبي العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء . **تاريخ بغداد** : 5 : 28 .

(125) م و س : يحيَى بن أبي موسَى . وفي إحدَى نسخ ط : الخليجي . والخليج شجر شائك . وفي ترجمة عبد الله (رقم 33) الواردة بعده . كتبت النسبة في س : الهيجي والترجمتان مما نقله المؤلف عن كتاب **صلحاء ركْراكة** . وقد وردت نسبة هذا الأخير في **أنس الساري والسارب** : (ص 15) الخزرجي . وهو غلط والصحيح الهيجي لما نبينه في الهامش التالي .

(126) توجد هذه القرية إلى اليوم في موطن قبيلة احمر . على بعد 68 كلم من مراكش وعلى يمين المتجه منها إلى شيشاوة وقبل الدخول إلى هذه البلدة بيسير . وتسمى قرية البطمة لأن بها شجرة عظيمة من شجر البطم . وهي نوع من مخلفات الزمن الثالث . كانت في طريق انقراضها عن المناطق الجافة كحوز مراكش ومنطقة تادلا لذلك كانت معالم تسمى بها القرى . وقد وردت تسمية قرية بها في تادلا (انظر الترجمة رقم 109) والبطم بلسان البربر هو إيك بجيم مصرية عليا سكون وشدة : (Igg) فتكون النسبة إليه : الإيكي . وهمزة القطع مع كسر في أوله هي التي تحول في التعريب إلى هاء . فجاء هكذا : الهيجي .

حال بين عبادك وبين طاعتك ، فاقطعه عنا ! فانقطع الصرار من ذلك المكان من حينئذ إلى الآن .

وحدثوا عنه أن أبا بكر المنادي شكا إليه الجوع في عام مجاعة وكان ذلك في أول الحرث . فأمره أن يدخل في صومعة جامع مليجة[127] . فلما دخلها نام فلم يستيقظ إلا في زمان الحصاد وطيب الزرع . قال أبو بكر : فانتبهت من نومي وقد نسيت القرآن وأكل السوس من كسائي من الجانب الذي يلي الأرض .

وحدثوا عنه أنه أوصَى أن يدفن برباط شاكر . فلما مات حملوه على جمل . فلما وصلوا وادي تانسيفت[128] وجدوه كثير الماء من شدة السيول لا يدخله أحد . فانفلق الوادي وجاوزوه ثم عاد كما كان .

وحدثوا عنه أنه لما توجه إلى مكة ، شرفها الله ، لأداء فريضة الحج ركب في سفينة . فمكث بها أياما فرأى خدمة السفينة يعملون عمل قوم لوط . فلم [يطق][129] الإقامة بها . فشمر أثوابه وحمل متاعه وابتدر الدخول في البحر . فقال صاحب السفينة : أجن هذا أم حمق ؟ فقال له : كل ذلك حق موجود . فدخل الماء إلى أن بلغ ابطيه وقال : أيها البحر : انت خلق الله وأنا خلق الله ! ثم دعا الله تعالى فقال في دعائه : اللهم انك تعلم أني فررت من مشاهدة معصيتك ، فأعني وكن معي حيث أكون . فأحس تحت قدميه مثل الأحاريش التي تكون بجانب البحر وبشاطئه [فارتفع][130] وقد وصل الماء إلى كعبيه أو نحو ذلك . فافتتح قراءة القرآن وهو يمشي على ذلك الذي أحس تحت قدميه إلى أن تألمت قدماه من الحفاء فخرج إلى الساحل وقد أجهده الجوع والعطش . فأبصر جثة كالابل . فأمها فلما وصل إليها وجدها صخرة فحفر عندها ، فنبع من تحتها ماء عذب فشرب وتوضأ منه وصلَّى ركعتين . فأذهب الله عنه الجوع والعطش . فمشَى

---

(127) أي جامع قرية الايكة (البطمة) وعمارتها على الضفة اليسرَى للوادي وبها مسجد عتيق .

(128) تَانْسِيفْتْ وادي شهير في حوز مراكش وصيغته مؤنث أَنْسِيف أي النهر ، وتطقه اليوم حذفت منه النون فبقي : أَسِيفْ . وعلى ضفته الأخرى أسفل القرية المذكورة بمسافة يوجد رباط شاكر ، وقد وقف أبو علي اليوسي على مشهد أبي زكرياء في الرباط المذكور **المحاضرات** ص . 45 من طبعة دار المغرب بالرباط .

(129) ح و س : فلم يصطبر على .

(130) سقط من ط .

على الساحل إلى أن وصل الاسكندرية . فإذا به قد سبق السفينة التي كان فيها بأيام كثيرة . ففاته الحج ذلك العام فر إلى الشام وجال فيه إلى أن دخل مسجدا . فوجد فيه رجلين فما كلمها ولا كلماه وكل واحد مقبل على صلاته . فلما صلوا المغرب خرج أحد الرجلين ثم دخل عليهما بصحفة فيها ثريد وعليه منديل فاستدعياه للمواكلة . فأكل معهما . فلما كان اليوم الثاني ، بعد أن صلوا المغرب خرج الثاني فأتى بمثل طعام صاحبه فأكلوا وردوا الصحفة . فلما كان في اليوم الثالث بعد أن صلوا المغرب نظر أحدهما إلى الآخر . فقال أبو زكرياء : وصلتني النوبة وقد أكلت طعامهما [وأفرطت][131] . فخرج عن المسجد وصلّى ركعتين فدعا الله تعالى وسأله أن لا يفضحه . فالتفت فرأى صحفة كصحفتيهما وعليها منديل ، فشكر الله تعالى فرفعها اليهما ووضعها بين أيديهما فقالا له : أنت يحيَى بن موسَى ؟ فقال لهما : نعم . فسلما عليه ورحبا به . فأقام معهما أياما ، ثم قال لهما : اني راغب في المقام معكما ولكنني فاتني الحج وأريد أن أؤدي فريضة الحج وأزور قبر النبي ﷺ . فودعاه وقال له أحدهما : إذا قضيت مناسك الحج فسر إلى بئر زمزم تجد على البئر رجلا أسود متحزما يسقي الناس : فخذ باصبعه الفلانية فانها امارة بيني وبينه . فلما قضَى حجه فعل ما أمره به . فقال له الرجل الذي وجده على بئر زمزم : هل رأيت فلانا ؟ قال له : نعم . فأقبل عليه . فلما صلَّى معه العتمة قال له : ما حاجتك ؟ قال له : كنت دخلت البحر من بلاد المغرب ثم دخلت الشام وقد نفد زادي ولا أدري ما أصنع . فقال له : من أي البلاد أنت ؟ فقال له : من المغرب الأقصَى . فقال له : من أي البلاد منه ؟ فقال له : من بلد رجراجة . فقال له : من أي بلد منه ؟ فقال له : من وادي شفشاون . فجعل يكرر [شفشاون][132] . ثم قام وتحزم وشد على نفسه ثيابه فأخذ بعضديه ورفعه من الأرض . فمال به ذات اليمين فوضعه ثم رفعه ، فمال به ذات الشمال . فوضعه ثم رفعه فمال به ذات اليمين فوضعه وتركه وغاب عنه . فانتظره ان يرجع إلى أن قرب طلوع الفجر . فنظر فرأى سوادا كسواد الوادي ذي الشجر . فقصد ذلك السواد ، فإذا هو بالوادي . فلما انبلج الضوء رأى شجر الصفصاف وأنواع الشجر وعاين الجنات فقال في نفسه : ما أشبه هذا الوادي بوادي شفشاون ! ثم أبصر قرية فيها صومعة فقال : ما أشبه هذه الصومعة بصومعة

---

(131) م و س : فرّطت .

(132) راجع الهامش 9 قبله .

مليجة ! ثم أبصر راعيا يسوق بقرا قد خرج إلى المرعَى . فقال له : ما هذا الوادي ؟ فقال له : هذا وادي شفشاون . فقال وما هذه القرية ؟ فقال له : قرية مليجة . فقال له : أتعرف يحيَى بن [أبي][133] موسَى ؟ فقال له : هذا بقره وأنا راعيه وقد سافر إلى المشرق . فدخل أبو زكرياء القرية وقصد إلى أهله [فدخل عليهم] فسروا به . وسمعت غير واحد يحدث بهذه الحكاية عن أصحاب أبي زكرياء المليجي وهي صحيحة متواترة وقد قرأتها في **أخبار صالحي رجراجة وعلمائها** بعد أن سمعتها عن غير واحد .

لاَ يُنْكِرُ ٱلْخَرْقَ لِلْمُعْتَادِ ذُو بَصَرٍ
بِٱلْعَقْلِ وَٱلشَّرْعِ لِلْأَبْدَالِ فِي ٱلْبَشَرِ
وَٱلطَّيُّ لِلْأَرْضِ مَعْلُومٌ تَوَاتُرُهُ
وَٱلنَّصُّ فِي ذَاكَ فِي ٱلْفُرْقَانِ وَٱلْأَثَرِ
وَعَرْشُ بِلْقِيسَ بُرْهَانٌ يَدُلُّ بِهِ
عَلَى سِوَاهُ رِجَالُ ٱلْفِكْرِ وَٱلنَّظَرِ
وَٱلطَّيُّ قَدْ جَاءَ لِلدَّجَّالِ مُشْتَهِراً
يَطْوِي ٱلْبَسِيطَةَ فِي أَشْيَاعِهِ ٱلْفُجُرِ
هَـذَا وَحَالَتُهُ كُفْرٌ وَمَعْصِيَةٌ
فَكَيْفَ حَالُ رِجَالِ ٱلْفِكْرِ وَٱلْحَذَرِ
فَلِّمِ ٱلْأَمْرَ تَخْفَى عَنْكَ غَايَتُهُ
مَنْ لَمْ يَرِدْ لَيْسَ يَدْرِي لَذَّةَ ٱلصَّدَرِ
إِنْ لَمْ تُعَايِنْ مَقَامَاتٍ سَمِعْتَ بِهَا
فَلاَ أَقَلَّ مِنَ ٱلتَّصْدِيقِ بِٱلْخَبَرِ[135]

(133) زيادة في م وس .
(134) زيادة في م وس .
(135) من البسيط .

21 – ومنهم رجل مجهول

حدثني علي بن عيسَى بن ناصر عن شيوخ أخبروه عن رجل صالح كان [بتماروت][136] من بلد الجاغة[137] . وكان له بأغمات وريكة صديقان يعرف أحدهما بابن اللواتي ويعرف الآخر بابن الفقيه . فماتا ، فدفنا قبلي مدينة أغمات . فلما احتضر ذلك الرجل الصالح أوصَى أن يدفن جوار قبري صديقيه . فلما مات تنازع الناس في دفنه فقال قوم : انما ندفنه عندنا لننال منه بركته . وقال آخرون : إنما ندفنه حيث أوصَى أن يدفن فيه . وهمَّ الفريقان أن يقتتلا على ذلك وبقي ، بسبب ذلك ، ثلاثة أيام لم يدفن وهو مطروح في بيت حتَّى جاءت امرأة . فدخلت بين الرجال وقد جعلت على ظهرها أثوابا وأوهمت أن الذي بظهرها ولدها ورغبت أن تدخل إليه على وجه التبرك . فتركوها . فلما دخلت أخذت الرجل وحملته على ظهرها موضع الثياب وخرجت وهم يظنون أن الذي بظهرها ولدها . فحمله أصحابه ليدفنوه في مقابر أغمات جوار صاحبيه ابن اللواتي وابن الفقيه . فكانوا إذا وضعوه بالأرض يسمعون حوله كدوي النحل فيرفعون أصواتهم بالتهليل فيشير معهم بسبابته إلى التوحيد فيتعجبون من ذلك .

(136) تَامَارُووتْ وهو اسم مكان شائع ومعناه بداية العقبة ، وقد ذكر هذه المقصودة هنا أبو عبيد البكري عند وصف الطريق من أغمات إلى السوس وقد تصحفت في طبعة **المُغرب** وكذا في ترجمة دوسلان وترجمة مونتوي إلى تامرورت . وقد قال عنها إنها على مرحلتين من نفيس وعلى مرحلة من مدينة أفيفن التي يبدو أنها شيشاوة الحالية فتكون تاماروورت قريبة من ايمي ن تانوت أو هي نفسها ، وقال إنها مدينة لطيفة ومنها ترقى إلى جبل درن . ولا يمكن أن تكون تلك التي بها زاوية عند منبع وادي ايمي ن تانوت لأنها موغلة في الجبل . ولكن البكري ذكر ماغوسة بعدها فإما أنهم انتقلوا إلى موطنهم الحالي واما أن تاماروورت هذه بين أمزميز وايمي ن تانوت .

(137) وهم إِلْكَّاغِنْ بجيم مصرية عليها شد وحركة بين الضم والفتح، ومعناهم الرطبان (لعلهم إرطبان كما ورد في **كتاب الأنساب**) من النعومة . وهم بحسب القرائن الواردة في النصوص كانوا في فحص عند قدم الأطلس بين أمْزميزي وإيمي ن تانوت وهم معدودون من هنتاتة ، وكان عندهم حصن من سلسلة الحصون المرابطية عند قدم الجبل هو بين حصن نفيس وبين حصن كدميوه (**أخبار المهدي** ، ص 220 من الترجمة) وقد خضعوا للتمييز الموحدي (**أخبار المهدي** 184) وعندهم قاتل المأمون الموحدي أخاه يحيَى (**الأنيس المطرب** : 253) وهم قوم ابن وانودين قائد هنتاتة (**البيان** ، 3 : 370) .

تَغَرَّبَ أَمْرِي فَانْفَرَدْتُ بِغُرْبَتِي فَصِرْتُ فَرِيداً فِي الْبَرِيَّةِ أَوْحَدا
تَسَرْمَدَ وَقْتِي فِيكَ فَهْوَ مُسَرْمَدُ وَأَفْنَيْتَنِي عَنِّي فَصِرْتُ مُجَرَّدَا[138]

22 – ومنهم أبو يَنُورْ عبد الله ابن وَكْرِيس[139] الدكالي[140]

من [مشنزاية][141] من أشياخ أبي شعب أيوب السارية . كبير الشأن من أهل الزهد والورع .

حدثوا عنه أنه مات أخوه فتزوج امرأته . فقدمت إليه طعاما يأكله [فحك][142] في نفسه أن فيه نصيب الأيتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك وبات طاويا .

إِذَا طَالَبَتْكَ النَّفْسُ يَوْماً بِشَهْوَةٍ وَكَانَ عَلَيْهَا لِلْقَبِيحِ طَرِيقُ
فَدَعْهَا وَخَالِفْ مَا اشْتَهَيْتَ فَإِنَّمَا هَوَاكَ عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ[143]

حدثني هارون بن عبد الحليم[144] قال : حدثني خالي يحيى بن أبي يَنُورْ أن

---

(138) من الطويل .
(139) أبوينور . أي ذو البخت وفي أسماء أخرى بِلا النُّورْ . وابن وَكْرِيس معناه : ابن صاحب المحلاة .
(140) هو الشهير في وسط صقع دكالة باسم سيدي بَنُورْ . راجع **الاستقصا** : 2 : 77 **وأسفي وما إليه** . ص 17 .
(141) كانت مُشَنْزَايَة من أكبر قبائل دكالة إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي حيث وصفتها الكتابات البرتغالية بأنها : البربر المستوطنون ما بين أزمور والمدينة الغربية راجع : أحمد بوشارب : **دكالة والاستعمار البرتغالي** . الفصل الثاني . وفي بعض نسخ **التشوف** وردت هكذا : مشزاية . وفي بعضها الآخر : مسترابه . ونظن أن أصل الكلمة هو إِشْتَرَّانْ أو إِمْسْتَرَان أو إِمْزْرَانْ أي الباعة أو التجار لوجودهم على المراسي المقصودة من قديم . ولما كانت أقرب صيغة إلى هذا المعنى في العربية هي مشترابه أي الذين يقصدون للشراء شاعت . وقد يكون أصلها إمكتزان فأبدلت الكاف شينا على عادة بعض القبائل . ويكون معناها هو : الكانزون . وهو معنى غير بعيد من الأول .
(142) م : فوجد في نفسه . أي فحاك في نفسه .
(143) من الطويل .
(144) المترجم جده لأمه . وقد نزل مراكش .

يِغَالْنْ بن عمر ، من أشياخ مشنزاية ، جاء إلى عبد الله بن وكريس فقال له : إن عامل علي بن يوسف هددني بالقتل والصلب وقد خرج من مراكش متوجها إلى دكالة . فقال له أبو يِنُورْ : رده الله عنك ! فسار إلى أن بقي بينه وبين قرية يِلَيْسْكَاوْنْ(145) نصف ميل ، فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه بالموت .

23 – ومنهم أبو يعقوب [تَصولي](146) ابن وابوسْكَطْ المحاسي(147)

من قرية تسمَّى [بالمحاسيين](148) من أرض دكالة ، من كبار المشايخ من أقران أبي ينور وكان لصا يقطع الطريق . فسمع رفقة يقولون : أسرعوا لئلا يدركنا [تصولي](149) . فقال لهم : أنا [تصولي](150) ، قد تبت إلى الله فسيروا على مهل فإنكم في أمن مني . ولما تاب [تصولي](151) أقبل على الجد والاجتهاد فلحق بالأفراد . وقد عمي في آخر عمره فجاءه رجل فقير محتاج إلى أضحية فشكا إليه فاقته وفقره فمد أبو يعقوب يده وقبض في الهواء وقال له : خذ ما تشتري به أضحيتك . فإذا دراهم طيبة جديدة .

---

(145) تسمى اليوم باسم دفينها المترجم : سيدي بِنُّور . وقراءتها هي : إيلا إيسْكاون بمعنى ذو القرون . ولا يسمح الموقع بالتفكير في تسمية ذات أصل طوبوغرافي كما هو الشأن بالنسبة لعدد من الأماكن التي تسمى إيسْكْ أو أسْكاون . وقد تكون لها علاقة بمعتقدات قديمة ترتبط فيها الصلاح بالقرون كعبادة فحل الضأن التي بقيت الأطلس إلى القرن الخامس الهجري .

(146) في بعض النسخ : يصْول بنطق الصاد زايا مفخمة ومعناه أسود العين أو الجميل عامة إذا كان هذا الاسم صنهاجيا فهو يعني السيف أو أي سلاح من معدن . ونطقه : تازولي بنطق الصاد زايا مفخمة . وقد يعني العادل أو المستقيم أو المحاسب وهذا هو الأرجح حسبما ورد في **قاموس** دوفوكو (ج 4 . ص 1956) .

(147) أبو سْكط لعله الذي يجدل شعره بكيفية خاصة .

(148) لم نتمكن من تحديد موقعها .

(149) في س : يِصْولْ ، بنطق الصاد زايا مفخمة مضمومة .

(150) كذلك .

(151) كذلك .

24 – ومنهم أبو وَلْجوط وَغانيم
ابنْ وابوط الدكالي[152]

من مشنزاية من أقران أبي ينور وأبي يعقوب [تصولي][153] وكان كثير الانقباض عن الناس مؤثرا للخمول .

حدثني أبو موسَى بن عبد الحليم الدكالي عن شيوخ أخبروه ، وأكبر ظني أنهم أخبروه عن زوجته قالت : كان ، إذا جنه الليل تأتيه دابة تشبه الجمل فيركب عليها ولا أدري حيث تذهب به .

أَحِنُّ بِأَطْرَافِ ٱلنَّهَارِ صَبَابَةً وَفِي ٱللَّيْلِ يَدْعُونِي ٱلْهَوَى فَأُجِيبُ
وَأَيَّامُنَا تَفْنَى وَشَوْقِي زَائِدٌ كَأَنَّ زَمَانَ ٱلشَّوْقِ لَيْسَ يَغِيبُ[154]

25 – ومنهم أبو محمد مع الله
ابن يحيَى بن يجاتْنْ الزناتي[155]

من أهل [نظير][156] من حومة بلاد تادلا من أهل العلم والعمل . كان من الأفراد . توفي عام ستة وثلاثين وخمسمائة . وقبره مشهور بنظير يستشفي الناس بترابه

(152) الكوط هو المعوج أو المنحرف كما سبق أن ذكرنا بصدد برغواطة . وفي ترجمة أبي يعزَى (77) «أبو ولكوط أو أبو ونلكوط» هو الذي يأكل نباتا مما يأكله فقراء الناس في المجاعة . أما وغانيم فهو مركب من واو النسبة ومن أغانيم وهو القصبة ، وأبوط هو السرة .

(153) س : يِصُـولْ .

(154) نسبه في **طبقات الصوفية** (ص 198) لسمنون بن عمر المحب . وورد في **حلية الأولياء** : 10 : 311 .

(155) يجاتن تُقرأ إيكّاتن ومعناه كُثْر ، وفي بعض نسخ ط و غ : يحياتن وهو اسم وارد وجائز الصيغة ومعناه : أحياهم ، ولعله الصحيح هنا لأنه الوارد في اسم حفيد المترجم ورقم ترجمته (267) . والمترجم مذكور في **المعزَى في مناقب أبي يعزى** (ص 81) . وقد وقفت على مدفنه بدوار أولاد عبد الله قرب القصبة الزيدانية بتادلا على وادي أم ربيع يبعد مشهده عن الضفة بأقل من ميل واحد .

(156) في س : نَفِيرْ ، ولم يعد المحل يعرف بهذا الاسم ، وموقعه هو المبين في الهامش أعلاه . ولكن الاسم باق عند آيت نَضِير المعروفين اليوم ببني مطير . وفي نظير هذا قتل الموحدون عددا من أهل تادلا في التميز (راجع **أخبار المهدي** : 110) .

إلى الآن ، وكان صاحب كرامات .

حدثوا عنه أنه ظهر له كنز قديمٌ في جنان له . فوضع عليه نعله وقال لابنه محمد : جئني بنعلي من الجنة . فجاءه بها . فقال له : أين وجدتها ؟ قال له : على صخرة . فقال له : يا بني اجتهد فانك لم تصدق إلى الآن .

ولما احتضر أخوه خلوف بعث إليه مملوكه وفرسه ليودعه قبل أن يموت . فركب مع الله على الفرس . فلما رآه قد حدد أذنيه قال للمملوك : أمسك لي الركاب لأنزل عنه فإنه مركوب لا يسلم راكبه من الخيلاء وأمر المملوك أن يركب ويتقدمه . فجعل يمشي خلف الفرس وعصاه بيده حتَّى وصلا وادي وانسيفن(157) وهو كثير الماء لا يكاد يقطع بالدواب . فخاضه بالفرس . فالتفت المملوك وقت الخروج من الوادي فنظر إلى مع الله في أثره وقد رفع جبته عن ساقيه وقد بلغ الماء دون ركبتيه . فلما رأى مع الله العبد قد نظر إليه قال له : امش أمامي ولا تحدث أحدا بما رأيت . فانتهى إلى دار أخيه خلوف وكان من أهل الدنيا . فرآه قد عمل داره بالأرز(158) . فأبى أن يدخل داره لذلك . فحفروا في الجدار خوخة من موضع آخر وأخرجوا منها أخاه إليه . فنظر اليه وترحم عليه وودعه وانصرف عنه وردوه إلى داره .

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ مَوْرِدُهُ
وَٱلْقَبْرَ مَنْزِلُهُ وَٱلْبَعْثَ مَخْرَجُهُ
وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُهُ
يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتُنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى ٱلتَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ
وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
تَرَى ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلدُّنْيَا لَهُ سَكَناً
لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ(159)

(157) وَانْسِيفَنْ . معناه ذو الأودية أو وادي الأودية أو نهر الأنهار ، وهو المسمى بوادي أم ربيع وله روافد عديدة . راجع : **المسالك** للبكري : 54 **والاستبصار** . و **Massignon, Tableau... p. 207**

(158) لم يذكر الوزان أثرا للبناء بالأرز سواء في هذه المنطقة أو غيرها ، راجع : **Massignon, p. 74**

(159) الأبيات مذكورة بدون نسبة في **جمهرة الأولياء** لأبي الفيض المنوفي : 1 : 179 .

حدثني عيسَى بن علي[160] قال : حدثتني أختي ملُّوكة وكانت من الصالحات قالت : حدثني [مزيغور][161] مولى مع الله قال : كان لمولاي مع الله حائط[162] [بنظير][163] يخدمه بنفسه وكانت له بقرة فإذا حملها من داره لترعَى وجاز بها وادي [وانسيفن][164] جعل على فيها كمامة لئلا ترعَى في أرض أحد . فإذا وصل حائطه أزال الكمامة عن فيها وخلاها ترعَى فإذا أراد أن ينقلب إلى داره حصد لها حزمة من الحشيش وحملها على رأسه وأعاد الكمامة وساقها إلى داره فيضع لها الحشيش لتأكله . فكانت هذه عادته . فجاء يوما إلى حائطه في أول إبان العنب وكنت أنا أعمل في حائط آخر قربه . فسمعته [ينادي][165] فلبيته فوجدته واقفا على قلة عصير خبأها فتيان القرية تحت عريش العنب لعلمهم أنه يهاب الناس دخول ذلك الحائط . فأمرني بكسر القلة وأن أقطع جميع العنب الذي في حائطه . ففعلت ، وإن أكثر عناقيده لمدركة ثم سقيت ذلك الحائط فوالله ، لقد خرجت قضبان أخرى من أصول العنب المقطوع وفيها حصرم . فطاب وأكل عنبه ذلك العام . قال [مزيغور][166] : وكان له فدان بأرض [لاعوش][167] . [فاستحق][168] الحصاد . فجاء إليه من قومه أربعون شابا . فشرعوا في حصاده متبرعين . فسمع بهم . فأمر أهله أن يصنع لهم غذاء . فصنع لهم أربعة أرغفة . فحملها وحمل معه قربة لبن . فلما [وصل إليهم بذلك][169] استقلوا ما جاء به وقالوا : إنما جاء بغذائه خاصة فنصيب منه على وجه التبرك . فبسط لهم أربعة

---

(160) ممن أخذ عنهم المؤلف أخبار أهل تادلا .

(161) م وق : مِزَيغُورْ وهو الصحيح والاسم مركب من مِزِّيْ ومعناه : صغير وغور . وتعني الدار .

(162) الحائط : البستان .

(163) س : بنضير .

(164) وادي أم ربيع . ومحل المترجم يطل عليه ، ويظهر أنه الضفة التي كانت محرمة على الرعي .

(165) س . ينادي‌ني .

(166) م وق : مِّزيغور .

(167) س : لا غرسي . والأرجح أنها : لا غرس أي الأرض التي اتفقت الجماعة على أن تخصص للحبوب أو الرعي مفتوحة لا غرس فيها .

(168) س : استحق .

(169) س : أبصروه .

أكسية . وقسم على كل كساء رغيفا وأفرغ اللبن الذي كان في القربة في أربعة أقداح وأقعد عشرة على كل كساء . قال [مزبغور][170] : فوالله لقد أكل الأربعون تلك الأرغفة وشربوا ذلك اللبن إلى أن شبعوا عن آخرهم وبقيت بقايا من تلك الأرغفة واللبن ثم رجعوا إلى حصادهم فأمر أهله أن تصنع لهم طعاما أيضا فصنعته وجعلته في صحفة صغيرة كان يأكل فيها مع زوجته خاصة وجعلت فيها زبدا من زبد بقرته فخرج إليهم وقال : إن البيت [صغير][171] لا يسع جمعكم فادخلوا عشرة بعد عشرة . فكانوا [يدخلون][172] عشرة بعد عشرة حتَّى أكل الأربعون شابا ومن معهم من أهل القرية [وبقي الطعام على حالته][173] .

وحدثني أبو علي عمر بن يحيى بن أبي بكر بن محمد بن مع الله[174] قال : سمعت أبي يحيى بن أبي بكر يحدث أن أباه أبا بكر حدثه قال : لما احتضر جدي مع الله قلت له : أوصني . فقال لي : يا بني احفظ الله يحفظك .

26 - ومنهم أبو زكرياء يحيى بن محمد الجراوي ثم [المَراسِي][175]

من موضع الحواتين[176] على وادي [وانسيفن][177] من بلاد تادلا وهناك قبره معروف إلى الآن . وكان كبير الشأن ويقال إنه من الأبدال . سمعت عمر بن

---

(170) م وق : مزبغور .
(171) س : ضيق .
(172) س و ق : يأكلون .
(173) س : والطعام باق على حالته .
(174) هو ولد المترجم تحت رقم 267 .
(175) س : المراسي . والجراوي أصله أكَرّاوْ أو أكُوراي . قال في **المعزى** (ص 81) ان قبره على واد درنة وليس هو هذا ، بل هو الذي على أم ربيع مقابل ضريح محمد مع الله .
(176) مقابل لموضع نظير المذكور أعلاه ، وهو عين الحوت التي على خرائط بني ملال (1 : 50000) في شمالها الغربي وقد وقفت على موضعه ويعرف بسيدي بوزكري . وقال في هامش النسخة الكتانية : وهو المعروف بالأقرع والفتوحات الواردة على قبره (عام 1337هـ) أكثر مما يرد على أبي يعزى يأخذ ذلك طلبة بني عمير لأنه مدفون ببلدهم .
(177) انظر الهامش 164 .

ونصار اللمطي[178] يقول : سمعت الشيخ أبا جعفر [محمد][179] بن يوسف يقول : سمعت الشيخ أبا يعزى يقول : أنا وأبو زكرياء يحيى بن محمد كهذه ! وأخذ ورقة من دوم وقسمها [فانقسمت][180] نصفين سويين . فكل ما أعطيته أنا فقد أعطيه إلا اني رزقت الأولاد وهو لم يتزوج .

وحدثتني مريم بنت يوسف قالت : سمعت أمي ، وكانت قد أدركت أبا زكرياء ، تقول : كان أول بدء أمر يحيى بن محمد أنه كان من الرعيان وكان أقرع ويأوي إلى رجل صاحب ماشية كثيرة . فنزل بذلك الرجل يوما أضياف . فصنع لهم طعاما . فجاء يحيى بن محمد بإناء فيه ماء ليغسل الأضياف أيديهم . فأبى الأضياف أن يناولهم ذلك استقذارا له . فآلمه ذلك وقال : والله ، لا خدمت مخلوقا أبدا ولا خدمت إلا الخالق سبحانه ! فانفرد عن الناس وأقبل على عبادة الله تعالى إلى أن لحق بالافراد .

تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ فِي رَمْسِ
وَعَدِّ عَنِ ٱلفِعْلِ ٱلَّذِي كَانَ بِٱلأَمْسِ
وَلاَ تَتَخَلَّفْ عَنْ رِجَالٍ تَقَدَّمُوا
مِنَ ٱلعَالَمِ ٱلأَدْنَى إِلَى ٱلعَالَمِ ٱلقُدْسِ
وَأَقْبِلْ عَلَى إِصْلاَحِ نَفْسِكَ إِنَّمَا
تُثَابُ بِمِقْدَارِ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلنَّفْسِ[181]

حدثني عمر اللمطي قال : زرت قبر يحيى بن محمد . فبت قريبا منه . فرأيت في النوم أني مصعد من سماء إلى سماء حتّى بلغت السماء الرابعة . فرأيت بها رجلا أقرع الرأس ليس في رأسه شعر إلا شيء يسير قد استدار به وحواليه هرر يمسح عليها بيده . فقصصت هذه الرؤيا على أبي جعفر محمد بن يوسف فقال لي : هذه الرؤيا حق ، هذه الصفة ، صفة أبي زكرياء يحيى بن محمد وهكذا كان في الدنيا .

---

(178) أصله من تادلا ونزل مراكش وهو شاب . ووُنْصَارْ ، بصاد تنطق زايا مفخمة نسبة إلى الغيث .
(179) م : أحمد ، وهو غلط ، فهو المترجم تحت رقم 225 .
(180) مقط من ف .
(181) من الطويل .

وأخبرني غير واحد أنه كان قد بنَى [مسجدا][182] بموضع الحواتين وبنَى جواره بيتا كان يأوي فيه وكانت له هرر يأنس بها تحف به عن يمينه وشماله وكان يغسل ثيابه ويطحن معيشته بيده.

وحدثني عيسَى بن علي قال : سمعت عبد الرحمن بن موسَى[183] يقول : ربما شوهدت في بيت أبي زكرياء جارية تخدمه وتطحن له. فسئل عن ذلك فيقول : هي الدنيا تركتها فخدمتني. وربما عاينوا الرحاء تطحن ولا يدرون من يديرها.

وحدثوا عنه أن زوج أخته بعث إليه بسمن كثير جمعه من ماشيته ليأكله الصالحون والواصلون إليه. فرده، فعظم ذلك على صهره فجاءه وقال : لم رددت علي هديتي ؟ فاعتذر له وقال له : أنت ذو عيال وأنا لا أحتاج إليه. فلم يقنع منه بذلك وقال له : بل أسأت الظن بمكسبي. فقال له عند ذلك أبو زكرياء : إنما تريد أن تترك ماشيتك ترعَى في أرض المسلمين وأطعم أنا سمنها الصالحين، فلا أفعل ذلك !

وحدثني مريم بنت يوسف عن أمها أن أباها يوسف بن عبد الله مر على أبي زكرياء إلى المكتب وابنه أبو بكر يبكي. فقال له : لم يبكي هذا الغلام ؟ فقال له : يأبَى أن يحمل إلى المكتب. فدنا منه ومسح على رأسه ودعا له. فوالله [لقد][184] حببت إلى أبي بكر القراءة من حينئذ حتَّى إنه ترك المبيت في داره وصار يبيت في المسجد [لدراسة][185] القرآن حتَّى حفظه كله. ولقد كان يناولنا أبو زكرياء يحيَى اليسير من طعامه ونحن في جمع كثير فنقول [له][186] : لا يعمنا ! فيقسم علينا فيعمنا. ثم يقسم علينا مرة أخرى فيعمنا كلنا. فنرَى فيه بركة عظيمة ظاهرة.

وحدثني عمر اللمطي عن الشيخ الصالح أبي جعفر قال : لما خرج تاشفين بن

---

(182) س : مسجده.
(183) ممَّن حدث عنهم بواسطة بأخبار تادلا.
(184) سقط من ف.
(185) س : لقراءة.
(186) سقط من م.

علي من مراكش إلى وهران[187] كان يمشي بجيوشه في [سند][188] الجبل . فلما قرب من بلاد تادلا قال لخاصته : لأرينكم رجلا صالحا . فتقدم بهم إلى مكان أبي زكرياء فدخلوا عليه متلثمين لا يعرف فيهم من هو السلطان . فرفع بصره بديهة إلى تاشفين وقال له : أنت هو ! فإلى أين تذهب بهذا الخلق [تهلك][189] عباد الله ؟ فقال له : لم يدعنا هؤلاء القوم . ثم سلم وخرج [عنه][190] . فقال أبو زكرياء : سبحان الله ! هذا الرجل لا يرجع إلى هذه البلاد ، وقد انقرضت دولته .

وحدثنا عبد الله بن موسَى قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم المغيلي قال : أجدب الناس جدبا شديدا بداي[191] فجاؤوا إلى أبي زكرياء وأنا يومئذ صغير رديف أبي على الدابة . فوصلناه في يوم الجمعة . فسأله الناس أن يستقي لهم . فوعدهم أن يتربصوا إلى يوم السبت . فتربصوا . فاستقَى لهم يوم السبت فسقوا .

وأخبرنا عيسَى بن علي قال : حدثني عبد الرحمن بن موسَى قال : اجتمع الناس للاستسقاء على [تانسالْمتْ][192] وفيهم أبو محمد عبدي بن محمد الصنهاجي الفقيه . فدعوا وتضرعوا والسماء صاحية لا غيم فيها . فقالوا : يا أبا زكرياء استسق لنا ! فقام أبو زكرياء ورمَى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض وكان أقرع وقال : يا

---

(187) كانت هذه الرحلة سنة 539هـ . وفيها تعقب عبد المومن بن علي (راجع تفصيلها في **أخبار المهدي** . ص 89 وما بعدها وفي **الاستقصا** : 2 : 105 وما بعدها .

(188) س وم : مسند .

(189) س : لهلك . وقد هلك تاشفين في تلمسان وهلك معه خلق كثير . راجع المصادر المذكورة أعلاه .

(190) غير وارد في س وم .

(191) يذهب Gauthier إلى أن أصل التسمية من أوداي وهو اليهودي . وكانت داي من قواعد منطقة تادلا ذكرها البكري والادريسي والحميري . وهي مدينة الصومعة في بني ملال كما نص على ذلك أبو علي اليوسي في **المحاضرات** (ص 143 من طبعة الرباط) . وفي ترجمة أبي العباس النسبتي للتادلي المنشورة في هذه الطبعة أن داي أصابتها واقعة تسببت في جلاء أهلها حينا سنة 559هـ . راجع كذلك :

Gauthier (E.R) Madinat-Oudaï in Hespéris, 1926 t. 4, 1er tr pp. 5-25

(192) س وم : تانسالت . وحتَّى وان كان اسم مكان يسمى تانسالت كما عند Berque في كتابه عن سكساوة ص 458 فيظهر أن المقصود هنا هو تانسَّالمت أي المصلي خارج البلد .

رب هذا الأقرع يسألك الغيث . فوالله ما نزل الناس عن ذلك المكان حتَّى مطروا مطرا غزيرا .

إِذَا زُرْتَ أَرْضاً زَارَهَا مِنْكَ وَابِلٌ
فَلَيْتَكَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْكَ مَكَانُ
فَأَنْتَ غِيَاثٌ لِلأَنَامِ وَرَحْمَةٌ
وَحِرْزٌ لَهُمْ مِنْ دَهْرِهِمْ وَأَمَانُ(193)

27 – ومنهم رجل مجهول

أخبرنا القاسم بن عبد العزيز الهسكوري(194) قال : حدثني يوسف بن أبي [عمر](195) الهسكوري وكان رجلا صالحا قال : حدثني الشيخ الصالح الصوفي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهسكوري قال : كان بأغمات وريكة رجل أسود لا تعرف أحواله وكنا نتوسم فيه الخير وكان يحضر معنا . فلما أهل شهر رمضان أتاني شيخ من أهل أغمات فقال لي : عسَى أن تفطر عندي مع أصحابك في هذا الشهر وعسَى أن يكون معكم ذلك الرجل الأسود . فأجبته إلى ذلك . فكنا نفطر عنده إلى أن انصرم شهر رمضان فبقي معنا ذلك الأسود إلى أن وصل الحجاج . فسلموا على ذلك الأسود فسئلوا عنه فقالوا : إنه حج معنا العام الأول . فنظرنا في مغيبه عنا في العام الأول فتحققنا أنه لم يغب عنا إلا في شهر ذي الحجة من العام الذي حج فيه . فلما استشعر أنا علمنا بذلك غاب عنا فلم نره بعد ذلك .

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ
فَطَرْفِي يَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ مَا اسْمِيَ مَا دَرَتْ
وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي(196)

---

(193) من الطويل .
(194) يظهر من حديثه عن أبي يلبخت (203) أنه من إينولتان من هسكورة .
(195) س : عمرو .
(196) من الطويل .

28 – ومنهم أبو عمرو عثمان
ابن علي بن الحسن[197]

تلمساني الأصل . نزل سجلماسة وبها توفي في رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل وكان يختم القرآن في كل ليلة .

حدثني ابن أبي القاسم قال : حدثني يحيى بن عمر بن المعتصم[198] قال : حدثني غير واحد أن أبا عمرو حج من سجلماسة على طريق الصحراء . فلما قفل من وجهته ولم يبق بينه وبين سجلماسة إلا مسيرة يوم واحد سمع هاتفا يقول : أدرك دفن والدتك فانها قد ماتت . فجد السير إلى أن وصل المدينة فوجد جنازة أمه قد وضعت على شفير القبر . فصلَّى عليها ودفنها .

يَـا رَاحَتِي عِنْدَمَا تَشْتَدُّ بِي عِلَلِي
أَنْتِ اقْتِرَاحِي عَلَى الْأَيَّامِ وَالدُّوَلِ
لَوْ كُنْتِ لِي وَفَقَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ
وَالْمَالَ مِنْ بَعْدِ فَقْدِ الْأَهْلِ لَمْ أَسَلِ[199]

29 – ومنهم أبو العباس أحمد
ابن محمد بن عبد الله

من أهل سجلماسة ، جليل القدر قديم الوفاة وكان قوته من حمام بري كان يأوي إلى موضعه . فلما مات أبو العباس انقطع ذلك الحمام عن موضعه وذهب .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : حدثني عمر بن أبي يوسف قال : حدثني عبد الخالق مولى أبي العباس قال : مر بي مولاي أبو العباس ، والوادي لا ماء فيه فقال لي : إذا جاء السيل في الوادي فأخرج منه ما تسقي به أرضنا . فقلت : ماذا يقول ؟ لعله خرف واختل عقله ، ليس هذا وقت السيل . فلما صعد المنزل يوم الجمعة خطيبا ، استسقى على المنبر ، فلم ينزل عنه حتَّى سقي

(197) هو شيخ الدقاق (41) والدقاق شيخ أبي مدين شعيب الأنصاري (162) .
(198) من أهل سجلماسة وكان خاصا بأبي يحيى أبي بكر بن كَلَّيْدَاسْنْ (152) .
(199) من البسيط .

الناس وجاء السيل في الوادي يوم السبت . ويذكر أن أهل البلد جاؤوا إلى داره ليشكروه على ذلك . فأبى أن يخرج اليهم وقال : قولوا لهم : فعل الله عز وجل في ملكه ما يشاء وجئتم تشكروني على فعل الله تعالى ؟ انصرفوا عني !

30 – ومنهم أبو حفص عمر ابن مَيْكْسوط[200] الدغوغي

من كبار الأولياء يستشفي الناس بتراب قبره إلى الآن وتوفي في حدود [ستة][201] وأربعين وخمسمائة ودفن بمسجده الذي بناه بتاقَّرِنتْ[202] من بلد بني دغوغ[203] من دكالة .

وحدثني ميمون بن علي قال : كان لي ملك ، فورث معي فيه رجل حصة . فكان يضرني ويؤذيني . فشكوته إلى بعض الأخيار فقال لي : ان دواءه قريب منك . فقلت له : وما هو؟ قال : تأتي قبر أبي حفص فتدعو عنده . وقد جاءني رجلان قد سرق لكل واحد منهما بعض ماله فدعوا عند قبره فرد إلى دار كل واحد منهما ما سرق له . قال ميمون : فانصرفت عنه . فلما جاء الليل أتيت قبر أبي حفص فدعوت عنده لحاجتي فما استبان النهار حتَّى جاءني ذلك الرجل يرغبني أن أشتري منه نصيبه . فاشتريته منه وانقطع عني ضرره .

وحدثني محمد بن جلداسن بن [عزوز][204] بن أبي حفص قال : حدثني

---

(200) مَيْكْسُوط ، جاءت بهذا الشكل في ف فيكون معناها : لا يخاف . وإذا كان شكلها ميكْسُوط بطاء قريبة من الضاد فمعناه : الخواف . أما الدغوغي فنسبة إلى بني دغوغ وهم في دكالة كان موطنهم كما ذكر أحمد بوشارب (دكالة ... الفصل الثاني) حيث مايزالون مستوطنين اليوم شمال شرق سهل سحيم الحالي ، وكانوا إذذاك بين القبيلتين الدكاليتين إيمَاكْرْنْ (بني ماكر) وإمْشْتْزَان (مشتزاية) .

(201) م : سبعة .

(202) م : بتاقَرْنْتْ و ح : تاقْرْنُوتْ ، ومعناها : مؤنث القُرْنْ . والأرجح أنها تَاقْرْنْتْ وهو اسم مكان شائع ، ومعناه المكان المختار أو المتميز .

(203) أدْغوغْ هو الثعلب .

(204) م وس : عزون ، وهم اسم شائع إذ ذاك .

أبي ؛ جلداسن قال : حدثني أبي [عزوز][205] ان رجلا من قوم أبي حفص جاءه في عام مجاعة وهو يحفر في الأرض . فقال له الرجل : هذه زكاة مالي قد [خصصتك][206] بها . فإذا على سرجه عيبة مملوءة دراهم . فتغير وجه أبي حفص حين رأى ذلك فقال له : أردت أن آخذ منك ما أحاسب عليه . ولو أردت أن تكون داري هذه فضة لكانت ! فنظر الرجل إلى جدرانها وقد انقلبت فضة ثم قبض في التراب الذي كان يحفره فإذا هو قد انقلب ذهبا . فانصرف عنه الرجل مرعوبا فمرض شهرين فكان أهله يعودونه ويسألونه عن سبب مرضه فيحدثهم بما شاهده من أبي حفص . وحدثني غير واحد عن أشياخه بهذه القصة .

وَرَكْبٍ سَرَوْا وَٱللَّيْلُ مُلْقٍ رِوَاقَهُ   عَلَى كُلِّ مُغْبَرِّ ٱلْمَطَالِعِ قَاتِمِ
حَدَوْا عَزَمَاتٍ ضَاقَتِ ٱلْأَرْضُ دُونَهَا   فَصَارَ سُرَاهُمْ فِي ظُهُورِ ٱلْعَزَائِمِ
تُرِيهِمْ نُجُومُ ٱللَّيْلِ مَا يَبْتَغُونَهُ   عَلَى عَاتِقِ ٱلشِّعْرَى وَهَامِ ٱلنَّعَائِمِ[207]

31 – ومنهم رجل مجهول

حدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن محمد قال : حدثني أبو الحجاج يوسف بن علنّاس الزناتي[208] قال : حدثني رجل ايلاني ؛ سماه . فنسي أبو القاسم اسمه عن مخبر أخبره قال : سمعت برجل كان بأغمات ايلان[209] ؛ وذكر اسمه . وذكر لي عنه أنه يحج كل عام . فأتيته وقلت له : سمعت انك تحج كل عام وأريد

(205) م وس : عزوز .
(206) م وس : اختصصتك .
(207) وردت الأبيات في **المدهش** (ص 240) دون نسبة .
(208) علناس أو علاهم أي فوق الناس . يقابل دُونَّاس ومعناه تحت الناس . وَعْلَا ٱلنَّاسُ ترجمة التسمية القديمة : يُوكَرْتَنْ التي حرفت في اسم أَكْلِيدْ المعروف الى يوغورْطَا . ويظهر أن هذه الكلمات ترجمت عند الزناتيين قبل غيرهم .
(209) راجع ما ذكرناه في الهامش 4 بصدد أغمات وريكة . وأغمات ايلان كانت في شمالها الشرق على بعد بضعة أميال . ويظهر أن مرد هذه الازدواجية إلى قبيلتين متجاورتين في الاستفادة . كل على حدة . من موقع استراتيجي . بإقامة سوق . ولم يبق من أغمات أيلان سوى أنقاض تعرف بأوخْرِيبْنْ نايت وَايْلَان أي أطلال أو أنقاض هِيلَانَة بعد أن اضمحلت هذه القبيلة وحلت محلها قبيلة إِمْسِّيوان (مسفيوة) .

أن أذهب معك فلعلي أحج . فأجابني إلى ذلك . فلما قرب شهر الحج أتيته فقال لي : [أخبر][210] أهلك أنك تسافر سفرا قريبا واستعد . فلما قرب الوقت قال لي : إذا صليت العتمة فأخرج من مدينة أغمات ايلان[211] واقعد في المقابر . فلما صليت العتمة خرجت إلى المقابر انتظره . فلما رأيته بعدت عنه يسيرا وجلست وحدي ساعة فناداني . فدنوت منه . فرأيت شيئا أبيض كالطائر العظيم أو الدابة العظيمة الا أني لم أتحقق صورته من ظلام الليل . فلما رآني ذلك الحيوان نفر مني وبعد وذلك الرجل يتملقه [ويتلطف به][212] ويقول له : يا مبارك . بالله إلا قربت مني ! فإن هذا صاحبي [ومؤمن][213] من أصحاب الأوراد والخير والاجتهاد وقد رغب مني أن يحج معي . فصار يبعد والرجل يدنو منه إلى أن وقف . فناداني فأتيته فقال لي : تحفظ واثبت وافعل ما آمرك به ؛ فإذا ركبت فاركب خلفي . ثم قرأ آيات من القرآن فسمعته يقرأ : «سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» . فركب وركبت خلفه ولم أشعر أن ذلك الحيوان يعلو بنا في الهواء إلى أن أحسست بالسماء وهي قريبة منا ونحن في مخترق الرياح . فهالني الأمر وأفزعني وحصلت في أمر عظيم . فلما مرت برهة من الليل ضعف قلبي ضعفا شديدا وكدت أسقط . فقال لي صاحبي : اثبت ! فقلت : إني هالك وأخاف السقوط . فسمعته يرغبه أن يحطني . فأحسست به وهو ينزل بنا إلى الأرض . فقال لي صاحبي : انزل ههنا وأقم فإذا كان مثل هذا الوقت فاحضر ههنا . وذهب هو . فلما طلع الفجر علي رأيت مدينة . فدخلتها . فلقيت بها رجلا فسألته عنها . فتعجب من سؤالي وقال لي : هذه مدينة مصر . فتأملت ما كنت أسمعه من صفات نيلها وآثارها . فلما جن الليل أتيت إلى المكان الذي نزلت فيه . فقعدت إلى الوقت الذي نزلت فيه ، فإذا ذلك الحيوان قد نزل جواري . فقلت ما كنت سمعت صاحبي يقول وقرأت الآيات التي سمعته يقرأ وركبت عليه . فسار بي يسيرا وحطني عند صاحبي فقال لي : لب في هذا الميقات ! فلبيت وأحرمت وقضيت حجي . فلما فرغنا من وظائف الحج أتانا ذلك الحيوان وركبنا عليه وقويت بعد ذلك نفسي وذهب عني ما كنت أجده من الروع . فاستعلى بنا في الهواء

---

(210) س : أشعر .
(211) أماكن هذه المقابر اليوم أراض محروثة .
(212) س : ويلاطفه .
(213) س : وهو من .

وسار ساعة فانحط بنا في المكان الذي ركبنا منه بمقابر أغمات [ايلان][214] .

لِلَّهِ فِي ٱلْخَلْقِ أَسْرَارٌ وَأَنْوَارُ ... وَيَصْطَفِي ٱللَّهُ مَنْ يَرْضَى وَيَخْتَارُ
لاَ تَحْقِرَنَّ فَقِيراً إِنْ مَرَرْتَ بِهِ ... فَقَدْ يَكُونُ لَهُ حَظٌّ وَمِقْدَارُ
وَٱلْمَرْءُ بِٱلنَّفْسِ لاَ بِٱللَّبْسِ تَعْرِفُهُ ... قَدْ يَخْلُقُ ٱلْغِمْدُ وَٱلْهِنْدِيُّ بَتَّارُ
وَٱلتِّبْرُ فِي ٱلتُّرْبِ قَدْ تَخْفَى مَكَانَتُهُ ... حَتَّى يُخَلِّصَهُ بِٱلسَّبْكِ مِسْبَارُ
وَرُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ مُجْتَهِدٌ ... لَهُ عَلَى ٱللَّهِ فِي ٱلْإِقْسَامِ إِبْرَارُ[215]

32 – ومنهم أبو علي منصور ابن إبراهيم المسطّاسي[216]

كبير الشأن من أهل العلم والعمل . مات بأزمور[217] عام أربعين وخمسمائة وهو من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية وكان أبو شعيب إذا وقف على قبره يقول : أي رجل دفن ههنا ، ما رأيت مثله !

أَسَفاً لِأَيَّامٍ وَإِخْوَانٍ مَضَوْا ... وَمَنَازِلٍ فَارَقْتُهَا مَغْلُوبَا
يَا لَيْتَ قَلْبِي جَمْرَةٌ مِنْ بَعْدِهِمْ ... يَا لَيْتَ عَيْشِي بَعْدَهُمْ مَقْلُوبَا
طَالَبْتُ بَعْدَهُمُ ٱلزَّمَانَ بِمِثْلِهِمْ ... فَأَجَابَنِي هَيْهَاتَ لاَ مَطْلُوبَا[218]

---

(214) غير واردة في س .
(215) من البسيط .
(216) ذكره في الاستقصا : 2 : 207 . وفي س . وم : المنصور ؛ وكذلك ورد اسمه في مفاخر البربر ص 70 . وقال عنه : «سمعت حفيده أبا يعقوب المسطاسي يقول عنه انه قرأ بقرطبة ولقي بها جماعة من العلماء» . وقبره مشهور بأزمور . ولعله المسطّاسي بشد على الطاء من أمْسْطّاس ، ومعناه : النوام .
(217) المدينة الشهيرة على الضفة اليسرى عند مصب نهر أم الربيع في المحيط الأطلسي ومعنى أزْمُّور شجرة الزيتون البري . كانت هذه المدينة قاعدة الصنهاجيين المستوطنين ساحل دكالة بين أزمور وتيط .
(218) من الكامل .

33 – ومنهم أبو محمد عبد الله [المليجي][219]

رجراجي الأصل من أغمات وريكة وبها مات قبل الأربعين وخمسمائة ؛ من أقران عبد الجليل بن ويحلان ؛ من الأكابر . شديد الورع وكان الغالب عليه الزهد في الديار والتقشف وكانت قوته عصيدة الشعير بغير ملح حتّى صار جسمه كالسفود المحترق . ولما احتضر أوصى أن يغسله عبد الجليل . فسمعوه يقول له وقت غسله : لقد استرحت يا أبا محمد . فلما أدرجه في أكفانه قيل له : لقد سمعناك تقول عند غسله : لقد استرحت يا أبا محمد ! فقال : كان عهدي بجسمه أسود من العبادة والتقشف . فلما جردته من ثيابه لأغسله رأيت بدنا ناعما ليس بالذي عهدت .

وحدثني علي بن عيسَى عن شيوخه انه لما أفتَى الفقهاء بمراكش بإحراق **كتاب الإحياء** للغزالي فأحرق بصحن جامع السلطان . سأل أبو محمد عن الذين أفتوا بإحراقه . فكان كلما سمي له واحد منهم دعا عليه ثم قال : والله . لا أفلح هؤلاء الأشقياء ! فما انقضَى شهر حتّى مات جميع أولئك الفقهاء .

وحدثني مخلوف بن ياسين[220] قال : حدثني الشيخ الصالح أبو علي منصور بن عبد الرحيم[221] عن شيخه أبي زكرياء يحيَى بن [يسولال][222] قال : جاء السلطان من مراكش إلى أغمات وريكة فزار عبد الجليل بن ويحلان وأبا محمد عبد الله [المليجي][223] وبعث إلى كل واحد منهما بألف دينار . فأما عبد الجليل فأخذه وتصدق به على المساكين وأما عبد الله فرده عليه . فقال له عبد الجليل : هلا

(219) راجع الهامش 125 . فالصحيح هو الخليجي أو الإيكي . في س واحدَى نسخ ف : الهيجي ونقل صاحب **الإعلام** (8 : 191) هذه الترجمة بنصها .

(220) يظهر أنه من أهل أغمات وكل أخباره عن أبي علي منصور .

(221) هو أبو علي السايوي المترجم تحت رقم 145 .

(222) انظر ترجمته تحت رقم 84 . ويِسُولال جمع ايسوليل ولعله من ايسول أي حي أو يحيَى أو الولود . وقد يكون منسوبا لجبل سالّ في ايلان وهو المطل على أغمات من جهة سفيوة وقد تكون النسبة لفعل ألّ وهو رفع وايسولال الرفعة أو لفعل لَالْ وهو أنجد من الإنجاد .

(223) س : الهيجي .

تصدقت به ولم ترده عليه؟ فقال: أنت أخذت ذلك لأنك عندك من العلم ما تقبل به وتعطي وأما أنا. فما عندي من العلم ما آخذ به وما أعطي.

قال أبو زكرياء: وجاء رجل بتين حلال [مختلط](224) بتين حرام، ودفع جميعه لأبي محمد. فأكل منه الذي كان حلالا وترك الحرام. فعلمت أن الله تعالى قد حماه عن الحرام. وأمر أن يُشترى له كساء منسوج من صوف حلال فاشتَرَى له بعد التحري والاجتهاد فرده. فسئلت المرأة التي صنعته فقالت: عملته من صوف كبش لي من ماشيتي إلا أنه أعوزني شيء من الصوف فطلبته من جارة لي فكملت به الكساء.

34 – ومنهم أبو محمد عبد الجليل ابن ويحْلاَنْ(225)

دكالي الأصل ونزل بأغمات وبها مات عام احد وأربعين وخمسمائة. كبير الشأن من أهل العلم والعمل. رحل إلى المشرق فلقي به شيخا من الصوفية. فأخذ عنه هذا الشأن شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبي ﷺ. حدثني بذلك مخلوف بن ياسين عن شيخه أبي علي منصور عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن يسولال عن شيخه عبد الجليل.

قَدْ أَحْدَثَ ٱلنَّاسُ أُمُوراً فَلاَ تَعْمَلْ بِهَا إِنِّي ٱمْرُؤٌ نَاصِحْ
فَمَا جِمَاعُ ٱلْخَيْرِ إِلاَّ ٱلَّذِي كَانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَفُ ٱلصَّالِحْ(226)

---

(224) س وم: وخلطه.

(225) ذكره في مفاخر البربر وقال: «الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الورع» وضريحه معروف وسط سوق أغمات الحالية يعرف بسيدي عبد الجليل. وفي بعض نسخ التشوف التي اعتمدها فور: ابن وِيغلان. وفي إثمد العينين: ابن وَايَحْلاَن وابن واجلان (ص 118). فتكون نسبته لاحلان وهو الجميل أو أوكْلاَنْ وهي الأنياب. نقل في الإعلام (8: 29) هذه الترجمة بنصها. وفي طرة ز: «ويغلان ويقال وِيغلان بالجيم وأنه لقب له وشيخه أبو الفضل الجوهري ارتحل من المغرب إلى أن أخذ الطريق على حقيقتها من المشرق. وأبو الفضل شيخه والده بشر وبشر شيخه السري السقطي والسقطي شيخه الكرخي ...».

(226) البيتان لابن جبير. راجع نفح الطيب: 2: 492.

وحدثني مخلوف عن أبي علي عن أبي زكرياء قال : درس الناس الفقه على عبد الجليل ثلاثين سنة محتسبا مع شدة فقره وفاقته . فاكترى دارا بعشرة دنانير في العام . فاجتمعت عليه مائة دينار في عشرة أعوام . فقيل لصاحبها : من أين يؤدي لك عبد الجليل ما لك عليه من الكراء وليس عنده شيء ؟ فبلغه ذلك [فأهمه][227] . فرأى في منامه تلك الليلة رب العزة جل جلاله . فوقف بين يديه فقال له : ما أهمك . يا عبد الجليل ؟ فقال : يا رب أنت أعلم . فلما أصبح سمع قرع الباب ففتح فإذا هو برجل في الظلام . فناوله مائة دينار وانصرف عنه فأخذها منه وبعث بها إلى صاحب الدار .

وكان إذا انصرف عنه حملة الفقه يقول لخاصة أصحابه : تعالوا نأخذ في نور العلم . فيأخذ معهم في علوم الآخرة وأسرار التصوف .

قال أبو زكرياء : وانتهى عبد الجليل من شدة فقره إلى أن وضعت زوجه ولم يكن عنده غير كساء واحد . فدفع إليها نصفه وأخذ النصف الثاني ورحل إلى المشرق فحج ورجع ولم يعلم بذلك أحد . ولزم بيته وكان لا يخرج منه إلا في يوم الجمعة وكانت دار سكناه قريبة من الجامع . فإذا صلى الجمعة انصرف إلى منزله فلم يكن يصله إلا في أول وقت العصر من كثرة ما يحبسه الناس للدعاء والتمسح به .

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زكرياء بن إبراهيم الهزرجي[228] قال : سمعت الشيخ أبا عمران موسى بن ومصال النعال يقول : جاء ابن زرقون[229] إلى القاضي عبد الحق بن إبراهيم[230] فقال له : أما ترى ما أحدثه عبد الجليل من البدعة من

---

(227) س : فأغمه .

(228) في الترجمة (45) نقل عنه وسماه الشيخ الصالح أبا يحيى بن ابراهيم الهزرجي . وبشأن هزرجة . انظر هامشا على الترجمة (79) .

(229) ابن زرقون المعروف هو محمد بن سعيد الأنصاري (502هـ ــ 586هـ) قاضي شلب وسبتة . (**الذيل والتكملة** : 6 : 203) .

(230) كان يدرس بجانب من جامع واطاس بأغمات وريكة عندما مر بها المهدي بن تومرت سنة 514هـ فوقعت بينهما مناقشة أدت إلى انقسام الأغماتيين إلى مؤيدين ومعارضين وذكر البيذق أن عبد الحق ضايق المهدي حسدا له . بينما أورد في **الاستقصا** (2 : 85) نقلا عن ابن خلكان أن المهدي تلقى أمرا من الأمير بمغادرة مراكش فقال لأصحابه «ان لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا» وهو

اجتماع الناس عليه من باب الجامع إلى باب داره؟ فقال له القاضي : مر أنت وافعل كفعله واجمع الناس عليك ! فقال له : لا يتأتى لي ذلك . فقال له : ما أصنع انا في رجل وضع له القبول في الأرض فلولا ان الله يحبه . ما أحبه الناس .

وحدثني محمد بن أحمد الزناتي(231) : سمعت أبا علي [ويسينْ](232) ابن عبد الله الردعي يقول : كنت بدكالة . فقال لي الفقيه أبو حفص : أريد أن [أبعث](233) بقمح إلى عبد الجليل . فقلت له : زودني بدعوة وابعثني ولو إلى بلاد السودان(234) . فقال لي : سأدعو لك . فأحضر لي جملين وعليهما غرائر من قمح . فدعا لي وحملتها إلى أن وصلت مدينة مراكش زمان الحصاد والعساكر تطوف [حولها](235) ولم يتعرض لي أحد إلى أن وصلت أغمات وريكة . فسألت عن عبد الجليل فقيل لي انه في الجامع والناس صفوف من باب الجامع إلى باب داره يتبركون به ويتمسحون بأثوابه ويستوهبون منه الدعاء . فلما وصل إلى باب داره . افترق الناس عنه . [فناولته](236) كتاب أبي حفص فقرأه وأنزلت الغرائر عن الجملين فدخل داره . ثم خرج وجعل ينظر يمينا وشمالا فقال لي : قرب الغرائر . فجعلت أدحرجها واحدة بعد واحدة إلى أن قربتها من باب داره . فلم أشعر إلا وهي في داخل الدار في أسرع من طرفة العين واني لأعجب من ذلك متى ما تذكرته . وقد شاهدت من كرامات الأولياء كثيرا فما رأيت أعجب من ذلك . فأدخلني وأحضر لي طعاما فأكلت منه وانصرفت .

■ عبد الحق بن ابراهيم . وأنهم نزلوا عنده وأشار على المهدي بتينمل . وقد ذكر صاحب الإعلام (8 : 38) عبد الحق بن إبراهيم هذا المذكور في **التشوف** على أنه الذي نزل عنده المهدي . وخبر البيذق أقرب إلى الصحة . ولعل عبد الحق صاحب المهدي هو غير هذا .

(231) ف : الزياتي وهو خطأ . وأبو عبد الله الزناتي هذا نشأ بمراكش وكانت له مخالطة بعدد من معلمي الكتاتيب وأفاضل رجالها بعضهم مترجم في **التشوف** . اعتمده المؤلف في كثير من أخبار هؤلاء النازلين بمراكش .

(232) ترجمته تحت رقم 127 .

(233) س : أبعثك .

(234) المقصود هو السودان الغربي أي الممالك التي كانت على حوض نهر النيجر ونهر السينغال وكانت للمغرب علاقات معها منذ القرون الإسلامية الأولى على الأقل .

(235) س : حولنا .

(236) م : فدفعته إليه .

حدثني الثقة عن الحسن بن عبد الله[237] وكان قد ادرك عبد الجليل قال : لما كان عام أربعين وخمسمائة نادى المنادي بأغمات : كل من هو ساكن بدار قريبة من الجامع فلينتقل منها بأهله وماله فمن أتت عليه ثلاثة أيام ولم يخرج من داره فلا يلومن إلا نفسه إلا عبد الجليل . فدخل على عبد الجليل من أخبره أن الناس المجاورين للجامع أمروا بالانتقال من ديارهم ولم يستثن أحد سواه وان من بقي [بعد ثلاثة أيام] أخذ ماله ، فعظم ذلك على عبد الجليل . فأمر أهله بالانتقال مع الناس . فلما قيل ان عبد الجليل قد رحل مع الناس ، نادى المنادي بان يرجع الناس إلى ديارهم . فرجع إلى داره ورجع الناس إلى ديارهم . فجاء الرسول إلى عبد الجليل أن ينهض إلى جبل [اجليز][238] . فاعتذر له بأنه مريض فقال له : لابد من النهوض ولو [حملناك][239] على نعش ! وكان ذلك وقت الظهر . فطلب أن يؤخر إلى وقت العصر . فلما كان وقت العصر خرجت إلى الناس جنازته رحمه الله ، فصلوا عليه . فدفن قبلي مدينة أغمات .

يَا مَنْ لَهُ ٱلتَّوْحِيدُ وَٱلتَّحْمِيدُ ... وَلِوَجْهِهِ ٱلتَّعْظِيمُ وَٱلتَّمْجِيدُ
يَا وَاصِلِي لَمَّا جَفَانِي خَلْقُهُ ... يَا قَائِماً بِي وَٱلْعِبَادُ رُقُودُ
يَا حَافِظِي وَٱلنَّاسُ عَنِّي غُفَّلٌ ... يَا مَنْ حَمَانِي وَٱلْعُيُونُ هُجُودُ
أَمِنَ ٱلْمُرُوءَةِ أَنْ أَوَدَّ بِغَيْرِهِ ... أَمُدَبِّراً غَيْرَ ٱلْإِلَٰهِ أُرِيدُ
تَٱللَّهِ لَا عَلِقَ ٱلْفُؤَادُ بِغَيْرِهِ ... مَادَامَ فِي ٱلشَّجَرِ ٱلْمُوَرَّقِ عُودُ[240]

وحدثني مخلوف بن ياسين قال : حدثني أبو علي منصور بن عبد الرحيم قال : حدثني أبو زكرياء يحيى بن [يسولال][241] قال : قال لي : عبد الجليل : أقمت ثلاثين سنة ما اجتمع عندي مدي مع مدي ولا صحفة مع صحفة . شك أبو

---

(237) ممن حدث عنه المؤلف بأخبار أغماتيين مات آخرهم وهو أبو عبد الله الهواري سنة 581هـ .
(238) إيكَلِّيزْ أوكَلِّيزْ مكان صخري أو صخرة عظيمة ، والمقصود هنا جبل صخري صغير يوجد غربي مدينة مراكش تقلع منه الحجارة للبناء منذ العصر المرابطي .
(239) س : تُحمل .
(240) من الكامل .
(241) س : يسولاّن .

زكرياء وقال : كان يواصل أربعين يوما ، وجاهد إبليس على ثلاثة أشياء إلى أن قال له بعد ثلاثين سنة : والله لا [أطالبنك][242] بها أبدا ، فإنك أعييتني ! قال : وكانت طائفة بأغمات تسيء [النظر][243] بعبد الجليل . فاشترى يوما رجل جبة بعشرة دنانير ووهبها له فأخذها عبد الجليل وجعلها في طاق على باب داره فمر به نصراني يوما فرماها له . فانتقدوا ذلك عليه وعظم ذلك على واهبها فما مر على ذلك النصراني سبعة أيام إلا وأسلم وحسن إسلامه .

وحدثني علي بن عيسى قال : حدثني أبو علي الحسن بن عبد الله قال : قعد أبو زيد أمام الجامع بأغمات مع أصحابه فتذاكروا أخبار الصالحين إلى أن قيل له : حدثنا أنت بما شاهدت من [شيخنا][244] عبد الجليل . فقال : ما شهدت انا شيئا وإنما حدثتني عنه زوجه . فقيل له : وما حدثتك به ؟ قال : حدثتني أنه لما أسن ، كان لا يتوضأ إلا بالماء السخن . فقمت ليلة لأسخن له الماء فوجدت النار قد طفئت . فقعدت متحيرة . فإذا أنا بجمرة قد تدحرجت من تحت الباب . فقمت فأوقدت بها النار وسخنت له وضوءه . قالت : وكانت له غرفة فيها حصير يصلي عليه وسليخة ينام عليها ، وكان لنا ولدان سالم وعبد الدائم . فصاح علي ليلة وقال لي : من صعد إلى الغرفة . فقلت : لم أدر من صعد اليها . ثم إني سألت ولده سالما فقال لي : أنا صعدت . فقلت له ماذا صنعت فيها ؟ قال لي : نمت على السليخة واحتلمت . فقلت لعبد الجليل : لم سألتني عمن صعد الغرفة ؟ فقال لي : رأيت النبي ﷺ لما قرب منها رماها برجله ، فعلمت انها حدث بها أمر . فقلت له : إن ابنك سالما نام عليها واحتلم . فأمر بها فغسلت .

35 – ومنهم تُنْفيتْ [اليرصِجي][245]

من أهل دكالة وبها مات قبل الأربعين وخمسمائة ، من الأفراد ، وممن جربت إجابة دعوته فصحت .

---

(242) س : لا طالبتك .

(243) س : الظن ، وهو الأرجح .

(244) غ : شيخك .

(245) تُنْفيت ، ويطلق على حجارة جيرية للونها في الغالب . ولعل الاسم هنا للشبه في

حدثني أبو بكر بن محمد قال : حدثني عبد السلام بن عبد الواحد قال : ولي بعض عمال علي بن يوسف على اخوة تنفيت . فخافوا من جوره عليهم وأرادوا أن يعرضوا عليه الشيخ ليدعو لهم عليه . فلما وصلهم العامل من مراكش جاؤوا إليه وقالوا له : إن هذا الشيخ العابد قال فيك كذا وكذا . فبعث إليه العامل وقال له : يا شيخ . ما لي ولك . إنك تقول اني أطالب الناس بما لا يجب عليهم . وأغلظ له في القول . وكان الشيخ بريئا مما نسب إليه قومه . وقصدوا به دعاءه على العامل فغضب الشيخ وقال له : ما لك الي ؟ صرفك الله عنا بصارف من قدرته ! ثم تحول عنه إلى داره . فجاء كتاب السلطان إلى العامل بالعزلة . فلم يؤدوا في ذلك العام شيئا .

36 – ومنهم أبو [وَزْجيج][246] [يِفْراكْسْ][247] ابن يسُولال الدكالي

من أقران أبي حفص بن ميكسوط . من أكابر الأولياء . مات في حدود الأربعين وخمسمائة .

حدثني بركة بن [وزجيج][248] بن يفراكس قال : حدثني أبي قال : كان ومنوس بن موسى يجمع الجيوش فيثير الفتن بين القبائل ويهيج بينهم الحروب . فشكاه الناس إلى الشيخ فقال : اللهم أبعده عنا وأرحنا منه ! فلم يلبث غير يسير حتّى بعثه علي بن يوسف إلى ميورقة وسجنه . فأقام بها مسجونا إلى أن مات واستراح الناس منه .

= اللون . وفي ق : البرصجي وهو جائز فهو اما الإِرْصكي بنطق الصاد زايا مفخمة أو البورْصكي .

(246) م : أبو وِرْزَجيج . والصحيح : أبو وَزْكِيكْ أو إيلا أزْكِيك كما في **أخبار المهدي** ص 127 . ومعناه قريب من أَزيكْ وهو العُرف في شعر الرأس وفيه كيفيات يُتَفَاءل بها . ويحتمل أن يكون معناه : صاف أو خالص .

(247) إيفْرَاكْسْ أو إيفْرَاكْسْنْ . وأقرب المعاني فيما يعرف اليوم أنها جمع أَفْرْكُوس ومعناه الذرية الصغيرة . وكأنما إفْراكْسْ معناه : ولود .

(248) أي ابن أبي وزكيك . ولكن وضع شد على الواو يقوم مقام «أبو» .

37 – ومنهم أبو محمد أبو الأمان ابن يِلَّارْزَغْ[249] [الهسكوري الأسود][250]

من بني مصطاو[251] . كان من الحفاظ لمذهب مالك . رحمه الله . ويقال إنه درس الفقه على عبد العزيز التونسي بأغمات وكان عبدا صالحا . مات عام أربعين وخمسمائة ودفن برباط حكم من بلد هسكورة[252] .

حدثوا عنه أن علي بن يوسف خرج من مراكش لزيارته فلم يرد أبو محمد أن يدخل إليه . فخرج إليه من داره ولقيه في الفحص وقعد معه ساعة ثم افترقا . فلما احتضر أبو محمد قال لأخص أصحابه : ادن مني . فدنا . فقال له في أذنه : كانت لي أحوال ، ففقدتها من يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه ، فإياك ولقاء الناس .

رَأَيْتُ ٱلانْـقِبَاضَ أَجَلَّ شَيْءٍ   وَأَدْعَى فِي ٱلْأُمُورِ إِلَى ٱلسَّلَامَهْ
فَهَـذَا ٱلْخَلْقَ سَالِمْهُمْ وَدَعْهُمْ   فَخُلْطَتُهُمْ تَقُودُ إِلَى ٱلنَّدَامَهْ
وَلَا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ غَيْرِ شَيْءٍ   يَقُودُ إِلَى خَلَاصِكَ فِي ٱلْقِيَامَهْ[253]

---

(249) إيلا أَرْزْكْ معناه : ذو سعد أو مسعود . ويقتضي الربط حذف همزة القطع فينطق الاسم إيلا رْزْكْ .

(250) سقط من طبعة فور .

(251) على هامش غ : أن مدفن المترجم ببلاد السراغنة . ولم نتمكن من تحقيق ذلك . وبنو مْصطَاوْ أو آيْتْ مْصْطَاوْ معدودون في هسكورة الظل كما عند **البيذق** (ص 44) وعند ابن خلدون (**التاريخ** ، الجزء 6) ولعلهم فطواكة لأن البيذق ذكر جميع قبائل هسكورة الظل المعروفة الا فطواكة وذكر بني مصطاو بينا ذكرهما ابن خلدون - الا أن يكون بنو مصطاو في سهل السراغنة لما كان امتدادا لهسكورة .

(252) أيت حكم المعروفون اليوم في غجدامة وهم من هسكورة قديما وأقرب قبائلهم إلى أغمات التي درس بها المترجم .

(253) الأبيات لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى . راجع **الذيل والتكملة** : 6 : 228 . وفي ف . جاء في صدر البيت الثالث : ولا تعبأ بشيء .

38 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن[254] الهواري

من أهل أغمات وريكة وكان عبدا صالحا كثير الإيثار والصدقات . مات قبل الأربعين وخمسمائة . وحدثوا عنه انه كان في عام مجاعة شديدة . فسوقت دار لامرأة اضطرت إلى بيعها . فأدخله الدلال ليشتريها بخمسمائة دينار . فأراد أن يدخل بيتا منها ليقلبه . فقيل له : إن فيه المرأة التي تبيعها مع بناتها ولولا حاجتهن ما باعتها . فخرج من الدار وبعث إلى المرأة خمسمائة دينار . فأمسكتها المرأة ولم تنفقها إلى أن بعثت إليه . عسى أن يكمل التبايع بيننا لأتصرف في الثمن وتقبض دارك . فبعث إليها في السر : إن الدار باقية على ملكك والمال مالك . فانتفعي به فإنما بعثته اليك لتسدي به فاقتك .

تُعَاتِبُنِي فِي ٱلْجُودِ وَٱلْجُودُ شِيمَتِي ... وَمَا لِي بِإِبْدَالِ ٱلطِّبَاعِ زَعِيمُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْجُودِ أَمَّا حَدِيثُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا حُبُّهُ فَقَدِيمُ
أَرَى ٱلنَّاسَ خُلاَّنَ ٱلْجَوَادِ وَلاَ أَرَى ... بَخِيلاً لَهُ فِي ٱلْعَالَمِينَ حَمِيمُ
وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُعَاشُ بِعَيْشِهِ ... وَلَوْ أَنَّهُ فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ مُقِيمُ
ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ عَارٌ بِأَهْلِهِ ... وَمَا ضَرَّ مِثْلِي أَنْ يُقَالَ عَدِيمُ
وَكَيْفَ يَخَافُ ٱلْفَقْرَ أَوْ يَحْرِمُ ٱلْغِنَى ... كَرِيمٌ وَرَبُّ ٱلْعَالَمِينَ كَرِيمُ[255]

39 – ومنهم أبو الفضل [بن][256] أحمد ابن محمد بن عبد الله

من أهل سجلماسة وبها مات في رمضان عام اثنين وأربعين وخمسمائة وكان عبدا صالحا .

---

(254) كان بأغمات قوم من هوارة واليهم يُنسب . وقد نقل هذه الترجمة صاحب **أنس السارب والسارب** (ص 16) وقد وقف على قبره . ولم يعد يعرف اليوم .

(255) الأبيات لابن العريف . كما في **رحلة العبدري** ص. 252. وسقط منها بيت في **الرحلة** وبيت من **التشوف** .

(256) سقط من س .

حدثني ابن أبي القاسم عن أبيه قال : سمعت أبا الفضل يقول : أرجو ان ألقى الله تعالى وهو لا يحاسبني على كذبة واحدة الا كذبة أكرهني السلطان عليها وليس مع ذلك علي منها في الشرع شيء . قال : وسمعت أبا الفضل يحدث أنه طلب . فخاف على نفسه فاختفى في جنة له وبقي بها إلى أن أشرف على الموت من شدة الجوع . فرفع رأسه ونظر إلى عريش عنب فرأى به قطفا من عنب في غير ابانه فتناوله وأكله وكان رزقا ساقه الله اليه .

وَكَمْ رُمْتُ أَمْراً خِرْتَ لِي فِي ٱنْصِرَافِهِ
[فَقَدْ كُنْتَ][257] فِي مِنِّي أَبَرَّ وَأَرْحَمَا[258]
عَـزَمْتُ عَـلَى أَلاَّ أُحِسَّ بِـخَـاطِـرٍ
عَـلَى ٱلْقَلْبِ إِلاَّ كُنْـتَ أَنْـتَ ٱلْمُقَدَّمَا
[وَأَنْ لاَ][259] تَرَانِي عِنْدَمَا قَدْ [نَهَيْتَنِي][260]
وَإِنْ كَـانَ فِي نَـفْسِي أَثِيراً مُـقَـدَّمَـا
وَمَا كُنْـتُ أَدْرِي كَيْفَ يَصْبِرُ وَاجِدٌ
وَلاَ كَيْـفَ يَسْلُو بَعْدَ مَا قَدْ تَيَتَّمَا
فَأَنْـقَـذْتَنِي بِالْجُودِ مِنْ غَمْرَةِ ٱلرَّدَى
وَعَلَّمْتَ قَلْبِـي ٱلصَّبْرَ حَتَّى تَعَلَّمَا
وَلَوْ لَـمْ تُـخَلِّصْنِي بِجُودِكَ لَمْ أَجِدْ
إِلَى سَـلْـوَةٍ حَـتَّـى ٱلْـقِيَامَةِ سُلَّمَا

---

(257) في **طبقات الصوفية** للسلمي ص 169 : فلا زلت لي .
(258) نسب السلمي هذه الأبيات لأبي الحسين النوري المعروف بابن البغوي .
(259) وألا .
(260) كرهته .

40 - ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عمر الأصم*

من أهل سجلماسة وهو من أكابر الصوفية. توفي في عام اثنين وأربعين وخمسمائة.

حدثني ابن أبي القاسم عن ابن المعتصم قال: مر رجل بأبي عبد الله الأصم وهو يتعبد فضرب عنقه. فمر به أحد أصحابه فقال: رحمك الله يا عبد الله. ولا رحم قاتلك. فدفنه من الخوف بين الديار إلى أن يمكنه دفنه في المقابر. فأعلم أصحابه بذلك فجاؤوا ليحفروا عليه فلم يجدوه.

وحدثني محمد بن أبي القاسم قال: حدثني يزيد الوجدي المؤذن عن أبي القاسم بن علي الدادسي قال: سعى بأبي عبد الله الأصم وأبي عبد الله الدقاق وأضرابهما عند تاشفين بن علي. فأمر بإشخاصهما إلى مدينة فاس فسجنا بها. فكان أبو عبد الله الأصم إذا حانت أوقات الصلاة يسقط كبله من رجليه ويخرج من السجن [ولا يراه][261] أحد إلى أن يصلي مع الناس جماعة. ثم يعود إلى السجن فكان صهره يعيد الكبل إلى رجليه ويقول له: ما تريد إلا أن نهلك بسببك. ثم ظهر للسلطان أنه بريء مما نسب إليه وإلى أصحابه فسرحهم.

صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ
وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ[262]
وَجَرَّعْتُـهَا الْـمَكْرُوهَ حَتَّى تَدَرَّبَتْ
وَلَوْ لَـمْ أُجَرِّعْـهَا أَذًى لَٱشْمَأَزَّتِ
أَلَا رُبَّ عِزٍّ سَاقَ لِلنَّفْسِ ذِلَّةً
وَيَـا رُبَّ نَـفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَّتِ

(*) راجع **جذوة الاقتباس**: 267.

(261) س: ولا يرده.

(262) نسبها الطوسي في **اللمع** ص. 320. للخواص.

41 — ومنهم أبو عبد الله الدقاق[263]

من أهل سجلماسة وكان يتردد إلى مدينة فاس . من كبار مشايخ الصوفية . وأحد أشياخ أبي مدين[264] ومن أصحاب أبي عبد الله الأصم وأبي عمرو التلمساني[265] وكان يصرح بأنه ولي ويتكلم بأشياء تنكر عليه . فذكر ذلك بعض أصحابه لابن العريف وأبي الحكم بن برجان[266] فقالا : لا تنكروا عليه شيئا من أحواله . وتحدث أبو عبد الله يوما مع بعض أصحابه فبدرت منه كلمة ذكر فيها ضيق حاله [لهم][267] . فلما افترقوا نام بعض أصحابه فقيل له : قل لأبي عبد الله الدقاق :

قُلْ لِلرُّوَيْجِلِ مِنْ ذَوِي الأَقْدَارِ ... اَلْفَقْرُ أَفْضَلُ شِيمَةِ الأَحْرَارِ[268]
يَا مَنْ شَكَا لِلنَّاسِ فِعْلَةَ رَبِّهِ ... هَلاَّ شَكَوْتَ تَحَمُّلَ الأَوْزَارِ
إِنَّ الَّذِي أُلْبِسْتَ مِنْ حُلَلِ التُّقَى ... لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ مِنْهَا عَارِي

فلقي أبا عبد الله الدقاق . فأعلمه فصاح أبو عبد الله وأخذ في البكاء .

---

(263) راجع **جذوة الاقتباس** : 266 والروض **العاطر الأنفاس** . ص 170 وسلوة **الأنفاس** : 3 : 102 وقد نقل صاحبها عن **التشوف والمستفاد والفتوحات المكية** وذكر مصادر أخرى وذكر محل دفنه بفاس وأن وفاته بين آخر القرن السادس وبداية السابع . وقد أحال أدولف فور على البحث الذي نشره الفريد بيل Alfred Bel عن أبي مدين وشيخه الدقاق في «Mélanges René Basset», t. 1, p. 31 وذكره فيه أن التادلي نقل ترجمة الدقاق من النقش الذي على ضريحه . ولم يفترض أن يكون النقش متأخرا ومنقولا عن التادلي .

(264) انظر ترجمته تحت رقم 162 .

(265) مرت ترجمته تحت رقم 28 .

(266) أبو الحكم بن برجان هو عبد السلام بن عبد الرحمان اللخمي ، اشبيلي غُرِّب إلى مراكش فتوفي بها سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، قال فيه ابن الزبير : كان من أجل رجال المغرب . إماما في علم الكلام ولغات العرب والأدب . راجع **وفيات الأعيان** : 4 : 236 والمصادر التي ذكرها المحقق . وفي **الإعلام** : 8 : 473 أن قبره برحبة الزرع (القديمة) مراكش .

(267) غير واردة في س وم .

(268) من الكامل .

حدثني أحمد بن يوسف قال : سمعت محمد بن عمروس[269] يحدث أن رجلا من جيران أبي عبد الله الدقاق كان يسمع بكراماته وفضائله فيزدريه ولا يراه هناك. فنام ليلة فرأى في نومه شخصا. فقال له : أرني وليا من الأولياء. وفي رواية أخرى : فرأى النبي ﷺ فدفع إليه مفتاحا وقال له : ادخل ههنا. فكل بيت تفتحه تجد فيه وليا من الأولياء. فدخل في دار كثيرة البيوت ففتح أول باب فوجد فيه أبا عبد الله الدقاق، ثم فتح ثانيا، فوجده فيه، ثم فتح ثالثا فوجده فيه. فلما أصبح ذهب إلى أبي عبد الله ليعلمه فابتدره أبو عبد الله قبل أن يكلمه وقال له : لو فتحت الأبواب كلها لوجدتني في كل بيت تفتحه.

حدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي[270] قال : حدثني أبو عبد الله [القارئ][271] قال : وعدت جماعة من الصوفية بفاس أن يبيتوا عندي وفيهم أبو عبد الله الدقاق. فنمت في النهار فرأيت في منامي الشمس قد نزلت من السماء إلى موضع من بيتي. فلما كان في الليلة التي وعدتهم أن يبيتوا عندي، رأيت كل من يدخل البيت يميل عن الموضع الذي رأيت فيه الشمس إلى أن دخل أبو عبد الله الدقاق، فقعد فيه. فلما رآني أديم النظر إليه قال لي : أنا شمس هذا الوقت. فانبسطت معه وقلت له : سألتك بالله، هل مشيت قط في الهواء؟ فقال لي : دخلت في بلد لا يجاز إليه إلا على قنطرة ضيقة لا يمر عليها إلا شخص واحد، فإن التقى عليها شخصان رجع أحدهما لئلا يسقط الآخر. فكنت أسير عليها ذات يوم. فرأيت امرأة ضعيفة قد استقبلتني. فكرهت أن [أتعبها][272] بالرجوع. فوثبت لأسقط عن القنطرة في الوادي. فأمسكت في الهواء فلما جازت المرأة، عدت إلى القنطرة. فإن كان هذا من المشي في الهواء فهو ذلك.

---

(269) ق : عمروش.

(270) ممن أخذ عنهم المؤلف أخبار السبتيين عن أبي الصبر أيوب وغيره. وكان من المعتقدين في أولياء الوقت ومن المترددين على رباط شاكر.

(271) في نسخة من ف : الغازي.

(272) س : أتبعها.

42 – ومنهم أبو محمد صالح بن وُمْليل الجراوي[273] تادلي المنشأ

نزل بوادي درعة[274] وبه مات في أعوام الأربعين وخمسمائة وكان من العلماء العمال لله تعالى.

حدثوا عنه أنه نظر إلى صخرة يوما بخارج بلد [تازاجورة][275] فقال لتلامذته : على هذه الصخرة أستشهد. فاتخذ ذلك المكان مصلى يصلي فيه فقتل، رحمه الله، بعد مدة في ذلك المكان. فذهب قاتله مع أصحابه إلى مكان آخر. فنزلوا فيه. فلما ناموا قام من نومه مرعوبا. فقال له أصحابه : ما الذي دهاك ؟ فقال لهم : لما نمت رأيت الرجل الذي قتلته راكبا على فرس وبيده حربة فطعنني بها فانتبهت فزعا، فما أصبح حتّى حاربه قوم فقتلوه.

إِنْ كَانَ سُكَّانُ ٱلْفَضَا رَضُوا بِقَتْلِي فَرِضَا[276]
وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِمَا يَهْوَى ٱلْحَبِيبُ مُبْغِضَا
مَنْ لِمَرِيضٍ لَا يَرَى إِلَّا ٱلْحَبِيبَ ٱلْمُمْرِضَا
فَسَلِّمُوا لِقَادِرٍ فِيمَا أَرَادَ وَقَضَى

43 – ومنهم ريحان الأسود

من الأفراد. وكان بميناء مدينة سبتة. فإذا نزلت بأحد نازلة ذهب اليه فيفرج الله عنه وكان ظاهر البركات يخبر بالعجائب فتخرج كفلق الصبح. فكان إذا تكلم بكلمة أعادها مرارا فإذا سمعه من لا يعرفه ظن أنه مجنون.

(273) ابن ومليل معناه ابن الأبيض. نقل صاحب **الدرر المرصعة** هذه الترجمة ولم يزد شيئا.

(274) أصل الاسم : ادرا بمعنى : عميق، وليس من درَّع كما يُقال ويُكتب. وهو الوادي الشهير جنوبي المغرب الأقصى.

(275) تَازَا كُورْتْ ومعناها الجرف الصغير أو البناء بالحجارة الصغيرة والطين، خلافا لعادة البناء بالطابية كما هو شائع في هذه المناطق. وموقعها معروف على وادي درعة وتسمى اليوم زاكورة. وكانت بها قلعة مرابطية. راجع مجلة **Hespéris** الفصل الثالث والرابع 1956.

(276) من مجزوء الرجز.

حدثني الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي عن مخبر أخبره أن امرأة من أهل سبتة أسر زوجها ولها منه عدة أولاد . فضاق عليها الحال فقيل لها : لو ذهبت إلى ريحان واستدعيته إلى منزل وشكوت إليه الحال [لفرج عنك الله][277] . فذهبت إليه واستدعته إلى منزلها فقال لها : مري سأجيئك . وأخذ في إعادة هذا الكلام على عادته . فتقدمت إلى منزلها . فوجدته واقفا عند بابها ينتظرها وما كانت تعرفه قبل ذلك ولا أعلمته بمكانها . ففتحت الباب وأدخلته في بيت فلما دخلت عليه قام في وجهها قياما منكرا كادت تصرع منه . فخرج عنها . [فجرت][278] إلى الذي دلها عليه وقالت له : كاد يذهب بعقلي ما شهدته منه . فقال لها : كيف فعلت معه ؟ فقالت له : أدخلته في بيت ودخلت عليه . فقال لها : من أجل ذلك تنكر لأنك خلوت به وأنت غير ذات محرم منه . فاستدعيه مرة أخرى وأحضري معه الأهل والجيران فانه يأنس ولا ينفر . فجرت إليه واستدعته وملأت الدار بالأهل والجيران . فجاء إليها فشكت إليه أمر زوجها وضعف حالها فقال لها : يجيء يوم كذا وكذا . وعين لها ذلك اليوم وخرج وهو يعيد كلامه فلما جاء اليوم الذي ذكره لها جاء زوجها وقد انطلق من الأسر .

44 – ومنهم رجلان مجهولان

حدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : حدثني أبو عبد الله [الوادلاوي][279] المعلم وكان من الأخيار قال : حدثني ابن عاصم[280] قال : كنت بميناء مدينة سبتة . فرأيت رجلين يشتدان حتّى وصلا إلي فقالا لي : هل مر

(277) اسم الجلالة غير وارد في النسخ التي راجعناها .

(278) س : فرت .

(279) م وس : الواد لاوي . نسبة إلى وَاد لاوْ . أو وَادي لَوْ كما عند ابن هشام اللخمي في لحن **العامة** وهو في الريف الغربي .

(280) هو أبو محمد عبد الله بن عاصم من أهل سبتة ومن تلاميذ الشيخ أبي يعزى . ذكره العزفي مرارا في **دعامة اليقين** . وقال : هو الحاج وعاصم باللسان الغربي . ووصفه بالفاضل الزاهد الصالح العابد .

بك الآن رجلان؟ فقلت لهما : لا . فرا عني وهما يشتدان . ثم عادا وهما [يتأوهان][281] ويقولان : والله لا أفلحنا أبدا . ثم سألتهما عن [قصتهما][282] فقالا : [كنا في قارب لنا نصطاد][283] حوتا فرأينا في الميناء رجلين لا نعرفهما . فقالا لنا : هل لكما في إدخالنا معكما في القارب ؟ فأجبناهما إلى ذلك . فقالا لنا : صيدا في هذا المكان . فقلنا لهما : إن الحوت الطيب لا يكون إلا على البعد . فقالا : ان الذي يرزق على البعد يرزق على القرب . فأثر كلامهما في قلوبنا . فأرسلنا الأشباك . فرفعنا [الطردنس][284] وهو من النوع [الأعلى][285] الذي لا يوجد إلا على البعد الا في النادر . فكلما رمينا الشبكة رفعنا حوتا كثيرا . فنظر أحدهما إلى الآخر فقال له : هذا وقت الصلاة . فقالا لنا : عسَى أن تخرجنا إلى الشاطئ فنتوضأ ونصلي ثم نعود فتصيدان . فغلبت علينا الرغبة . فلم نحفل بكلامهما وأقبلنا على الاصطياد . فقال أحدهما للآخر : بسم الله ! فقال له الآخر : وبالله . فوثبا يمشيان على البحر ونحن ننظر إليهما حتَّى دخلا في الميناء . فأسرعنا في أثرهما فذهبنا يمينا وشمالا فلم نجد لهما أثرا .

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ طَرْفِي مَا نَظَرْتُ بِهِ
مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ يَوْماً إِلَى أَحَدِ[286]
وَلَسْتُ أَعْتَدُّهُ مِنْ بَعْدِكُمْ نَظَراً
لِأَنَّهُ نَظَرٌ مِنْ نَاظِرَيْ رَمِدِ

---

(281) م : يتلهفان .

(282) م : عن خطبهما .

(283) س : دخلنا في القارب لنصطاد .

(284) اشتهرت سبتة بمصايد الحوت وكثرة أنواعه . راجع . **نزهة المشتاق** . ص . 529 من طبعة بريل . ولعل الطَّرْدَنْس هو النوع الذي ذكره J.Gadenat في قاموسه عن **الحيوانات البحرية** المنشور في داكار سنة 1947 وسماه Tarandakh وكذا في قاموس **الصيد العام** لصاحبه H. de la Blanchère المنشور في باريس سنة 1926 وسماه Tardineau.

(285) م : الطيب .

(286) من البسيط .

45 — ومنهم أبو الطيب ومُحْرِز ومحمد[287]

وهم ثلاثة إخوة من أهل سفاقس . نزلوا بأغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل[288] وكانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم وكانوا يحضرون مجالس العلم فيستمعون ولا يتكلمون إلى أن وصلت كتب من سفاقس إلى أهل أغمات ينبهونهم على قدرهم . فأخذوا عنهم ونفع الله بهم . وكان محمد أصغرهم سنا وكان يخدم إخوته وكان أبو الطيب أعلمهم .

حدثني علي بن عيسى قال : حدثني الحسن بن عبد الله قال : تزوج تلميذ من تلامذة أبي الطيب فانقطع عن ورده خوفا من الرياء . ثم مر إلى أبي الطيب يسأله عن ذلك . فلما قرع الباب . أجابه أبو الطيب من وراء الباب قبل أن يسأله فقال له : لا رياء بين الرجل وزوجه . وانصرف وقد سمع الجواب . وحدثني الشيخ الصالح أبو يحيى بن إبراهيم الهزرجي قال : أكبر ظني أن أبا علي الحسن بن عبد الله حدثني عن عجوز كانت تخدم أبا الطيب قالت : وقع لي يوما الدلو في البئر . فلما قام بالسحر إلى ورده خجلت . فرأيته جاء إلى البئر وقد ارتفع الماء منه بحيث يمكنه الوضوء منه . فجعل يتوضأ حتى فرغ من وضوئه . قال : وقد كان أبو الطيب عزبا مفردا . فقيل له : هلا تزوجت ؟ فقال : ما رغبت عن التزويج عجزا عنه واني لفحل من الفحول وقوي الجماع وما منعني منه إلا قول الله تعالى : في شأن الزوجات : «عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[289] وإني أخاف ألا أقدر على معاشرة الزوجة بالمعروف .

---

(287) نقل صاحب **الإعلام** (3 : 282) ما ورد في **التشوف** دون زيادة . عندما مر المهدي ابن تومرت في طريق رجوعه من الشرق بتلمسان . كان في مجلسه فقيه اسمه محرز التونسي تساءل ليفي بروفنسال عما إذا كان هو المذكور في **التشوف** (**أخبار المهدي** . ص 94 من الترجمة) .

(288) إيغيلْ معناه الذراع . وهو اسم شائع لكثير من الأعراف الجبلية والتلال المستطيلة وعُرِّب الكثير منها إلى الذراع . راجع ... Laoust, Toponymie... وإيغيل المقصود هنا معروف . راجع :

Terrasse (H.) — Sanctuaires et forteresses almohades, p. 377

(289) سورة النساء . الآية : 19 .

وحدثني علي بن عيسَى بن ناصر عن مخبر أخبره ان محرزا مر مع أخيه محمد بأغمات على جزار من معارفه . فقال محمد لمحرز : ان هذا الجزار من أمره كيت وكيت . وأثنَى عليه . فقال محرز : بارك الله له ! فمكث ثلاثة أيام يبيع من لحم ثور كان في حانوته حتَّى مل الجزار من بيعه ورمَى يوما السكين من يده وقال : لا يتم لحم هذا الثور أبدا ولو حدثتكم بما بعت منه لقلتم : هذا أحمق .

وحدثني الشيخ الصالح أبو بكر بن إبراهيم بن أبي عمران النعال عن أبي وكيل ميمون بن [تِيكَرْتْ][290] قال : حضرت مجلس الفقيه محرز مع جماعة من تلامذته . فصاح علينا : كيف تدخلون المسجد جنبا من معصية [الله][291] ؟ فقوموا عني ! فقاموا وأردت أن أقوم فقال لي : اجلس أنت يا ميمون «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ»[292]

46 – ومنهم أبو زيد الإمام[293]

من أهل أغمات وريكة وكان إمام الفريضة بجامعه وهو تلميذ عبد الجليل بن ويحلان وكان جليل القدر .

وحدثني علي بن عيسَى قال : سمعت يوسف بن يعقوب يقول : لما مرض أبو زيد مرضه الذي مات منه كنا نأتيه بالدواء فيقول لنا : دعوه حتَّى تناولنيه ابنتي . فناولناه يوما دواءه فلم يكترث بأخذه وبقي كذلك إلى أن مات . فوقفت علينا مملوكته أم الخير فقالت : هل أفطر قبل موته ؟ فقلنا لها : لم يتناول شيئا بمحضرنا . فقالت : سبحان الله . مات وهو صائم . فقلنا لها : ألسنا نمزج له الشراب في كل يوم ندخل إليه ؟ فقالت : أليس كان يقول لكم : اتركوه حتَّى تسقينيه ابنتي ؟ فإذا خرجتم عنه رفعه. وما أفطر قط في مرضه إلا بعد المغرب .

(290) م : وق : تيكِوْتْ . والاسمان معا : تيكْرِت وتيكِوْت لا يُعرفان اليوم كأسماء أشخاص ولكنهما معروفان في أسماء الأماكن . وميمون هذا مترجم تحت رقم (64) .
(291) غير وارد في س .
(292) سورة التوبة : 91 .
(293) نقل ترجمته هذه في **الإعلام** (1 : 230) دون زيادة وكذا في **السعادة الأبدية** : 1 : 64 . وقبره بمقبرة أغمات القديمة وراء السوق الحالية خارج ضريح أبي عبد الله الهزميري . غير مبني عليه .

تَزَوَّدْ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ فَلَنْ تَرَى
بِوَادِي ٱلْغَضَا مَاءً نُقَاخاً وَلاَ وِرْدَا[294]
وَنَلْ مِنْ نَسِيمِ ٱلْبَانِ وَٱلرَّنْدِ نَفْحَةً
فَهَيْهَاتَ وَادٍ يُنْبِتُ ٱلْبَانَ وَٱلرَّنْدَا
وَكُرَّ إِلى نَجْدٍ بِطَرْفِكَ إِنَّهُ
مَتَى تَغْدُ لاَ تَنْظُرْ عَقِيقاً وَلاَ نَجْدَا
تَلَفَّتُّ دُونَ ٱلرَّكْبِ وَٱلْعَيْنُ غَمْرَةٌ
وَقَدْ مَدَّهَا سَيْلُ ٱلدُّمُوعِ بِهَا مَدَّا
لَعَلِّي أَرَى دَاراً بِأَسْنِمَةِ النَّقَا
فَأُطْرِبُنَا لِلدَّارِ أَقْرَبُنَا عَهْدَا
تَلاَعَبُ بِي بَيْنَ ٱلْمَعَالِمِ لَوْعَةٌ
فَتَذْهَبُ بِي يَأْساً وَتَرْجِعُ بِي وَجْدَا

وحدثني علي بن عيسى بن ناصر قال : كان القاضي أبو يوسف[295] قد أمر أن يؤتى بمخلوف [القفاص][296] . فاشتد البحث عنه والطلب إلى أن قبض عليه بعد حين . فلما حضر بين يديه قال له : أريد أن أخبرك بما شاهدته من العجب . رأيت أبا زيد الإمام قد خرج من باب المدينة . فأردت الخروج في أثره . فلما وصلت الباب وجدته مغلقا بالحجارة .

---

(294) وردت في **المدهش** لابن الجوزي . ص 534 دون نسبة .

(295) قاضي الجماعة بمراكش . أصله من ناحية بجاية . ودخل الأندلس . توفي مكفوفا بمراكش سنة 572هـ . راجع **التكملة** 1 : 279 . وفي **البيان المغرب** (3 : 110) أن وفاته سنة 571هـ . وقال فيه : «وكان فريد زمانه في الفضل والزهد والعدل . وكان له باع واسع في الأدب» .

(296) س : العفاص .

47 - ومنهم أبو تُونارْتْ(297) وَلْجُوط(298) ابن [ومْرِيل](299) الايلاني(300)

من أهل رباط [تاسْمَّاطْتْ](301) من عمالة مراكش وكان من أهل الفقه والفضل .

حدثوا عنه انه كان يصلي العشاء الآخرة بجامع [تاسماطت](302) ويبيت بمكة . فسمع بذلك من كان ينكر ذلك . فصلّى معه ليلة العشاء الآخرة وجاء إلى الباب الجوفي الذي عند الصومعة واتبعه . فالتفت إليه أبو تونارت . فقال له : اركب معي أيها الشاك ! فإذا هو بدابة بيضاء كأنها ناقة باركة عند الباب . فركب وركب الرجل خلفه . فسارت بهم إلى أن [وصل إلى مكة](303) فحطتهم . فعاد أبو

---

(297) تونَارْتْ تعني الدليل والضياء حسبما في مادة انر من **قاموس** دوفوكو . فيكون أبو تونارت له نفس المعنَى الذي لاسم أيلا النور أو بلنور . وفي معنَى تيفَاوْتْ الذي تسمى به المترجم 217 من **التشوف** . وهناك ولي يدعَى بابا علي أوتونارت تنتمي إليه قبيلة يايدا أو عمود بالأطلس الكبير الغربي . ويلاحظ أن أباتونارت كنية لولكوط آخر في الترجمة (211) .

(298) سبق الكلام عن وَلْكُوطْ في الهامش المتعلق بيرغواطة . فمعناه المنحرف عن السنة المعروفة . وربما كان اسم نبات الكوط وهو نوع من حشائش الدمن . آتيا من غذاء بعض الزهاد كما يرد في ترجمة أبي يعزَى (77) .

(299) وردت في نسخ عدة : ابن وامْزيل وأمْزيل الحداد . وفي س : ابن مزدل . وهو مستبعد وأقربها إلى الصواب : ابن وَامْرِيل أو وامْرِيلْ . وقد شرحنا بعض معانيها في الهامش المتعلق بأبي موسَى الكوزولي . في ترجمة واكاك بن زْلُو (رقم 5) . وقد تكون من أمَازْ وهو اللحية الغزيرة الشعر ويكون إلّ أو إيلّي المضاف إليه يعني «موجوده بمعنَى «ذو اللحية» أو ما ترمز إليه من الرجولة .

(300) الإيلَاني أو الأيْلَاني نسبة إلى قبيلة إيلَانْ . انظر هامشا في الترجمة (104) .

(301)ـ (302) تاسْمَّاطْتْ أو تَاسْمَّاطْ من حصَى الزلط الذي ينتشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها . وعليه فيكون الموقع ببلاد إيلان غير بعيد من أيت أُورير الحالية . لكننا لم نقف على الموقف بالرغم من التحري . وهناك تامساطت بفرقة إسول من غجدامة .

(303) س : حصلتهم بمكة .

تونارت إلى المغرب وأقام ذلك الرجل بالمشرق ولم يرجع إلى أن توفي أبو تونارت ، رحمه الله . فوصل إلى [تاسماطت][304] حينئذ . وكثيرا ما حدث الناس بهذه القصة .

مَحَا بَعْدَكُمْ تِلْكَ ٱلْعُيُونَ بُكَاؤُهَا ... وَغَالَ بِكُمْ تِلْكَ ٱلْأَضَالِعَ غُولُهَا[305]
فَمِنْ نَاظِرٍ لَمْ تَبْقَ إِلاَّ دُمُوعُهُ ... وَمِنْ مُهْجَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ غَلِيلُهَا
دَعُوا لِيَ قَلْباً بِٱلْغَرَامِ أُذِيبُهُ ... عَلَيْكُمْ وَعَيْناً فِي الطُّلُولِ أُجِيلُهَا

48 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن محمد بن يوسف*

من أهل مدينة سلا . وكان ذا مال فتصدق بجميعه وعزفت نفسه عن الدنيا وأهلها وأقبل على الله تعالى ومات بسلا قبل الأربعين وخمسمائة .

حدثنا محمد بن الحسن بن عبد الله[306] قال : حدثني أبي أن أبا العباس أحمد بن محمد . لما خرج عن ماله كله لم يبق له أحد إلا ابنة صغيرة اسمها مريم . فقال لي : عسى أن تكفلها . فكفلتها نحوا من ثمانية عشر عاما وهو غائب عنها . ثم إنه زارني . فأتيته بابنته فنفرت منه . فقلت لها : إنه أبوك ! فأبت أن تجيء اليه ثم غاب أيضا مدة . فجاء فوجد ابنته قد تزوجت . فحملته إليها فلم عليها ثم غاب عنها أيضا يسيرا فجاء . فقلت له : أسرعت الأوبة هذه المرة . فقال لي : انظر لي في مسحاة وقفة . فأتيته بهما وخرجت معه . فوصلنا إلى المقابر . فقال لي : عساك

---

(304) س : تاسماط ، ق : تامسطت . وهذه الصيغة الأخيرة تجعلنا نفكر في تانزّاط التي كان لها ماض بناحية مراكش وهي معروفة إلى اليوم .

(305) في **المدهش** لابن الجوزي ، ص 92 دون نسبة .

(*) في طرة ق : قبره بخارج باب فاس من أبواب سلا وعليه قبة ومعه أضرحة وبجانبه شجرتا زيتون . وكذا بطرة في **نظم الشنوف** للتاساوتي . وزاد الدكالي في **الاتحاف الوجيز** ، ص 39 من المخطوط (د 1320) أن ضريحه من أبنية بني مرين ، وهو مقابل لزاوية النساك . وبطرة **الإتحاف الوجيز** : «وبحومة السويقة مسجد ينسب لأبي العباس يقال إنه كان مكتبا له يعلم به الصبيان . والله أعلم» .

(306) أخذ عنه المؤلف أخبار بعض السلاويين .

أن تحسن عوني على الحفر هنا . فأعنته ثم قلت له : سألتك بالله : لمن هذا القبر؟ فقال لي : أخبرك على شرط أن تكتم علي حتى أموت . فالتزمت له ذلك فقال لي : أنا صاحب هذا القبر وأنا لاحق بربي في غد إن شاء الله . فقلت له : من أين لك هذا؟ فقال لي : تحت البارحة برابطة [تامْنْغاطْتْ][307] على قرب من ساحل أنفا[308] . فرأيت اني بهذا المكان ورأيت شخصين يحفران قبرا . فقالا لي : عساك أن تدخله وتنظر هل هو على مثل قامتك . فدخلته فوجدته على مثل قامتي . ثم قالا لي : [أقبر لقامتك][309] ؟ فقلت لها : نعم ! فقالا : إنه قبرك وأنت لاحق بربك بعد غد إن شاء الله . ثم أمرني أن أشتري له كفنا وقلة وقدحا . ففعلت . فقال لي : اني أبيت الليلة عند ابنتي . فجاء اليا وقال لها : أردت أن أبيت عندك في بيت خال وان لا تأتيني إلا وقت طلوع الفجر . فدخل البيت . فلما طلع الفجر دخلت عليه ابنته فوجدته ميتا مستقبل القبلة . فحملته ودفنته في القبر الذي حفر لنفسه .

49 – ومنهم أبو عبد الحليم يعقوب ابن هارون الصِدّيني[310]

من أهل داي من بلد تادلا . كبير الشأن . من أهل العلم . مات عام تسعة

(307) س وم . ونسخة من ف : تَامْتْغاطْتْ . وفي **مسالك** البكري أن تامْنْطِيفيتْ هو حجر الاسفين المشهور في الطريق بين درعة وأغمات .

(308) أنْفَا بنطق الفاء مرققا . المكان المشرف من حافة تل أو جرف يطل على امتداد النظر الذي لا يُرى قبل الوصول إليه . وكان اسما قديما لعمارة قائمة في جانب من مدينة الدار البيضاء الحالية وقد خربها البرتغاليون في منتصف القرن الخامس عشر وأعيد بناؤها في بداية القرن السادس عشر وعرفت منذئذ عند الأجانب بالدار البيضاء وكانت أنفا مرسًى بين مرسَى فضالة (المحمدية اليوم) وبين مرسَى مازيغن (الجديدة اليوم) راجع **نزهة المشتاق** (ص 48 من طبعة الجزائر) وTableau p. 210 و Massignon .

(309) س و م : أجيد هو لقامتك ؟

(310) على هامش النسخة الكتانية : «قبر هذا المترجم الآن خارج قصبة بني ملال يعرف بسيدي عبد الحليم» وقد وقفت عليه في خين المديوْلَة وهو مزارة توضع فيها الصدقات . والصِّديني بنطق الصاد زايا مفخمة من أزّاضْ وهو الطحن أو المطحنة أو النسج والمنساج . وصدينة كانت من قبائل سهل تادلا بين داي وقصبة تادلا الحالية . وفي

وخمسين وخمسمائة . كان إذا خرج من منزله يأتي إلى عين قريبة منه ليتوضأ منها فيجد الأسد بها فيطرده ويتوضأ .

حدثنا عيسى بن علي قال : حدثنا موسى بن يوسف[311] تلميذ أبي عبد الحليم قال : لما مات أبو عبد الحليم حضر جنازته قوم أتوا من مواضع بعيدة لا أدري متى علموا بموته . فلما استوت الصفوف للصلاة سمعوا تكبيرا هالهم وتجاوبت به الأصداء قبل أن يكبر الناس فلم يشك الحاضرون أنه تكبير بعض خلق الله من غير الناس الحاضرين للجنازة ويقال إنه تكبير الملائكة التي صلت عليه .

أَوْصَافُ أَهْلِ ٱلصَّلَاحِ وَاضِحَةٌ ... فَٱحْرِصْ عَلَيْهَا عَسَاكَ تُدْرِكُهَا[312]
قَوْمٌ لَهُمْ فِي ٱلضُّلُوعِ أَفْئِدَةٌ ... أُوَارُ نَارِ ٱلضُّلُوعِ تَسْبِكُهَا
مِنْ كُلِّ مُسْتَقْدِمٍ تُعَارِضُهُ ... أَوْهَامُ أَطْمَاعِهِ فَيَمْلِكُهَا
وَمَنْ يَكُنْ مِثْلَهُ فَهِمَّتُهُ ... تَرَى ٱلْمَعَالِيَ وَلَيْسَ يَتْرُكُهَا
مُسْتَصْلِتٌ زَانَهُ تَنَسُّكُهُ ... فِي فِئَةٍ زَانَهَا تَنَسُّكُهَا
يُرْسِلُ فِي ٱلْبِرِّ نَفْسَهُ فَإِذَا ... رَامَتْ سِوَى ٱلْبِرِّ فَهْوَ يُمْسِكُهَا
فَهَاكَ آثَارَهُمْ فَإِنَّ لَهَا ... مَآثِرًا بِٱلتُّقَى تُمَسِّكُهَا
يَا طَامِعَ ٱلنَّفْسِ فِي لَحَاقِهِمُ ... وَهِمَّةُ ٱلنَّفْسِ لَا تُحَرِّكُهَا
أَعْمَالُهُمْ بِٱلْقَبُولِ صَاعِدَةٌ ... وَأَنْتَ تَهْوِي فَكَيْفَ تُدْرِكُهَا

50 — ومنهم أبو يعقوب يوسف ابن علي المؤذن(*)

من أهل داي وبه مات في رمضان عام سبعة وخمسين وخمسمائة . كان عبدا

كتاب الأنساب المجهول المؤلف أن فرقة منهم نقلت قبل العصر المرابطي إلى جنوبي أغمات حيث هي الآن في عمق الأطلس على وادي أزاضن . ومنها فرقة بناحية فاس بين نهر سبو ونهر ورغة تجاور فشتالة كما تجاورها في تادلا .

(311) في نسخة من نسخ ف : محمد بن يوسف . وليس هذا أبا عمران موسى بن يوسف الذي حدث عنه التادلي بلا واسطة عن فاسيين .

(312) من المنسرح .

(*) على هامش النسخة الكتانية : «قبره الآن مبني عليه تخرج من تحته عين أسردون» وقد

صالحا ورعا كثير البكاء والاجتهاد ، صلّى حتّى تفطرت قدماه .

حدثني عيسَى بن علي قال : حدثني عبد الرحمن بن موسَى قال : أذن أبو يعقوب بصومعة داي أربعين سنة . ما طلع عليه الفجر إلا وهو على الصومعة .

وسمعت أبي ـ رحمه الله ـ يقول : كان أبو يعقوب رجلا طوالا جهير الصوت ـ يسمع صوته على بعد فإذا كان في السحر ينشد فوق الصومعة :

يَـا طَـوِيـلَ ٱلرُّقَـادِ وَٱلْغَـفَلاَتِ كَثْرَةُ ٱلنَّوْمِ تُورِثُ ٱلْحَسَرَاتِ(313)
إنَّ فِي ٱلْقَبْرِ إِنْ دُفِنْتَ إِلَيْهِ لَرُقَاداً يَطُولُ بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ
وَمِـهَـاداً مُـمَـهَّـداً لَكَ فِـيـهِ بِـذُنُـوبٍ عَـمِلْتَ أَوْ حَسَنَاتِ

ثم يبكي ـ فلا يسمع أحد صوته إلا بكَى لبكائه .

وسمعت أبي ـ رحمه الله ـ يقول : كان أبو يعقوب عطارا بداي ، فإذا رأى الناس تكاثروا عليه للشراء منه ورأى السوق معمورة بالناس ـ يرسل الشبكة على حانوته ويقول : سبحان الله ! سوق الدنيا عامرة وسوق الآخرة خالية . فيدع البيع ويدخل المسجد ويصلي فيه ما قدر له .

وحدثوا عنه أنه كانت بين منزله وبين المسجد مسافة ، فإذا قام في السحر ليؤذن تبعه الأسد حتّى إذا دخل المسجد انصرف عنه . ولما بلغ ثلاثين سنة صلّى كل صلاة أدركها من يوم ولادته إلى تمام ثلاثين سنة . وأكره على ولاية الحسبة ببلد داي . فدخل على أهله وهو يبكي ويقول : لو أراد الله بي خيرا ما عرفني أحد . فامتنع من أكل اللحم من السوق إلى أن أعفي من تلك الولاية .

51 ـ منهم أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن محمد بن عبد الله بن حرزهم(314)

من أهل مدينة فاس . وبها توفي في أواخر شعبان عام تسعة وخمسين

= وقفت عليه وسط البساتين في طريق عين أسردون وقبل الوصول إليها بكلمترين .

(313) راجع الحلية : 7 : 219 .

(314) ذكره في الأنيس المطرب (ص 265 من طبعة دار المنصور) وقال ان وفاته آخر شعبان وهنا أواخر شعبان . وذكر نسبه إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وبينه ثلاثة عشر اسما

وخمسمائة . قدم حضرة مراكش . وكان فقيها . حافظا للفقه زاهدا في الدنيا . سالكا في التصوف سبيل أهل [الملامتية][315] . وكان أبو الحسن يقول : اعتكفت على قراءة **إحياء علوم الدين** للغزالي في بيت مدة من عام . فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب . فلما نمت رأيت قائلا يقول : جردوه وأضربوه حد الفرية ! فضربت ثمانين سوطا . فلما استيقظت . جعلت أقلب ظهري فوجدت به ألما شديدا من ذلك الضرب . فتبت إلى الله تعالى مما اعتقدت . ثم بعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة .

وحدثني بذلك غير واحد من الثقات عن أبي محمد عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن بن حرزهم . وأخبرنا محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن أنه قدم مراكش فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه . فدخل عليه أبو الحسن وهو على سريره فجلس أبو الحسن تحته . فقال له : أهكذا كنت تفعل مع من كنت تتعلم منه ؟ قال له : نعم . فقال له أبو الحسن : انزل إلى مكاني وأكون أنا في مكانك . وهكذا ينبغي أن يكون المتعلم مع المعلم . فأجابه الأمير إلى ذلك . فنزل الأمير عن سريره وجلس عليه أبو الحسن فلازمه وأخذه بسلوك طريق الآخرة وامره بالورع وضيق عليه في المكسب فلم تتسع حالته إلا لخبز الشعير . فكلم أبا الحسن بعض التجار في أن يأكل عنده فكان قوته عند ذلك التاجر . ثم بعث ذلك الأمير إلى الصحراء فجيء إليه بمال موروث فاتسع عليهما منه قوتهما .

---

* وترجم له ابن عيشون نقلا عن **المستفاد والتشوف** . والساحلي في **بغية السالك** . ص 130 (من المخطوط) . وراجع هامشا على اسم عمه صالح بن محمد المترجم رقم (8) في موضوع نطق : حرزهم . وكذا ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** (508) وابن قنفذ في **أنس الفقير** . وفي **نيل الابتهاج** ص 182 . وفي **سلوة الأنفاس** : 3 : 69 **والاستقصا** : 2 : 206 **والإعلام** : 9 : 49 . نقلا عن **السلوة** .

(315) س : الملامة . قال أبو حفص الفتى الخراساني عن الملامتية : «أظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكتموا عنهم محاسنهم . فلامهم الخلق على ظواهرهم . ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم» . راجع علي سامي النشار : **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** : 3 : 566 . وقال ابن عيشون في **الروض العاطر الأنفاس** . معلقا على سلوك المترجم سلوك الملامتية : «ولم تكن معروفة بالمغرب» .

ولما أشخص أبو الحكم بن بَرَّجان من قرطبة إلى حضرة مراكش سئل عن مسائل عيبت عليه. فأخرجها على ما تحتمله من التأويل. فانفصل عما ألزمه من النقد وقال أبو الحكم: والله لا عشت ولا عاش الذي اشخصني بعد موتي! يعني السلطان. فمات أبو الحكم. فأمر السلطان أن يطرح على المزبلة ولا يصلَّى عليه وقلد فيه من تكلم فيه من الفقهاء. فدخل على ابن حرزهم رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبر أبا الحسن بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم. فقال له أبو الحسن: إن كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما أقول لك. فقال له: مرني بما شئت أفعله. فقال له: تنادي في أسواق مراكش وطرقها: يقول لكم ابن حرزهم: احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله، ففعل ما أمره به. فبلغ ذلك السلطان. فقال: من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله.

وحدثني غير واحد أنه لما توفي والد أبي الحسن عزم على قسمة ما تركه مع أخيه أبي القاسم. فلما قام إلى ورده اشتغل سره بذلك. فلما أصبح بعث إلى أخيه وقال له: أحضر الشهود لأتصدق عليك بميراثي فأبى عليه. فقال له: إن لم تفعل تصدقت بحظي على الجذماء. فلما رآه عازما على ذلك أتاه بالشهود فتصدق عليه به وقبل منه أبو القاسم الصدقة.

وسمعت أبا عمران موسَى بن يوسف يقول: ادركت ابن حرزهم وأنا صغير ودعا لي وكان يقول: لن أصوم مع الناس هذا الشهر المستقبل. يعني شهر رمضان. وقد كان صحيحا ليس به بأس ولم يبق إلا ثلاثة أيام أو أربعة من شهر شعبان والناس يتعجبون من مقالته وهو حي وقد قرب رمضان فأدركه الموت قبل دخول رمضان الذي كان يقول إنه لا يصومه مع الناس.

وحدثني أحمد بن عيسَى الأنصاري(316) قال: سمعت أبا الحسن غير مرة يقول: أموت في العام الفلاني، وفي ذلك العام نفسه مات. ولما كان اليوم الذي مات فيه أتَى بعض أصحابه فقال له: قدم لي من طعامك لآكل منه فإنه حلال. فقدم له خبزا ولبنا فأكل، ثم مر إلى الحمام وقال لخدمته: لم يبق لكم من خدمتي

(316) من تلاميذ أبي عمر السلالجي.

إلا اليوم، وهم يتعجبون من قوله ثم خرج فأتى منزله ودخل بيته ونام على فراشه مستقبلا فلما حان وقت الصلاة أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصلاة فوجده ميتا.

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا
مَضَى نَفَسٌ مِنْهَا تَقَضَّتْ بِهِ جُزْءَا[317]
فَتُصْبِحُ فِي نَقْصٍ وَتُمْسِي بِمِثْلِهِ
وَمَا لَكَ مَعْقُولٌ تُحِسُّ بِهِ ٱلرُّزْءَا
تَرُوحُ وَتَغْدُو غَافِلاً كُلَّ سَاعَةٍ
وَيَحْدُوكَ حَادٍ مَا يُرِيدُ بِكَ ٱلْهُزْءَا

حدثني محمد بن خالص الأنصاري قال : أخبرني أبو الحسن المعروف بأبي قرن قال : دعا لي أبو الحسن بن حرزهم بالعفو والعافية وقال لي : رأيت رب العزة في النوم فقال لي : سل حاجتك . فقلت : أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة . فقال لي : قد فعلت . فا أبالي بشيء [يتق][318] فإن رب العزة قد أمنني ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء . قال أبو قرن : فوالله ما نالني قط مكروه بحمد الله ولقد وجدت بركة دعوته لي بذلك الدعاء.

وأخبرني الثقة عن عبد الله بن عثمان قال : لما حمل أبو الحسن إلى السجن بفاس تواصى سمار السجن ان يكفوا عما كانوا يتكلمون به من الفحش وان يقطعوا ليلتهم بكلمات من الذكر يسمرون بها . فسمعهم أبو الحسن قد استبدلوا كلامهم بالذكر فقال : قولوا لهم أن يعودوا إلى ما كانوا يتكلمون به قبل ذلك . فإن ذكر الله تعالى [محروس][319] إلا من أهل الذكر خاصة وإذا تكلف الذكر غير أهله [أتاهم][320] الشيطان وحال بينهم وبين الذكر . فا مرت على السمار ساعة من الليل إلا وهم نيام . وكنا قد أحدقنا بأبي الحسن وهو يقول : قد انطلقت من السجن ! فكنا نسكته ونقول : لا تكلم بما يتحدث به عنك ، فلهذا وشبهه سجنت . وهو لا يعبأ بكلامنا . فلما طلع الفجر جاءه البشير بالسراح من السجن

(317) وردت في **المدهش** لابن الجوزي . ص 449 دون نسبة .
(318) س : يبقى .
(319) س : محرم .
(320) م : أنامهم .

فقال له أبو الحسن : والله لا خرجت حتَّى تخبرني ! فقال له : إن القائد عبد الله بن خيار الجياني[321] جاءني البارحة إلى داري وما جاءني إليها قط وقال : اذهب الآن إلى السجن فاطلق الفقيه أبا الحسن وإياك أن يبيت فيه فتصيبنا من أجله مصيبة واكسر كل باب مغلق يصدك عن الوصول إليه . وأنت تكره كسر أبواب المسلمين في حقك ولذلك أمهلت إلى طلوع الفجر بعد انفتاح الأبواب . فقال له أبو الحسن : أحسنت . قال عبد الله بن عثمان : قلنا له : من أين علمت البارحة أنك منطلق ؟ قال : رآني الشيخ أبو يعزى مع الحرس الذين حملوني إلى السجن فعلمت أنه لا يتركني وأنه سيسألني من الله تعالى ولو سأل الله تعالى في الدنيا كلها لأجابه فيها ! فكيف في خروجي من السجن .

وحدثوا أن رجلا عشَّابا جنه الليل خارج مدينة فاس . فأوَى إلى رابطة . فأدخل فيها حماره . فلما صلَّى العتمة نام . فلما كان وقت السحر قام أهل الرابطة وهم ما بين ذاكر ومصل وباك والعشاب نائم . فجاءه رجل فأيقظه وقال له : قم ! ولا تكن كحمارك تنام الليل كله غافلا . فتوضأ وصل واذكر الله تعالى ! فخرج من الرابطة ليتوضأ في العين فوجد الأسد فرجع مرعوبا وأخبر ذلك الرجل . فخرج معه فتقدم إلى الأسد وفتل أذنيه وضربه بالقضيب وقال له : ألم أقل لك لا تروع أصحابي . ففر الأسد أمامه فتوضأ العشاب وصلَّى إلى طلوع الفجر ثم ركب حماره حتَّى وصل منزله وطرح به عشبه وذهب إلى أبي الحسن ليخبره . فلما دخل من باب المسجد ابتدأه أبو الحسن وقال له : جئتني لتعرفني بما شهدت من عابد الرابطة مع الأسد ، أقام في مكان خال لا يشاهد فيه فتنة وظن أنه جاء بشيء ، لو أقام بفاس حيث يعاين المعاجز الزرق على الأعين البلق لعلم هل يصبر أم لا .

ذَرِ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ رَاقَتْكَ حُسْناً ... وَلَا تَغْرُرْكَ رَبَّاتُ ٱلْحِجَالِ[322]

---

(321) كان هو المشرف على فاس للمرابطين عندما خرج عبد المومن الموحدي لغزو بلاد المغرب . فمكن الموحدين من دخول فاس . فجازوه بتركه في منصبه سنة 540 (**البيان المغرب** : 3 : 19) وترجم له ابن الأبار في **الحلة السيراء** . وجعل ليفي بروفنسال هذه الترجمة ملحقا **بأخبار المهدي** الذي نشره مع الترجمة . ص 146 — 148 من النص العربي .

(322) من الوافر ، وفيه تضمين معنى الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عن أسامة ابن زيد : «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» . **صحيح البخاري** ، باب النكاح : 17 **وصحيح مسلم** باب الذكر : 97 .

فَلَيْسَتْ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ تُخْشَى أَضَرَّ مِنَ ٱلنِّسَاءِ عَلَى ٱلرِّجَالِ

سمعت أحمد بن عيسَى الأنصاري يقول : سمعت عليا السكاك المعروف بالولي[323] وكان خديما لأبي الحسن يقول : حضرت مجلس أبي الحسن يوما . فظهر لي عليه التغير ولم يتكلم إلا بكلام يسير. فسألته . فذكر لي أن زوجته طلبت منه كسوة تحضر بها عرس أخيها وسمت له ما تحتاجه من كسوة . فاشتغل سره بذلك . قال : فبينما هو جالس يوما إذ وقف عليه رجل أندلسي . فقال لي : يا علي . قم مع هذا الرجل وخذ ما جاء به وادفعه في الدار . فقمت إليه وناولني مزودا فيه ثياب . فدفعته في الدار ورأيت الرجل يتعجب . فسألته . فقال لي : أنا من أهل اشبيلية . نظرت لأهلي كسوة على عادتي في كل عام . فلما أتيتها بها كرهتها . فرفعتها لأنظر لها في غيرها . فلما نمت بالليل أتاني آت في نومي وقال لي : ابعث بهذه الكسوة إلى ابن حرزهم بفاس . فتغافلت عن ذلك فقال لي الليلة الثانية مثل ذلك . فقوي عندي الأمر ونظرت من يوصلها اليه . فلم أجده . فأتاني الآتي في الليلة الثالثة وبيده حربة . فقال لي : لئن لم تبعث ما أمرتك به لأخرجن هذه الحربة من ظهرك . فلما أصبحت رأيت أن أحملها بنفسي وأشاهد هذا الرجل . فأتيته فلما وقفت على حلقته . أمرك بأخذ الثياب مني . قال : وما أوصلني إلى فاس إلا هذا السبب . ثم رجع من فوره .

وقال لي غير أبي العباس : قال لي علي : فسألت أبا الحسن من أين علم أن هذا الرجل جاءه بكسوة فقال لي : رأيت النبي ﷺ . في النوم فأخبرني بذلك .

52 – ومنهم رجل مجهول

حدثني يوسف بن موسَى[324] قال : حدثني رجل كان يلازم مجلس ابن حرزهم قال : كان يحضر معنا في المجلس شاب عليه ثياب بيض وفي وجهه صفرة . فقال لنا [أبو الحسن][325] : ان هذا الشاب يظهر عليه أثر الفاقة فانظروا له في

---

(323) يلاحظ أن أخبار عدد من المترجمين أخذت عن خدمهم .

(324) هو أبو الحجاج يوسف بن موسَى بن يَحيَى بن أبي بكر التادلي . أخذ عنه المؤلف أخبار تادليين وفاسيين .

(325) سقط من ح . وهو يقصد ابن حرزهم .

شيء يستعين به . فجمعوا له دراهم واحتشموا ان يدفعوها له فقال مؤذن المسجد : أنا أتبعه بها إذا خرج من المسجد وأدفعها له . فلما انقضى المجلس خرج الشاب من [المجلس][326] وتبعه المؤذن إلى أن خرج من باب الجيسة[327] وهو يمشي في أثره ولا يدركه حتّى دخل في بستان . فدخل المؤذن في أثره فطرح رداءه على شجرة وذهب إلى الماء ليتوضأ والمؤذن يتباعد عنه . فانتظره إلى أن رأى وقت الظهر قريبا فخاف فوات الأذان في المسجد . فتقدم المؤذن اليه وسلم عليه وقال له : الفقيه أبو الحسن بعثني إليك بهذه الدراهم . فقال له الشاب [متى عهدك به ؟ فقال : الساعة . فأمسك . ثم قال : [قطعتني][328] عن مجلسه وأنا اليه شيق . رد إليه الدراهم] . فلا حاجة لي بها . فدخل بين تلك الأشجار وغاب عني . فلم أجد له خبرا . قال : فطلبت أن أخرج من ذلك البستان فلم أجد مخرجا . فسمعت أصوات السيارة . فتسورت الحائط ونزلت في المحجة . فقلت : أين الطريق إلى باب الجيسة ؟ فضحكوا من قولي وقالوا : بينك وبينه خمسون ميلا . فتعجبت من ذلك واكتريت دابة ووصلت عليها في يوم آخر فأخبرت أبا الحسن بذلك . فرد تلك الدراهم إلى أهلها .

كَمْ فِي ٱلْبَرِيَّةِ مِنْ سَامٍ بِهِمَّتِهِ ... إِلَى مَعَالِمِ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ وَٱلدِّينِ[329]
وَفِي ٱلْبَوَاطِنِ أَنْوَارٌ تَلُوحُ لَهُمْ ... عَلَى ٱلْأَسِرَّةِ فِي كُلِّ ٱلْأَحَايِينِ
هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهُمْ ... عَايَنْتَ ظَاهِرَ أَقْوَامٍ مَسَاكِينِ
غَرَائِبُ ٱلْعِلْمِ تُجْنَى مِنْ تَقَرُّبِهِمْ ... فِيمَا تَنَاقَلَ أَرْبَابُ ٱلدَّوَاوِينِ
زَجَّوْا بِفَقْرِهِمُ أَنْفَاسَ عُمْرِهِمُ ... خَيْرَ ٱلْمَسِيرِ عَلَى خَيْرِ ٱلْقَوَانِينِ
فَلَا ٱلْمَطَاعِمُ تُجْنَى فِي مَسَاكِنِهِمْ ... وَلَا ٱلدَّرَاهِمُ تُخْبَا فِي ٱلْهَمَايِينِ
وَيُبْعَثُونَ إِذَا قَامَ ٱلْعِبَادُ مَعاً ... مَعَ ٱلْمَسِيحِ لِتَنْوِيهٍ وَتَعْيِينِ
لَا يُسْأَلُونَ وَقَدْ عَفَّتْ أَكُفُّهُمُ ... مِنَ ٱلْقُبُورِ لِدَارِ ٱلْخُرَّدِ ٱلْعِينِ

---

(326) س : المسجد .

(327) من أبواب فاس ويسمّى باب الكيسة . وينسب للأمير الزناتي عجيسة الذي حصّن عدوة القرويين وفتحه بها . راجع **جني زهرة الآس** . ص 40 وما بعدها .

(328) س : قطعني .

(329) من البسيط .

53 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر ابن فاخر العبدري

كان ابتدا أمره انه كان من أهل البطالات والراحات ثم نزعت به إلى الله تعالى همة عالية . فتجرد من الدنيا وتخلّى عنها . ثم ذهب من تادلا إلى مدينة سلا . فمات بها عام تسعة وخمسين وخمسمائة .

حدثني غير واحد أنه أصبح يوما بتادلا وهو يبكي وينتحب ويلطم خديه متندما على ما سلف من فرطاته وسقطاته . فسمع به أهل داي . فجاؤوه وفيهم الخطيب أبو الربيع سليمان بن يوسف بن ويغلان[330] وغيره من أهل العلم والفضل . فقالوا له : ما لك يا أبا يحيَى لعلك حمقت ؟ فقال لهم : وهل أنا منذ كنت إلا أحمق ؟ فقد فعلت العظائم فكيف الحيلة في الخلاص ؟ فقال له أبو الربيع : اخرج عن المظالم والغصوب . فتجرد من ثيابه وستره أبو الربيع بثوب طرحه عليه وخرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بالخروج عما كان بأيديهم وتصدق بكل ما لم يعلم له مالكا وأمر أهله وأولاده وبناته بالتجرد ثم نظر إلى سلك بقي في عنق ابنة له صغيرة فقام حتَّى أخذه من عنقها [وتصدق به][331] .

وسمعت أبي رحمه الله يقول : سمعت ابن فاخر يقول : يا أهل داي . تصدقوا علي . فإن كل ما كان عندي حرام وقد خرجت عنه . فواساه الناس . فأقام بداي نحوا من عشرة أيام ثم مر إلى مدينة سلا على قدميه مع ابن له كبير كان يخدمه . فأقام بسلا في رابطة على ساحل البحر ستة أشهر فمات بها رحمه الله .

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ[332]

---

(330) في بعض النسخ : ويغلان وأبو الربيع هذا من فقهاء داي . وكان ابنه أبو موسَى المذكور في ترجمة داود الجراوي خطيبا فقيها كذلك .

(331) زيادة في م .

(332) من الطويل . وهي للحافظ أبي الوليد ابن الفرضي . راجع **الذيل والتكملة** : 1 : 546 ونفح **الطيب** : 2 : 129 .

يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا
وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهْوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى
وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ ٱلْقَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لاَ تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ٱلصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ عِنْدَمَا
يَصُدُّ ذَوُو وِدٍّ وَيَجْفُو ٱلْمُؤَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ ٱلْوَاسِعُ ٱلَّذِي
أُرَجِّي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

54 – ومنهم شاب مجهول

حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول : من الناس من لم يصل إلى الله إلا بعد الأربعين سنة كأبي جبل ؛ ومنهم من وصل اليه من ساعته كشاب سمعت [الفقيه][333] أبا الحسن بن حرزهم يذكره . ويقول إنه جاءه شاب عزم على الانقطاع إلى الله تعالى فمنعه . فجاءه محلوق الرأس وعليه ثوب خشن فاستشاره في الانقطاع فمنعه أيضا . فأقام بجامع فاس[334] يومين لم يأكل شيئا . فلما كان في اليوم الثالث جاء إلى الساقية التي [كانت][335] تشق [صحن][336] الجامع لعل ماءها يجيء بورقة يأكلها . فرأى صحفة فيها طعام دفيء . فقام إلى أبواب الجامع فوجدها مغلقة . فأكل الطعام ورد الصحفة إلى الساقية . فكان إذا جاع يأتي إلى تلك الساقية فيجد الصحفة مملوءة طعاما فيأخذها ويأكل ويردها إلى مكانها . فجاء إلى أبي الحسن فأعلمه فقال له :

---

(333) زيادة في س وم .
(334) راجع جنى زهرة الآس . ص 45 وما بعدها .
(335) زيادة في س وم .
(336) غير وارد في س وم .

يا بني اذهب الآن إلى حيث شئت . قال : فكانت كتبه [ورسائله][337] تصل إلى الشيخ ولا يذكر من أي مكان كتب إليه فإذا قرأها يبكي ويقول : سبحان الله . هذا شاب وصل إلى الله تعالى من ساعته .

هَـذَا كِتَـابِـي إِلَيْـكُـمْ فِيهِ مَعْذِرَتِي ... يُنْبِيكُمُ ٱلْيَوْمَ عَنْ شَأْنِي وَعَنْ سَقَمِ[338]
أَجْلَلْتُ ذِكْـرَكُـمُ عَنْ أَنْ يُغَيِّرَهُ ... لَوْنُ ٱلْمِدَادِ فَقَدْ حَبَّرْتُهُ بِدَمِي
وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى جِلْدِي لأَجْعَلَهُ ... رَقًّا وَأَبْرِي عِظَامِي مَوْضِعَ ٱلْقَلَمِ
لَكَانَ ذَاكَ قَلِيلاً فِي مَوَدَّتِكُمْ ... وَمَا وَجَدْتُ لَهُ وَٱللَّهِ مِنْ أَلَمِ

55 – ومنهم أبو [خَزَر][339] يخْلَف ابن خَزَر الأوربي[340]

من أهل فاس . كان عبدا صالحا حافظا للمسائل ورعا متواضعا مجاب الدعوة .

(337) سقط من م وس وبعض نسخ ف .

(338) من البسيط .

(339) ليس للاسم أصل في قاموس دوفوكو وزّْ عند المصامدة يعني نظر وإخزّرْ : نظر شزرا . ويخْلَفْ أو إخْلَفْ يُطلق اسما إلى عهد قريب ولاسيا على المولود الذي يخلف فقيدا . وأغلب الظن أنه من أسماء المجال الزناتي . وإيوارِيثَنْ أو إيوارِثْلَنْ التي ينسب إليها من زناتة وكانوا نازلين بجبل زرهون وينتسب إليهم بيت من بيوتات فاس الكبرى .

(340) ترجم له ابن عيشون في **الروض** ص 124 نقلا عن **المستفاد** . وجعل صاحب **الأنيس المطرب** . (ص 268) وفاته سنة 578هـ . وترجم له ابن القاضي في **الجذوة** ص 561 وجعل وفاته سنة 572هـ . وهو من أقران أبي الحسن بن حرزهم المتوفى عام 659هـ . فأبو خزر هذا ليس الذي عقد له يعقوب المنصور على المطوعة في غزوة الأرك والمذكور في **الأنيس المطرب** ص . 225 . وراجع أيضا **الاستقصا** (2 : 189) وفيه أن ابن خلدون قال : ان الذي كان على المطوعة يومئذ هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص وراجع أيضا **سلوة الأنفاس** : 2 : 49 .

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر[341] عن أبي العباس أحمد بن [معتمر][342] أن رجلا جاء إلى أبي الحسن ابن حرزهم فقال له : رأيت في النوم شمعتين إحداهما بعدوة الأندلس والأخرى بعدوة القرويين . فقال له أبو الحسن : وكانت التي بعدوة الأندلس أكثر ضوءا فقال له : نعم . فقال له أبو الحسن : هذه الرؤيا مفسرة : أبو خزر هو الشمعة التي كانت بعدوة الأندلس[343] وأنا التي رأيت بعدوة القرويين[344] وقل ضوءها لما أنا عليه من [كثرة][345] المزاح مع الناس .

رِجَالُ ٱللَّهِ قَدْ سَعِدُوا وَفَازُوا ... وَنَالُوا فَضْلَ رَحْمَتِهِ وَحَازُوا[346]
رِجَالٌ طَلَّقُوا ٱلدُّنْيَا بَتَاتاً ... وَلَوْ جَازَ ٱلرُّجُوعَ لَمَا ٱسْتَجَازُوا
بَدَا عَلَمُ ٱلنَّجَاةِ فَيَمَّمُوهُ ... يُحَرِّكُهُمْ بِدَارٍ وَٱنْحِفَازُ
فَبَعْضٌ تُشْرِقُ ٱلْأَمْصَارُ مِنْهُ ... وَبَعْضٌ تَسْتَنِيرُ بِهِ ٱلْمَفَازُ
تَمَيَّزَ كُلُّ ذِي دُنْيَا بِدُنْيَا ... وَهُمْ لَهُمْ بِدِينِهِمُ ٱمْتِيَازُ
وَمَا ٱعْتَزُّوا بِمَخْلُوقٍ وَلَكِنْ ... لَهُمْ بِٱلْخَالِقِ ٱلْأَحَدِ ٱعْتِزَازُ
أَرَدْتَ لِحَاقَهُمْ وَعَجَزْتَ عَنْهُمْ ... وَحِدْتَ عَنِ ٱلْإِجَازَةِ إِذْ أَجَازُوا
أَتَطْمَعُ فِي ٱللَّحَاقِ وَلَا نُهُوضٌ ... وَتَفْرَحُ بِٱلرَّحِيلِ وَلَا جِهَازُ
وَأَنْتَ أَخُوهُمُ نَسَباً وَلَكِنْ ... طِرَازُكَ فَوْقَهُ ذَاكَ ٱلطِّرَازُ
دَعِ ٱلدَّعْوَى فَلَسْتَ لَهُمْ بِنِدٍّ ... وَهَلْ تَخْفَى ٱلْحَقِيقَةُ وَٱلْمَجَازُ

وحدثني محمد بن الحسن قال : حدثني أحمد بن محمد البكري[347] قال : كنت بفاس أروي الحديث عن أبي عبد الله بن الرمامة [وأتفقه][348] على أبي خزر . فرأيت أني قد أخذت عن كل واحد منهما ما يكفيني . فقلت : انظر على أبي

(341) سماه في غير هذا المكان : العجيسي . وكان صهره من تجار المغرب في السودان . توفي هنالك وهو من سكان فاس وأصله من تادلا .
(342) س : معيمر .
(343) راجع **جنى زهرة الآس** في موضوع التسمية .
(344) المرجع السابق .
(345) زيادة في س . وم .
(346) من الوافر .
(347) راجع : **الإعلام** : 2 : 143 وفيه ترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** .
(348) س : وأتعلمه .

عمرو الأصولي علم الكلام. فاشتريت **كتاب الارشاد** لأبي المعالي[349] وصليت الصبح بالجامع ومررت إلى أبي عمرو. فلقيني شخص طويل في الظلام وعليه ثياب بيض فأخذ بيدي وقال لي: رد هذا الكتاب إلى صاحبه وعد إلى ما كنت بسبيله. فرددت كتاب الإرشاد إلى صاحبه وعدت إلى [ما كنت بسبيله من][350] رواية الحديث عن ابن الرمامة ودرس الفقه على أبي خزر.

56 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن فَحْيو الهواري

من أهل تونس كبير الشأن. من أهل العلم والعمل.

حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال: سمعت عبد الرحمن بن عامر يقول: قال لي أبو عبد الله الهواري: أتيت عبد السلام التونسي في ابتداء أمري فقلت له: دلني على علم أنظر فيه. فقال لي: اذهب إلى سوق الكتب. فأول كتاب تجده بيد الدلال فادفع اليه ثمنه ولا تفتحه حتَّى تأتيني به. فذهبت إلى سوق الكتب. فوجدت بيد الدلال سفرا يساوم فيه بأربعة دراهم. فدفعتها له وأتيته به. ففتحه فقال لي: هذا سفر من **كتاب الإحياء** للغزالي وقد أرشدك مولاك إلى ما تنظر فيه. فنسخت **كتاب الاحياء** واعتكفت عليه حتَّى حفظته.

حدثني موسَى بن وركون[351] عن الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم

---

(349) إمام الحرمين عبد الملك الجويني (419هـ 478هـ) ولد في جهة نيسابور ومات بها بعد أن درّس بمكة والمدينة وأسس له نظام الملك المدرسة النظامية. وهو فقيه أصولي على مذهب الأشعري. خصص له ابن السبكي ترجمة فاخرة في طبقات الشافعية. وتتفق القصة الواردة بصدد كتابه **الإرشاد** في هذه الترجمة وفي ترجمة السلالجي (69) مع ما للمالكية من إعراض عنه بسبب تخطئاته على منهجهم الفقهي. وقد طبع كتابه الارشاد في حلب سنة 1969. راجع فوقية حسين محمود: **الجويني**. في سلسلة أعلام العرب (40).

(350) زيادة في ح.

(351) هو أبو عمران الهسكوري الخطابي من أيت خطاب بفطواكة. ويظهر مما ورد في **التشوف** أنه كان يخالط القوم ويتردد على رباط شاكر.

الأصولي قال : قلت لأبي عبد الله الهواري : لم سكنت البادية وتركت الحاضرة ؟ فقال : ما أسكنني البادية إلا هم هذه اللقمة أريد أن أنظر اليها من وقت دخولها إلى وقت خروجها . فكان يبذر الحب للزراعة ويلازمه إلى وقت حصاده ورفعه ويكون على علم من أمر معيشته .

وحدثني محمد بن خالص قال : قال لي أبو الربيع المديوني[352] : مررت بأبي عبد الله زمان الدراس وبيده عود يدرس به . فقلت له : أتأذن لي في معونتك ؟ فأبى . ثم أمرني بعد ذلك أن أعينه . فلما فرغنا قال : خذ . فاكتال لي مدين من طعام فأخذتهما منه .

وحدثني موسى بن وركون قال : حدثني الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأصولي[353] قال : كان لأبي عبد الله الهواري صديق . فعهد اليه أن يتزوج ابنته . فمات . فتزوجها أبو عبد الله ومكث معها يسيرا . ثم طلقها وزوجها من شاب فكان يخدمها ويطحن [ويسقي][354] الماء ويحتطب . فقيل له في ذلك : فقال : وفيت لصديق بعهده ولم أكن كفؤا لها فانكحتها من شاب رأيته كفؤا لها [وقت يخدمها][355] .

وحدثني يحيى بن عبد الرحمن قال : سمعت علي بن محمد بن الشيخ يقول : أخبرني ثقات من تونس من بني ورسيفان[356] قالوا : غلب علينا الجراد . فخرجنا نُدافعه وإذا نحن بأبي عبد الله الهواري راكبا على دابته وعلى عنقه رمح وبيده سكين . فسلمنا عليه فقال : ما [بالكم][357] ؟ فقلنا له : خرجنا لهذا الجراد . فقال لنا : لا تحاربوه . فانه جند من جنود الله ولكن ناولوني منه واحدة . فناولناه

---

(352) فقيه من تلامذة أبي مدين . راجع أنس الفقير . ص 60 .
(353) غير وارد في م وس وح .
(354) م وس وح : ويستسقي .
(355) س وأفت أخدمها .
(356) وَرْسِيفَنْ . صيغة مطردة في الأسماء الجاهية . تتركب من وَرْ لِلنَّفْي ومن فعل مصروف لجمع الغائبين . وَاسِّيفَن لا نعرف لها معنًى اليوم إلا فعل غربل . وقد اختصر الاسم في بعض الأحيان إلى بني وسيف الذي يعني الواد وهو تصحيف . وعد ابن خلدون بني ورسيفان من نفزاوة (التاريخ : 6 : 231) .
(357) س : شأنكم .

واحدة فقلبها ونظر إلى بطنها ثم رماها بالأرض وقال : انصرفوا عنه ولا تحاربوه . فرآنا ننظر اليه . فقال : لعلكم تعجبتم من إمساكي للرمح والسكين؟ فقلنا : نعم . فقال لنا : ينبغي للمؤمن ان لا يترك سلاحه . قال : فانصرفنا إلى منزلنا . ثم خرجنا عشية النهار فلم نجد منه جرادة واحدة .

57 – ومنهم أبو حدو القاسم الأيلاني

من أهل رباط [تاسماطت][358] . قدم مراكش ثم نزل قرية [يليسكاون][359] ببلد دكالة وبها مات رحمه الله ، وكان نهاية في الزهد والتقشف . وكان قوته خبز الشعير بالماء . وزهد في شهوات الدنيا فما أكلها حتَّى لقي الله تعالى وكان [يقال][360] إنه من الأبدال .

تَفْنَى ٱللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا   مِنَ ٱلْحَرَامِ وَيَبْقَى ٱلْإِثْمُ وَٱلْعَارُ[361]
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا   لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا ٱلنَّارُ

حدثني محمد بن أحمد [الزناتي][362] قال : رأيت القاسم الايلاني ، وأنا صغير ، في المكتب بمراكش وهو يصغي إلى صبي يقرأ . فرأيت رجلا شديد الصفرة . على رأسه خرقة صوف وعلى كتفيه أخرى وعلى وسطه مثل ذلك . فلما فطن الناس به احتفوا به . يستوهبون منه الدعاء . فما دعا لأحد منهم إلا وأجيبت فيه دعوته .

عِبَادُ ٱللَّـهِ سَادَاتٌ كِرَامٌ   لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرِ إِنْ لَاحَ ٱنْبِعَاثُ[363]
عَلَامَتُهُمْ نُحُولٌ وَٱصْفِرَارٌ   وَإِخْبَاتٌ وَأَطْمَارٌ رِثَاثُ
فَهُمْ لِلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا أَمَانٌ   مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَخُوفِ وَهُمْ غِيَاثُ
أَبَانُوا صُحْبَةَ ٱلدُّنْيَا وَقَالُوا   طَلَاقُكِ فِي شَرِيعَتِنَا ثَلَاثُ

---

(358) س : تامساط . ق : تامسطت . راجع الهامش المتعلق بها في الترجمة (22) .
(359) في طرة غ «يقولون له اليوم سيدي يسكاون» . ومعناه أبو قرون .
(360) م : يتحدث .
(361) من البسيط . وينسب لبعض الصحابة . راجع **الحلية** : 7 : 221 .
(362) ق : اللواتي . والصحيح : الزناتي .
(363) من الوافر

58 – ومنهم [أبو يحيى][364]
أبو بكر التوجي[365]

من أهل سجلماسة وكان من أكابر الأولياء.

حدثني الثقة أنه بات في مسجد ببلد صنهاجة فأصبح فيه ميتا. فذهبوا لينظروا في تجهيزه إلى قبره. فلما رجعوا اليه طلبوه فلم يجدوه. فضجوا وأعولوا وقالوا: لو أراد الله بنا خيرا لتولينا تجهيز هذا العبد الصالح إلى قبره.

وحدثني بعض المريدين قال: أخبرني أبو القاسم بن أبي الفضل قال: مررت أنا وأصحابي إلى باب المسجد فوجدناه مغلقا. فعالجنا فتحه فانفتح فدخلناه وأغلقنا بابه وشرعنا في الصلاة. فلما [انفتلنا][366] من صلاتنا رأينا أبا بكر التوجي يصلي معنا. فقلت له: كيف دخلت ومتى دخلت؟ فقال لي: دع السؤال! فضايقته إلى أن قال لي: أكثرت علي! أما علمت أن الأولياء لا [يغلق][367] أمامهم باب؟ قال أبو القاسم: وتواعدنا ليلة ان نخرج إلى موضع خارج سجلماسة. عادتنا أن نخرج للصلاة فيه. فجئنا إلى دار أبي بكر التوجي. فلم نجده. فقلنا لأهله: إذا جاء. فأعلموه ان يصلنا بالموضع الفلاني. فلما كان بعد العشاء الآخرة دخل علينا في ذلك الموضع [فهبنا][368] ان نسأله. فلما رجعنا إلى البلد سألنا أهله وقلنا لهم: متى خرج من عندكم أبو يحيى البارحة؟ فقالوا: صلى العتمة وخرج. قال: وعادة البلد أن تغلق أبوابه بعد المغرب.

---

(364) سقط من ق.

(365) لعل التوجي أو التُوكي نسبة إلى تُوك وكانت ساقية قريبة من رباط تيط وكانت تدعى على ما في **بهجة الناظرين** لابن عبد العظيم الأزموري توك العابد. وفي المصدر المذكور. ص 164 من مخطوط الخزانة العامة بالرباط: د 1501. قصة بشأن المترجم. وفيه أنه من ساحل ماسة وليس من سجلماسة. وأنه مات بمسجد ويمزيغْنْ (الجديدة اليوم) فأمر أبو عبد الخالق بن أبي عبد الله أمغار أصحابه بنقله ليدفن برباط تيط المسمى اليوم بمولاي عبد الله جنوبي مدينة الجديدة.

(366) س وم: انقلبنا.

(367) م: يتغلق.

(368) س: فتبينا. ق: فهممنا.

59 – ومنهم أبو حفص عمر ابن معاد الصنهاجي

من أهل إيفغل[369] . من بلد أزمور من أصحاب أبي عبد الله بن أمغار وأبي شعيب . مات عام أحد وستين وخمسمائة . كبير الشأن . من أهل العلم والعمل وكان مؤثرا للعزلة . وكان [يخلو][370] بالبرية ويصطاد أجباح النحل والحوت من سواحل البحر فيقتات بذلك . ولما أتت على الناس المجاعة عام خمسة وثلاثين وخمسمائة جمع خلقا كثيرا من المساكين فكان يقوم بمؤنتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس .

حدثني عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص[371] قال : رأيت أبا زكرياء بن يحيى في النوم بعد موته فسألته عن زوج أبي حفص فقال لي : تلك [المرأة][372] صادقة . فسألته عن أمه وكانت تاركة للصلاة ، فسكت ولم يجبني بشيء . فسألته عن جده لأمه أبي حفص . فقال لي : كان من الخدام لله تعالى لا تسأل عن مثل ذلك . فسألته عن أحوالي : فقال لي : أحوال أهل الدنيا خافية عنا .

إِلَهِيَ أَرْجُو ٱلْعَفْوَ مِنْكَ تَكَرُّماً ... فَإِنَّكَ مَوْلًى لَا تُخَيِّبُ عَبْدَكَا[373]
فَيَا لَيْتَ بُشْرَى لَوْ أَتَتْنِي فِي ٱلْكَرَى ... فَأَعْلَمَ مِنْهَا كَيْفَ حَالِي عِنْدَكَا

---

(369) إيفغل . لم يعد موقعه معروفا قرب أزمور . ويدل معناه على مكان مرتفع مشرف وتوجد أماكن عديدة تحمل هذا الاسم في نواحي تيزنيت . وكذا أفوغال الذي بحاحا .

(370) س : يجول .

(371) صنهاجي من جهة أزمور كان والده من أصحاب أبي شعيب السارية . وكانت له صلة ببني أمغار . وليس الذي ذكره التادلي في ترجمة أبي العباس السبتي كما ذكر صاحب **الإعلام** تحت رقم 1092 . لأن هذا الأخير حسني .

(372) س : امرأة .

(373) من الكامل .

60 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر الوَرْياغلي المعلم[374]

من أهل مدينة سلا . وكان بها معلما للقرآن . وكان أسمر اللون وهو من الأفراد .

حدثني علي بن عبد الرحمن قال : حدثني مفضل الدباغ وكان جارا لعبد الله بن صالح قال : قام عبد الله بن صالح ليلة . فتبعته حتَّى أتَى باب [الدرب][375] . فانفتح له فوجد أبا يحيَى المعلم ينتظره فقال له : ما حبسك ؟ فقال له : حبسني عذر . فرأيت شخصا واقفا في البحر ينتظره فدخلا إليه وغابا ساعة ثم رجعا . فلما أصبح أعلمت عبد الله بن صالح بما شاهدت من أمرهما فقال لي : اكتم ما رأيت حتَّى أموت وإلا دعوت عليك . فكتمت عليه ذلك إلى أن مات .

وحدثني محمد بن أحمد [بن محمد بن أحمد][376] البكري[377] قال : حدثني أبي قال : خرجت يوما في الغلس إلى المقابر . فلقيت عبد الله بن صالح فقال لي : إلى أين ؟ فقلت له : إلى المقابر . فقال لي : إن أبا يحيَى المعلم توفي البارحة فاذهب بنا لنعلم خبره . فلما وصلنا داره قرعنا الباب فخرجتْ إلينا امرأته . فسألناها عن أبي يحيَى . فقالت لنا : توفي البارحة . فنظرنا في كفنه وحنوطه ثم قال لي عبد الله بن صالح : أنا أغسله وانت تصب عليه الماء [فقلت : نعم][378] . فلما جردناه لنغسله وجدنا بذراعه أكلة . فقال لي عبد الله بن صالح : متَى أصاب أبا يحيَى هذا ؟ فقلت له : لا أدري . أوما علمت أنت بهذا وأنت صاحبه ؟ فقال لي : ما علمته إلا الساعة . فلما فرغنا من غسله استدعينا امرأته لتودعه . فقلنا لها :

---

(374) نسبة إلى أيت وَرْياغَلْ من قبائل الريف .

(375) س : السدار .

(376) زيادة في م . وس . والده سلاوي درس بفاس على أبي خزر وأبي عبد الله بن الرمامة .

(377) راجع الهامش 347 قبله فهو والد محمد البكري هذا .

(378) غير وارد في م وس وح .

متّى أصاب أبا يحيَى هذا الذي رأيناه بذراعه . فقالت : والله ما علمت به إلى الآن . فكشفنا لها عن وجهه . وقد كان أسمر اللون . فإذا وجهه أشد بياضا من بياض قطن الحنوط . فسترنا وجهه بالكفن وقلنا : وجبت ! وجبت ! فذكرت هذا الحديث لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري فأخبرني عن أبيه أنه ممن رأى وجه أبي يحيَى أبيض لما رفع عنه الكفن .

61 – ومنهم أبو عيسَى [وَزْجيج][379] ابن [وَلّوون][380] الصنهاجي

من أهل [ايغيور][381] على قرب من بلد أزمور . كبير الشأن من أقران أبي عبد الله بن امغار وأبي شعيب وكان من أهل العلم [والعمل][382] .

حدثني عبد الرحمن بن يوسف بن عمر قال : حدثني سليمان بن عبد النور قال : رأيت طائفة من متصوفة المشرق وصلوا إلى بلد أزمور لزيارة أبي عبد الله بن أمغار وأبي شعيب وأبي عيسَى فوجدوهم قد ماتوا . فزاروا قبورهم . فقيل لهم : من أين وصلتم ؟ قالوا : وصلنا من بلاد اليمن . فقيل لهم : ما الذي أوصلكم ؟ فقالوا لنا : نام بعضنا فرأى في منامه الجنة ورأى فيها قصورا عظيمة . فقال : لمن هذه القصور ؟ فقيل له : هي لقوم من صنهاجة أزمور وهم ابن أمغار وأبو شعيب وأبو عيسَى .

وَذِي خِرَقٍ أَخْفَى مَضِيضَ اكْتِئَابِهِ
فَنَمَّ عَلَيْهِ دَمْعُهُ بِانْسِكَابِهِ[383]

(379) وَازْكِيكْ . نسبة لموضع قرب أزمور يُسمى ولزْكيكْ أو وَادكيك كما جاء في **بهجة الناظرين** حيث كانت مجموعة صنهاجية . وسبق أن رجحنا أن يكون أصلها من أزاكْ . وقد يكون معناها من أزاك بمعنَى الخالص أو الصافي . حيث يقول المصامدة : أزديك فيكون وازكيك ابن خالص أو ابن صافٍ .

(380) في س : وَلْدُونْ . واَلّدُون معناه النحاس أو الأصفرَ . والمترجم معروف بسيدي عيسَى قرب أزمور . ومذكور في **بهجة الناظرين** .

(381) ايغيوْرْ ومعناه الطائر الكاسر كالبازي والصقر . وفي **يتيمة العقود الوسطَى** ص 408 : إغيوَرْ .

(382) زيادة في س وم وح .

(383) من الطويل .

بَكَتْ عَيْنُهُ لَمَّا بَكَتْ عَيْنُ قَلْبِهِ
وَلَوْلاَ بُكَاءُ ٱلْعَيْنِ لَمْ يُدْرَ مَا بِهِ
أَذَابَ بِخَوْفِ ٱللَّهِ صِحَّةَ جِسْمِهِ
وَأَبْلَى بِتَقْوَاهُ رِدَاءَ شَبَابِهِ
وَلَمْ يُبْقِ حُبُّ ٱللَّهِ مِنْ جِسْمِهِ سِوَى
خَيَالٍ تُقِلُّ ٱلأَرْضُ تَحْتَ ثِيَابِهِ
تَفَرَّدَ بِٱلْمَوْلَى وَفَرَّ بِنَفْسِهِ
إِلَى جَبَلٍ يَأْوِي لِبَعْضِ شِعَابِهِ
تَرَاهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلْمُبَرِّحِ وَٱلأَسَى
كَمَيْتٍ دَعَاهُ رَبُّهُ لِحِسَابِهِ
يَمُرُّ فَلاَ يَدْرِي مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَا
بِأَيٍّ يَدَيْهِ أَخْذُهُ لِكِتَابِهِ
إِذَا ٱنْصَرَفَ ٱلْمَحْبُوبُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
تَبَادَرَتِ ٱلأَمْلاَكُ أَخْذَ رِكَابِهِ
إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا حَرِيرٌ لِبَاسِهِ
وَدُرٌّ وَمَرْجَانٌ سُرُوجُ دَوَابِّهِ
وَحُورٌ كَأَمْثَالِ ٱلْبُدُورِ نَوَاهِدٌ
يُلاَعِبْنَهُ فِي ٱلْخُلْدِ جَوْفَ قِبَابِهِ
إِذَا مَا بَدَتْ حَوْرَاءُ مِنْهَا بِوَجْهِهَا
حَكَتْ بَدْرَ تَمٍّ قَدْ بَدَا مِنْ سَحَابِهِ
فَوَجْنَةُ حَكَى ٱلتُّفَّاحُ حُمْرَةَ خَدِّهِ
وَنَهْدٌ حَكَى ٱلرُّمَّانُ حُسْنَ ٱنْتِصَابِهِ
فَرُمَّانُ هَذَا قَطْفُهُ فِي ٱلتِذَاذِهِ
وَتُفَّاحُ هَذَا نَقْلُهُ فِي شَرَابِهِ
بِنَفْسِي وَلِيٌّ لِلإِلاَهِ مُشَمِّرٌ
إِذَا رَقَدَ ٱلنُّوَّامُ قَامَ بِبَابِهِ

62 – ومنهم أبو شعيب أيوب ابن سعيد الصنهاجي [384]

من أهل بلد أزمور ومن أشياخ أبي يعزَى ويقال إنه من الأَبدال . قدم مراكش [بعد][385] عام أحد وأربعين وخمسمائة ومات بأزمور يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني عام أحد وستين وخمسمائة .

وكان في ابتداء أمره معلما للقرآن بقرية بليسكاون من بلد دكالة . فكان يتوكأ على عصاه واقفا لا يقعد . إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب ثم تصدق بجميع ما اكتسب في وقت التعليم خوفا أن لا يكون وفَى بما عليه من الحقوق .

ورأى يوما بقرة له أهوت بفيها في فدان جاره . فجرَى إليها وأدخل يده في فيها . فأخرج منه النبات وأمر أن ترد لداره ويجمع لها الحشيش ولا تترك تخرج إلى المرعَى ثلاثة أيام وان يتصدق بلبنها في تلك الأيام . وزاره عبد الخالق بن ياسين من سبت بني دغوغ[386] من بلد ايلان وهو بأزمور وحمل معه إليه حمل زبيب . فقال له أبو شعيب : من أين لك هذا الزبيب ؟ فقال له : هو من جنتي . فقال له : بماذا [سقيته][387] ؟ فقال : من ماء ساقية مشتركة آخذ نوبتي منها في السقي][388] . فقال له : رد زبيبك إلى دارك فاني لا آكل زبيبا يسقَى بالماء المشترك . فرجع عبد الخالق إلى داره وأَنفق في ساقية ، انفرد بها ، مائة دينار فكان يسقي منها جنته .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم عن أبي موسَى عيسَى بن عبد العزيز

---

(384) هو المعروف بمولاي بوشعيب في أزمور . ذكر وفاته في **الأنيس المطرب** . ص 265 . وجعل وفاته سنة 570هـ . وذكره صاحب **المعزى في مناقب أبي يعزَى** ، ص 11 وبعدها وفي **الإعلام** (1 : 396) .

(385) غير وارد في س .

(386) حيث يوجد ضريح الشيخ عبد الخالق بن ياسين على وادي نفيس قرب مراكش ، في الأوداية وكانت معدودة من إيلان .

(387) س : تسقيه .

(388) س : بنوبتي من ماء الساقية المشتركة .

قال : أراد والي أزمور قتل جماعة من أهل بلده . فجاءه أبو شعيب شفيعا فيهم وكان أسمر اللون . فلما رآه الوالي انتهره . فلما ولى عنه أبو شعيب أصابه وجع شديد . فقيل له : إن الرجل الذي رددته هو أبو شعيب وهو من الأولياء ويُخشَى عليك من رده . فأمر أن يؤتَى به فلما أتي به شفعه في أولائك الذين أمر بقتلهم فارتفع عنه الوجع . وكان الوالي المذكور . إذا عزم على قتل قوم ورآه مقبلا اليه يصرفهم قبل وصول أبي شعيب اليه . وقد أمر الوالي يوما بإحضار جماعة للقتل . ففزع الناس إلى أبي شعيب . فأخذ في البكاء فقال لهم : والله ما ابتليتم بهذا إلا من أجلي ولو مت لاسترحتم مما نزل بكم .

وحدثني أحمد بن عبد الله(389) قال : حدثني ابن صاحب الصلاة(390) أنَّ أهله أُسروا بأيدي الروم من جزيرة الأندلس . قال : فقدمت مراكش لأنظر في فكهم من الأسر . ثم نهضت إلى بلد أزمور . فدخلت مسجد أبي شعيب . فوجدته جالسا ورأسه تحته فصليت بإزائه فسمعت كصوت وقع المطر على الحصير الذي هو جالس عليه ثم رفع رأسه فإذا ذلك الصوت كان صوت دموعه كانت تقطر على الحصير من شدة بكائه . فذكرت له أسر أهلي فدعا لهم بالسراح . فوالله ما كمل العام حتَّى جمع الله بيني وبين جميع من أسر من أهلي بمراكش وأجاب الله دعوته فيهم .

وحدثني إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين(391) عن محرز بن عبد الخالق بن ياسين قال : رأيت أبا شعيب بمسجد أغمات . يأتيه المؤذن إذا أقيمت الصلاة يصيح في أذنه : قد حضرت الصلاة ! وكان ذلك المؤذن خاصا به . لئلا يصلي

---

(389) لعله أبو العباس السكوني القرطبي الذي سكن مراكش وتجمعه مع المؤلف مشيخه عدد من مدرسيا . (راجع الذيل والتكملة : 1 : 150) .

(390) تسمَّى بهذا الاسم أكثر من واحد من الأندلسيين الذين حلوا بمراكش قبل وفاة أبي شعيب . فالمؤرخ عبد الملك بن صاحب الصلاة قدمها سنة 560هـ ولا يستبعد أن يكون هو . وابن صاحب الصلاة المقرئ الشاطبي ولد سنة 542هـ . وأبو بكر الذي وفد في علماء الأندلس على الخليفة عبد المومن قدمها سنة 542هـ الخ ومجيء هذا المقصود إلى مراكش كان قبل وفاة المترجم سنة 563هـ .

(391) عمه هو الشيخ عبد الخالق بن ياسين الدغوغي (ترجمته تحت رقم 78) . وكانت بينه وبين المؤلف مكاتبه . وحدثه بأخبار أيلانيين ودكاليين من جهة أزمور .

الناس عنه وهو لا يشعر بهم لغيبته في صلاته عن الإحساس بالناس. وكان إذا وقف في صلاته يطيل القيام. فلذلك سمي أيوب السارية.

وأخبرنا عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن أبي شعيب: أخبرني بما رأيت لأبيك من الكرامات. فقال لي: صلى صلاة عيد الأضحى بأغمات وجاءنا بأزمور إثر انصراف الناس من صلاة العيد وكنا على أن نذبح كبشا لأضحيته فقال لنا: اذبحوا هذا الكبش الآخر.

وحدثني هارون بن عبد الحليم قال: حدثني خالي يحيى بن أبي ينور قال: جاءني أبو شعيب في يوم عيد بقرية [يليسكاون][392] ليسلم على أبي وكان من أشياخه. [فاستأذنا][393] له فأذن له الشيخ في الدخول. فلما سلم عليه قلت له: ألا تنزل عندنا لتصيب من أضحيتنا؟ فاعتذر وفهمت منه أنه يبادر لذبح أضحيته بأزمور. فتقدم ومشيت في أثره ثلاث خطوات فلم أدركه وغاب عني.

وحدثني إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين عن عمه عبد الخالق بن ياسين أنه قال: ذهبت إلى زيارة أبي شعيب فوجدته بقرية [واوزجارت][394] فدخلت اليه وتحدثت معه. فسمعت زئير الأسد وهو قريب منا. فقلت له: إن هذا الأسد يزأر على دوابنا وما جاء إلا اليها. فقال: اللهم. يا من رد عنا هذا البحر. رد عنا هذا الأسد! فانقطع صوت الأسد من ساعته ومر عنا.

وحدثني عمر بن يحيى قال: حدثني إبراهيم بن يعقوب[395] قال: جلسنا يوما مع أبي شعيب إلى أن قال لنا: إن الله تعالى يعطي الدنيا كما يعطي الآخرة. فمن كانت له حاجة من حوائج دنياه فليذكرها لنسأل الله تعالى في قضاء حاجته. فقام رجل من الحاضرين معنا. فقال له: ادع الله أن يوسع علي الدنيا. فإني كثير العيال. فدعا له فلم نفترق من ذلك المجلس حتّى وقف علينا سائل. فقال: أنا

---

(392) م: ئْلَيْسكَاوْنْ مؤنث ايلاسكاون أو يِلَيْسْكَاوْنْ.
(393) م: فاستأذنت.
(394) وَاوْزْكَارْتْ. قرية كانت قرب أزمور مذكورة في **بهجة الناظرين** للأزموري. ولعلها من جهة الوادي. لأن زْكَرْ يعني جاز من جواز النهر أو غيره وما قبله واو للنسبة كما لو قلنا: ذات المجاز.
(395) من أهل أزمور ومن تلاميذ أبي شعيب.

رجل فقير ، [ناقه][396] من مرض ولي عيال فانظروا في أمري . فقال أبو شعيب : أين الرجل الذي سأل أن يوسع الله عليه ؟ فقام إليه . فقال له أبو شعيب : قم مع هذا وادفع اليه الخمسة دنانير التي عندك . فقام معه إلى الوادي فدفع له ثلاثة دنانير [فقط][397] . وانصرف السائل فرحا ورجع الرجل إلى مجلسه وقعد معنا . ثم وقف علينا رجل تاجر من الأندلس فقال : يا أبا شعيب أنا من تجار مالقة ، وصلت [بتجارة][398] إلى هذا البلد ، فرضت ولا أطيق السفر في البحر ولا المسير في البر وعندي خمسمائة دينار ، فدلني على رجل ثقة أقارضه بها قدر ما استقل من مرضي . فقال أبو شعيب : أين ذلك الرجل الذي سأل أن يوسع الله عليه ؟ فقام إليه . فقال له : ادفع ذلك المال إلى هذا الرجل . فلما قبضه قال له أبو شعيب : اذهب الآن إلى المرسى واشتر السلعة التي تجدها هنالك وسافر بها . فذهب إلى المرسَى ، فوجد قمحا فاشتراه وحمله في المركب . وتوجه به إلى مالقة . فباعه واشترى بثمنه تينا وغيره من السلع . فلما توسط البحر هال البحر واضطرب . فخفف أهل المركب مما عندهم ورموا في البحر جل ما عندهم خوف الغرق ، ثم انقلب الهواء وطاب البحر إلى أن حطوا بمرسَى أزمور . فباع جميع ما كان عنده بألف ومائة دينار وجاء بالمال إلى أبي شعيب . فبعث إلى صاحبه . ثم سأل أبو شعيب ذلك الرجل عن تجارته وما جرَى له في سفره . فأخبره بكل شيء وأن جملة الربح ستمائة دينار . فتغير وجه أبي شعيب وقال له : لعلك لم تدفع للسائل الخمسة دنانير كلها التي أمرتك بدفعها له . فقال له : نعم ، إنما دفعت له ثلاثة فقط وقلت : أمسك الدينارين لعيالي لأني لم يكن عندي غيرهما . فقال له أبو شعيب : ما أضعفك بيقين ! لو دفعت له الخمسة دنانير كلها لحصل لك في ربحك خاصة خمسمائة دينار ، ولكنك نقصت فنقص لك . فدفع إلى التاجر رأس ماله خمسمائة دينار وأخذ الربح الذي هو ستمائة دينار فقسمه بينهما بالسوية وأعطَى كل واحد منهما ثلاثمائة دينار .

وحدثني عبد الرحمن بن علي الصنهاجي[399] قال : حدثني علي بن أبي عبد

---

(396) ح وم : ناقه وهو الصحيح .

(397) س : خاصة

(398) ح : بتجارتي .

(399) حدث المؤلف بأخبار أهل أزمور وأهل تيط .

الخالق[400] عبد العظيم بن أبي عبد الله بن أمغار عن أبيه قال : دخل أبو شعيب على أبي وأنا حاضر وكانت عادته إذا دخل بمكان لا يقعد حتَّى يصلي ركعتين وكانت عندنا حصر كثيرة فلم يسألنا عن الحصير الطاهر منها ومد يده إلى حصير فبسطه وصلَّى عليه . فقال أبي : انظر إلى فراسة أبي شعيب كيف اهتدَى إلى الحصير الطاهر منها ولم يحتج إلى السؤال .

وحدثني عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص عن أبيه أن أبا حفص ذهب مع أبي شعيب في حاجة لأبي عبد الله بن أمغار فوصلا إلى عدوة وادي أزمور[401] ثم رجعا . فقال أبو حفص لأبي شعيب : أرانا لم نعبر الوادي في ذهابنا ولا في إيابنا . فقال له أبو شعيب : ما دعاك إلى السؤال عن هذا ؟ إذا انتهَى أحد إلى حاجته فلا فائدة في السؤال .

قال أبو حفص : خرجت ليلة لأتوضأ في الوادي وكان البرد شديدا . فسمعت كلاما على بعد . [فأممته][402] . فإذا رجل يتبدد ويوبخ [نفسه][403] ، فدنوت منه فإذا أنا بأبي شعيب قد رمَى بنفسه في الوادي وكان يعاتب نفسه إذ نازعته في استعمال الماء البارد ، فحملته إلى منزلي وأوقدت له النار فلما زال عنه ألم البرد سألته عن فعله . فقال لي : دعني فإنها نفس خبيثة .

أُقَلِّلُ مَا بِـي فِـيكَ وَهْوَ كَثِيرُ
وَأَزْجُـرُ دَمْعِي فِيكَ وَهْوَ غَزِيرُ[404]
وَعِنْـدِي دُمُوعٌ لَوْ بَكَيْتُ بِبَعْضِهَا
لَفَـاضَتْ بُحُورٌ بَعْـدَهُنَّ بُحُورُ

---

(400) حفيد المترجم تحت رقم (75) . وجد بني أمغار أصحاب تيط . راجع **بهجة الناظرين** للأزموري ص 173 .
(401) يقصد أنهما كانا على الضفة اليمنَى لوادي أم ربيع بينما تيط مقر ابن أمغار جنوب الضفة اليسرَى .
(402) ح وس : فأضحت .
(403) زيادة في م .
(404) من الطويل . وردت في **ديوان الشبلي** . ص 102 . ورد في **جذوة المقتبس** ص 321 أنها لذي النون المصري .

قُبُورُ ٱلْوَرَى تَحْتَ ٱلتُّرَابِ وَلِلْهَوَى
رِجَالٌ لَهُمْ تَحْتَ ٱلثِّيَابِ قُبُورُ
سَأَبْكِي بِأَجْفَانٍ عَلَيْكَ قَرِيحَةٍ
وَأَرْنُو بِأَلْحَاظٍ إِلَيْكَ تُشِيرُ

63 – ومنهم أبو محمد عبد الله ابن زيري الزناتي (405)

من تلامذة أبي موسَى الرفروفي . ويعرف بأبي محمد البصير وكان يسرد الصوم . وتفقه على أبي موسَى وكان عبدا صالحا فاضلا مات [بإويران] (406) . عام سبعة وستين وخمسمائة .

حدثني [عبد الخالق] (407) بن مالك الصنهاجي قال : حدثني العبد الصالح أبو الأمان بن مثُّو الرفروفي قال : زرت أنا وأبو محمد يسكر وأبو صالح الهسكوري أبا محمد البصير . فلما أردنا أن ننصرف عنه قال لنا : احملوا شيئا من الطعام . فأمر لكل واحد منا بخمسة أمداد من الشعير . فلما وصلنا بلد تاجنيت خلطنا ذلك الشعير كله . فكنا نأكل منه ونطعم من يزورنا من إخواننا في الله تعالى . فلما عزم أبو محمد يسكر على الرحلة إلى فاس اكتلنا ذلك الشعير لنقتسمه فوجدنا الكيل كما كان . فأخذ كل واحد منا خمسة أمداد ولم ينقص له منها شيء .

(405) ورد في س : زَيْرِيْ بفتح أوله وسكون ثانيه وهو غلط والصحيح زِيرِي بكسر الزاي والراء معا . ومعناه البدر المكتمل . في يتيمة العقود الوسطى للعبدوني (مخطوط خ . ع . رقم ك 305) ص 402 وما بعدها أن قبر المترجم ظل مجهولا إلى عصر أبي علي اليوسي الذي أشار إلى علامات مكان وجوده . فاستند إليها الشيخ صالح الشرقاوي البجعدي فقال لبعض أصحابه أن يقوم بأعمال الحفر حتَّى أبرزوه فبَنَى عليه الشيخ صالح ثم ابنه الشيخ المعطَى . وهو معروف منذئذ بسيدي محمد البصير بقبيلة السماعلة .

(406) إيويران أو أيت ويرًا كانوا بمنطقة السماعلة . ومازالت فرقة منهم تشكل قبيلة من قبائل القصيبة .

(407) م وح وبعض نسخ ف : عبد الحق .

64 – ومنهم أبو وكيل ميمون
ابن [تيكْرْتْ] [408] الوريكي الأسود [409]

تلميذ محرز السفاقسي وعليه تفقه وكان يسمى بميمون الموفق [410] وكان من العلماء العارفين بمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

وحدثني علي بن عيسَى بن ناصر قال : حدثني يحيَى بن أبي بكر بن عباد قال : نمت ليلة فسمعت هاتفا يقول : مات مالك بن أنس ! فانتبهت من نومي وخرجت ماشيا بأغمات فلما وصلت المكان الذي سمعت فيه الهاتف في المنام لقيت رجلا فقال لي : مات أبو وكيل ميمون بن [تيكرت] [411] رحمه الله .

65 – ومنهم أبو الحسن علي
ابن عبد الرحمن الهواري [412]

من أهل أغمات وريكة وكان عبدا صالحا كثير البكاء من خشية الله تعالى . وكان إذا سمع كتاب الله تعالى يسمع له عويل ونحيب . وكان ذا مال فكان يصرفه في سبيل الخير والبر .

وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَصْفُ لِلَّهِ قَلْبُهُ
لَفِي وَحْشَةٍ مِنْ كُلِّ نَظْرَةِ نَاظِرِ [413]

---

(408) نقل ابن مليح هذه الترجمة في **أنس الساري والسارب** وسماه : ابن تكوت والصحيح تيكْرْت

(409) دفين مقبرة أغمات .

(410) في نسخة من نسخ ف : السويق .

(411) م تيكرت . س : بيكرت .

(412) نسب عددا من الغماتيين إلى هوارة . وهذا ما يؤكد ما ورد في **نزهة المشتاق** من كون سكان أغمات من هوارة . نقل ترجمته في **أنس الساري والسارب** ص 19 وفي **الإعلام** : 9 : 73 .

(413) من الطويل .

وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يَرْتَحِلْ بِبِضَاعَةٍ
إِلَى دَارِهِ ٱلْأُخْرَى فَلَيْسَ بِتَاجِرِ
وَإِنَّ امْرَأً يَبْتَاعُ دُنْيَا بِدِينِهِ
لَمُنْقَلِبٌ مِنْهَا بِصَفْقَةِ خَاسِرِ

حدثني علي بن عيسَى بن ناصر قال : قال لي أبو عبد الله [المسفر](414) رأيت في المنام أبا الحسن بعد موته وعليه ثياب حسنة كما عهدته في الدنيا إلا أني رأيته في صورة شاب . فلففت [رداءه بيدي](415) وقلت له : أريد أن أسألك عن حالك . فقال لي : دعني فإني مشغول . فقلت في نفسي : لعله مشغول بحساب ما خوله الله في الدنيا . فقلت : بم أنت مشغول . فقال لي : أوما سمعت قول الله تعالى : «إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ»(416) . فنفض يدي من ردائه وذهب ولم أدر أين ذهب .

66 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام الصودي(417)

من أهل قرية [تاملكالت](418) وكان عبدا صالحا مجتهدا في العبادة . توفي سنة ثمان أو تسع وستين وخمسمائة . كتب إلي أبو ابراهيم اسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين . يحدثني قال : اخبرني موسَى المؤذن قال : أقمت مؤذنا بمسجد

---

(414) س و م : السَّفَّار . ق : المنسِّر .
(415) س وم : بيدي بردائه .
(416) سورة يس : 55 .
(417) اَلصُّودِي بنطق الصاد زايا وأصله أَزْوضْ والقبيلة التي يُنسب إليها من قبائل المصامدة مازالت تحتل جزءا من المنطقة التي كانت فيها وتسمى مَزْوضَة . راجع **المقتبس من كتاب الأنساب** للبيذق ص 42 .
(418) في منطقة ايمي نْ تَانُوتْ ولكن خارج منطقة صودة حاليا . قريتان يقترب اسمهما من هذا الاسم : قرية تَاوْلُوكَلْتْ وقرية تَامَالُوكْتْ . وشكل هذه على الأرجح هو : تَامْلْكَالْتْ .

[تاملكالت][419] سبعا وثلاثين سنة . ما أتيت إلى المسجد في نصف الليل ولا قبل ذلك إلا وجدت أبا عبد الله قد سبقني إلى المسجد وهو يصلي فيه . قال أبو إبراهيم : وحدثني ينور بن [تماغوست][420] قال : حدثني سحنون بن يبورك صهر أبي عبد الله الصودي قال : مرض أبو عبد الله مرضه الذي مات فيه وكنت أعوده كل يوم وكان موضعي بعيدا من موضعه . فقال لي : شق علي وصولك إلي كل يوم ولكنك يوم الأربعاء تستريح إن شاء الله . فلما كان يوم الاربعاء توفي رحمه الله .

67 – ومنهم رجل مجهول

حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول : كان بمكناسة[421] رجل كثير السياحة في طلب الصالحين وزيارتهم . فلم يزل يسيح إلى أن وصل جبل لبنان . فبحث عن ولي من الأولياء ذكر له أنه بالجبل المذكور . إلى أن ظهر له به خيال رجل . فأراد الوصول إليه فلم يقدر لأوعار الجبل . فأشار إليه بثوبه كأنه يقول له : من أين الوصول اليك ؟ فأشار له ذلك الولي إلى مكان عينه له . فلم يزل يحتال إلى أن وصل إليه فوجده جالسا على صخرة وقد عاد من طول العبادة نحيلا كالخيال حتَّى لصق جلده بعظمه . فكان إذا دخل وقت الصلاة أذن وأقام وصلَّى فيصلي بصلاته . فإذا فرغ من صلاته قعد على الصخرة إلى وقت الصلاة فيؤذن ويقيم ويصلي ثم أخرج الرجل طعاما من مزوده . فنظر إليه الولي فرده في مزوده ورمَى به في حافة الجبل وقال له : إذا انصرفت عنا [احمله][422] معك . فلما كان وقت إفطاره قام إلى كوز فأخرج منها حب الريحان وغيره من حبوب الشجر التي تنبتها الجبال . فأكل منها . ثم قال له ذلك الرجل : أريد أن أقيم معك بهذا الجبل . فقال له الولي : لا تطيق ذلك فإني دفعت إلى ما ترَى وأنا ابن احدَى عشرة سنة ومن تعود النساء [مثلك][423] لا

(419) ح : تاملْكات .
(420) ابن تَمَاغُوسْتْ أي ابن امرأة من إِينْ مُوغاسْ وهي من قبائل الأطلس جنوبي موطن صودة .
(421) راجع **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** لمحمد بن غازي المطبعة الملكية الرباط 1964 .
(422) س : حمله .
(423) سقط من م وس وح .

يصلح لهذا ، فارجع إلى بلدك واشهد الصلوات في الجماعات وأد الفرائض واجتنب المحرمات فإنه خير لك . فعاد الرجل إلى المغرب وأقام في مكناسة يعمل ما أمره به ذلك الولي إلى أن لحق بالله تعالى .

68 – ومنهم أبو محمد عبد الحميد ابن صالح الهسكوري[424]

أصله من بلد تادلا وبه نشأ ثم نزل مدينة فاس فصحب بها أبا الحسن بن حرزهم وأبا عبد الله الدقاق . وكان عبدا صالحا من كبار الأولياء .

حدثني محمد بن يَحيَى[425] قال : حدثني عبد الكريم بن عبد الله قال : كان [عبد الحميد][426] يأوي إلى المسجد . فأردت السفر إلى مراكش فجئته لأودعه . فقال لي : عسَى أن تنظر لي في كراء دابة من أهل الرفقة لأركب عليها إلى سلا لزيارة بعض القرابة . فطلبت له دابة للكراء فيسر الله فيها . فجئت فأعلمته فأخرج حصير الصلاة وسليخة ينام عليها ، وما كان عنده غيرهما . فسرت معه فكلما احتجت إلى نفقة أخرج دراهم جديدة وأبَى أن أنفق من عندي شيئا ولم يزل ينفق علي وعلى نفسه إلى أن وصلنا مدينة سلا . فتقدمت إلى مراكش فأقمت فيها شهرين . ثم نهضت إلى مدينة فاس . فلما قربت من سلا وجدت [عبد الحميد][427] واقفا ينتظرني فقلت له : ما لي أراك ههنا ؟ فقال لي : علمت بوصولك وخرجت لألقاك .

قال عبد الكريم بن عبد الله : ولقيته يوما بفاس عند [حمام أغلان][428]

---

(424) ذكره ابن القاضي في **الجذوة** ، ص 387 . وقال : ذكره التادلي في **المستفاد** . أراد أن يقول : ذكره التادلي في **التشوف** . ولعل نسبته في هسكورة سابقة عن نزول تادلا .

(425) أبو عبد الله محمد بن يَحيَى بن علي ، من أهل الجانب الشرقي بمراكش ، خالط القوم النازلين به وكان حسن الاعتقاد فيهم وحدث المؤلف بأخبار .

(426) ح : عبد المجيد .

(427) ح : عبد المجيد .

(428) اغلان مكان حومتي فندق اليهودي والبليدة الحاليتين بفاس راجع **جنَى زهرة الآس** ، ص 25 . وتعقيب المحقق ص 101 .

فقلت له : عسى أن تدخل معي الحمام : فقال : ما لي اليه من حاجة . فقلت له : انما أردت أن أخدمك فيه . فوافقني . فدخلت معه اليه . فلما كان وقت تجرده من ثوبه رأيت جلدا على عظم . فلما خرجنا من الحمام ، أخرج من فيه أجرة الحمام فإذا دراهم طرية وكذلك كانت عادته ، متى احتاج إلى شيء مد يده فتناول دراهم طرية .

أخبرنا محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري قال : حدثني الشيخ أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني قال : كنت أحضر مع [عبد الحميد][429] مجلس أبي الحسن ابن حرزهم فدفع الي يوما خمسة دراهم وقال لي : اشتر لي كبلا بأربعة دراهم ونصف درهم واستأجر حدادا بنصف درهم وجئني بالكبل والحداد إلى الدار . وكانت له دويرة في طرف مدينة فاس اشتراها بأربعة عشر دينارا . فقلت في نفسي : لعله رأى مني ما يقتضي تأديبي ، ولم يكن بد من فعل ما أمرني به . فأتيته بالكبل والحداد . فلما دخلنا عليه مد رجليه وأمر الحداد أن يجعل عليهما الكبل . فخفق قلبي خفقة شديدة . فلما خرج الحداد ، دفع الي درهما وقال لي : ادفعه إلى الخباز واتني من عنده كل يوم بخبزة . فكنت آتيه كل يوم بخبزة فأدفعها له . فكنت أنظر إلى وجهه وهو أحمر اللون فأرى لونه يضرب إلى البياض . فأقول : لعل ذلك من كد العبادة وكثرة الأوراد . فدام على تلك الحال إلى أن مرت عليه ثمانية وعشرون يوما . فبينما أنا أسير ذات يوم في طريق مدينة فاس إذ ناداني أبو عبد الله الدقاق : يا عبد الله ، ما هذا الذي فعلته مع [عبد الحميد][430] ؟ فإني نمت اليوم في القائلة ، فرأيتك في النوم وأنت تجر عبد الحميد بشريط جعلته في عنقه ، فما فعلتما ؟ فتنبهت لكلامه وانطلقت مسرعا إلى دار [عبد الحميد][431] . فدخلت إليه وأخذت أفتش الدار إلى أن وجدت بموضع منها الثمانية والعشرين خبزة التي أتيته بها فإذا به كان يرميها بذلك الموضع ولا يأكلها . ثم احتلت له في طعام واتيته به وقلت له : والله ، لئن لم تأكله طوعا لأطعمنكه كرها ! أتريد أن تقتل نفسك وأكون شريكك في ذلك ! ففاضت عيناه بالدموع وقال لي وهو يبكي : يا عبد الله دعني ، إن هذه العدوة التي بين جنبي قد أهلكتني

---

(429) ح : عبد المجيد .
(430) كذلك .
(431) كذلك .

وقد قهرتها حتّى انقادت إلى كل ما أمرتها وما بقي لي الا يومان وتنقاد لكل شيء أردته منها . فلم أزل به إلى أن أطعمته .

69 – ومنهم أبو عمرو عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي[432]

امام أهل المغرب في علم الاعتقاد ، قدم مراكش واستوطن مدينة فاس ومات في شهر جمادى الثانية عام أربعة وستين وخمسمائة .

حدثني أحمد بن عيسَى الأنصاري قال : سمعت أبا عمرو يقول : كنت أقرأ مختصر ابن أبي زيد[433] على أبي عبد الله محمد بن عيسَى التادلي[434] . فسلمت عليه ذات يوم ، فلم يرد علي السلام . فسألته عن ذلك ، فقال لي : انك لا تقصد وجه الله تعالى بالعلم فلذلك ينبغي ألاَّ يرد عليك السلام . فانصرفت عنه مهموما . فلقيت فتى من أصحابي . فبت عنده وكان الفتَى بطالا [وأبوه][435] من طلبة العلم . فجعلت انظر في كتبه . فوقع بيدي من علوم الاعتقاد **التقريب والإرشاد** . فأعجباني وقال لي صاحبها* : هذا **الارشاد** هو المدخل إلى هذا العلم . ثم حملته

(432) راجع **الأنيس المطرب بروض القرطاس** . ص 266 **وجذوة الاقتباس** . ص 458 ، **والروض العاطر الأنفاس** . ص 116 . **وسلوة الأنفاس** : 2 : 183 . وعبد الله كنون : **عثمان السلالجي** ، في سلسلة : ذكريات مشاهير المغرب ، رقم 11 . وقد رجح الأستاذ عبد الله كنون أن وفاته كانت سنة 574هـ . وأما تسميته بالسلالكي فلأجل أملاك كانت له بجبل سْلِيلْكُو كان يتردد إليها من فاس ، قاله ابن القاضي .

(433) **مختصر مدونة سحنون** لابن أبي زيد القيرواني . راجع أرقام مخطوطاته في خزانة القرويين وغيرها عند : فؤاد سزكين : **تاريخ التراث العربي** : 2 : 141 (الترجمة العربية) .

(434) من حفاظ المذهب المالكي ، كان مشاورا بفاس أيام المرابطين (راجع ترجمة ولده أبي محمد في **التكلة** لابن الأبار ، ص 931 الترجمة 2155 من طبعة عزت العطار .

(435) س : وأخوه .

(*) كذا في جميع النسخ ، ولعل المقصود كتاب واحد هو كتاب **الارشاد** لإمام الحرمين الجويني .. أما **التقريب والإرشاد في أصول الفقه** للبلقاني فليس في علوم الاعتقاد . راجع **ترتيب المدارك** : ص 601 .

إلى ابن حرزهم وابن الرمامة واستشرتهما في قراءته فاستحسناه وأشارا علي بالنظر فيه . فقلت لابن حرزهم : أتأذن لي في قراءته عليك ؟ فقال لي : لا أجيده . فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره . فأخذته عليه . [فكان يبصرني في مواضع منه]* . فلما أكملته بالنظر عليه حتّى استظهرته حفظا ؛ ثم نمت يوما في المسجد الجامع فرأيت في النوم شخصين قصدا الي . فدفع أحدهما يده في صدري . فانفتح وأخذ الآخر يصب الملح فيه وهو يلتحم الى أن التحم الشق كله . فانتبهت من نومي وأنا أجد الألم في صدري . فقمت إلى مهدي(436) الخطيب بالجامع فقصصت عليه الرؤيا . فقال لي : ما هو العلم الذي تنظر فيه الآن ؟ فقلت له : انظر من علم الاعتقاد في **كتاب الإرشاد** . فقال لي : الزمه ، فانه سيفتح لك فيه . ثم اشكلت علي منه جملة مسائل . فلم أجد من يشفي صدري منها . فعزمت على الرحلة إلى بلاد المشرق لفهم الكتاب المذكور . فسافرت إلى مدينة بجاية وعزمت على دخول البحر في جمع كثير . فسجن الوالي كل من عزم على التوجه إلى المشرق . فهربت أنا وصاحب لي في الليل من السجن ورجعت إلى فاس . فبلغني أنه قتل جميع المسجونين الذين كنت معهم ببجاية . ثم طلب بعض الرؤساء من أرباب الدولة استاذا لبنيه يقرئهم النحو ويحمله معه إلى حضرة مراكش . فدله المستشار في ذلك علي . فلما وصلت معه مراكش أنزلني في دار خالية . فقمت لأتوضأ في الليل . فرأيت في وسط الدار جنيا . فشجعت نفسي وأتيت إلى البئر فأرسلت فيها الدلو . فأدخل يديه في البئر يخوض الماء ويلعب به . فأفرغت الدلو في الإناء فجعل يلعب بيديه فيه . فلما توضأت قلت في نفسي : أتقدمه إلى البيت فأغلقه على نفسي لأن الشيطان لا يفتح مغلقا . فسبقني هو إلى البيت . فاستقبلت القبلة لأصلي . فأمسك بذقني . فبقي فمي مفتوحا لا أقدر على سده ولا على الحركة إلى أن طلع النهار فانصرف عني . فتركت الأبواب في الليلة المقبلة مفتوحة فلم يظهر لي شيء . ثم ذكر

(*) في س : فكان يشكل علي فيه مواضع . وفي كتاب الأستاذ كنون عن السلاجي ص 8 : «فأجدته عنه ، وكان يفتر في مواضع» .

(436) راجع **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، ص 71 **وجذوة الاقتباس** ص 57 **وجنَى زهرة الآس** ص 56 وفيها أن المهدي بن عيسَى هذا عزله الموحدون عن خطبة القرويين في جمادى الأولى سنة 540هـ .

قصة طويلة انتهى فيها إلى أنه لقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الاشبيلي[437] وكان له بصر وخبرة بكتاب الارشاد. فلازمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الارشاد وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه. فعاد إلى مدينة فاس. فزهد في الدنيا وأهلها وانتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى.

إِذَا ٱلْعِلْمُ لاَ تَغْشَى غَرَائِبُهُ قَلْبِي
وَلاَ شَاقَنِي مِنْهُ إِلَى ٱلْمَنْهَلِ ٱلْعَذْبِ[438]

وَلاَ أَنَا مِمَّنْ جَاوَزَ ٱلدَّرْبَ نَاهِضاً
إِلَيْهِ وَلاَ أَرْضَى مَقَامِي مِنْ رَبِّ

وَلاَ كَانَ حَظِّي مِنْهُ إِلاَّ حِكَايَةً
عَلَى ٱلنَّاسِ أَتْلُوهَا فَحَسْبِي إِذاً حَسْبِي

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ نَفْسِي حَقِيقَتِي
وَمَا سِلْمُهَا سِلْمِي وَلاَ حَرْبُهَا حَرْبِي

تَمُرُّ بِنَا ٱلأَيَّامُ تَحْتَ لَجَاجَةٍ
وَمَا يَنْقَضِي لَوْمِي عَلَيْهَا وَلاَ عَتْبِي

أَيَا ذَاتَ نَفْسِي فَارْفُقِي بِي فَإِنَّهَا
لَطَائِفُ تَسْتَوْلِي فَتُنْبِي بِمَا تُنْبِي

هِيَ ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَى هِيَ ٱلسُّنَّةُ ٱلَّتِي
يَمُرُّ عَلَيْهَا مُقْتَفِي أَثَرِ ٱلرَّكْبِ

وَلاَ تَرْضَ بِٱلْحَظِّ ٱلْخَسِيسِ سَفَاهَةً
فَمِثْلُكِ مَنْ قَدْ حَلَّ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلرَّحْبِ

تَجَافَوْا عَنِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي أَصْبَحُوا بِهَا
عَلَى غُرْبَةٍ وَٱسْتَوْطَنُوا حَضْرَةَ ٱلْقُرْبِ

---

(437) كذا في جميع النسخ والصحيح : علي بن محمد بن خُلَيد وهو أصولي خطيب قدم من المرية على الموحدين، ونال عندهم حظوة، ومات بمراكش سنة 567هـ. راجع **الذيل والتكملة** : 5 : 304 **والإعلام** : 9 : 59.

(438) من الطويل، نسبها المديوني في **شرح البرهانية** للسلالجي نفسه (راجع : كنون : **السلالجي**).

وَإِنْ كَانَ لاَ يُنْجِيكَ إِلاَّ رُكُوبُهَا
فَمَا ذَا ٱلتَّجَافِي عَنْ مُجَاوَرَةِ ٱلرَّبِّ

سمعت أبا الحجاج يوسف بن موسَى يقول : رأيت أبا عمرو يحمل خبزه إلى الفرن فيريد تلامذته أن يكفوه حمله فيأبَى من ذلك إلى أن قال لهم : ما انتصبت للتعليم إلا لوجه الله تعالى ، فإذا لقيني منكم أحد فلا يتعرض لخدمتي بشيء . فإني أخاف ان تفسد علي نيتي . وكان يمر بالأبواب فيجد النساء قد أخرجن الخبز لمن يحمله إلى الفرن فيحمله لهن .

وحدثني أحمد بن عيسَى الأنصاري قال : حدثني علي [البرزالي][439] خديم أبي عمرو قال : استدعيت أبا عمرو إلى منزلي وصنعت له طعاما . فقدمت اليه طبق عنب . فأخذ منه حبة . فوضعها في فيه ساعة ثم أخرجها وردها إلى الطبق . وقلت له : كل ! فأبَى . فأقسمت عليه . فقال لي : لا تقسم علي ! فلما رآني متغيرا قال لي : من أين جاءك هذا العنب ؟ فقلت له : أهداه لي بعض جيراني . فقال لي : ما حرفته ؟ فقلت له : خمار ، يشتري العنب ويعصره ويبيعه مسكرا . ثم قلت له : لم سألتني عن هذا ؟ فقال لي : لما أخذت حبة من هذا العنب ووضعتها بين أسناني وجدتها أشد من الحجر . فأخرجتها من في ورددتها إلى الطبق .

70 – ومنهم أبو علي الشريشي [البَكَّاي][440]

أصله من شريش . قدم حضرة مراكش وكان من كبار الأولياء ، شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة فإذا سمع آية من كتاب الله تعالى تهمل عيناه بالدموع .

يَا بَرْدَ ٱلْجَوَى عَلَى كَبِدِي ۝ وَزَيْنَ هَذَا ٱلسَّقَامِ فِي جَسَدِي[441]
وَحُسْنَ هَذِي ٱلدُّمُوعِ يَنْبِطُهَا ۝ أُوَارُ شَوْقٍ مِنْ مَعْدِنِ ٱلْكَبِدِ

(439) س وم : البروالي .
(440) راجع الإعلام : 1 : 326 ، ونقل عن الإتحاف أنه دفن بسلا ، وقد ذكره الدكالي في الإتحاف الوجيز ورقة 38 .
(441) من المنسرح .

زِدْ كَبِدِي يَا مُذِيبَهَا حَرَقاً إنْ صِحْتُ مِمَّا أَكُنُّ وَاكَبِدِي

حدثني أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري قال : كان أبو علي قد جال في بلاد المشرق وحج نحو عشرين حجة وقدم مراكش . ثم خرج منها فنزل على علي بن حمدون بمدينة سلا وحضر جنازة الزاهد الفاضل عبد الله بن يوسف بن علي بن عشرة[442] ثم انصرف إلى الدار التي نزل بها فوجدته جالسا مع باب البيت . فسلمت عليه وأمرني بالدخول . فدخلت البيت فقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : محمد بن علي. فقال لي : حمدك الله وأعلاك أو كلاما معناه هذا. ثم خطر بفكري أن أنهض إلى مراكش في حاجة لي . فرفع رأسه إلي وقال لي : يا بني لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يعطوك ما لم يقدر لك لم يقدروا . فجاءته امرأة . فدعا لها ثم جاءه رجل آخر فدعا له . فقلت في نفسي : لعله يناله عجب من رغبة الناس في بركة دعائه . فقال لي : يا بني لعل الناس انما ينتفعون بحسن نياتهم فكيف ينال العجب أحدا ؟ فنظرت إلى تلامذته فإذا هم نحو خمسين . فقلت في نفسي : هل يصلي ورده بين تلامذته أو وحده ؟ فقال لي : يا بني ، إذا كان لك عمل من النوافل فلا يطلع عليك أحد إلا الله فإنه أبعد من الرياء . فنظرني وأنا أتعجب من شدة فراسته فقال : يا بني لا يعلم الغيب إلا الله ولكن هذه فراسة المؤمن . فانطلقت من عنده وذكرت ذلك لعلي بن حمدون . فعجب من انبساطه معي ؛ ثم قال لي : أنا أحدثك بأغرب من هذا : بتنا معه ليلة وكان يحدثنا وكنت خلفه أفرك له رمانا في طبق ، وكان الرمان من موروث حلال ورثناه من آبائنا . فجاءه رجل يعرف [بسير اللجام][443] برمان غير حلال فإذا ناولته الطبق برماننا أكله وإذا ناولته من الرمان المختلط بذلك الرمان الحرام رده وإذا ناولته من ذلك الرمان الحرام وحده رده وما كان ينظر الينا وانما كان وجهه إلى غيرنا وقد أولانا ظهره فعجبنا من ذلك . فسألته بالنهار عن فعله ذلك معنا ولم يرده مرة

---

(442) قال الدكالي في **الإتحاف الوجيز** ، ورقة 38 : «أبو محمد سيدي عبد الله بن عشرة (...) وانظر هل هو المعروف عندنا اليوم بسيدي الحاج عبد الله غليط صاحب الضريح بباب حساين من سلا أم غيره ، وعلى كل فالذي بباب حساين من بني القاسم بلا خلاف» وراجع بحث الأستاذ محمد بنشريفة عن بني عشرة ، مجلة **تطوان** عدد : 10 ، ص 205 .

(443) س وم : سيد اللجام .

ويأخذه مرة أخرى . فقال : كان لي شيخ بالشام وكانت بينه وبين الله تعالى امارة في الحرام ، فإذا قدم اليه طعام حرام نبض عرق في ابهام يده اليمنى فيكف عن الأكل .

71 – ومنهم رجل مجهول

حدثني عبد الله بن محمد بن أحمد العطار قال : حدثني أحمد بن محمد بن خلف المعلم قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن يعلى المعلم(444) بمدينة فاس قال : كنت يوما جالسا إذ وقف علينا رجل حديث عهد بالاياب من المشرق بعد أداء فريضة الحج وعليه غبار السفر . فسلم علي ، فقلت له : أنت حديث عهد بسفر مبارك فأريد أن أخدم هذه الأعضاء القريبة العهد بالسفر المبارك . فوافقني على ذلك . فحملته إلى الحمام وتوليت دلك جسده بيدي فأمررت يدي على جسده إلى أن انتهيت إلى صدره فوقعت يدي على موضع [متطامن](445) من صدره كالحفرة فقلت له : ما هذا؟ فقال لي : دع سؤالك عنه . فمازلت به إلى أن قال لي : مررت يوما مع صاحبي حتّى صعدنا جبل العرض في سنة قحط فكنا نطوف على المزارع وأنا أقول : هذا الفدان فات صلاحه وهذا الفدان يصلح ان مطر ؛ ثم انصرفنا ودخلنا المدينة . فنمت بالليل فأتاني شخصان . فقال أحدهما للآخر : هذا أحد الرجلين . فأجلسني وضربني بيده في صدري وقال لي : أمدبر غير الله ؟ فانتبهت مرعوبا من منامي . فهذا الذي تراه في صدري من أثر تلك الضربة . فلما أصبحت توجهت إلى مكة وكان ذلك سبب توبتي وحجتي .

رُدِدْنَا فَلَمْ نَيْأَسْ وَعُدْنَا فَعُدْ لَنَا
بِعَفْوِكَ يَا مَنْ عِنْدَهُ كَرَمُ ٱلْعَفْوِ(446)
فَقُمْنَا قِيَامَ ٱلْمُفْلِسِينَ تَذَلُّلاً
بِبَحْرِ ٱلْعَطَايَا دُونَ حَبْلٍ وَلاَ دَلْوِ

---

(444) هو المترجم (120) .
(445) س : متضامر .
(446) من الطويل .

خَوَاطِـرُنَـا مُـغْـبَـرَّةٌ لِـذُنُوبِـنَـا
وَأَضْـعَافُ مَا تَشْكُو ٱلْحَوَاضِرُ بِٱلْبَدْوِ

وَقَـدْ مَنَعَتْ دُهْـمُ ٱلْغَمَائِمِ وَدْقَهَا
وَقَدْ بَخِلَتْ وُرْقُ ٱلْحَمَائِمِ بِٱلشَّدْوِ

فَلاَ نَـغْـمَـةٌ تَبْدُو عَشِيّاً بِرَوْضَةٍ
وَلاَ بِـلَّـةٌ تَبْدُو صَبَاحاً عَلَى ٱلْمَرْوِ

وَتِـلْكَ جِـنَـايَـاتُ ٱلذُّنُوبِ فَإِنَّهَا
تَعُودُ بِتَكْدِيرٍ عَلَى رَوْنَقِ ٱلصَّفْوِ

أَيَـنْـفَـعُ إِقْرَارُ ٱللِّسَانِ وَفِي ٱلْحَشَا
فُؤَادٌ عَلَى عَمْدٍ يُقِيمُ عَلَى ٱلسَّهْوِ

تَـعَـدَّتْ خَطَايَانَا إِلَى ٱلْوَحْشِ بِٱلْفَلاَ
وَعَـادَ تَـعَـدِّيهَا عَـلَـى ٱلْمُرِّ وَٱلْحُلْوِ

إِذَا كَتَبَتْ كَفُّ ٱلْحَيَا صَفْحَ زَهْدِهِ
تَصَـدَّتْ لَـهَا كَفُّ ٱلْهَجِيرَةِ بِٱلْمَحْوِ

فَلاَ مَسْرَحٌ إِلاَّ هَشِيمٌ عَلَى ٱلصَّفَا
وَلاَ سَارِحٌ إِلاَّ هَزِيلٌ عَلَى نِضْوِ

سَـأَلْـنَـا وَأَلْـحَـفْـنَـا سُؤَالَ ضَرُورَةٍ
تُصَرِّفُ مَا بَيْنَ ٱلتَّضَرُّعِ وَٱلشَّكْوِ

وَإِنَّـا مَـعَ ٱلـتَّـأْمِيلِ نَـعْلَـمُ أَنَّنَا
لَأَدْنَى، إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنَّا، مِنَ ٱلسَّطْوِ

عَـبِـيـدُكَ بِـٱلْـبَابِ ٱلْكَرِيمِ أَذِلَّةٌ
قِيَامٌ عَلَى ٱلْأَقْدَامِ فِي كُرَبِ ٱلشَّجْوِ

وَقَـدْ أَخْلَقَتْ أَعْرَاضَـهُـمْ وَوُجُوهَهُمْ
خَطَايَاهُمُ فَـٱلْـكُـلُّ مُقْتَرِفُ ٱلْخَطْوِ

فَلاَ تَـجْـزِنَـا عَـدْلاً بِمَا نَحْنُ أَهْلُهُ
فَتُهْلِكَنَا فِي حَاجَةِ ٱلْمُزْنِ بِٱلصَّحْوِ

ظَمِئْنَا وَأَشْرَفْنَا عَلَى هُوَّةِ ٱلرَّدَى
وَأَنْتَ ٱلَّذِي تَكْفِي وَأَنْتَ ٱلَّذِي تَرْوِي
نَرَى ٱلْعَالَمَ ٱلسُّفْلِيَّ أَضْوَتْ نُجُومُهُ
فَهَا نَحْنُ نَسْتَسْقِيكَ بِٱلْعَالَمِ ٱلْعُلْوِي

72 – ومنهم أبو محمد عبد العزيز ابن محمد [الباغاني](447)

من أهل أغمات وريكة . صحب محمد بن إسماعيل الهواري ويوسف بن يعقوب المرادي وغيرهما من أهل الفضل وكان عبدا صالحا زاهدا في الدنيا وأهلها . حدثني علي بن عيسَى بن ناصر قال : بعث قاضي القضاة أبو يوسف حجاج بن يوسف التجيبي إلى عبد العزيز [الباغاني](447) ليجبره على قضاء أغمات . فقدم مراكش واستعفاه . فلم يعفه وقال له : لابد لك من ولاية القضاء . فقال له عبد العزيز : والله لو نشرت بالمنشار من قرني إلى قدمي ما قبلت هذه الولاية ! فلما رآه قد صمم على ذلك ، قال له : قد أعفيتك يا يوسف . فجزاك الله خيرا عن دينك . فرجع عبد العزيز إلى بلده . قال علي بن عيسَى : وكان سبب وفاته أنه قام ليلة إلى ورده ، فتوضأ وأكمل وضوءه وجاء إلى مصلاه وقعد فيه ومد يديه وحرك شفتيه بالتشهد وقضَى نحبه رحمه الله .

73 – ومنهم أبو موسَى الدكالي(448)

من كبار الأولياء . كان سكناه فندق الزيت(449) بمدينة سلا وكان زاهدا في

(447) في ح وفي **أنس الساري والسارب** : البغاني . نقل ترجمته صاحب **الإعلام** : 8 : 401 .

(448) ق : أبو عمران موسَى الدكالي . وفي طرة **نظم التشاوفي** : «قف على سيدي موسَى الدكالي دفين الساحل من سلا» . وهي معروف اليوم في حي ينسب إليه خارج سور مدينة سلا إلى الشمال بـ(سيدي موسَى) . وقد ذكره الدكالي في **الإتحاف الوجيز** وقال : «إن القبة التي عليه الآن مجددة في زمن السلطان مولانا اسماعيل» .

(449) مايزال الفندق هذا قائما ويعرف بفندق أَسْكُورْ . وكذا البيت الذي كان يسكنه فيه أبو موسَى .

الدنيا منفردا لا يأوي إلى أحد ، كان يحمل قفة كبيرة فيجمع فيها بقل البرية وما يلفظه البحر من مباح الأكل . فيبيعه ويشتري بثمنه خبزا فيمسك خبزتين ويتصدق بالباقي على المساكين ، ثم إذا أتت أيام الحج يقول : أريد أن أزور أهلي . فيغيب أياما قليلة ويعود . وأقام على تلك الحالة اثني عشر عاما . فيقال انه يحج في كل عام . فلقيه يوما رجل واصل من الاسكندرية . فسلم على أبي موسَى فتنكر له فقال له الرجل : ألم أرك بالاسكندرية ؟ فخجل أبو موسَى من قوله . واجتمع أهل سلا بالرجل يسألونه . فقال لهم : انه يحج كل عام حين يغيب عنكم .

وحدثني غير واحد قال : مرض أبو موسَى مرضه الذي توفي فيه وهو بفندق الزيت[449] ، فجاءه أهل سلا فقالوا له : بم تأمرنا في أمرك ؟ فقال لهم : عندي سبعة دراهم تحت فراشي ، وذلك المصحف المعلق . اشتريته من أجرة حفظ الكروم بالاسكندرية . فبيعوه وأضيفوا ثمنه إلى سبعة الدراهم وجهزوني بها إلى قبري ان مت . فلما مات ، رحمه الله . قالت ملالة بنت زيادة الله[450] : قد أعددت لكفنه ومؤنة دفنه خمسمائة دينار . فقيل لها : انه عهد ان لا يكفن ولا يجهز إلى قبره إلا بسبعة الدراهم التي تركها وثمن مصحفه . فقالت لهم : ان لي كفنا أعددته لنفسي صنعته من كتان زرعته في أرض موروثة عن آبائي ، فادفعوا لي في ثمنه دراهمه وثمن مصحفه . فاشتروا منها ذلك الكفن بدراهمه . فلما أخرجوا جنازته إلى المقابر تنازعوا في دفنه وقال كل واحد : انما يدفن في روضتي . واجتمع خلق كثير لجنازته ، فطائفة تحمله إلى هذه الجهة وأخرى تحمله إلى جهة أخرى . وطال ذلك بينهم من أول وقت الظهر إلى وقت العشاء الآخرة . وكان الوالي بسلا شديد البأس ، فقيل له في ذلك فقال : ما عندي في هذا عمل ولولا ان الله تعالى يحب هذا الانسان ما جعل في قلوب الناس حبه .

وحدثني عمر بن الحسن بن داود بن عشرة[451] قال : كنت فيمن حضر جنازة أبي موسَى وأنا يومئذ شاب وكانت لنا أرض محبسة لدفن موتَى المسلمين . فحفرت فيها قبرا وأتيت إلى نعشه وقد غلب الظلام فسللته من فوق النعش واعتنقته وحملته إلى ذلك القبر . فدفنته والناس يظنون انه باق على النعش . فأعلمتهم اني دفنته

---

(450) راجع مجلة تطوان ، العدد 10 ، ص 260 .
(451) المرجع المذكور

بالأرض الحيس . فأقاموا على قبره يسمرون عليه بالليل ويقرأون القرآن بالنهار . فلما كملت سبع ليال غلبهم السهر . فناموا فما انتبهوا إلا وقد نقل من ذلك القبر إلى قبر حفرته له ملالة [بنت زيادة الله][452] في رابطة القدم . وعملت عليه قبة أنفقت عليها خمسمائة دينار .

تَـزَوَّدْ قَـرِيـنـاً مِـنْ فِـعَـالِكَ إِنَّـمَا
قَرِينُ ٱلْفَتَى فِي ٱلْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ[453]
وَلَنْ يَصْحَبَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
إِلَى قَبْرِهِ غَيْرُ ٱلَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
أَلَا إِنَّـمَا ٱلْإِنْسَانُ ضَـيْـفٌ لِأَهْلِـهِ
يُقِيـمُ قَلِـيلاً عِـنْـدَهُـمْ ثُـمَّ يَرْحَلُ

وحدثني محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري قال : حدثني القاسم بن عبد العزيز بن عشرة[454] قال : مررت بابي موسى وهو يأكل عسلوجا من عساليج [الكلخ][455] . فناولنيه فأكلته فوجدته حلوا طيبا .

وحدثني محمد بن الحسن قال : حدثني ناصر بن [تامة][456] وكان من رؤساء البحر قال : رأيت أبا موسى الدكالي بمدينة سبتة وأنا عازم على الاقلاع إلى سلا إلا أن الريح سكنت . فقال لي : متى تقلع ؟ فقلت : ما منعني من الاقلاع إلا عدم الريح . فقال لي : خذ عني هذه القفة والسلهامة فقد أثقلتاني . فتقدم بهما ودعا لي بالسلامة وودعته غدوة النهار [وأخذت منه قفته وسلهامته][457] . ثم هبت ريح

---

(452) زيادة في ح .
(453) من الطويل .
(454) انظر الهامش رقم 451 .
(455) العُسْلوج : كل قضيب حديث من النبات . وفي ح : الكُلَيْخ . وهو تصغير كلخ . وليس في **القاموس** ولا في **لسان العرب** . واستدركه دوزي Dozy وهو عنده : férule وهو الحِلْتيت . راجعه عند الجوهري وابن منظور . وراجع النوع المقصود هنا في **تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب** التي ترجمها وعلق عليها رونو وكولان . المادتين : 211 و356 .
(456) ح : تمامة .
(457) سقط من ف .

طية فسرنا بها يوما وليلة . فانتهينا صبيحة اليوم الثاني إلى ساحل مدينة سلا . فلما نزلت بالشاطئ ، قام إلي أبو موسَى من بين العزف وقال لي : أين الأمانة ؟ فدفعت اليه القفة والسلهامة . فقال لي : قد انقضت حاجتك فأين الأجرة ؟ فقلت له : أعلمني بها . فقال لي : اكتم علي حتَّى أموت . فحلفت له ألا أحدث بذلك ما [دمت][458] حيا .

74 – ومنهم أبو سهل القرشي[459]

ورد من بلاد المشرق فدخل المغرب ونزل برباط تاسماطت من عمل مراكش فمات به . وقبره معروف يتبرك به إلى الآن . ونقل الخلف عن السلف أنه جاء من المشرق على قدميه وعلى عاتقه مخلاته التي جعل فيها كتبه . فمَشَى يوما إلى أن كلمه جمل بازائه فقال له : يا أبا سهل ، اجعل مخلاتك علي لتستريح من حملها .

دَعِ ٱلْمَطَايَا تَنْسِمُ ٱلْجَنُوبَا ... إِنَّ لَهَا لَنَبَأً عَجِيبَا[460]
حَنِينُهَا وَمَا ٱشْتَكَتْ لُغُوبَا ... يَشْهَدُ أَنْ قَدْ فَارَقَتْ حَبِيبَا
تَرْزُمُ إِمَّا ٱسْتَشْرَفَتْ كَثِيبَا ... كَأَنَّ بِٱلرَّمْلِ لَهَا شُعُوبَا
مَا حَمَلَتْ إِلَّا فَتىً كَئِيبَا ... يُسِرُّ مِمَّا أَعْلَنَتْ نَحِيبَا
يُمْسِي إِذَا حَثَّتْ لَهَا مُجِيبَا ... يَطْرِفُهَا إِذَا ٱنْثَنَتْ طَرُوبَا
إِنَّ ٱلْحَنِينَ يَبْعَثُ ٱلنَّسِيبَا ... لَوْ غَادَرَ ٱلشَّوْقُ لَهَا قُلُوبَا
إِذاً لَآثَرْنَ بِهِنَّ ٱلنِّيبَا ... إِنَّ ٱلْغَرِيبَ يُسْعِدُ ٱلْغَرِيبَا

---

(458) س : مادام .
(459) نقل ترجمته دون إضافة في **الإعلام** : 1 : 395 .
(460) من الرجز . وقد وردت الأبيات في **المدهش** . ص 140 . غير منسوبة .

75 - ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل ابن سعيد الصنهاجي المعروف بابن أمغار[461]

من أهل [رباط تيطنفطر][462] من بلاد أزمور . يقال انه من الابدال ومن اقران أبي شعيب أيوب السارية وأبي عيسَى الدكالي الذي كان بموضع [ايغيور][463] . وأبوه أبو جعفر وجده إسماعيل وأسلافه بيت خير وصلاح وولاية ؛ وكذلك خلفه إلى الآن . سيأتي ذكرهم بحول الله .

وحدثوا عن أبي شعيب أنه كان يكثر زيارة أبي عبد الله ولم يدعها إلى أن أسن أبو شعيب . فقال له أبو عبد الله : إلى متَى . يا شيخ تزورنا وأنت قد كبرت ؟ فلا تعب نفسك ! فقال له : يا سيدي . كيف لا أزورك وأنت تترك من يرثك ولا

(461) راجع **بهجة الناظرين وأنس العارفين** لأبي عبد الله محمد بن عبد العظيم الأزموري . مخطوط الخزانة العامة . د 1501 ود 1349 ومخطوط الخزانة الحسنية رقم 1622 . وراجع **سلوة الأنفاس** : 2 : 218 . وفي **الإعلام** (8 : 212) . سماه خطأ . عبد الله . وفي ما نقله عن المعزى خلط بين أبي عبد الله بن أمغار وبين عبد الخالق بن ياسين . وأمغار . كبير القوم أو شيخهم بهذا المعنَى .

(462) من أقدم الرباطات بالمغرب الأقصَى . وجوده سابق عن العهد المرابطي . وقد تمسك رجال بيت بني أمغار بأقدم الظهائر المسلمة إليهم من طرف الحكام للحمل على المبرة . وصرفوا لهم قسطا من مجبى صنهاجة الذين هم في أرضهم . وهو معروف الموقع إلى اليوم على بعد بضعة أميال جنوبي مدينة الجديدة . على شاطئ المحيط . وقد رسم اسم هذا الرباط في ح : تيطَنْ فُطْر . وكثيرا ما اقتصر من يذكرونه على تسميته بـ : تِيط . ومعناها العين . والمقصود هنا منبع الماء فيكون رسمها كما ورد في طبعة فور وفي عدد من النسخ التي راجعناها مركبا من تيط أي عين ونون للإضافة وفطر . وقد قرأها الكثيرون ومنهم صاحب **بهجة الناظرين** : الفطر . فقال هذا الأخير : «قبره المسمَى بعين فطره التي كان يفطر عندها من طعام الكون بوسط البحر في الجزيرة المعلومة» . وأقرب تأويل يقبله هذا الاسم هو أنه تيطَّنْفَطَر أي عين أَنْفْطْ . ومعنَى أنفطر إناء معروف من قديم يشبه المد الذي به تُحسب زكاة الفطر . ويحمل فيه ثقب في أسفله ويوضع في منبع العين ليُحسب به توزيع الماء للسقي بين المستفيدين بوحدات قدر كل منها قدر ما يستغرقه امتلاء الاناء من ثقب الأسفل .

(463) ح : ايغير . وقد سبق ضبطه : إيغيُورْ .

أترك أنا وارثاً . وصدق أبو شعيب ، رحمه الله . لأنه لم يترك بعده ولدا سلك طريقه .

حدثني عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص قال : سمعت أبا عبد الخالق عبد العظيم بن أبي عبد الله بن أمغار[464] يقول لإخوته : أتدرون بم زاد والدكم على صالحي المغرب ؟ فقالوا : لا ندري . فقال : ما [فاقهم][465] بكثرة صلاة ولا صيام وإنما [فاقهم][465] باتباع السنة . فكان إذا صلَّى العتمة لم يتحدث مع أحد للنهي الوارد في النوم قبلها والحديث بعدها وإذا صلَّى العتمة ولم يجد طعاما يفطر عليه ، نام ولم يكلم أحدا .

وحدثني إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين عن عمه عبد الخالق بن ياسين[466] أنه كان يزور أبا عبد الله بن أمغار وأبا شعيب مرة في كل [عام][467]

قال إسماعيل : حدثني يخلف بن تادكو الهكوري المعلم بمسجد الأحسن[468] قال : مر بي عبد الخالق فقال لي : عزمت على زيارة أبي عبد الله فأذهب معي إليه . فلما وصلنا اليه [نزلنا][469] عنده وكانت عادته الا يبيت مع أضيافه ، فإذا أحضر لهم ما يحتاجون ، تركهم في مكانهم وانصرف عنهم . فلما كان وقت السحر جاء أبو عبد الله إلى البيت الذي بتنا فيه . فقال لعبد الخالق : اذهب بنا لنتوضأ من البحر . فذهبا . فتبعتهما إلى أن وصلا إلى البحر . فدخلا فيه وهما يمشيان على الماء ، فأردت أن أتبعهما . فغلبني الماء فوقفت . فالتفت إلي عبد الخالق فقال لي

(464) في **بهجة الناظرين** أنه الذي تولى أمر الرباط بعد وفاة والده أبي عبد الله . ولم يذكره في رجال التشوف وانما ذكر أخويه عبد السلام (87) ويوسف (254) . وقد ولد لأبي عبد الخالق هذا أبو الحسن ومنه نسل ستة اخوة من بني أمغار . وفي نفس المصدر أن الناصر الموحدي استشار أبا عبد الخالق في أمر الجهاد بالأندلس . وأنه هو الذي رشحه لخلافة أبيه .

(465) ح : فاتهم .

(466) ترجمته تحت رقم (78)

(467) س : شهر .

(468) يظهر أن الأحسن ترجمة : وينْ يُوفْنْ . راجع الترجمة (129)

(469) س : أنزلنا .

ارجع واجلس على الشط حتَّى نرجع ! فقال له أبو عبد الله : مع من تتكلم ؟ فقال له : تبعنا يخلف فأمرته أن يرجع وينتظرنا حتَّى نرجع . فقال له أبو عبد الله : وهل تبعنا إلا لينال من بركتنا . فقال لي : يا يخلف : تعال ! فتبعتهما أمشي معهما على الماء إلى أن وصلنا جزيرة في البحر . فدخلنا فيها إلى أن وجدنا عينا من الماء . فتوضأنا منها . فقال أبو عبد الله : هذه العين هي عين فطر ورثتها عن أبي عن جدي وارجو أن تورث عني وبهذه العين سميت قريتنا ، وأنت يا يخلف قد شاهدت ما شاهدت فاكتم علينا حتَّى نموت . فلم أحدث بذلك أحدا حتَّى ماتا .

وأخبرني الثقة أن عبد الخالق كان إذا زاره أحد واستوهب منه الدعاء يقول له : اذهب إلى يخلف يدع لك فإنه قد رأى . فلما مات عبد الخالق قال يخلف : إنما كان يعني عبد الخالق ما كنت رأيته من المشي على الماء .

وحدثني عبد الرحمن بن علي الصنهاجي قال : حدثني [يبغور][470] بن سُدّرَاتْ عن وزجيج[471] المؤذن قال : كنت أتوضأ في البحر على قرب من أبي عبد الله وكان أبو عبد الله قد شرع في الوضوء . فتطعمت ماء البحر . فوجدته حلوا فقلت له : يا أبا عبد الله : ان ماء هذا البحر حلو . فقال لي : هو كما قلت .

خَلِيلَيَّ إِنَّ ٱلْجِزْعَ أَضْحَى تُرَابُهُ مِنَ ٱلطِّيبِ كَافُوراً وَأَغْصَانُهُ رَنْدا[472]
وَأَصْبَحَ مَاءُ ٱلْجِزْعِ خَمْراً وَأَصْبَحَتْ حِجَارَتُهُ دُرّاً وَأَوْرَاقُهُ وَرْدا
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنْ مَشَتْ بِجَنَابِهِ أُمَيْمَةُ أَوْجَرَّتْ بِتُرْبَتِهِ بُرْدَا

76 – ومنهم أبو محمد عبد الله ابن صالح المعلم

من أهل مدينة سلا من أقران أبي يحيى الورياغلي المعلم وكان من الأفراد . مات

---

(470) ح وم : يِبْغُورَنْ وهو جمع . وأَبْكُورْ هو اليربوع . وقد وردت أسماء يربوع وابن يربوع .

(471) وَزْكِيكْ أَوْ وَادْكِيك نسبة إلى أزديكْ أو أَزْكِيكْ ومعناه : صاف أو خالص أو هو نسبة لنهر يحمل هذا الاسم في بلاد صنهاجة أزمور كما ورد في **بهجة الناظرين** .

(472) من الطويل .

بمدينة سلا عام سبعين وخمسمائة . حدثني محمد بن الحسن بن علي الفزاري[473] قال : حدثتني جدتي ملالة بنت عيسَى قالت : استيقظت ليلة بداري وقد غلب ضوء القمر حتّى ظننت انه النهار . فخرجت من المدينة إلى جهة المقابر على الساحل . فإذا نور عظيم في البحر وهو يدنو من الساحل . فذهبت إلى جهته . فخرج رجل من البحر . فتأملته فإذا هو عبد الله بن صالح .

وحدثني محمد بن أحمد بن محمد البكري عن جده محمد قال : كان لي كرم بمدينة سلا . فلما طاب عنبه خرج العامل ليبيعه . فأردت أن أشتري النصف الذي [يبيعه][474] العامل وأتولاه ليتفكه فيه أولادي . فلقيني عبد الله بن صالح فقال لي : إلى أين تذهب ؟ فأخبرته . فقال لي : بكم تريد أن تشتريه . فقلت له : بأربعة دنانير . فقال لي : ارجع فانك ستشتريه بأربعة دنانير ، وانصرف ولا تهتم بذلك . فانصرفت حياء منه ثم رجعت من طريق آخر وخرجت إلى الكرمات . فساومت كرمي بأربعة دنانير . فزيد علي فيه حتّى انتهَى إلى أربعة عشر ديناراً فلقيني عبد الله بن صالح فقال لي : يا ضعيفَ اليقين رجعت إلى الكرم من حينك ؟ فقلت له : كذلك كان . فقال لي : كم بلغ ؟ قلت له : بلغ أربعة عشر دينارا . فقال لي : هوِّن عليك فإنك تشتريه بأربعة دنانير خاصة . فلما خرج العامل لتنفيذ البيع خرجت وخرج أهل البلد للمزايدة . فتفرق الناس يأكلون العنب من الكروم فلم يجتمع إلا نفر يسير فنظر العامل في الزمام وأخرج ثمن كرمي وقال : هذا الكرم بأربعة دنانير . اطلبوا فيه الزيادة ! فلم يزد علي فيه أحد . فأوجب لي البيع بأربعة دنانير وانصرفت .

---

(473) نسبة إلى فزارة . وكانوا قبيلة شمالي سلا . بينها وبين الخميسات الحالية . راجع أخبار **المهدي** ، ص 105 (من الترجمة) وراجع **Massignon, Tableau..., p. 213.**

(474) ح : يلي .

77 – ومنهم الشيخ أبو يِعزّى يِلَنّورْ بن [ميمون][475]

قال قوم إنه من [هزميرة إيروجّان][476] وقيل من بني صبيح[477] من

(475) ح وغ : يلنور بن عبد الله . وأبو يِعزّى من اسم ولده يِعزّى وهو المترجم (85) في **التشوف** . ومعنى إعزّى : العزيز . وإيلا النُّور معناه : ذو النور أو ذو الحظ . وهذا المترجم من أشهر من وقع الاجماع على مكانتهم في التصوف بالمغرب . خصص أبو العباس العزفي لأخباره ومناقبه تأليفا عنوانه : **دعامة اليقين في زعامة المتقين** منه نسختان مخطوطتان بالخزانة الحسنية تحت رقم 11759 ورقم 9447 . وذكره ابن الأبار في التكلة (1060) وابن عبد الملك في **الذيل والتكلة** (سفر الغرباء ، في ترجمة يحيى ابن الصائغ) معتمدا على التادلي والعزفي . وذكره ابن قنفذ في **أنس الفقير** وأفرد له أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الهروي الصومعي تأليفا عنوانه **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى** (تراجع أرقام مخطوطاته في **فهارس** الخزانتين العامة والحسنية) ، ولا تخلو كتب المناقب والطبقات المغربية من ذكره مثل **مرآة المحاسن** ، ص 199 **وسلوة الأنفاس** (3 : 216) . وممن ذكره من أصحاب كتب التراجم ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** ص 564 وقد اعتمد كتاب **المستفاد** الذي كان مؤلفه معاصرا لأبي يعزى وقال : «وانما أذكر في هذا الباب ما شهدت أنا منه» . واليوسي في **المحاضرات** ص 132 والناصري في **الاستقصا** (2 : 210) . وترجم له العباس بن ابراهيم في **الإعلام** (1 : 406) وقد اعتمد ابن الزيات والعزفي والصومعي وابن صعد في **النجم الثاقب** الخ . وممن ترجم له من المشارقة ، الشعراني في **لواقح الأنوار** والمناوي في **طبقاته** . وضريح المترجم معروف في ناحية خنيفرة في بلدة تعرف اليوم باسمه : مولاي بوعزة . وقد وضع عبد الحي الكتاني تأليفا في موضوع نسبه سماه «**الاستهزا بمن زعم الشرف للشيخ أبي يعزى**» .

(476) هَزْمِيرَة ، أصلها إزامّرْن وهي الأكباش ، وكانوا قبيلة من المصامدة استوطنوا بين أسوار مراكش وركراكة . ومنهم فرقة اداويزيمّرْ (أهل الكبش) قرب سكساوة . وإيرُوكّان البخار بصيغة الجمع . والمقصود هنا فرقة تسمى بهزميرة في محل دفن أبي يعزى . ولعل لهذه التسمية علاقة بعبادة الحمل أو الكبش قبل تغلغل الإسلام في بعض القبائل راجع :

Loubignac — Un saint berbère : Moulay Bou ᶜ azza. Histoire et légende, « Hespéris », t. 31, année 1944, p. 15.

(477) مازالوا في موطنهم بجبال تيغْنِيسْتْ بالأطلس الكبير الأوسط بين أيت مكون وإيمغْرَنْ وانظر الهامش (488) بعده ، وقرب بني صبيح من هذا الموقع لا يدع الشك في أن أبا يعزى منهم وليس من هزميرة .

هسكورة [مات][478] وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل ايروجان في [أول][479] شهر شوال عام اثنين وسبعين وخمسمائة وكان قطب عصره وأعجوبة دهره .

سمعت أبا علي الصواف[480] يقول : سمعت أبا مدين يقول : رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزّى وقال : ونظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل **الإحياء** للغزالي .

وسمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول : سمعت أبا عبد الله بن الكتاني يقول : نقلت كرامات أبي يعزَى نقل تواتر . وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري قال : لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرفيع آية وقته أبا يعزَى يلنور وكان أعجوبة في الزمان وعدة [للايمان][481] ، بلغ من مقامات اليقين مبلغا لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان وشهد بشهرتها الكافة والاعيان ولولا خيفة إنكار البطالين المنكرين والغافلين المدبرين لأوردنا من بعض ما شاهدنا منه من الكرامات ما يعرفه المحققون ويرتاح لسماعه المتقون .

وسمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي البسطي يقول : سمعت أبا الصبر يقول : سمعت الشيخ أبا يعزَى يقول : ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الأولياء ! والله لو كنت قريباً من البحر لأريتهم المشي على الماء عيانا . قال أبو الصبر : حضرت عنده ، فرأيت رجلا أتى إليه وسلم عليه فقال له أبو يعزى : لم تخون أخاك وتأتي زوجه وهو غائب ؟ فقال له الرجل : أتوب إلى الله تعالى من ذلك . فقال : وجاءه يوماً كتاب أبي شعيب من أزمور يقول له فيه : استر عباد الله ولا تفضحهم ! فقال : والله : لولا اني مأمور بهذا ما فضحت أحداً ولسترت على الخلق . وقيل

---

(478) سقط من ف .
(479) سقط من س .
(480) من كبار أصحاب الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري ، واسمه حسن بن محمد بن الفتح الغافقي لازم شيخه ثلاثين سنة وحضر احتضاره بالعبّاد ، ويظهر أنه نزل مراكش بعد ذلك .
(481) س : للأمان .

له : إن فقهاء فاس انكروا عليك لمس صدور النساء والنظر اليهن . فقال : أليس يجوز عندهم ان يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة ؟ فهلا عدوني واحدا من أطبائهم ؟ وأنا إنما ألمس ذوات العاهات للتداوي بذلك .

وكان أبو يعزى يقول : خدمت نحوا من أربعين ولياً لله تعالى ، منهم من ساح في الأرض ، ومنهم من أقام بين الناس إلى أن مات .

وحدثني محمد بن أحمد الزناتي قال : حدثني أبو علي مالك بن [تاجورت][482] قال : كنت أحمل إلى أبي يعزى حملا من زبيب في كل عام من نفيس إلى جبل ايروجان . فمشيت إليه في بعض [الأعوام][483] بحمل من زبيب . فدفعته إلى مؤذنه ففرغه في بيت . وقعدت اتحدث معه . فقال لي : عسى أن تكلم الشيخ أبا يعزى ان يستر الناس ولا يفضحهم ، فإن الرجل جاهل ، لا علم عنده ، فيقول للواصلين إليه : سرقت يا هذا ! وزنيت يا هذا ! وفعلت يا هذا كذا وكذا ، فيذكر لكل واحد فعله . ثم انقطع كلامه فنظرته وقد منع من الكلام وكلمته فلم يجبني . فبينما أنا معه كذلك إذ أقبل أبو يعزى وعصاه في يده فسلم علي وسألني عن الحال والأهل وجاء إلى مؤذنه ومد يده إلى حلقه يمسح عليه ويقول : يا بني صدقت ، فأنا جاهل ، لا أعلم إلا ما علمني مولاي . ثم طارت علقة دم من حلقه فتكلم وأخذ يقول : أتوب إلى الله تعالى . وأبو يعزى يقول له : مم تتوب يا بني وأنت قلت الحق ؟ انا جاهل لا أعرف إلا ما عرفني مولاي .

وحدثني غير واحد ان أبا يعزى قدم مراكش بعد عام أحد وأربعين وخمسمائة [فحبس][484] في صومعة الجامع أياما ثم خلي سبيله . وكان معه أقراص من دقيق البلوط فكان يجعل معها أوراق اللبلاب ويطحنها . فإذا صلّى المغرب أخذ قدر نصف رطل من ذلك فيقتات به وما كان يأكل إلا من نبات الأرض ولا يشارك الناس في شيء من معائشهم ويطعم الواصلين إليه العسل ولحم الضأن والدجاج .

وذكروا أنه كان في ابتداء أمره راعيا وكان يصنع له كل واحد من أرباب

---

(482) س : تماجورت . وهو تامَاكُورْت ، اسم امرأة ، ومعناه الأرمل أو المعلقة .
(483) ح : الأيـام .
(484) ح : فجلس .

المواشي التي يرعاها رغيفتين كل يوم . فكان يأكل رغيفاً واحداً ويؤثر بالرغيف الثاني رجلا منقطعا في المسجد لقراءة القرآن . ثم انقطع في المسجد رجل آخر يقرأ القرآن فآثره على نفسه بالرغيف الثاني وجعل يأكل من نبات الأرض . فلما رأى انه يكفيه النبات عن الطعام قال : ما أصنع بالطعام ونبات الأرض يغنيني عنه ؟

سمعت محمد بن علي يقول : سمعت أبا عبد الله الباجي يقول : رأيت الشيخ أبا يعزّى يجمع له الخبازى فيطبخ ويجفف ويرفع فإذا أراد أن يأكل منه جعله في القدر فيأخذ منه لقمة أو لقمتين وهو يزأر كالقاهر لنفسه ويقول لها : ليس لك عندي إلا هذا .

وقال : ومررت به يوما وهو يأكل قلوب الدفلَى . فناولنيها فأكلتها فوجدتها حلوة . وكان لباسه برنوساً أسود مرقعا إلى أسفل ركبتيه وجبة من تليس مُطَرَّق وشاشية من عزف وكان رقيقا طويلا أسود اللون وكان إذا جنه الليل دخل شعراء كثيرة السباع . فيصعد في أعلى الجبل ثم يأتي آخر الليل إلى مسجده والناس يصلون فيه النافلة بإمام فإذا قرب الفجر قال لهم : أوجزوا فقد قرب الفجر . فإذا طلع الفجر أعلمهم بطلوعه وهو معهم في المسجد فيخرجون فيتأملون الفجر فإذا هو قد طلع حتّى ظن بعض الحاضرين انه يرَى طلوعه من كوة أمامه في المسجد . فنظر الجدار وليس به كوة . فسأل عن ذلك . فقيل له : هذه عادته ، منذ زمن يخبرنا بطلوع الفجر وقت طلوعه .

حدثني يوسف بن سليمان قال : حدثني إبراهيم بن ولجوط [485] قال : حدثني ميمون بن وأيُّور الباروطي [486] قال : زرت الشيخ أبا يعزى . فأقت عنده فجاءت اليه جماعة من المنكرين عليه من أهل فاس . فخرج مع جماعة إلى لقائهم بالغابة . فلما رأوه نزلوا عن دوابهم ليسلموا عليه . فخرج من الشعراء أسد فوثب على [دابة] [487] أحدهم . فصاح عليه أبو يعزَى ودنا منه إلى أن أخذه بأذنيه ونحن ننظر اليه ، فقال لأصحابه : اركبوه . فهابوا ركوبه . قال ميمون : فوثبت على

---

(485) ابن والكُوط . أخذ عنه المؤلف أخبار المسكوريين .

(486) له ذكر في أنس الفقير، وفيه : التَّارُوطي ، وقد يكون منسوبا إلى تازوطا وهي بلدة معروفة في جهات صفرو . والباروطي نسبة واردة أيضا . وأَيُّورْ معناه القمر .

(487) سقطت من ف .

ظهره وأجريته مرات والواصلون للإنكار على أبي يعزى ينظرون الي على ظهره وكنت أحس وبره ينفذ من ثوبي إلى جلدي . فأقمت ساعة كذلك ثم نزلت عنه فذهب .

وحدثني أبو عمران موسَى بن وركون الخطابي قال : حدثنا عبد العزيز بن مسري الهسكوري تلميذ أبي يعزَى قال : سمعته يقول : أقمت عشرين سنة في [الجبال المشرفة على تينمل](488) وليس لي بها اسم إلا [أبو وَجَرْتيل](489) ومعناه بالعربية صاحب الحصير ثم انحدرت إلى السواحل . فأقمت بها ثمانية عشر عاما لا اسم لي إلا [أبو وَنَلْكوط](490) وهو نبات معروف كان يأكله . فمررت في سياحتي بالسواحل بجارية وهي تستغيث من وجع عينيها . فمددت يدي إلى عينيها فمسحتها وذهبت . فسمعتها تقول : من مسح على عيني ؟ فقد استراحتا ! وأنا أجد في السير حتَّى انقطع عني سماع كلامها .

وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن عبد الخالق بن خنوسة(491) قال : سمعت محمد بن عبد الكريم الوراق يقول : كنت عند أبي يعزى في جماعة . فدخل علينا يوما وقال : اخرجوا لتعاينوا عجبا . فقمنا معه ، فرأينا جماعة من الحمير راقدة والسباع قريبة منها ولم تنفر الحمير من السباع . ولا وثبت السباع على الحمير وكانت تلك الحمير للواصلين لزيارته .

قال : وحدثني محمد بن عبد الكريم أنه ذهب معه يوما إلى المسجد الجامع في يوم جمعة في عام جدب . فلما صلَّى الناس الجمعة خرج من المسجد . فالتقته جماعة وشكوا اليه احتباس المطر عنهم . فرمَى شاشية العزف عن رأسه وبقي رأسه أبيض

(488) تينْمَلْ . معروفة في جبال الأطلس الغربي ، وهي قاعدة انطلاق دولة الموحدين . وقد رسمت في س : تينْمَلَلْ . وفي **المعزى** . ص 5 : «أقمت عشرين سنة في الجبال المشرفة على تمْلِيل التي بين الجبل المنسوب لأيت مديوال ودمنات» . ويسمى الموقع اليوم : أَيْتْ تَامَلَّلْ وهذا هو الصحيح لأن الراوي من أيت خطَّاب بفطواكة من هسكورة والمروي عنه هسكوري أيضا ، ولا تقع تينمل في منطقتها وإنما تقع فيها جبال أيت تَامَلَّلْ .

(489) بُوكْرْتِيلْ ، والمقصود حصير اللوم البالي ، وفي النعت قدح .

(490) س : ولكوط ، وورد في طرة ق : «وهو بَرْمَّامْ يأكلونه (كذا) الضعفاء في سنة المجاعة وهو نبات معروف» ، ولا شك أن التسمية كانت في المجال الصنهاجي في جهات أزمور حيث لقي أبا شعيب أيوب السارية ، وهذا ما يقصده بـ «السواحل» .

(491) من زهاد فاس الذين ذكرهم الكتاني في **المستفاد** (راجع **جذوة الاقتباس** ص : 393) .

كأنه ثغامة وتجرد من برنوسه وأرسل عينيه بالبكاء وقال كلاما معناه بالعربية : يا مولاي ، هؤلاء السادات يرغبون من هذا العبد أن يستسقي لهم وما قدري أنا حتَّى يطلب مني هذا . وأخذ في البكاء والتضرع إلى أن غيمت السماء وهملت بالأمطار حتَّى نزعت نعلي من رجلي ومشيت حافيا من كثرة المطر . وقد أجاب الله دعوته .

وحدثني محمد بن [خالص](492) الأنصاري قال : سمعت الشيخ أبا الحسن يحيَى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصائغ(493) يقول : زرت أبا يعزى . فلما كان وقت غروب الشمس خرجت إلى الوضوء مع جماعة . فبعدنا عن القرية . فحال أسد بيننا وبين القرية . فقيل لأبي يعزى : قد حال الأسد بين أصحابك وبين القرية . فأخذ أبو يعزَى عصاه في يده وجعل يضرب بها الأسد إلى أن فر أمامه . وقربنا منه ، فجعل يأكل عيون الدفلَى . فقال لترجمانه : قل لأبي الحسن : ما تقولون أنتم ، معشر الفقهاء ، فيمن يأكل عيون الدفلَى ؟ فقلت له : قل له : يقولون : من أكل عيون الدفلَى [طرد](494) الأسد . فأعلمه الترجمان بقولي فرأيته يتبسم .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : حدثني غير واحد عن الحاج بن عاصم قال : زرت أبا يعزَى . فلما أردت الانصراف من عنده قال لي : أضحيتك عندي في غنمي . فقلت له : من يوصلها لي من ههنا إلى سبتة وفي توصيلها تعب ؟ فقال لي : ما عليك تعب . وأخذ حماري وحك فم الكبش الذي عين لي في عرقوب حماري . فركبت الحمار والكبش يتبعه [كالولد](495) خلف أمه فإذا لَقِيَ قطيعا من الغنم وقف ينظره ساعة ثم يجري حتَّى يصل الحمار . فتبعه إلى أن وصلت إلى مدينة سبتة .

وحدثني أبو عمران موسَى بن [وركون](496) الهسكوري قال : حدثني برباط

---

(492) في م وس وق : حفص ، والصحيح : خالص .

(493) انظر ترجمته رقم 198 .

(494) س : يطرد . ويطرد الاسد ترجمته إحْرَازْمْ . انظر ما ذكرناه في هذا المعنَى في هامش ترجمة ابن حرزهم . وإيزْمَاوْنْ تعني في آن واحد : الأسود جمع أسد وكرامات الأولياء .

(495) س وق : كالفلو

(496) س وزكون . والصحيح وَرْكُون ، نسبة إلى إرْكونْ أو ركونة .

شاكر أبو علي مالك بن [تماجورت][497] قال : تزوج صاحب من أصحاب أبي يعزَى. فطلبت منه زوجته مملوكة ولم تكن عنده. فقال له أبو يعزَى : أنا أنوب مناب المملوكة. وكان أسود، لا شعر بوجهه. فتزيا بزي المملوكة وأقام يخدمه وزوجه عاما كاملا . فيطحن ويعجن ويخبز [ويسقي][498] الماء بالليل ويتفرغ بالنهار للعبادة في المسجد . فلما كمل العام ، قالت الزوجة لزوجها : ما رأيت كهذه المملوكة ، تعمل بالليل جميع ما يعمل بالنهار ولا تظهر بالنهار . فأعرض عنها وتغافل عن جوابها . فمازالت تسأله إلى أن قال لها : ما خدمك إلا أبو وَنْلْكُوطْ وليس مملوكة . فعلمت أنه أبو يعزى . فقالت : والله ، لا خدمني بعد هذا أبدا ولأخدمن نفسي . فجعلت تخدم نفسها من حينئذ .

وحدثني غير واحد أن ذلك الصاحب الذي خدمه أبو يعزى على أنه مملوكة هو الشيخ أبو شعيب أيوب السارية وأنه لما أخبر زوجته بخدمة أبي يعزَى لها دخل المسجد على أبي يعزَى وهو يتبسم . فقال له أبو يعزى : ما لك تتبسم ؟ فأخبره بما كان بينه وبين زوجته فقال له أبو يعزَى : ولم أخبرتها ؟ فهلا تركتني أخدمكما كما كنت ؟

حدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول : ذهبت إلى زيارة أبي يعزى مع صاحب من أصحابي من أهل فاس . فدخلنا في بيت اجتمع فيه الواصلون إليه إلى أن جاء أبو يعزَى . فرأينا رجلا أسود طويلا فانكب على رؤوس زائريه يقبلها واحدا بعد واحد فقال لي صاحبي : هذا أسود ممخرق ! فقلت له : احفظ لسانك ولا تتكلم في ولي من الأولياء ! ولم يسمع كلامه غيري حتَّى انتهَى أبو يعزَى إلي فقبل رأسي ولم يقبل رأس صاحبي ومسح بيده على صدره فقال : أما هذا ، [فلا][499] أقبل رأسه حتَّى يذهب [ما في قلبه][500] . فتعجب صاحبي من ذلك وقال لي : تبت إلى الله تعالى مما كنت فيه ولا أعود . فأمر لنا أبو يعزَى أن نكون في بيت ننفرد فيه عن الناس وقال : أنتم لا

---

(497) س : تاجورت .
(498) س : ويستقي .
(499) س : فلن .
(500) س : من قلبه ما فيه .

تحتملون أن تكونوا مع الجموع . فحملنا إلى بيت نظيف خال فانفردنا فيه . فأتانا بعض خدمته بطعام الشعير وعليه الخبازى في صحفة . فقال لي صاحبي : ما سقتنا إلا لأكل الشعير وبقول البراري ، فقلت له : ألم تتب إلى الله تعالى من أمثال هذا . فإذا نحن بالشيخ أبي يعزَى قد أقبل إلينا بطبق فيه [رغيفان من البر][501] وصحفة فيها لحم مشوي من لحوم الضأن . فقال لي : قل لصاحبك هذا : لو أقام عندي شهرا ما أطعمته إلا هذا الطعام ، فعلام يلومك ؟ وإنما غلط الخديم فجاءكم بذلك الطعام قبل أن آمره بما يأتيكم به من الطعام . فاشتد عجب صاحبي لذلك وقال : والله لا عدت إلى مثل هذا أبدا .

وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن عبد الخالق قال : حدثنا الحاج ابن هارون وكان خديما لأبي يعزى قال : رأيت أبا يعزى يوما وقد اتته صبية بها علة لتستشفي بمسه . فأدخل يده إلى جسدها يمسح عليها ، فوجدت من ذلك في قلبي شيئا ، فكرهت المقام معه فاستأذنته في الانصراف . فقال : لا تنصرف حتَّى آمرك . فانصرفت قبل أن يأذن لي . فضللت عن الطريق وقد كنت بها عارفا . فأخذت في طريق متعبة خرجت منها إلى مكناسة أو سلا وقد أجهدني التعب والجوع وكان الناس حينئذ يُقتلون على ترك الصلاة في أوقاتها . فقبض علي جماعة كنت فيهم فحملنا لنقتل . فلما كانت تلك الساعة ، قال أبو يعزَى لأصحابه : ارفعوا أيديكم إلى الله تعالى وادعوا عسَى أن يخلص صاحبكم من المحنة التي أصابته . ولما قُدِّمْتُ للقتل رآني رجل كان يعرفني فقال للوالي : ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو لم يصل أحد لصلَّى هذا وحده ومن شأنه كذا وكذا ، فأمر الوالي بإطلاقي فانطلقت ورجعت من فوري إلى أبي يعزَى . فلما أبصرني قال لي : أبيت ألا يزول ما في قلبك إلا بعد المحنة . فقلت له : تبت إلى الله تعالى .

وحدثني يحيَى بن محمد الزناتي[502] قال : سمعت أبا جعفر محمد بن يوسف الذي كان بتاغزوت[503] من بلاد تادلا يقول : قلت يوما في نفسي : ما هذا الذي

---

(501) س : رغفان البر.

(502) قال الصومعي في المعزى ، ورقة 15 (من مخطوط خ. ع. ك 299) : «وأبو زكرياء هذا هو حفيد أبي محمد مع الله صاحب نظير (يقصد المترجم في التشوف تحت رقم 25) .

(503) تاغزُوتْ . تطلق على وهدة الأرض ذات الخصب ، أو وسط واد خصب . وهو اسم

يصدر من أبي يعزى . فلأفعلن فعلا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى حتَّى أعلم حقيقة ذلك . وكنت أشاطره في كل ما أستفيده . فجمعت [دراهم][504] وقسمتها وأنا في البستان وحدي . نظرت إلى عنقود من عنب فوق شجرة مرتفعة فقلت : وددت انه أكله الشيخ أبو يعزى . ثم مر بي حنش فقلت له : والله إن عدت الي لأقتلنك . فخرجت فجاءتني امرأة فدفعت الي خمسة دراهم وقالت لي : أعطها من يأتيك من المريدين . فأخذت من دراهم أبي يعزَى خمسة دراهم وجعلت الدراهم التي أعطتني تلك المرأة فيها عوضا عما أخرجته منها . فتوجهت من تاغزوت إلى جبل إيروجان . فلما وصلت دخلت دار أبي يعزى فوجدته يصلي في بيته . فلما سلم قال لي : يا محمد بن [ورقا][505] أتغتابني ؟ فقلت : وما ذاك ؟ قال لي : ألم تقل في نفسك : ما هذا الذي يصدر من أبي يعزَى ، ثم نظرت إلى عنقود العنب فقلت : وددت انه أكله الشيخ أبو يعزَى . ثم مر بك حنش فتوعدته بالقتل وظننت أنه حنش وإنما هو من مؤمني الجن . فناولته الدراهم . فأخرج منها خمسة دراهم وقال لي : هذه الدراهم دراهم فلانة . وكنت قد عوجت أطرافها بأسناني . فإذا هي بأعيانها قد رماها منها . فعلمت حينئذ أن الذي يصدر منه إنما هو عن فراسة صادقة وتبت إلى الله تعالى من سوء الظن به .

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : سمعت أبا الصبر يقول : زرت أبا يعزى على حماري . فنزلت عنه فقيل لي : حمارك [دخل في][506] شعير أبي يعزَى ، فأشرف على الموت . فقلت لأبي يعزَى : حماري قد أكل من شعيرك وها هو يموت من أجل ذلك . فقال لي : أنا وشعيري متاعك ولن يموت حمارك . فجاءني الخبير وقال لي : حمارك قد أشرف على الموت . فأعلمته أيضا فقال لي : لن يموت حمارك . فقلت له : يموت حماري وأنت تقول لا يموت . فقام معي إلى الحمار . فوجدناه لاصقا بالأرض . فأخذ بمشفريه وفتح فاه وبصق فيه فقام الحمار من ساعته ثم ركبت عليه . قال أبو الصبر : وكنت يوما جالسا مع أبي يعزى ونحن

= مكان شائع ، والمكان المقصود هنا قرية معروفة إلى الآن بين بني ملال والقصيبة على بعد سبعة كلمترات من وادي أم ربيع .

(504) دراهمي .

(505) بعض نسخ ف : ورقاء وورق .

(506) ح و م : أكل من .

تحدث إذ قام عني فسمعته يضرب دابة بعود ثم بعد عني . فسمعت لغطا كثيرا فبقي ساعة وجاء وهو يقول : من أين دخل الحرام في كسبي ؟ ثم أخذ يحدثني ويقول : دخل الأسد في ماشيتي فلم أزل أضربه حتَّى فر . فسألت أهل المكان فقالوا : كان بنو فلان قد أغاروا على طائفة من ماشيتنا . فذهبنا إليهم فأخذنا من مواشيهم مثل ما أخذوا لنا . [فجبرنا][507] منها ما نقص من ماشيتك . فأمرتهم أن يخرجوا من ماشيتي مثل ما أدخلوه فيها من تلك المواشي .

وحدثني غير واحد ان الناس كانوا يأتون إلى أبي يعزَى من كل بلد فيطعمهم من [عنده][508] ويعلف دوابهم وأن الفتوح كانت تأتيه من إخوانه في الله فينفقها على زائريه . وأن أهل القرَى القريبة منه كانوا يضيفون الواصلين لزيارته ويتبركون بهم . فلما مات أبو يعزى رئي في المنام وهو يطير في الهواء . فقيل له : بم نلت ما نلت ؟ فقال : بإطعام الطعام ، وأخبار أبي يعزَى كثيرة عجيبة . اختصرت منها هذا القدر الذي أوردته في هذا الكتاب .

78 — ومنهم أبو محمد عبد الخالق ابن ياسين الدغوغي[509]

تلميذ أبي زكرياء المليجي ، صحب أبا عبد الله ابن امغار وأبا شعيب وكان من الأفراد ، صاحب علم وعمل . توفي [ببلده][510] بسبت بني دغوغ من عمل مراكش يوم الأربعاء الحادي والعشرين من ربيع الأول عام أحد وسبعين وخمسمائة . وزاره أبو شعيب مرة واحدة . وكان أبو محمد عبد الخالق حسن اللباس . فرآه رجل يوما وعليه ثياب بيض . فقال : ماذا لبس الشيخ من الثياب ؟ وكان بعيدا منه . فلما دنا منه أبو محمد قال له : وماذا علي في لباسها إذا كنت مع الله بقلبي ؟

---

(507) ح : فخزنا .
(508) ف : عندهم .
(509) راجع الإعلام : 8 : 46 . وقبره مزارة مبنية ومقصودة إلى اليوم على وادي نفيس تبعد بحوالي ثلاثين كلمترا عن مدينة مراكش على طريق الصويرة .
(510) م وق : ببلد سبت بني دغوغ .

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن موسَى الهزرجي[511] قال : سمعت أبا عمران موسَى بن أبي زيد يقول : سمعت عبد الخالق بن ياسين يقول : لو أمكنني أن لا أقرأ أم القرآن ما قرأتها أبدا ! لكنني لابد لي منها . فإني أكذب إذا قلت : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» .

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلاَّ هَمَّ يَلْعَنُنِي
سِرِّي وَفِكْرِي وَذِكْرِي عِنْدَ ذِكْرَاكَا[512]
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِي
إِيَّاكَ وَيْحَكَ وَالتَّذْكَارَ إِيَّاكَا
أَجْعَلْ شُهُودَكَ فِي لِقَيَاكَ تَذْكِرَةً
وَالْحَقُّ إِنْكَارُهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَا
أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لاَحَتْ شَوَاهِدُهُ
وَوَاصَلَ الْكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَا

سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن موسَى الهزرجي يقول : سمعت الفقيه أبا محمد يسكر[513] بن موسَى يقول : قال أبو محمد عبد الخالق بن ياسين : طلبنا التوفيق زمانا فأخطأناه فإذا هو إطعام الطعام .

وحدثني الثقة بسنده إلى ميمون[514] تلميذ عبد الخالق قال : بت ليلة عند الشيخ . فسمعت قراءة جماعة يقرأون القرآن . فظننت أنه قد طلع الفجر . [فانتبهت][515] إلى موضع محظور بالقصب . فانقطع الصوت . فعدت إلى نومي ثم قمت بعد ذلك وصليت صلاة الصبح . فقال لي أبو محمد : أسمعت البارحة قراءة القرآن ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : إن الذين سمعت قراءتهم جماعة من مؤمني الجن . سألوني أن يحضروا عندي لمشاركة الصالحين في الدعاء والذكر فحظرت لهم ذلك المكان بالقصب لئلا تناله نجاسة .

---

(511) حدث بأخبار الأيلانيين .
(512) من البسيط . راجع **رسالة القشيري** . ص 102 .
(513) انظر ترجمته . رقم 171 .
(514) الحاج ميمون . راجع **السعادة الأبدية** : 155 .
(515) م وس : فانتبت .

وحدثني محمد بن أحمد الزناتي قال : حدثني الحاج ميمون من أهل مراكش قال : مررت لزيارة عبد الخالق وما كنت رأيته قط . فلما وصلت إلى موضعه رأيت رجلا حسن الثياب . فقلت له : أين أبو محمد عبد الخالق ؟ فقال لي : قد وصلت إليه وما أقعدني هاهنا إلا انتظارك . فسلمت عليه وحملني إلى داره وقال لي : عندي دراهم يسرتها لتشتري لي بها عجوزا من الخدم تطحن ما يأكله الصالحون . فتعجبت من معرفته بحرفتي . فقلت في نفسي : إن أحضر لي عشرة دنانير زدت عليها مثلها واشتريت له مملوكة [جيدة][516] . فقال لي : هي عشرون دينارا . فأحضرها لي . وعجبت من قوة فراسته . فقلت له : أنا عازم على السفر إلى درعة فإن وجدت لك بمراكش مرادك والا طلبته لك بدرعة[517] . فودعته على ذلك وطلبت له بمراكش الصفة التي وصفها لي . فلم أجدها فسافرت إلى درعة وبحثت عن الصفة التي طلب لي فلم أجدها . فلما عزمت على القفول وجدت مملوكة على الاختيار . فسألت عن ملاكها فإذا هم من أصحابي فأخبروني أنها ولدت عندهم وإنما باعوها من أجل الحاجة . فاشتريتها منهم . وبقيت لي من العشرين بقية . فاشتريت لها بها كساء وحملتها معي . فنزلنا ليلة ببعض المنازل . فأصابنا مطر . فقال لي غلامي : يا مولاي هذه المملوكة هي التي اشتريتها للرجل الصالح الذي زرناه بسبت بني دغوغ ؟ فقلت له : نعم . فغطاها بكسائه من البرد . فلما وصلنا مراكش لقيت بها الفقيه أبا محمد جلداسن بن اسحاق الركوني . فقال لي : أنت الحاج ميمون ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : [بشرني][518] الفقيه أبو محمد عبد الخالق بقدومك أمس . فسلمت عليه وانصرفت إلى منزلي . فلما أصبحت قلت للغلام : اذهب معي إلى أبي محمد عبد الخالق لأوصل إليه مملوكته . فلما قربت من منزله وجدته على ظهر الطريق ينتظرني . فسلمت عليه فنظر إلى الغلام وقال له : ادن يا غلام ، أنت الذي آثرت بكسائك مملوكتي ليلة المطر . فدنا منه فدعا له . قال أبو عبد الله : حدثني الحاج ميمون بهذا الحديث بمحضر [جلداسن][519] بن اسحاق

---

(516) س : كبيرة .

(517) دْرَا . المنطقة التي يمر بها نهر دْرَا (درعة) في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي . وكان بها مراكز تنطلق منها وتنتهي إليها قوافل التجارة المغربية السودانية . راجعها عند **ماسينيون** ص 112 .

(518) م وس وح : بشرنا .

(519) وردت في ف : جلداسن وهي جَلْدَاسَنْ بجيم مصرية ، وهي مركبة من أكَلِّيدْ بمعنى

وتونارت بن واكَّرَامْ* وغيرهما من أصحابه فقالوا : كان لأبي محمد أصحاب من مؤمني الجن فلعلهم يحدثونه بهذه الأمور . وكنا نسمعه يدعو في بيته فنسمع تأمينهم على دعائه .

79 – ومنهم أبو محمد زُمُّورْ ابن يِعْلى الهزرجي[520]

من [بني زَوْتَناساً][521] . كان عبدا صالحا نهاية في الفضل . أصله من [كُـنَّاطة][522] من بلد هزرجة[523] . وأقام مدة [برباط تانوتّْ طهير][524] من دكالة ثم قدم مراكش واستقر آخرا بكساطة وبها مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ولما مات همت القبائل بالتفاتن عليه . فكل قبيلة قالت : انما ندفنه عندنا لننال بركته . فأهل الموضع الذي دفن فيه إلى الآن يتحدثون بأنهم نالوا

= الملك واسْنْ معناها : لهم . والاسم يعني : كَنْ لهم ملكا . بمعَنى التفاؤل للولد بأن يكون أميرا في قومه .

(*) راجع اسم المترجم رقم 223 في معنَى هذا الاسم .

(520) في ط و ع : أنه دفين بلاد أحمر . وهو وهم لأن هزرجة لم تكن في هذا الموطن . نقل صاحب **الاعلام** (3 : 250) ترجمته من **التشوف** .

(521) س : زوتناسا وفي **الإعلام** : جيرون بتناسا وفي بعض نسخ ف : زمتاسا . وأرجح أنها إزَاوْتَانَ انْ أو إدَاوْتَانَانْ . وتنطلق بعض القبائل داخلها زايا . وهي قبيلة قرب أسفي . وقد تكون من إدَاوذْ تَاسْنْ أو من بني ارتنان وهم في المنطقة . والتنوين في أواخر مثل هذه الأسماء يعني الذين هناك أي في الجهة الأخرى أو الضفة الأخرى .

(522) ح **والاعلام** : كساطت ، وهي تكَنَّاط وينسب إليها عبد الرحمان أكَنَّيطْ الذي نزل عنده مهدي الموحدين في أرمض . (راجع **أخبار المهدي** ص 71 من النص العربي في نشرة ليفي بروفنصال) . وتسمى بعض المداشر : كَنْطَنْ (راجع **أنس الساري والسارب** . ص 30) .

(523) هَزْرَجَة : كانت هذه القبيلة تستوطن الجبال التي تطل على بلاد أيلان التي جنوب الخط الواصل بين أغمات وريكة وبين ايمي نْ الزّاتْ المعروفة إلى اليوم عند مسفيوة . أي على المرتفعات المؤدية إلى كلاوة والممتدة غربا إلى غيغاية العليا . وسماهم البيذق في **المقتبس** : إيلِزَرْكَنْ . ولربما جاءت منهم فرقة أيت زَرْكَطَنْ المعروفة إلى الآن . ومعنى زركطن : في وجوههم نمش وكلف .

بركته . وحدثوا عن أبي محمد زمور أنه كان بدكالة فحضر صلاة العيد بالمصلى . فلما أرادوا ان يصلوا اختلفوا في القبلة اختلافا كثيرا . فقام مغلوبا من بينهم فقال : يا هؤلاء العميان . هذه القبلة . أما تشاهدون الكعبة في هذه الجهة ؟ ها هي تتلاعب الرياح بأستارها . فتساقط عليه الناس واحتفوا به فغاب من بينهم وعاد إلى بلده .

سَرَى مِنْ رُبَا نَجْدٍ شَذَا عَرْفِ رَيَّاهَا
فَأَحْيَى قُلُوبَ ٱلْعَاشِقِينَ وَحَيَّاهَا(525)
وَذَكَّرَهَا تِلْكَ ٱلْعُهُودَ ٱلَّتِي مَضَتْ
عَلَى أَنَّهَا مَحْفُوظَةٌ لَيْسَ تَنْسَاهَا
وَرَوَّحَ أَرْوَاحَ ٱلْمُحِبِّينَ رَوْحُهَا
فَتَاهَتْ بِهِمْ وَجْداً وَوَجْداً بِهِمْ تَاهَا
وَهَامُوا فَهَامَتْ عِنْدَ ذَاكَ رِحَالُهُمْ
تُرَى عَلِمَتْ مَا فِي حَشَاهُمْ حَشَاهَا
فَيَا سَائِقَ ٱلْأَظْعَانِ مَهْلاً فَإِنَّهَا
بِهَا مِنْ عَظِيمِ ٱلشَّوْقِ مَا عَنْكَ أَغْنَاهَا
تَرَاءَتْ لَهَا مِنْ جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارُهُ
فَطَارَتْ فَلَمْ يَدْرِ ٱلسُّرَى أَيْنَ مَسْرَاهَا
حَنِيناً إِلَى تِلْكَ ٱلدِّيَارِ لِأَنَّهَا
مُتَيَّمَةٌ تَهْوَى ٱلدِّيَارَ وَتَهْوَاهَا
أَلَمْ تَرَهَا مَدَّتْ إِلَيْكَ رِقَابَهَا
وَتَرْمِي بِسَاقَيْهَا وَتَذْرِفُ عَيْنَاهَا
طَوَاهَا ٱلسُّرَى طِيَّ ٱلسِّجِلِّ كِتَابَهُ
فَعَادَتْ حُرُوفاً تَقْرَأُ ٱلْعَيْنُ مَعْنَاهَا

---

(524) في ح والإعلام : تانوت انطير . ومعناة بئر الحمام . وفي س : تانوتْ نطّير ومعناه بئر الطير . والموقع المعروف في دكالة باسم قريب من هذا هو تانوتين أي الآبار الصغيرة التي عُرب اسمها : مائة بئر وبئر .

(525) من الطويل .

80 – ومنهم أبو محمد [جَلَّدَاسَنْ][526] ابن إسحاق الرّكوني[527]

صحب عبد الخالق بن ياسين وكان من الأفراد. توفي ببلده برباط أو جدام[528] من بلد ركونة[529] عام سبعين وخمسمائة. سمعت أبا ابراهيم بن عبد العزيز يقول: كان أبو محمد جلداسن أقطع اليدين من الكفين. وسبب ذلك أنه صعد وهو صغير على شجرة تين. فسقط عنها على كفيه فانكسرت يداه فاعتلتا حتّى سقطتا وكان مع ذلك يكتب في خلوة ولا يدرَى كيف يكتب.

وحدثني أبي ـ رحمه الله ـ وغير واحد أنه كان يدخل في حائطه ويخلو بنفسه فيسمع صوت الحفر والخدمة. وكان يخدم حائطه بنفسه ولا يخدمه له أحد. وحدثوا عنه أنه وجد مرة عند بئر وبوجهه أثر الماء من الوضوء ولا دلو عنده ولا آنية. ويؤثر عنه من الكرامات عجائب. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

(526) كُلِيدَاسَنْ. راجع الهامش 519.
(527) نقل ترجمته في الاعلام: 3 : 101. وفي طرة غ: «ببلاد أحمر» وهو مرجّح.
(528) أَوْجْدَام يعني الأقطع أو الأبتر. وتُنطق أكْجْدَام أو أغْجْدَام. فغجدامة هم البتر. وهو منسوب إلى المترجم الذي كان أقطع اليدين.
(529) عدهم البيذق في **المقتبس من كتاب الأنساب** (ص 43 من طبعة ليفي بروفنصال) من صودة الذين منهم فوكة المعروفة إلى الآن جنوبي مراكش وعند قدم جبل الأطلس الكبير وذكر أنهم في السهل. وكل القرائن تدل على أنهم كانوا يسكنون في بعض الجهات التي بها قبيلة أحمر اليوم. ولم يذكر البيذق الصيغة البربرية لاسم هذه القبيلة خلافا لعادته في الأسماء الأخرى. ولكننا نجد النسبة البربرية إليها: وركون.

81 – ومنهم أبو الحسن علي بن [خلف][530] ابن غالب القرشي[531]

نشأ [بشلب][532] وقرأ بقرطبة . واستقر أخيرا بقصر كتامة[533] وبه مات عام ثمانية وستين وخمسمائة . ويقال عام ثلاثة وسبعين*. وشيخه في طريقة التصوف أبو العباس ابن العريف . وتلميذاه عبد الجليل بن موسَى [القصرى صاحب الشهب][534] وأبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري . وكان أبو الحسن متمكنا في علوم القوم . وكان الأولياء يحضرون مجلسه .

سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي البسطي* يقول : سمعت أبا الصبر أو عبد الجليل يقول : كنت أحضر مجلس أبي الحسن فيحضره جماعة من المثاة في الهواء وكان فيهم رجل يظهر في وجهه كأثر حرق النار من [احتراق]* الهواء قال : وسمعت [أبا الصبر أو عبد الجليل يقول][535] : ورث أبو الحسن [عن أبيه][536] نحو اثني عشر ألف دينار . فخرج عنها كلها تورعا . فقال له ابن العريف : يا أبا

(530) في بعض نسخ ف : يخلف . وفي **جذوة الاقتباس** (512) : علي بن محمد
(531) ترجمته في **صلة الصلة** (99) وفي **التكلة** (1870) وفي **الذيل والتكملة** : القسم الأول من السفر الخامس ص 208 . وفي **جذوة الاقتباس** (512) وفي **سلوة الأنفاس** : 2 : 24 وذكره صاحب **الإعلام** (2 : 19) في ترجمة شيخه ابن العريف .
(532) س : بسبتة .
(533) في شمال المغرب . ويعرف اليوم بالقصر الكبير . وكان يعرف أيضا بقصر عبد الكريم . قال الدكتور محمد بنشريفة في هامش على **الذيل والتكملة** (1 : 189) وعبد الكريم الذي يضاف إليه القصر هو عبد الكريم بن عبد الرحيم بن أحمد المعروف بابن العجوز السبتي ، نسب إليه لأنه كان رئيس كتامة وقتله المرابطون عند غلبتهم كتامة . انظر ترجمته في **المدارك** (الترجمة رقم 1363) .
(*) حقق ابن عبد الملك تاريخ وفاته بقوله : «كانت وفاته ليلة السبت الرابعة من جمادى الآخرة سنة ثمان وستين . وعُمِّر ثلاثا وثمانين سنة» .
(534) زيادة في م .
(*) غير وارد في م وح وس .
(*) كذا في جميع النسخ ، ولعله : «اختراق» .
(535) ف : وسمعت أبا الصبر وعبد الجليل يقولان .
(536) م : من أمّه .

الحسن هلا طهرها الثلث ؟ وكتب الي من قصر كتامة أبو عمران موسَى بن عبد العزيز الأنصاري قال : أخبرني من أثق به أن أبا الحسن كان يقول : إذا أشكل علي معنًى في شيء أَنظر في أي جهة كانت من جهات البيت فأجده مسطورا . قال : أخبرنا الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الجليل بن موسَى انه رأى ليلة وفاته في السماء مكتوبا : فُقِدَ وَتِدٌ .

82 – ومنهم أبو محمد [عبد الحق] (537) ابن الخير الرجراجي (538)

كان من أهل الدعارة ثم تاب إلى الله فنهض من مراكش إلى مكة فجاور بها مدة ثم عاد إلى مراكش فغاب وانقطع خبره وكان من الأولياء .

حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد الزناتي قال : لما عاد أبو محمد [عبد الحقّ] (539) إلى مراكش قلنا له : كان الحجاج يحدثون عنك بالعجائب . فأخبرنا عن أعجب ما رأيته في مجاورتك . فقال لي : خدمت بمكة شيخا من المجاورين مدة فقال لي يوما : أتريد أن ترَى الخضر عليه السلام ؟ فقلت له : من لي بهذا ؟ فقال : هو رجل طوال ، من صفته كذا وكذا . فقلت له : أرنيه . فقال لي : لا يمكنني ذلك ولكن ارقب هذه الصفة عند الطواف فإذا رأيت رجلا على هذه الصفة فهو ذلك . فبقيت طول الليل أتوسم الوجوه . فلما كان وقت السحر رأيت رجلا على الصفة التي وصف لي . فدنا مني حتَّى تأملته . فلم أقدر أن أكلمه فقمت أدنو منه وهو يمشي القهقرى وأنا أدنو منه وهو يبعد عني وأهاب أن أكلمه ولم أطق أن ألحقه حتَّى خرج من باب إبراهيم عليه السلام . فخرجت في أثره . فنظرت يمينا وشمالا فلم أره . فعدت إلى الشيخ وقلت له : رأيت رجلا من صفته كذا وكذا . فقال لي : هو ذاك .

---

(537) ح : عبد الخالق .
(538) نقل ترجمته في الإعلام : 8 : 48 وهو فيه : عبد الخالق .
(539) ح : عبد الخالق .

83 – ومنهم رجل مجهول

سمعت إسماعيل بن يعلى يقول : سمعت محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن يقول : رأيت بمقابر أغمات وريكة رجلا يمشي من قبر إلى قبر ويسلم على القبور ويعتبر ولا يأوي إلى أحد ولا يعرف له مأوى . فقال لي أبي : هذا ولي من الأولياء فإذا لقيته فقبل يده . ففطن له الناس . فغاب من أغمات مدة . ثم إني سافرت إلى مدينة فاس . فكنت أمشي في طرقها إلى أن لقيته . فوقع بصره علي . [ففر][540] فأردت أن أتبعه . فرد بصره إلي ونظرني نظرة شديدة . فلم أطق أن أتعدّى مكاني الذي وقفت فيه . فانصرف . فلما رجعت إلى أغمات . حدثت أبي بذلك فقال لي : ما لك وله ؟ وهل فر من هنا إلا لئلا يعرفه أحد ! ثم بعد ذلك رأيت بأغمات جنازة عظيمة قد احتفل الناس لها فقيل لي : هذه جنازة ذلك الرجل الصالح .

84 – ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن [يسولال][541] الصنهاجي

تلميذ عبد الجليل بن ويحلان وشيخ أبي علي منصور بن عبد الرحيم الهسكوري . وكان من أكابر الأولياء . مائلا إلى [التشديد][542] على نفسه والزهد في الدنيا والإعراض عنها وعن أهلها . وأقام مدة في بيته [بأغمات][543] لم يخرج منه . فقيل له في ذلك فقال : لقيت في الطريق امرأة متزينة فرأيت الحور في الدنيا فكرهت أن أخرج لئلا أرى مثل ما رأيت .

أَعْصِ ٱلْهَوَى وَأَطِعْ نُهَاكَ وَلَا يَكُنْ
لِسِوَى ٱلْعَفَافِ عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ[544]

---

(540) ح وم : فر .
(541) س : يسولان
(542) ح وم وس : التشدد
(543) غير وارد في ف .
(544) من الكامل .

وَتَوَقَّ مِنْ خُدَعِ ٱلنِّسَاءِ حَبَائِلاَ
إِنَّ ٱلنِّسَاءَ حَبَائِلُ ٱلشَّيْطَانِ

حدثني مخلوف بن ياسين عن أبي علي منصور أن أبا زكرياء [أمره][545] بعض أصدقائه بالخروج من البلد خوفا عليه وكان الحرس على باب المدينة . فخرج عليهم ولم يشعروا به [حتّى][546] بعد عنهم . فقالوا : متى خرج علينا هذا ؟ فاشتدوا ليدركوه فأخطأوا الطريق التي أخذ فيها فلم يدركوه ولم يقفوا له على أثر وسلم منهم .

85 – ومنهم أبو علي يعْزى ابن الشيخ أبي يعزى يلنوْر بن ميمون[547]

حدثني أبو عبد الله محمد أحمد الزناتي قال : سمعت أبا عبد الله التاودي يقول : زرت أبا يعزى [بايروجان][548] . فوجدته مريضا . فقلت له : ألازمك . فقال لي الترجمان عنه : اذهب إلى أهلك . فإذا رأيتهم فارجع الي . فلما وصلت إلى فاس أتاني رسوله يستدعيني . فأتيته فوجدته قد أفاق من مرضه وعنده ثور أسود يدنو من أبي يعزى وهو يلحس جسده بلسانه ويمسح عليه أبو يعزَى بيده وهو يقول : أي ثور هذا ! وأي الطعام يصنع منه ! وهو يعيد الكلام وأنا لا أفهم معناه . فأقمت عنده أياما ثم مرض وكان ابنه يعزى غائبا في مكناسة وأبو يعزى يقول : ادعوا لي يعزى . ويشتد حرصه على رؤيته والناس يختلفون إلى يعزَى ويأبَى من الوصول اليه . فقمت إليه . فقلت له : يا بني ان الشيخ شائق إلى رؤيتك فودعه قبل الموت . فقال : أخاف منه . فلم أزل به إلى أن تجرد من أثواب سنية كانت عليه ولبس دونها وجاء إليه باكيا فقبل رأسه وقال له : تب إلى الله تعالى يا

(545) ح : أمر .
(546) م وس : الا وقد بعد عنهم .
(547) يعَزّى أو إعزّا : بمعنَى العزيز أو المحبوب . وفي كتاب **المعزى في مناقب أبي يعزى** ص 127 : «ومن أصحاب الشيخ سيدي أبي يعزَى ولده الولي الصالح أبو علي يعزى المدفون بإيغي نْ تْمْدا . موضع اسمه بالعربية فم الكُلْتة من عمل مراكش» ومعنَى الكلتة : المستنقع . راجع **الإعلام** ج 10 . ص
(548) ح وق : بايرجان وم : بايروجان . وهي إيرُوكَّان . كما سبق

يعزَى ! فقال له : تبت إلى الله يا أبت . فقال له : افتح فاك . ففتحه فبصق فيه أبو يعزى بصقة ثم مات رحمه الله . قال أبو عبد الله التاودي : فذبح ذلك الثور الأسود وصنع منه طعام للناس وخلفه ابنه في مكانه ، وقد لاحت عليه شواهد الولاية ولقد حضرته إلى أن جاءه رجل فقعد فما زال يتفل عليه إلى أن برئ وقام سويا . ولحق يعزَى بالأولياء من ساعته .

86 — ومنهم أبو لقمان يِرْزَجَانْ ابن يعقوب الأسود(549)

من أهل [مدينة تاقايطت](550) من عمل مراكش . قدم مرة واحدة حضرة مراكش لعيادة أبي الحسن علي بن عبد المعطي البجاوي المعلم ، وكان أبو لقمان صديقا لأبي شعيب وعليه نزل أبو شعيب لما قدم مراكش . توفي أبو لقمان عام سبعين وخمسمائة .

حدثني غير واحد أن بعض الرؤساء لطمه على خده لطمة وقال له : يا أيها العبد ، لئن جئتُ إلى هذا المكان ولم تفعل كذا وكذا لأقتلنك ! فقال له أبو لقمان : لئن عدت ولم أفعل ذلك فافعل ما أردت . فركب فرسه وسار نحو ميلين أو ثلاثة فهمز فرسه ورده باللجام . فانكب عنه وسقط على قفاه . فمات بعد أن تقطعت أعضاؤه كلها .

وحدثوا عنه أنه جاء إلى وادي تانسيفت وهو ملآن من الضفة إلى الضفة . فقعد أبو لقمان على شاطئه وأخذ في الذكر فقال له تلميذه . أما ترَى هؤلاء المشاة على الماء ؟ فقال أبو لقمان : أنظرت أنت هؤلاء المشاة في الهواء ؟ فرفع رأسه فرأى قوما يمشون في الهواء .

وكانت لأبي لقمان شجرة يجلس إليها . فكان كلما ختم القرآن ختمة علم فيها علامة . ثم قطعها بعض الولاة ، فلم تمر عليه ثلاثة أيام حتَّى نكب .

---

(549) يرزجان ، ينطق : إيرْزْكَان وهو جمع أرْزْكْ ومعناه السعد .
(550) م : قرية تاقايط ، وس : تاسايط .

وحدثني [عبد الله][551] بن عيسَى في صفر [سنة عشر وستمائة][*] قال : كنت في [شبيبتي][552] تصيبني [غاشية][553] . فعانتني أمي إلى أن أعياها أمري . فقالت لها امرأة : كان لي ولد يعتريه مثل هذا ، فحملته إلى أبي لقمان فمسح على رأسه ، فصح . فحملتني إلى أبي لقمان . فانتظرناه بداره إلى أن [جاء][554] . فقالت له أمي : يا أبا لقمان ، هذا الولد يعتريه الصرع . فقال لها : لست بطبيب [فاحمليه][555] إلى الأطباء . فقلت له أنا : اما الأطباء فقد عجزوا ولم يبق الا طب الله تعالى . فلما سمع كلامي قربني ومسح بيده على رأسي فما أصابني الصرع من حينئذ إلى الآن .

87 – ومنهم أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن أَفْغَازَ الصنهاجي[556]

من أهل رباط [تيطنفطر][557] وكان عبدا صالحا [زاهدا][558] منزويا عن [أهل][559] الدنيا ولم يتزوج إلى أن مات .

سمعت عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص يقول : حدثني أحمد بن [شاكان][560] قال : قلت لعبد السلام : رأيتك تركت جميع أمر الدنيا . قال رأيتها لا تصلح لي ، فتركتها . قال عبد الرحمن : وكان لا يأكل إلا صيد البحر خاصة .

(551) ح : أبو عبد الله بن عيسَى .
(*) ح وم : سنة ست عشرة وستمائة .
(552) س : في صغر سني .
(553) ح وم : لمم ، س : أصابتني عاهة .
(554) ح وم وس : وصل
(555) م وس : فاحملوه .
(556) راجع : **بهجة الناظرين** للأزموري . وفيها أن أمه من بني عباد .
(557) تيطن فطروس : تيط انفطر . راجع هامشا يشرح هذا الاسم في الترجمة رقم (75) .
(558) زيادة في م .
(559) زيادة في م .
(560) س : شاذان .

وحدثني عبد الرحمن بن علي قال : حدثني شعيب بن عبد الصمد قال : نفست زوجتي فخرجت إلى الخيات التي يبيت الناس فيها في زمان الصيف على شاطئ البحر. فأردت أن أبيت في خيمة منها. فأبصرت رجلا يجيئ من البحر ماشيا على الماء. ثم اختفيت في الخيمة. فلما وصل اليها نفض كساءه من بلل البحر. ثم ذهب إلى المسجد. فاتبعته حتَّى دخل المسجد. فجاء إلى زاوية منه وجعل يصلي وأنا أراقبه إلى أن صلى الصبح. فأقمت أرتقبه حتَّى صلَّى الضحَى وخرج من المسجد فتأملته فإذا هو عبد السلام.

88 – ومنهم أبو وكيل ميمون ابن تاميمونت[561] الأسود

من أهل أبي [سكة][562] من بلاد دكالة. وكان عبدا صالحا وكان في ابتداء أمره سارقا فاحتاج إلى أضحية. فر إلى قطيع من الغنم لأبي ينيكفْ وكان عبدا صالحا. فر إلى فحل من غنمه. فجعله على ظهره فسمع هاتفا يقول : اتركه حتَّى تأكله حلالا [فطرحه][563]. ونظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا. فأراد الفرار بنفسه من حظيرة الغنم. فلم يجد موضعا يخرج منه. ومكث في المكان إلى أن أتاه الراعي فقال له : يا هذا أردت أن تسرق غنم الشيخ ! فتب إلى الله تعالى. فخرج وتاب إلى الله تعالى. فلما كان وقت [التضحية][564] نظر أبو ينيكف إلى ذلك الفحل بعينه فقال : احملوه لأبي وكيل ليضحي به. فلما سيق إليه امتلأ أبو وكيل عجبا وازداد بصيرة. فلزم الطريق إلى أن لحق بالأفراد.

وحدثني داود بن عبد الخالق[565] قال : حدثني وين الخير[566] وغير واحد :

---

(561) تاميمُونْتْ. ميمونة. وتلاحظ كثرة الأسماء التي بهذا المعنَى. أصلية ومعربة وكلها تتصل بالسعد والبخت واليُمن. وفي ح وس : زيد في هذا الاسم : «الزناتي».
(562) س : سكًّا.
(563) زيادة في ح وم.
(564) س : الضحية.
(565) أخذ عنه المؤلف كثيرا من أخبار الدكاليين وكان ملازما لبعض صلحائها.
(566) وِينْ تعني صاحب أو ذو... وتعني هنا : من هو أهل الخير أو أهل للخير. ونجد وين في مثل هذا المعنَى في أسماء أخرى مثل وين السلامة وويين يوفن.

ان المطر احتبس في وقت نزوله وقلت المياه . فكان الناس يرحلون من بلادهم إلى مواضع المياه . فأمر أبو وكيل قومه أن يستقوا من الحفرة التي أعدها لماء المطر . فقالت له زوجته : ما هذا الذي تفعله ؟ أتريد أن يتم الماء فنرحل كما رحل الناس ؟ فأعرض عن قولها . فلما نفد ماؤه أتت إليه وقالت له : انظر في الرحيل فقد نفد ماؤنا . فجاء إلى خيمته لينقضها ويرحل . فأمسك حبلا منها ورمق بطرفه السماء وقال : أغثني يا رب يا مغيث ! فنشأت سحابة صغيرة وهمهم الرعد وتدلى السحاب وهطل بالأمطار . فروي الناس وامتلأت صهاريجهم فرجع الناس إلى بلادهم .

89 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن موسَى العطار

من أهل تادلا . وكان عبدا صالحا مجتهدا في العبادة . وكان إذا صلّى المغرب لم يبرح من مصلاه فلا يزال مصليا إلى أن يصلي العشاء الآخرة وبقي على تلك الحالة إلى أن لحق بالله عز وجل .

حدثني عبد الله بن موسَى قال : حدثني أبو بكر بن علي الخياط [567] قال : كان لمحمد بن موسَى ولد صالح فقيل له وقد كان غائبا : ان ابنك في النزع فأدركه قبل أن يموت . فخاف أن تفوته صلاة المغرب وقد حانت . فعدل إلى المسجد . فصلّى المغرب مع الناس ثم انصرف بعد ذلك إلى ولده .

90 – ومنهم أبو ابراهيم اسحاق ابن ويعزّان [568]

من أهل رباط [تاسماطت] [569] . وكان من الأولياء الأخفياء .

(567) قال عنه المؤلف في غير هذا الموضع : وهو من الأخيار . من أهل تادلا .
(568) ويعزّانْ أو وين إيعزّان ، نقل ترجمته هذه صاحب **الإعلام** : 3 : 62 . ويوجد بدوار إيِي نْ تغْرِيِّسْتْ ضريح دفين يسمّى بهذا الاسم .
(569) ح وس : تاسماط .

حدثني الثقة قال : سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله بن [عثمان][570] الصنهاجي يقول : كان أبو إبراهيم بن ويعزان ملازما لمسجد تاسماطت يواصل فيه سبعة أيام على الدوام . فإذا قرب أوان الحج غاب أياما قليلة ثم يظهر . فيقال إنه كان يحج في كل عام . ثم انتقل إلى أغمات وريكة وبها مات رحمه الله .

حَرَامٌ عَلَى ٱلرَّكْبِ ٱلْعِرَاقِيِّ مَسْرَاهُ
إِذَا لَمْ تَرِدْ مَاءَ ٱلْعُذَيْبِ مَطَايَاهُ[571]
وَتَلْبَثُ فِيهِ ٱلْيَعْمَلاَتُ هُنَيْئَةً
وَتَرْتَعُ فِي أَشْجَارِهِ وَخُزَامَاهُ
سَأَلْتُ حُدَاةَ ٱلْعِيسِ هَلْ سُقِيَ ٱلْحِمَى
وَطَابَ لَهُمْ ذَاكَ ٱلْكَثِيبُ وَمَغْنَاهُ
يَبُثُّونَ مَا أَلْقَاهُ شَوْقاً إِلَيْهِمُ
جِهَاراً وَلَوْلاَ بَيْنَهُمْ مَا جَهَرْنَاهُ
أَحِنُّ إِلَى ذَاكَ ٱلْكَثِيبِ وَطِيبِهِ
وَأَصْبُو إِلَى ذَاكَ ٱلْكَثِيبِ وَمَغْنَاهُ
وَأَشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ صَبَاحاً نُسَيْمَةٌ
تُذَكِّرُنَا مِنْ حَاجِرٍ مَا عَهِدْنَاهُ

91 – ومنهم أبو محمد عبد الله ابن عبد الملك [البَيَّاني][572]

حدثني الشيخ الصالح أبو يحيى أبو بكر بن إبراهيم الهزرجي قال : حدثني أبو زكرياء التسولي تلميذ أبي محمد عبد الله قال : حدثني أبو محمد أنه كان من العمال

---

(570) في س : عبد الله بن عمر ، والصحيح : ابن عثمان . وهو الزرهوني المترجم تحت رقم 251 .

(571) من الطويل .

(572) في م وح وس : البياني بدون شد وفي ز وبعض نسخ ف : البياتي . وفي جذوة الاقتباس ، ص 422 : البياتي .

ثم تاب إلى الله تعالى فرد المظالم إلى أهلها . ثم مر من فاس إلى [جزولة][573] ثم عاد إلى بلده فحفر كهفا واعتكف فيه ثلاثة أعوام يقضي الصلوات الفائتة . فرقد ليلة إلى أن جاءه شيء لا يعرفه فقال له : امدد رجليك ! فمدهما وجعل عليهما قيدا . فأفاق وهو لا يبصر شيئا وهو يمشي مشي المقيد ولا يحس بقيد فأقام على تلك الحالة عاما كاملا . فجاءه ذلك الحيوان ليلا فأزال عنه القيد . فأصبح وهو يمشي مطلقا الا أنه لا يبصر شيئا . فغمه ذلك وقال في نفسه : أذهب إلى أبي يعزى ليتفل في عيني فأستريح فلما نام قيل له : قلت في نفسك : اذهب إلى أبي يعزى ليتفل في عيني فاستريح ، اذهب إلى فلانة الأندلسية تتفل في عينيك وتستريح وتجتمع عندها بأبي يعزى . فلما أصبح ذهب إليها . فلما دخل عليها قالت له : قيل لك البارحة : اذهب إلى فلانة الأندلسية تتفل في عينيك وتستريح وتجتمع عندها بأبي يعزى . فتفلت في عينيه فأبصر . وإذا بأبي يعزى جاء إلى زيارتها . قال أبو عبد الله : فرأيت امرأة كهلة مخضوبة اليدين والرجلين بالحناء . وإذا رآها من لا يعرفها لم يظن أنها من الأولياء .

92 — ومنهم أبو عمران موسَى ابن الحاج الرجراجي الأسود[574]

تلميذ خميس بن أبي [زرج][575] وكان عبدا صالحا .

سمعت بعض المريدين يحدث أن أبا عمران قدم مراكش في جماعة من تلامذته . فسلم على رجل فقير من أصحابه . فجاء ذلك الرجل إلى زوجه وقال لها : انه جاءني ضيف لا يمكنني تركه دون ضيافة ولابد لي أن أحتال له . فقالت له زوجه : ليس عندنا الا هذا السرير فبعه وأنفقه عليه . فلما أظلم عليه الليل أخرج السرير لئلا يراه الجيران فيشعرون بفاقته وفقره فباعه بستة عشر درهما ونصف درهم واستدعَى لمنزله أبا عمران مع أصحابه فأنفق عليه جميع الدراهم . فخرجوا من عنده وتبعهم

(573) س : جراوة .
(574) الزكراكي . نقل ترجمته صاحب **الإعلام** : 7 : 292 .
(575) ح . م ؛ س ؛ ز : زرق وأصله زُرْك : وهو المزرجي وأقرب المعاني لأصله في **معجم دوفوكو** : التائه الذي لا مستقر له أو السائح .

يشيعهم . فلما خرجوا من حضرة مراكش متوجهين إلى بلد رجراجة تأخر أبو عمران لوداع الرجل وتقدم أصحابه . فبكى الرجل . وفاضت عينا أبي عمران بالدموع وهدر بصوت كالرعد وقال : يا رب . كنت أردت أن لا أتكلم بشيء وإذا أمرتني الآن بالكلام فإني أتكلم : باع صاحبنا هذا سريره بستة عشر درهما ونصف درهم وأنفقها كلها علينا . اللهم . أخلف عليه ما أنفقه علينا ! فودعه ورجع الرجل إلى البلد . ففتح له في ذلك اليوم بعينه في مائة دينار ووسع الله عليه .

93 – ومنهم أبو عبد الملك مروان ابن عبد الملك اللمتوني العابد[576]

أشخص من مدينة فاس وقدم مراكش فتاب إلى الله تعالى وأقام بمراكش إلى أن توفي بها . عام أحد وسبعين وخمسمائة وقيل عام اثنين وسبعين . ودفن أمام باب فاس من أبواب مراكش[577] في صحن المسجد الصغير الذي هناك .

حدثني الثقة أن مروان بعث إليه القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف أن يصل من فاس ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش . فلما قدم سمع بعابد أجذم بمسجد [تورزجين][578] نزل على رجل من الصالحين يعرف بأبي عبد الله الصوفي . فذهب مروان إلى زيارته . فرأى الناس يزدحمون عليه يقبلون رأسه ويديه . فقال : هذا رجل أمي لا علم عنده ويعظمه الناس هذا التعظيم وأنا لم ينفعني الله بشيء مما تعلمته . والله لا أتولى ولاية ولأنقطعن إلى الله تعالى ! فحفر كهفا يتعبد فيه ويخرج منه في أوقات الصلوات فيصلي مع الناس ثم يعود إلى كهفه . فأقام على ذلك إلى أن لحق بالله عز وجل . ويعرف إلى الآن المكان الذي كان فيه بدرب العابد .

سمعت عمر بن ونصار اللمطي يقول : دفعت امرأة لي ولصاحب من أصحابي دقيقا نحمله إلى الفقيه مروان وكنا شابين ففتشنا الدقيق فوجدنا فيه دراهم . فقال لي

---

(576) نقل ترجمته في الجذوة . ص 334 وفي الإعلام : 7 : 248 .

(577) يعرف بباب الخميس من عهد السعديين إلى الآن .

(578) س والجذوة والاعلام : تورجين .. (تورگين) . وذكر صاحب الإعلام (1 : 94) مسجدين عتيقين بحي التوارك المعروف إلى الآن بمراكش . وإذا كان الصحيح تورزكين فمعناه : المسعودات أو المبروكات .

صاحبي : نأخذ من هذه الدراهم ما ننفقه . فأخذنا منها . فلما دخلنا عليه قال لنا : [إذا دُفع اليكما][579] شيء فلا تخونا فيه . فتوبا إلى الله تعالى وأنتما في حل مما أخذتما .

قال عمر اللمطي : وحدثني موسَى بن عيسَى الجراوي قال : دخلت على الفقيه مروان وبين يديه رحَى تطحن من غير أن يديرها بيده وهو راقد فانتبه من نومه وجعل يديرها بيده وقال لي ياعيسَى أن تكتم علي ما رأيت .

94 - ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد ابن يوسف بن الحسن الجراوي[580]

من أهل تادلا وبها مات عام اثنين وسبعين وخمسمائة ورحل إلى المدينة فتفقه بها وعاد إلى بلده ونشأ في عبادة الله تعالى ولم تكن له صبوة .

وحدثني الثقة أن جماعة من الشبان أرادوا أن يختبروه في شبابه . فأدخلوا امرأة في دار خالية وأمروها أن تراوده عن نفسه فأدخلوه في الدار وهو لا يعرف بالمرأة التي فيها . فقامت اليه المرأة وراودته عن نفسه . فوقع مغشيا عليه ففرت المرأة وأتى اليه أهله فرفعوه على الأعناق . فأفاق من غشيته بعد حين .

حدثني عبد الله بن موسَى قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي الحسن قال : كان لأبي فدان في أرض له موروثة عن الآباء والأجداد وكان أبي لا يحرثه ولا يكريه لأنه كان يقول : لا أعرف أصل تملك جدي له . فلما توفي أبي ، رحمه الله ، حرثته فأصبت منه زرعاً كثيرا . فنمت . فرأيت في النوم شخصا قاعدا على القمح وهو يرفع القمح بيده ويرميه ويقول : «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً»[581] وهو يفعل ذلك المرة بعد المرة إلى أن بصر بي فقام وأنا أتبعه ببصري إلى أن خرج من باب الدار . فلما أصبحت تصدقت بجميع القمح الذي أصبته من ذلك الفدان وتركته مهملا كما كان في حياة

---

(579) ف : إذا وقع لكما

(580) نسبة إلى ايكوراين من بني ضطط من صناجة الظل .

(581) سورة النساء : 10 .

أبي . قال عبد الله بن موسَى : ولما احتضر عبد الرحمن بن أبي الحسن أوصَى أولاده أن لا يدخلوا ذلك الفدان في القسمة . فامتثلوا ما أمرهم به .

وحدثني عبد الله بن موسَى قال : لما احتضر أبو الحسن أملى وصيته فكتبت . ثم نظرها . فكتب في آخرها : «فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»[582] . فودع الحاضرين وغطّى وجهه بثوبه . فقضى نحبه ، رحمه الله ، وما علم بموته أحد حتّى مرت ساعة لأنه لم يكن به مرض ، ولما مات قالت زوجته : لن أعيش بعده إلا ثلاثين يوما . فقيل لها : من أين علمت ذلك ؟ قالت : كان لأبي الحسن ورد بالليل فقام ليلة على عادته فكان يتهجد إلى أن انتبهت من النوم فرأيت نورا عظيما أضاء منه جميع البيت حتّى لم يغب عني منه شيء . فرأيته يصلي مع رجل . فبقيت شاخصة أنظر إليهما إلى أن قرب الفجر . فسمعتهما يتحدثان فلم أفهم من كلامهما شيئا . ثم انفتح لهما باب البيت . فخرجا منه [وأنا أتبعهما بصري][583] إلى أن غابا عني . فرجعت [مرعوبة][584] إلى البيت فوجدته مظلماً . فلما طلع النهار . خلوت بأبي الحسن وذكرت له ما شهدته بالليل . فتغير فحلفت له ألا أحدث بذلك أحدا ما عاش . فسألته عن ذلك الرجل . فقال لي : هو صاحبي أتاني وقال لي : سأموت هذا العام وتلحقين بي بعد شهرين . فقلت له : ادع الله أن يلحقني بك . فدعا لي وقال : انك تلحقين بي ان شاء الله بعد شهر .

حدثني عبد الله بن موسَى انه حضر وفاة أبي الحسن وسمع زوجه تحدث بهذه القصة وأنها ماتت بعد زوجها بشهر وحضر وفاتها .

95 – ومنهم أبو الحسن علي ابن محمد الغرناطي المفسر[585]

قدم مراكش ونزل بالجانب الشرقي منها . وبها مات عام سبعة وسبعين وخمسمائة

---

(582) سورة البقرة : 181 .

(583) ح وم : فتبعتها وهما لا يعلمان .

(584) سقط من ف .

(585) نقل ترجمته هذه في الإعلام : 9 : 60 .

ودفن خارج باب الدباغين[586] . صحب الإمام أبا بكر بن العربي[587] . فرآه مقتصرا على علم التفسير . فقال : إن هذا . سيكون له شأن . وكان أبو الحسن زاهدا في الدنيا . منقبضا عن أهلها يجمع إليه الناس فيفسر لهم القرآن من أوله إلى آخره . فنفع الله به خلقاً كثيرا .

سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الكلاني رحمه الله يقول : كان أبو الحسن يحمل خبزه للفرن ويشتري الشيء من السوق ويحمله بنفسه . فلقيته يوما وهو حامل الخبز إلى الفرن . فرغبت اليه أن آخذه منه وأكفيه مؤنة حمله . فأبى علي وقال لي : يا بني من حمل سلعته برئ من الكبر .

96 - ومنهم أبو إبراهيم إسحاق ابن محمد الهزرجي[588]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه توفي ليلة النصف من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة ودفن خارج باب الدباغين وكان من الأفراد .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد بن تميم [النجار][589] يقول : أخبرني أبو إبراهيم أنه رأى رب العزة في النوم فقال له : يا إسحاق : أنا آخذ بيد السخي كلما عثر . أنا آخذ بيد السخي كلما عثر . أنا آخذ بيد السخي كلما عثر . يقولها ثلاث مرات . فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه .

وكان يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشتري الطرف في أول إبانها فيفرقها عليهم .

---

(586) يعرف إلى اليوم بباب الدباغ . ومنه كان يدخل حملة الدباغ والجلد من الجهات الحسكورية وبداخله دار صناعة دبغ الجلد .

(587) هو القاضي الامام الشهير محمد بن عبد الله الاشبيلي المتوفى بفاس سنة 543هـ . راجع ترجمته في **الغنية** (10) للقاضي عياض وفي المصادر الأخرى التي ذكرها المحقق .

(588) راجع الاعلام : 3 : 59 . وقال مؤلفه : «وهو صاحب الضريح الشهير هناك (خارج باب الدباغين) يعرف بسيدي إبراهيم السفاج» .

(589) ح : السخان .

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الزناتي قال : رأيته يجرد أولاده من ثيابهم فيكسوها أولاد الفقراء . وكان أبو إبراهيم شديد الصفرة من كثرة الصيام والعبادة . فإذا صلّى الصبح خرج إلى دكانه ليبيع الاسفنج والهريسة فيشمّر أكمامه . فإذا أخذ ما يكفيه ويكفي أصحابه أطعم المساكين بقية الإسفنج والهريسة ثم يمر إلى بعض المساجد فيصلي الضحَى ويفرغ باقي يومه للعبادة وزيارة اخوانه في الله تعالى . وكان له أخوان آخاهم في الله فيقوم بمؤنتهم ويجري عليهم ما يكفيهم .

حدثني محمد بن عبد الله[590] وغير واحد من الثقات قالوا : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن تميم أنه كان تكلم يوما مع أبي ابراهيم في شأن القبلة وقد شرَّق أبو ابراهيم فقال له أبو ابراهيم : لي منذ كذا وكذا سنة ما كبرت إلا وأنا أعاين الكعبة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن تميم يقول : لما مات أبو إبراهيم حملنا نعشه في الغلس . فخرجنا من باب الدباغين . فأبصرت النعش فوق أيدي حامليه وكلهم يظن أنه كفاه غيره ورفعه عنه .

وقال لي عبد الله بن أبي بكر ، وكان رجلا صالحا : سمعت أبا عبد الله محمد بن تميم يقول : لما رفع نعش أبي ابراهيم : سمعت هاتفا يقول : ارفعوا من رفعه الله قال عبد الله بن أبي بكر : حدثني موسَى بن عبد الله [الخلاص][591] قال : رأيت أبا ابراهيم بعد موته في النوم . فسألته عن حاله فقال لي : أما رأيتم حين كنتم تغسلونني إسرافيل واقفا في مكان كذا وكذا من الدار ؟ وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت محمد بن تميم يقول : حدثني موسَى بن عبد الله قال : رأيت أبا إبراهيم بعد موته في النوم . فقلت له : يا أبا ابراهيم . لو رأيت احتفال الناس بجنازتك ! فإنه حضرها خلق كثير . فقال لي : لو رأيت احتفالها في الآخرة . لرأيت أمرا عظيما . حضرها جبريل وإسرافيل ومد صوته بإسرافيل حتَّى انتبهت من نومي .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن تميم قال : أخبرتني امرأة حضرت جنازة أبي ابراهيم قالت : لما اصطفت الناس للصلاة عليه رأيت النخلات التي [ببحيرة

---

(590) كناه بالوراق في ترجمة المزياتي (222) .
(591) س : الخلاصي .

الرقائق][592] أخرت حتّى صارت خلف الجنازة فلما سلم الإمام رأيتها قد عادت إلى موضعها .

وحدثني علي بن موسَى قال : سمعت يَخلف بن وَرزج يقول غير مرة . رأيت أبا إبراهيم لمس عنبا في قفة ليشتريه ثم اشتَرى غيره . واشتريت القفة التي قلبها وعصرت عنبها وجعلته في ظرف عادته أن يكون فيه عصير العنب . يوما وليلة فيصير مسكرا فاشربه . فمكث في ذلك الظرف إلى أن مر عليه العام وهو حلو لم يتخمر . فمر بي أبو إبراهيم . فقال لي : إلى متَى تنتظر العصير يصير خمرا ؟ فاشربه حلوا فانه لن يصير خمرا فشربته حلوا .

وحدثني عبد الله بن موسَى قال : بعثني أبو ابراهيم مع خديم له إلى رجل من أصحابه ببلد رجراجة . فقال لي الرجل الذي بعثني معه : عسَى أن تصحبني إلى رجل من هذه البلاد لنزوره . فذهبت معه إليه فتحدث معه ساعة . ثم قال لي : عند هذا الرجل دراهم صنعها . فما ترَى في حملها إلى مراكش لنصرفها ونقتسمها أثلاثا لكل واحد ثلثها ؟ فإنه يعرف الكيمياء . فأعرضت عن قوله ولم أجبه وقضيت الأمر الذي بعثني فيه أبو ابراهيم ونويت الرجوع إلى مراكش وحدي . فأدركني صاحبي في الطريق فقال لي : سألتك بالله إلا ما كتمت علي ما سمعته مني وسترتني عند أبي إبراهيم . فقلت له : لن أخبره بشيء من ذلك . فوصلنا دار أبي ابراهيم بمراكش فقرعت الباب . فخرج إلينا أبو إبراهيم فقال لذلك الرجل : اذهب عني ولا تأتني أبدا . فإني لا أصحب من يصحب أهل التدليس ! ثم قال لي : بارك الله فيك ! وأنشأ يحدثني بكل ما جرَى فعجبت من ذلك غاية العجب وعلمت أنه كوشف بذلك .

قال عبد الله بن موسَى : وبعثني أبو ابراهيم ليلة إلى أبي حسون لبيبت عنده .

---

(592) راجع في موضوع هذه البساتين (أو البحائر) العظيمة التي كانت بمراكش وأحدث بعضها أمراء الموحدين . كتاب **الاستبصار** . ص 210 . وفي احداها دارت معركة من المعارك الحاسمة في تاريخ الغزو الموحدي للسلطة وذلك سنة 524هـ قبيل وفاة المهدي وهي المعركة المسماة بمعركة البحيرة . وكانت بعض البحيرات داخل السور نفسه . وكانت احداها معروفة بهذا الاسم إلى وقت قريب وتسمى : تابْحيرْتْ . راجع فهارس **المقتبس من كتاب الأنساب وكتاب أخبار المهدي . ونظم الجمان** .

فأتيت به وقال لي ونحن في الطريق : أشتهي أن آكل عند أبي ابراهيم مثل الحوت الذي كنت أكلته عنده . فلما دخلنا الدار . قال لي أبو ابراهيم : اذهب إلى أحمد الحوات وقل له أن يبعث لنا الليلة حوتا طيبا مثل الحوت الذي كان يبعث لنا . يأكله الليلة أبو حسون . وقال عبد الله بن موسَى : وحضرت يوما بدار أبي ابراهيم إلى أن جاءته جماعة من الصالحين من أهل البادية لا أعرفهم . فقال لي : سق من السوق اسفنجا طيبا وعسلا . فأتيتهم بذلك . فقلت في نفسي : ليتني دخل هؤلاء الصالحون بيتي لأتبرك بدخولهم فيه ! فلما فرغوا من الأكل قال أبو ابراهيم : تقدم إلى منزلك لتدخل بيتك هذه الجماعة . كما تمنيت . فتقدمتهم ودخلوا في البيت فسمعوا بكاء ولدي كما فطم فقالوا : ما لهذا الولد يبكي ؟ فقلت لهم : فطم عن الرضاع فلا يعيي من البكاء . فأمروني [أن آتيهم] به . فمسحوا على رأسه فسكت الصبي ولم يبك بعد ذلك على الرضاع .

97 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر الغازي(593)

من أهل سجلماسة ، توجه إلى مكة ، فمات بها في حدود الثمانين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا كثير السياحة . وكان أقرع . سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : كان أبو يحيَى الغازي إذا أراد أن يدعو يزيل عمامته عن رأسه ويضعها بالأرض ويقول للحاضرين : أما تعلمون أني أقرع ؟ وحدثني ابن أبي القاسم عن أبيه قال : قال لي أبو يحيَى : ذهبت لأتوضأ وتركت ثوبي . فلما أتيت وجدت عليه قيراطا من السكة الطيبة . فاشتريت به خبزا وتصدقت به ولو وجدتك لأعطيتك من ذلك الخبز . قال : وذلك أول يوم ظهر له ذلك . فكان إذا أتَى عليه مثل ذلك الوقت يجد قيراطا فيشتري به الخبز فيتصدق به واستمر له ذلك .

---

(593) ذكره صاحب **الفيد في تاريخ سجلماسة** ص 20 .

98 – ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن واصل الاشبيلي*

أصله من اشبيلية، قدم مراكش. فنزل بها بالجانب الشرقي في بحيرة الفصفصة[594] ومات في حدود الثمانين وخمسمائة ودفن في روضة الفقيه مروان خارج باب فاس[595]. وكان أجذم، ظاهر الولاية.

سمعت أبا عمران موسى بن يوسف المعلم يقول: دخلت على ابن واصل في السادس والعشرين من رمضان وقد توضأ للصلاة. فكبر وشرع في الصلاة. فلما سجد أطال السجود إلى أن حركته فوجدته ميتا رحمه الله تعالى.

99 – ومنهم أبو زكرياء يحيى بن محمد ابن عبد الرحمن التادلي[596]

من أهل تادلا ومات بفاس عام ستة وسبعين وخمسمائة ودفن في روضة الفقيه أبي اسحاق بن قرقول[597]. وكان أبو زكرياء عبدا صالحا ورعا مجاب الدعوة.

سمعت عبد الله بن موسى يقول: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: قال لي أبو زكرياء في عام مجاعة بمراكش: أريد أن تعينني اليوم فقلت له: نعم. فقال لي:

(*) راجع **الإعلام**: 10، ص 206

(594) في ز وبعض نسخ ف: الصفصفة. وكانت قرب مسجد تواركة صفصافة شهيرة (راجع **الإعلام**: 1: 96). والمرجح أنها التي كانت تنسب إليها هذه البحيرة.

(595) تنسب هذه الروضة للمترجم رقم 93.

(596) ترجمته في **جذوة الاقتباس** ص 542، واعتمد فيها ابن القاضي على **التشوف** وعلى **المستفاد** وفي هذا المصدر الأخير أن المترجم توفي سنة ثلاث عشرة وهو غلط في النسخ لأن مؤلف **المستفاد** نفسه توفي قبل هذا التاريخ. وراجع **سلوة الأنفاس** (3: 153).

(597) ابن قرقول الذي تنسب إليه الروضة هو ابراهيم بن يوسف الألميري الفقيه المتوفى بفاس سنة 569هـ. وقد ذكر صاحب **الجلوة** (ص 89) مدفنه وقال: «ودفن قريبا من برج الكوكب الذي يقال له اليوم سيدي علي المزالي».

جئني بالفقراء الذين بجامع علي بن يوسف[598] . فأتيته بهم . فأخرج قمحا وسمنا كان عنده ، ففرقه عليهم حتَّى لم يبق له منه شيء .

وحدثني عيسَى بن علي [عن][599] عبد الله بن محمد عن محمد الحضري[600] وكان خاصا بأبي زكرياء قال : كان لأبي زكرياء بفاس عام أحد وسبعين قمح في غرفتين فقال لي أبو زكرياء ، أريد أن أطلعك على سري فلا تخبر به أحدا حتَّى أموت . فقلت له : وما ذلك ؟ فقال : نذرت أن أتصدق بجميع القمح الذي في الغرفة الواحدة ، ففرقه على المساكين . فعاتبته على ذلك . فقال لي : افعل ما أمرتك به . ففعلت [ففرقها كلها على المساكين][601] ثم مكث يسيرا فرأى الحال قد اشتد بالناس ، فقال لي : الحق الغرفة الثانية بالأولى . وكان له ولد أعمَى . فقلت له : يا أبا زكرياء انظر من ولدك هذا واترك له شيئا . فقال لي : يا بني ، بيني وبين الله تعالى سر لا يضيع معه . فلما كان ذات يوم ماطر جاء وخلفه جماعة من المساكين وفي يده أوراق كرنب . فأخرج قدرا من سمن لم يبق له شيء سواها . فجعل يخرج السمن ويجعله على ورقة ، حتَّى لم يبق منه شيء وانصرم ذلك العام ولم يبق من ماله شيء .

وحدثني أبو الحجاج يوسف بن موسَى التادلي قال : ماتت زوجة أبي زكرياء . فأنكحه أبو عبد الله محمد بن [ومالال][602] المعروف [باصناج][603] امرأة جميلة من قرابته وكان يوسع عليها . فقال أبو زكرياء أخاف الفتنة من بقائي مع هذه المرأة فإنها جميلة الصورة وأرَى الدنيا قد أقبلت علي . فطلقها وتوجه إلى مكة . فوجد بمصر مولى كان قد اعتقه فأتَى يوما إلى أبي زكرياء بستين دينارا فأبَى قبولها منه وقال له : انما أحتاج ان تكتري لي جملا يوصلني إلى مكة . فاكتراه له

---

(598) جامع ابن يوسف المعروف بمراكش .

(599) م وس : بن ، وهو من غلط الناسخ ، لأن عبد الله بن محمد الذي حدث عنه عيسَى بن علي هو بن الفقيه محمد بن عيسَى التادلي المذكور أعلاه . راجع ترجمته في **الإعلام** (8 : 201) نقلا عن **التكملة ونيل الابتهاج** .

(600) لعله من هؤلاء الخدم الذين كانوا رواة عدد من أخبار المترجمين في **التشوف** .

(601) زيادة في ح وم وس .

(602) أمْلال : الرمل وأمالال ، كما جاء في بعض النسخ ، الأبيض .

(603) أصْناج ، بصاد مشمومة زايا وجيم مصرية : أزْنَاگ : ويعرَّب إلى الصنهاجي .

فوصل إلى مكة . فأقام بها وكان يحتطب الإذْخِر ويبيع الحزمة منه بدرهم فيقتات به . فاشترَى منه رجل من أهل فاس كان يعرفه حزمة . فحملها إلى منزله ودفع له عشرة دنانير . فقال له أبو زكرياء : انما آخذ منك درهما أو ترد إلى الحزمة . فمازال الكلام بينهما إلى أن قال له الرجل : يا أبا زكرياء عرفتك بفاس ! فسأله عن الزوجة التي كان قد طلقها فقال له : تزوجت . فقال : ما حبسني بهذه البلاد إلا أمرها . فأما الآن وقد تزوجت فإني راجع إلى المغرب . ثم عرض عليه الرجل مالا . فقال له : لا أقبل منك شيئا الا على وجه السلف. فاكترَى له الرجل وأنفق عليه واجتمع له عليه من الكراء والنفقة من مكة إلى فاس ثمانية عشر دينارا . فجاء الرجل إلى أبي محمد يسكر بن موسَى ودفع له مائة دينار وقال له : عسَى أن تدفع إلى أبي زكرياء هذه المائة دينار . [فإن عليه دينا][604] يقضيه منها . فجاءه أبو محمد يسكر فوجد عنده جمعا كثيرا . فلما خرجوا من عنده قال له أبو محمد : هذه مائة دينار من كسب طيب رغب ربها أن تقبلها منه . فجلس وكان مضطجعا وقال له : أبهذا تواجهني يا يسكر وتريد أن آخذ أوساخ الناس ! فقال له : سمعت أن عليك دينا فرأيت أن تقضيه منها . فقال له : سيأتي ولدي من تادلا وآخذ منه ما أقضي به الدين الذي علي : ثم جاء ابنه بعد يومين وأخذ منه ثمانية عشر دينارا فقضَى بها دينه ثم مرض ومات رحمه الله .

وحدثني عيسَى بن علي قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال : دفع الي عباد بن اسماعيل[605] بأغمات عشرين دينارا وأمرني أن أشتري له بها سلعة من مدينة فاس . فلما وصلت فاس دخلت في [الساقية][606] فنسيت بها العشرين دينارا ودخلت إلى أبي زكرياء فوجدت عنده جماعة . فلما أحضر لنا الطعام تذكرت العشرين دينارا التي نسيتها [بالساقية][607] فامتنعت من الأكل ونالني غم عظيم . فقال لي أبو زكرياء : كل . فإني أعطيك العشرين دينارا من مالي . فقلت له : إني من شأنها في غم عظيم لا يطيب لي الأكل معه . فقال لي : قم إلى التابوت وخذ منه عشرين دينارا . فقمت وأخذتها من تابوته وسكن خاطري وأكلت . فلما أصبح

---

(604) ف : فلي عليه دين . والتصحيح من س وم وح .
(605) من فقهاء أغمات .
(606) ح وم : السقاية . أي الصهريج الذي يتجمع فيه الماء ويُستقَى منه .
(607) ح وم : بالسقاية .

أتيته وهو نائم في مصلاه فأفاق من نومه . فقال لي : نمت الساعة فرأيتك في النوم وقلت لي : وجدت العشرين دينارا التي للفقيه عباد . فخرجت من عنده إلى المسجد . فجلست مع قوم تأسفوا على ضياع العشرين دينارا وكان معنا رجل يسمع حديثنا . فقام عني وجاءني بالدراهم بعينها وذكر أنه التقطها . قال : ذهبت من فوري إلى أبي زكرياء وأعلمته . فقال لي : جئني بدراهمي بأعيانها قبل أن تختلط بغيرها . فأتيته بها . فردها إلى موضعها

100 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن ابراهيم بن عبد الله التادلي (*)

من أهل تادلا . قدم مراكش ومات بتادلا وقد زاد على المائة بنحو عشرة أعوام وكانت وفاته عام اثنين وثمانين وخمسمائة وكان عبدا صالحا لزم المسجد نحو خمسين سنة وأنفق ماله في سبيل الخير حتَّى لم يبق له شيء .

يَا مُظْهِراً وَهْوَ يُحِبُّ ٱلْغِنَى ۔ زُهْداً بِدَعْوَاهُ لَهُ يَنْتَهِي (608)
هَيْهَاتَ مِنْكَ ٱلزُّهْدُ حَتَّى تُرَى ۔ تَزْهَدُ فِي ٱلدِّينَارِ وَٱلدِّرْهَمِ

101 – ومنهم أبو ولْجُوط تُونَارْتْ ابن علي الايلاني (609)

من أهل حومة ثلاثاء موسَى بن يلول من عمل مراكش . مات عام أحد

(*) راجع **الإعلام** : 10 ص 206 .

(608) من السريع .

(609) أبو وَلْكُوط تُونَارْتْ . جاء في طرة غ : «هو الذي بالزيتون بالحوز ، وهو والله أعلم الذي يقال له سيدي سعيد برباط عقبة بجوز نفيس» . وقد تفيد هذه الإشارة أن معنَى تونارت هو : سعد . ويلاحظ أن المؤلف ترجم لثلاثة ممن يحملون اسم تونارْت (101 و136 و223) وكني كل واحد منهم أبا ولكوط كما ترجم لاثنين ممن يحملون اسم ولْكوط وكنى كل واحد منهما أبا تونارت . وقد نقل صاحب **الإعلام** هذه الترجمة . ج 3 ص 79 . وفيه : تانوت وهو غلط .

وسبعين وخمسمائة وهو شيخ عبد الغفور بن يوسف وكان من أهل العلم والعمل وأقام معتكفا ثلاثين سنة .

102 – ومنهم أبو سليمان داود ابن يحيى الجراوي*

من أهل داي وبه مات عام ستة وثمانين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا عالما عاملا منقبضا عن الناس .

سمعت أبا الحجاج يوسف بن موسى يقول : سافرت مع أبي سليمان مرة فسمعته يقول لحماره : [اركبك مرة وأمشي مرة][610] . فكان يركب تارة ويمشي تارة إلى أن بلغ المكان الذي قصده . وقال أبو الحجاج : وباع حمارا له من قومه من أهل القبلة . فمر معهم إلى رحالهم ليقبض منهم الثمن . فأبصر الدبر في ظهور دوابهم كلها فقال لهم : أهكذا ظهور دوابكم كلها ؟ فقالوا : نعم . فقال : والله لا أبيع منكم حمارا تفعلون به هكذا . فرد حماره ولم يبعه منهم .

وحدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني محمد بن علي بن عالية تلميذ أبي سليمان قال : انقبض عني أبو سليمان في بعض الأوقات . فلما أتيت داره أغلق الباب في وجهي ولم أدر سبب ذلك . فجعلت من سأله عن ذلك . فقال للسائل : رأيته يمشي مع مملوك فلان . يعني رجلا من أهل الدنيا .

قال عبد الله : وحدثني أخي محمد قال : أخبرني الخطيب أبو موسى عيسى بن الفقيه أبي الربيع سليمان بن يوسف بن وخلان[611] قال : عزمت على أبي سليمان أن يذهب معي إلى الدار لأطعمه العسل من أجباح كانت عندي فأبى . فأقسمت عليه وحملته مكرها وقدمت إليه العسل. فجعل اصبعه في فيه ولعقه وأقسم ان لا يصيب أكثر من ذلك. ثم انقطع عني وكان قبل ذلك يقعد عني أحيانا فقلت له : ما

(*) الكَرَّاوي أو الكوراني . وفي يتيمة العقود الوسطى . ص 422 : «وهو الذي يقولون له (هكذا) في وقتنا سيدي سليمان دفين العين الزرقاء بتادلة» .

(610) ح وس : أركب نوبة وأمشي نوبة .

(611) ذكرنا عيسى هذا ووالده في الهامش 330 قبله . وهما من فقهاء تادلا وخطبائها .

قطعك عني ؟ قال : ان العسل حلو وقد أدخلتك في [مؤنة][612] .

103 – ومنهم أبو محمد صالح بن عمر[613]

كان من أرباب الدولة . فزهد في الدنيا وصحب عبد الغفور بن يوسف ونزل بأدوز[614] من بلاد ايلان . فأقام هناك إلى أن لحق بالله عز وجل وكان الشيخ أبو يعزى يذكره ، ويتمنّى لقاءه . سمعت عبد الله بن موسَى يقول : بات أبو محمد صالح ليلة عند أبي محمد عبد الغفور . فلما صلينا الصبح أمر عبد الغفور أن يجعل على دابتين طعاما واداما يحملها أبو محمد صالح إلى داره وكان قد بات في بيت وحده . فجاء عبد الغفور إلى البيت الذي بات فيه أبو محمد صالح وأنا أسمعه يقول : اللهم سلمني من أبي محمد صالح ! فلما دخل عليه ، ولم يعلمه بما أمر أن يحمل اليه . قال له أبو محمد صالح : والله ، لا خرجت من البيت حتّى تطرح جميع ما أمرت لي به عن الدابتين ! فحينئذ فهمت قول عبد الغفور : اللهمّ سلمني من أبي محمد صالح . فقدمت اليه دابة يركبها . فأمرني أن أكون في مقدم الدابة وأن يركب خلفي . فتوقفت له . فقال لي : ألم أطلعك على سري ؟ فأطعته ، فركبنا إلى أن وصلنا إلى منزله بأدوز وانصرفت عنه . وكنت أسير في الهاجرة إلى أن لقيت شخصا في الطريق ولم أر فيها سواه . فدفع الي صرة وقال لي : احملها إلى أبي محمد صالح فرجعت اليه فلما دخلت عليه قال لي : هات ما دفع لك . فدفعت إليه الصرة ففتحها فإذا فيها دراهم . فأعطاني منها درهما واحدا وقال لي : افهم ما أقول لك : إذا توجهت في أمر تقصد به وجه الله تعالى ، فلا تمزجه بغيره . ألا ترَى فعل الله معي ؟ فإني قصدت بزيارتي عبد الغفور وجه الله تعالى . فعوضني الله خيرا من ذلك . فأخبرت عبد الغفور بذلك ، فقال لي : شأن أبي محمد صالح كبير .

---

(612) ح وق : في مئونته ، س : في الضرورة .

(613) ضريحه معروف إلى الآن بجبل ايمـيَّوَان (مسفيوة) على بعد عشرة كلم قبلي أغمات .

(614) أدُوزْ ، اسم مكان شائع في جبال الأطلس وفي جبال الريف أيضا ، ومعناه الملجأ أو المخبأ . والاسم المقصود هنا يطلق على قرية وعلى فرقة من قبيلة إمـيَّوَانْ . أما ضريح المترجم فهو قريب من تيغزا . وبينها وبين قرية أدُوزْ شِعْب صغير ، والقرية المذكورة على سفح جبل سَلّ .

وحدثني عبد الله بن موسَى قال : مررت يوما إلى زيارة أبي محمد صالح فأرسلت دابتي في المرعَى ونزلت عنها ثم أتيت إلى داره . فدخلت ، فقال لي : إلى متَى أوصيك أن تتحفظ ، وانتظرتك حتَّى برد الطعام وأمرت العجوز أن تنظر لدابتك حشيشا مباحا فأرسلتها أنت في أرض بني فلان تأكل النبات الحرام . فعجبت من مكاشفته بذلك .

قال عبد الله بن موسَى : وبعث أبو محمد عبد الغفور قوما إلى أبي محمد صالح ليصلح بينهم في نازلة طال فيها الخصام . فأصلح بينهم أبو محمد صالح من ساعته . فاستدعاه رجل من الصالحين يعرف بعبد السلام إلى منزله وقدم له عصيدة شعير بسمن . فلما أدخل عليه الصحفة في البيت بذلك الطعام أبصرت كلبا شديد السواد أحمر العينين ولم يره أحد غيري . فوقف خلف ظهر أبي محمد صالح فجعل يأخذ لقمة بعد لقمة ويرميها وراء ظهره فيلتقمها الكلب والحاضرون يظنون أنه يأكل إلى أن فرغ الطعام .

قال أبو محمد عبد السلام : زرت بعد أيام أبا محمد صالح فقال : ما لكم لا تتحفظون ؟ إني نظرت في الطعام الذي قدمت لي فرأيته مملوءا دودا . قال عبد السلام : فرجعت إلى أهلي فسألتهم عن ذلك الطعام فقالوا : طلبنا مفاتيح المخازن فلم نجدها . فاستسلفنا شعيرا من بعض الجيران فصنعنا منه ذلك الطعام . فسألت عن أولئك الجيران فإذا هم قوم لا يرتضَى مكسبهم .

104 – ومنهم أبو محمد عبد الغفور ابن يوسف الأيلاني [615]

من أهل تاكاترت [616] من بلاد أيلان ومات بأغمات وريكة وقت طلوع الفجر يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة . وكان رجلا

(615) نقل ترجمته في **الإعلام** : 8 : 450 .

(616) تَكَاتَرْتْ . توجد عدة قرَى تحمل هذا الاسم على الضفة اليمنَى لوادي وريكة قرب أغمات . راجع معاني هذا الاسم عند : **Laoust (E.) – Contribution... p. 63**

صالحا درس الفقه بأغمات على القاضي أبي يوسف حجاج بن يوسف.

حدثني إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن الأمان الجزولي المعلم قال : كان عند إخوة عبد الغفور صك بالحمل على البر والرعاية [فكتب بعضهم في بعض البعوث][617] . فتكلف عبد الغفور ، بسبب ذلك ، الوصول إلى مراكش واستشفع فيه . فلم تقبل شفاعته . فبات عندي مغموماً من أجل ذلك ثم قال لي : [كنا فوضنا أمرنا إلى الله فكفانا][618] . فلما ركنت إلى الخلق عجَّزني . والله لئن وصلت إلى داري لأمزقن الصك [ولا أرد أمري][619] إلا إلى الله تعالى . فنهض إلى داره بايلان . فجُمع الناس صبيحة تلك الليلة [وقيل][620] لهم : لا يكتب أحد في العسكر من هيلانة[621] ، ولا من هزميرة ولا من وريكة . فأعفوا من ذلك حينئذ.

---

(617) ف : فكتب بعضهم في البحوث ، والتصحيح من ح وم وس وز.

(618) ف : لو كنا فوضنا أمرنا إلى الله لكفانا . والتصحيح من ح وس.

(619) ف : ولأردن أمري . والتصحيح من س.

(620) ف : وقال والتصحيح من ح وس.

(621) هيلانة ، أصل الكلمة أيْلانْ أو إيلَّانْ . قبيلة كانت تستوطن ما يجاور أسوار مراكش في الجنوب والجنوب الشرقي بين وادي غدات ووادي نفيس ، وتجاورها من جهة الجبل هزرجة وهي ما وراء إيمي ن الزّاتْ وتجاورها أيضا وريكة الممتدة من أغمات على الوادي المعروف بوادي وريكة . أما غرب مراكش وجنوبها الغربي فتجاورها هزميرة المستوطنة على وادي نفيس . وكانت الأرض التي بنيت بها مراكش حدودا بين القبيلتين وملكا لها (**البيان المغرب** : 3 : 206) وقد كانت بين ايلان وهزميرة وقائع على وادي نفيس . وفي **كتاب الأنساب** يذكر ابن عبد الحليم أن ايلان كانوا في أرض هسكورة فأخرجوا منها قبل الاسلام أو في القرن الأول عند الفتح . ووهم صاحب **الاعلام** (1 : 110) في قوله : «وبلد هيلانة المذكورة هو بلد كُلاوة» كما وهم في قوله : «وغدات تصحيف عن غمات» وكلمة أيْلان جمع أيْلْ وهو فعل طار ولو كانت جمعا للطير لكانت أيلان حسب الصيغة المعروفة اليوم . وإذا كانت إيلّان فهو جمع إيلّ ، وهو الخال ، أو الخط الأسود على الوجه ، ويقال في ما يرسم على الوجه منها للزينة إضلان قد تخفف إلى إلّان بتفخيم اللام وقد تكون أغمات هيلانة أصلها غمات ايلّان أي تخضبوا بوضع رسوم سوداء . وهذا تفعله نساء المصامدة ، ونحن في مجال يصنع رموزا لمايزات استراتيجية . ولا فائدة في قول المغرمين بالتفسير بالأنساب : إن ايلان ينسبون إلى جدهم إيلّان . (**كتاب الأنساب** ص 27).

حدثني عبد الله بن موسَى قال : ضلت رمكة لأبي محمد عبد الغفور فذهبنا في طلبها فوجدناها ترعَى في مرج والأسد رابض على القرب منها . فلما رآنا الأسد ذهب وأتينا بالرمكة .

قال عبد الله بن موسَى : ذهبت مع أبي محمد عبد الغفور الى أغمات . فررنا بقوم مجتمعين على قتل الجراد . فقاموا إلى أبي محمد وشكوا اليه ما نزل بهم من الجراد . فقال لهم : لعل الله يصرفه عنكم حتَّى لا تعلموا هل غاض في الأرض أم صعد إلى السماء . فدعا لهم وانصرفنا . فرجعت من أغمات في اليوم الثاني . فررت بأولائك القوم فقالوا لي : اقرأ سلامنا على الفقيه أبي محمد وأعلمه أن الله تعالى قد أراحنا من الجراد . ولقد تفقدنا الفدادين والجنات فما وجدنا جرادة واحدة ولا علمنا هل غاض في الأرض أم صعد إلى السماء .

قال عبد الله بن موسَى : وبت ليلة عند أبي محمد . فرأيت في النوم بعيرا برك عند باب داره . فجاء وركبه وتوجه به إلى أغمات . فأخبرت بذلك بعض قرابته . فنظروا في كتب التعبير فإذا تأويله انه يسافر سفرا بعيدا . فقصصتها عليه . فسكت ولم يقل لي شيئاً . فأقنا مدة . ثم بعد ذلك ذهبنا إلى أغمات وريكة . فجلست معه بداره يوم الجمعة . فتأخر عن التهجير المعتاد منه ثم توضأ وخرج إلى الجامع . فخرجت في أثره . فالتفت يميناً وشمالا فلم ير أحدا . فقال لي : يا عبد الله . هذا [أوان][622] تفسير رؤياك ؛ فما انصرف من صلاة الجمعة إلا والحمَّى ترعده . فأتَى منزله وأوصَى أهله وقال لهم : تأهبوا لوصول الناس غدا لحضور جنازتي . فمات رحمه الله بالليل . فوالله ما أصبحنا حتَّى جاء الصالحون والأخيار من مواضع بعيدة ولا نعلم من أعلمهم ولا متَى علموا بذلك . فدفناه بمقابر أغمات وريكة . فنام بعض الصالحين من أهل أغمات . فرأى أباه في النوم وكان قد مات منذ زمن طويل . فسأله عن عبد الغفور . فقال له : من يراه ومن يدركه ؟ فقال له : يا أبت . ألم تكن أكثر منه اجتهادا وكان وقتك أصفَى من وقته ؟ فقال له : نعم . ولكن صادف وقتا يشق فيه التحفظ . فاجتهد حتَّى وصل ونحن لم نحتج إلى كبير تحفظ فلذلك زاد مقامه على مقامي .

---

(622) ف : أول .

105 – ومنهم أبو إسحاق [باران][623]
ابن يحيى المَسُّوفي

من أصحاب أبي عبد الله الدقاق . توفي بسجلماسة في حدود السبعين وخمسمائة . حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : حدثني أبو بكر بن علي وغيره ان أبا اسحاق قال . بمراكش . لبعض مشايخ الصوفية : كيف ألحق بأهل الطريق ؟ فقال له : بأن تزيل هذا اللثام وتذهب إلى السوق وتأتينا وعلى رأسك طبق من الطرف . وكان من الزعماء . فخرج عنهم وغاب ساعة فإذا به قد دخل عليهم وقد أزال اللثام عن فيه وعلى رأسه طبق من الطرف . فقال له الشيخ : قد لحقت بأهل الطريق وزال عنك الكبر . فنهض إلى سجلماسة وأقبل على العبادة إلى أن لحق بالله عز وجل :

صَبَرْتُ عَنِ ٱللَّذَّاتِ [لَمَّا][624] تَوَلَّتِ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي هَجْرَهَا [فَٱسْتَقَلَّتِ][625]
وَكَانَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ [صَبْرِي][626] عَلَى ٱلذلِّ ذَلَّتِ[627]

106 – ومنهم أبو الحسن علي
الصنهاجي الزاهد

من أهل تادلا . توجه إلى مكة . فتوفي بطرابلس [الغرب][628] . وكان

---

(623) س وبعض نسخ ف : باذان . وباران وباذّان من أسماء الأشخاص .
(624) أوردها في **طبقات الصوفية** ص 444 مع بعض الاختلاف . لما : حتّى
(625) **طبقات الصوفية** : فاستمرت .
(626) **طبقات الصوفية** : عزمي .
(627) من الطويل . وقد أورد بيتا ثالثا هو :
وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتَى فإن أُطعمت تاقت والا تسلّت
(628) م وس وق وز : المغرب

[غاية] [629] في الزهد والفضل . وكانت له خيمة من شجر يأوي فيها وما تزوج قط ولا تقبل من أحد شيئا . وكان يعيش من حفظ البساتين والحصاد وأنواع الخدمة . وكان قصيرا شديد الصفرة .

سمعت غير واحد ممن أدركه يقول : كنت ، إذا قمت بالليل ، أي ساعة كانت ، أراه منتصبا في مصلاه كأنه وتد مضروب في الأرض من طول القيام .

وحدثني أبو الحجاج يوسف بن [أبي] [630] موسَى قال : استأجر أبا الحسن رجل على حفظ بستانه . فجاء يوما صاحب البستان فقال له : جئني برمان طيب . فأتاه برمان حامض . فقال له : هذا الرمان حامض . فقال : لا أعرف منه الحلو من الحامض .

وحدثني عبد الله بن موسَى بن يَحيَى قال : حدثني أبي قال : كان أبو الحسن يجعل شعيره الذي يأكله في الشمس فيصيح به الصبيان : رمينا شعيرنا في شعيرك يا أبا الحسن ! فيقوم إلى شعيره فيطرحه في النهر ولا يأكله .

وحدثني أبي ، رحمه الله ، عن مخبر أخبره قال : كنت بمسجد تادلا [631] في عام جدب . ورأيت أبا الحسن يدور في المسجد خلف السواري . فصرت أختفي له ، كلما فتش سارية انتقل إلى أخرى وأنا أنتقل له من مكان إلى مكان . فلما ظن أنه لم يكن معه أحد في المسجد استقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال : قنطنا يا رب ، قنطنا يا رب ، قنطنا يا رب ، فأغثنا ! فوالله ما أكمل كلامه حتَّى سمعت وقع القطر وامطرت السماء مطرا وابلا .

---

(629) ح وم : نهاية .

(630) س : يوسف بن أبي موسَى ، وهو غلط .

(631) كانت بمنطقة تادلا عدة مراكز عمرانية ذكرت في بعضها مساجد ، هي داي وتاكرارت وتاكزورارت التي ذكرها **البيذق** (ص 130 من طبعة بروفنسال) ورجح المحقق أن تكون هي قصبة تادلا الحالية ، ونرجح أنها تَاكْرِيْرْتْ . وقد ذكر صاحب **الاستبصار** (ص 200) مدينة تادلا التي فيها بنَى اللمتون حصنا عظيما وبها جامع . والغالب على الظن أن مسجد تادلا المذكور هنا هو مسجد تاكريرت وليس مسجد داي لأن المؤلف يذكر هذه الأخيرة باسمها مرارا .

ظَمِئْنَا وَلاَ جَاهٌ لَدَيْنَا فَنَتَّقِي
وَأَنَّى لِمَنْ يَعْصِيكَ يَا رَبِّ بِالنُّطْقِ(632)
وَقُمْنَا بِبَابِ الْجُودِ نَلْتَمِسُ الرِّضَى
عَلَى هَنَةٍ مِنَّا وَبُعْدٍ مِنَ الصِّدْقِ
مَدَدْنَا أَكُفّاً دَنَّسَتْهَا ذُنُوبُنَا
وَلاَ عَمَلٌ يُبْقِي وَلاَ تَوْبَةٌ تُنْقِي
وَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْجِدِّ بِالسَّبْقِ دُونَنَا
لَدَيْكَ وَلَمْ نَمْلِكْ سِوَى حَسْرَةِ السَّبْقِ
فَلاَ زَهْرَةٌ فِي الأَرْضِ تُبْدِي تَبَسُّماً
وَلاَ رَنَّةٌ فِي نَفْحَةِ الْفَجْرِ لِلْوُرْقِ
جَنَيْنَا بِمَا نَجْنِي عَلَى الْوَحْشِ فِي الْفَلاَ
فَأَضْحَتْ ظِمَاءً تَشْتَكِي أَعْوَزَ الطُّرْقِ
وَإِنَّا لَنَرْجُو مِنْكَ يَا رَبِّ رَحْمَةً
عَلَى عَادَةِ الإِحْسَانِ عِنْدَكَ وَالرِّفْقِ
أَسَأْنَا عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّكَ مُحْسِنٌ
وَهَلْ خَابَ عَبْدٌ لاَذَ بِالْمُحْسِنِ الْحَقِّ
ضِعَافٌ أَطَافُوا بِالْقَوِيِّ تَذَلُّلاً
وَقَدْ بَخِلَتْ دُهْمُ الْغَمَائِمِ بِالْوَدْقِ
فَلاَ مَنْطِقٌ لِلرَّعْدِ يَشْفِي سَمَاعُهُ
وَلاَ لَمْحَةٌ تَكْفِي الْجُفُونَ مِنَ الْبَرْقِ
عَبِيدٌ أُصِيبُوا فَاسْتَغَاثُوا بِسَيِّدٍ
وَقَدْ يَعْطِفُ الْمَوْلَى على الْعَبْدِ فِي الرِّقِّ
إِذَا الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ أَغْلَقَ بَابَهُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي تَدْعُوهُ أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ

حدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني داود بن محمد قال : خرجت في

(632) من الطويل .

[الغبش][633] إلى البساتين . فسمعت رجلا يقول : من يخدم اليوم في قلع الحناء . فرأيت رجلا قصيرا عليه برنوس أسود . قد بادر إليه . فتكلم معه ساعة . ثم انصرف عنه . فتقدمت إليه فإذا هو أبو الحسن الصنهاجي . فقلت له : رأيتك بادرت إلى هذا الرجل لتخدم عنده ثم انصرفت عنه . قال : قلت له : لمن هذه الحناء التي تستأجر على قلعها ؟ فقال : هي لأبي محمد عبد الله بن داود الجراوي . فكرهت الخدمة عنده لما في مكسبه .

وحدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني محمد بن إبراهيم قال : دفع لي أبو الحسن درهما وقال لي : اذهب إلى أبي بكر بن أيوب وقل له : زن هذا الدرهم وخذه وزن قيراطين وخذهما منه . فأتيت أبا بكر بن أيوب وكان عليه الزحام . فأخبرته بما قال لي أبو الحسن . فترك الناس فوزن الدرهم وأخذه ووزن قيراطين ودفعها إلي فأتيت بهما أبا الحسن . فأخذهما ثم نظر إلى حانوت أبي بكر وقال لي : رد إليه قيراطيه وجئني بدرهمي . فرددت إلى أبي بكر قيراطيه ودفع لي درهما . فلما أتيت به أبا الحسن فقال لي : سله هل هو درهمي بعينه أم غيره . فسألت أبا بكر . فقال لي : رميته في الدراهم فلا أدري هل هو درهمه أم لا . فأخبرت أبا الحسن فقال لي : اترك عنده الدرهم والقيراطين . فلما ولى تبعته وقلت له : سألتك بالله العظيم الا أخبرتني عن سبب فعلك . فأبى أن يخبرني . فألححت عليه . فقال : لما أتيتني من عند أبي بكر بالقيراطين نظرت إلى حانوته فرأيت عبد فلان واقفا عليه مع الناس . فكرهت مصارفته خوفاً من أن يكون عامل عبد ذلك الإنسان . وكان سيد ذلك العبد ممن لا يرتضى مكسبه . قال ناقل الحكاية : وما كان اشترى هذا العبد من أبي بكر شيئا وإنما كان واقفا مع جملة المشترين .

107 – ومنهم أبو عبد الله الصوفي

ويقال أبو محمد ولا أحقق كنيته . وكان هذا الصوفي [بسويقة لبيب][634] وأنا أشك هل كان عطارا أو خياطا وكان عبدا صالحاً من كبار الأولياء .

---

(633) ح : الغلس

(634) لعلها كانت في الحي الذي به فندق لبيب .

سمعت أبا عبد الله محمد [بن يحيى] بن تميم[635] يقول : كان هذا الصوفي من أعاجيب الزمان ، حضرت معه جنازة أبي ابراهيم السفاج . فكان إلى جنبي . فجلسنا ننتظر طلوع الشمس لنصلي على أبي إبراهيم . فقلت في نفسي : لو حضر من يذكرنا قدر ما يحين وقت الصلاة . فرفع إلي الصوفي رأسه وقال لي : يا أبا عبد الله ، من الناس من لو احترق نصفه لم يتعظ النصف الثاني .

وحدثني محمد بن يحيى قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن تميم يقول : نمت ليلة . فرأيت في منامي أني مررت إلى قرية [تاقايط][636] لزيارة أبي لقمان . فطلبته بداره ، فلم أجده . فسألت عنه . فقيل لي انه في جنته . فطلبته في الجنة فوجدته قاعدا تحت شجرة . فلما أصبحت عزمت على زيارة أبي لقمان . فصليت الصبح في المسجد وخرجت منه فإذا أنا بالصوفي عند باب المسجد ومعه حمار . فقال : اركب هذا الحمار لأذهب معك إلى أبي لقمان . فركبت وتبعني إلى أن وصلت قرية [تاقايط][637] . فطلبنا الشيخ بداره . فقيل لنا : اطلبوه في جنته . فلما دخلنا جنته رأيناه قاعدا تحت شجرة . فقال لي الصوفي : انظره تحت الشجرة التي رأيته تحتها البارحة . فعلمت أنه كوشف بالرؤيا التي رأيتها في منامي وملئت عجبا من أمره .

108 – ومنهم أبو زيد عبد الحليم ابن تُونَارْتْ الأيلاني[638]

من أهل قرية تَامَنْصُورتْ[639] من بلاد ايلان من عمل مراكش . كان نهاية في الفضل والخوف من الله تعالى . وكان أبو شعيب أيوب السارية ، إذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول له : أتزورني وعندكم أبو زيد ! وكان أبو زيد ، إذا

---

(635) كذا في م وس ، والصحيح : محمد بن تميم وهو المترجم (218) . أما محمد بن يحيى فهو ابن علي ، شخص آخر من مخبري المؤلف .
(636) راجع الهامش 550 قبله ، وقد ذكر من قبل أنها مدينة من عمل مراكش .
(637) انظر الهامش قبله .
(638) نقل هذه الترجمة في **الإعلام** : 8 : 35 .
(639) ماتزال فرقة أيت منصور في أرض ايلان القديمة قرب مراكش غير بعيد عن باب ايلان في الطريق إلى أيت أورير ، وتامَنْصورتْ معناها المنصورية .

لَقِيَ امرأة في طريق يرد وجهه إلى الحائط حتّى تبعد منه .

سمعت أبا اسحاق إبراهيم بن موسَى الهزرجي يقول : حدثني أبو محمد عبد الله بن عثمان يقول : ذهبت إلى زيارة أبي زيد ومعي [يرزجان][640] الزائر وأوصيت يرزجان ألا يتكلم بمحضر أبي زيد بشيء [يثير][641] به عليه [شيئا][642] فخرجنا نمشي معه في المزارع وقد تقدم عام جدب وأخصب العام الذي بعده والأرض قد أقبلت بركاتها فدخلنا في فدان لأبي زيد قد آن حصاده . فقال يرزجان : [أمَّا][643] من كان له مثل هذا الفدان فكأن القمح حاصل في غرفته ! فحرك هذا الكلام أبا زيد . فقال : وماذا يسر الإنسان من أمر دنياه ؟ وانما ينبغي له أن يغتبط بإصلاح أحواله مع الله تعالى . ثم غشي عليه . فقلت ليرزجان : قتلت الرجل . يا عبد الله ! ألم أقل لك : لا تتكلم بشيء تثير به عليك شيئا ؟ فأقام مغشيا عليه والعرق يسيل منه . ثم نضحت وجهه بالماء فأفاق بعد حين .

109 — ومنهم أبو موسَى الفشتالي[644]

وكان يظهر ببلاد تادلا ولم يكن له مأوَى يأوي إليه الا ظلال الأشجار والجدر والمساجد والشواهق وبطون الأودية وكانت عنده مخلاة فيها كتب يعلقها في عنقه . فإذا خلا بنفسه يخرج منها كتابا يقرأه . سمعت يوسف بن موسَى يقول : مر أبو موسَى بقوم يتحدثون فقالوا له : اقعد معنا . يا أبا موسَى . فقال لهم : ان في

---

(640) س : ويرزجان . وإيرْزْكانْ : سعود . أما ويرزكان فهو : ذو السعود ويطلق في نفس المعنَى اسم : ويسَاعْدَنْ إلى اليوم .
(641) م . ح . س . ز : يشير
(642) سقط من ف .
(643) زيادة في ح وم وس .
(644) بطرة غ : «مشهور بفشتالة» . وقد وقفت على قصبة فشتالة الباقية من هذا القبيل المندثر في سهل تادلا وهم إيفْشْتَالَنْ الذين ينتسب إليهم غير واحد من الاعلام منهم الأديب الكاتب المؤرخ عبد العزيز الفشتالي . والقصبة المذكورة توجد بين بني ملال الحالية وبين تاكْزِيرْتْ ، وهي معلقة في وسط جرف منيع ، لذلك بنيت بها القلعة المخزنية المعروفة بتَاقَازَارْتْ ، ومازال بها أسوار قلعة تُنسب للسلطان المولى سليمان . وفي أسفل القرية ضريح عتيق يسمونه جامع سيدي أحمد أو موسى ، ولعله قبر أبي موسَى الفشتالي .

عَلاتي شاغلا يشغلني عن الحديث معكم فإن الأمر جد ليس بالهزل .

وحدثني أبو الحجاج يوسف بن موسَى قال : سمعت علي بن داود يقول : رأيت أبا موسَى الفشتالي بمسجد قرية البطم[645] من بلد [دخسالة][646] في صلاة المغرب . فلما صلَّى انتظرته ان ينتفل من صلاته . فشرع في التنفل إلى أن صلَّى العتمة . فتقدمت اليه وجعلت يدي في [يديه][647] وقلت له : قد ظفرت بك ولم أزل أنتظرك من صلاة المغرب إلا الآن فاذهب معي إلى المنزل لتبيت عندي الليلة . فقال لي : انظر في أمر ثورك الذي افترسه الأسد في موضع كذا . فأرسلت يدي من ثوبه وبادرت إلى الدار . فطلبت الثور فلم أجده . فأمرت عبيدي أن يتبعوني وتقدمت إلى المكان الذي سماه لي فوجدت الثور قد افترسه الأسد وعلمت أنه كوشف بذلك .

110 – ومنهم أبو عبد العزيز الركوني[648]

من أهل [تافغلداشت][649] . شيخ أبي مهدي الدغوغي ، وكان من كبار المشايخ .

حدثني موسَى بن عمران [البرصجي][650] عن أبي يخلوفن بن [يرزيكن][651] الأسود تلميذ أبي مهدي قال : زرت أنا وأبو مهدي أبا عبد العزيز . فقال له : يا وين السلامة . ألم أقل لك جئني بالكتب ؟ فقال له : سأذهب إليها إن شاء الله . فغاب عني أبو مهدي ثلاثة أيام . ثم ظهر . فبقيت مدة

---

(645) لم نستطع معرفة موقع هذه القرية . وهي ترجمة قرية إيكَّ . راجع الهامش 126 .

(646) نرجح أن تكون هي ادخسان ، ولربما كانت تُنطق : إدخسالن . وادخسان . بتادلا . راجع : الزياني : **الترجمانة الكبرى** ، ص 67 ، و Massignon, le Maroc..., p. 209

(647) م . س : ووضعت يدي في ثوبه .

(648) في طرة غ : صاحب الفائجة بيلاد أحمر .

(649) تافَغْلْدَاشْتْ . لم نعثر على موقعها . راجع معناها في الهامش 370 أعلاه . وفي بعض النسخ : تافغنداشت . بإبدال اللام نونا وهو وارد .

(650) في وبعض نسخ ف : البرصجي . والراجح أنها : الإبْرِصكي بإشمام الصاد زايا .

(651) إيرْزِيكَنْ . وقد ضبطناه وذكرنا معناه من قبل .

ثم قلت له : ما فعلت بالكتب التي أمرك الشيخ أن تأتيه بها ؟ فقال لي : قد أتيته بها . فقلت له : من أين ؟ فقال : من جزيرة الأندلس .

وحدثني أبو عمران موسى بن عمران قال : حدثني [عثمان][652] بن سعيد قال : سمعت أبا مهدي يقول : أول ما ظهر لي من بركة أبي عبد العزيز في ابتداء أمري أني صليت معه المغرب والعشاء الآخرة . فخلوت بنفسي وشرعت في صلاة وردي فصليت ركعتين فأتاني آت وقال لي : يا وين السلامة ، اتبعني . فلم أدر أجني هو أم انسي . فاتبعته وأنا أمشي خلفه إلى أن قال لي : هذه أغمات وريكة . ثم كلما مررت ببلد سماه لي . فكأني كنت في المنام إلى أن قال لي : هذه الكعبة المشرفة . فشاهدتها على الصفة التي يصفها الناس ورأيت الناس يطوفون بها ولمست الحجر الأسود بيدي وشربت من ماء زمزم . ثم قال لي ذلك الآتي الذي أتاني : ارجع بنا . فتحول وتبعته ولا أدري حيث يسير إلى أن أوصلني المكان الذي كنت أصلي فيه وردي . فسمعت نداء الصبح . فذهبت إلى أبي عبد العزيز وصليت معه الصبح . فلما صلينا قال لي : رأيت الكعبة . يا وين السلامة ، تحفظ من الشيطان لا يغرنك .

111 – ومنهم أبو مهدي وين [السلامة][653] ابن جَلّداسْن[654] من أهل أَسْكَطّاي[655]

من بلد بني دغوغ ، من دكالة . مات في حدود الستين وخمسمائة وكان من الأفراد وانتهى إلى مقام لا يبلغه إلا آحاد الأولياء .

سمعت داود بن عبد الخالق يقول : سمعت أخي عمر يقول : سمعت أبا مهدي يقول : لا تكتموا عن إخوانكم ما تشاهدونه من الكرامات وحدثوهم بها فتحببوا لهم طاعة الله تعالى .

---

(652) ح : موسى .
(653) م : السَّلاَمْت ، وهو نطقها الأمازيغي .
(654) كَلِّيدَاسْنْ ، تقدم ضبطه وبيان معناه .
(655) أَسْكَطَّايْ ، ولعل معناه التل العاري من النبات كالرأس العاري من الشعر وهو أسكطاي .

وحدثني موسَى بن عمران المعلم [عن][656] عثمان بن سعيد قال : سألت أبا مهدي عن المشي على الماء . فقال لي : هو حق ولا يمس الماء من القدم إلا باطنه .

وحدثني داود بن عبد الخالق قال : حدثني صالح بن إبراهيم قال : سرت إلى أبي تاتو[657] مرة لأزوره . فرأيت في الفحص قوس قزح وطرفه بدار أبي تاتو . فرأيت رجلا في الهواء ينزل من قوس قزح كما ينزل الإنسان على الدرج إلى أن نزل بدار أبي تاتو . فلما وصلت إلى أبي تاتو فرح بي وقال لي : لو أسرعت لأدركت أبا مهدي فإنه خرج من عندي الآن .

وحدثني داود بن عبد الخالق قال : سمعت أخي عمر يقول : سمعت أبا المهدي يقول : كنت أسير إلى أن أبصرت سحابة . فخفت أن تمطرني وأبصرت حائطا فأسرعت إليه لاستتر به عن المطر . فأحسست بشيء رفعني في الهواء حتَّى أنزلني على الحائط . فوقعت قاعدا على مرفقي . فاستويت قاعدا على الحائط ولم تمطرني السحابة وصبت السحابة تحتي على الأرض .

قال داود : وحدثني أبو محمد تَيلَّجي بن موسَى قال : كنت أعظ الناس على منبر شاكر[658] وأغطي بطرف برنوسي أبا مهدي من البرد ولا أراه هنالك . وكان لي أصحاب من بني ماجر[659] أزورهم ويزورني . فحدثوا عن أبي مهدي أنه يخترق الهواء وأنه سخر له ، وذكروا عنه العجائب . فنهضت إليه . فلما قربت من منزله خرج الي . فسلمت عليه فقال لي : انهض معي إلى المنزل . فقلت له : أريد أن أتحدث معك هنا . [وكان للحمارة التي ركبتها فلو][660] ، فتَى انطلقت نزعت إليه ، فنزلت عن الحمارة وأمسكت يدها بيدي . فقال لي : أرسل يدك منها . فقلت

(656) ف : بن ، وهو غلط .
(657) ذكر صاحب **القرطاس** (ص 295) ابن أبي طاطوس من أهل فاس ، وذكرناه للاستئناس بالاسم فقط .
(658) يقصد منبر رباط شاكر . راجع الهامش 64 في القسم الوارد قبل التراجم من هذا الكتاب .
(659) ماكُرْ . راجع الهامش 23 في القسم الوارد قبل التراجم . وبنو ماكُرْ من دكالة في طرفها الجنوبي .
(660) ف : وكان للحمارة التي ركبت عليها فلو .

له : أخاف أن تذهب إلى قلوها . فقال لي : إنها لا تذهب . فأرسلت يدي منها . فوقفت .

فقلت له : يا أبا مهدي . سمعت المريدين يتحدثون عنك بالعجائب . فطأطأ رأسه حياء . فقلت له : أما تخاف من السلطان إذا بلغه ما يذكر عنك ؟ فرفع الي رأسه وقال لي : ما ينبغي أن يُخاف إلا من الله تعالى . فقمت اليه وقبلت رأسه وانصرفت عنه .

وحدثني داود بن عبد الخالق قال : حدثني غير واحد عن جار لأبي مهدي قال : أصابنا جدب شديد . فاحتجنا إلى استخراج أصول النبات التي نأكلها في أعوام المجاعة . فقلت لأبي مهدي : اذهب بنا إلى موضع كذا . فإن فيه الماء لنشرب منه ونتوضأ . فقال لي أبو مهدي : بل نذهب إلى موضع كذا ! وهو قفر بعيد عن الناس . لا ماء فيه . فقلت له : ومن أين نجد الماء ؟ فقال لي أبو مهدي : سيفتح الله في الماء لنا ولا يتركنا . فذهبنا إلى الموضع الذي ذكره أبو مهدي . فحفرنا إلى وقت الزوال . فقال لي أبو مهدي : اذهب بنا لنتوضأ . فأخذ ركوته وتبعته . فجاء إلى الحجارة التي تجمع في الفدادين حتّى صارت كالكدية وجعل ينفضها حجرا حجرا إلى أن وصلنا صخرة كالصحفة وفيها ماء بارد عذب طيب . فملأ الركوة وناولني . فشربت وتوضأنا ورد عليها الحجارة كما كانت . ثم اني ذهبت يوما آخر إلى ذلك المكان وحدي فحفرت فيه . فلما كان وقت الصلاة . ذهبت إلى الكدية لأشرب من ذلك الماء وأتوضأ منه . فنفضتها . فلم أجد فيها ماء قليلا ولا كثيرا . فعلمت أنها كرامة لأبي مهدي .

وحدثني داود بن عبد الخالق قال : حدثني وين الخير قال : كنت بمسجد أبي مهدي أدرس فيه القرآن . فكان يقعد عندي ويدلني على طريق الآخرة . فجاءه ليلة بعض إخوانه . فلما صلينا العتمة تأخرا في المسجد إلى أن انصرف الناس . فخرجا من أحد أبواب المسجد . فشدا على أنفسهما أثوابهما وتحزما تحزم الأجراء للخدمة وتلثما . فرأيتهما وثبا من الأرض كهيئة الغرانيق الثقيلة تطير على وجه الأرض . وما زالا يعلوان في الهواء حتّى غابا عني . فانكسرت انكسارا عظيما ونالتني حسرة القصور عن أحوال الرجال وتكاسلت عن القراءة وبقيت مفكرا طول ليلتي . فلما كان وقت صلاة الصبح . صلّى معنا أبو مهدي مع صاحبه صلاة الصبح . ثم

جاءني وقعد عندي على عادته . فرآني منكسرا متكاسلا عن القراءة . فقال لي : ما لك لا تقرأ ؟ فسكت . فقال لي : لعلك رأيتنا البارحة . فهملت عيناي بالدموع . فقلت له : رأيتكما وأريد أن أصحبكما إذا ذهبتما . فقال لي : يا بني ، ان الفرخ إذا نبت زغبه لم يطر مع الطيور حتّى يكمل نبات ريشه .

فلما كان ذات ليلة ، قال لي : اذهب إلى فلان بمسجد تاتوريت[661] وهو ببلد بني سمائل[662] فقل له أن يأتيني لأصلي معه الصبحَ الآن . وبينهما مسيرة يومين وقد قرب طلوع الفجر . قال : فقلت في نفسي : كيف يمكن هذا ؟ ثم تذكرت أحواله . فمشيت وتبعني وودعني ورجع . فمشيت قليلا وأدركني شبه السنة . فما شعرت إلا وأنا أعاين مسجد تاتوريت . فخرج إلي منه رجل وقال لي : بعثك إلي الشيخ أبو مهدي ؟ فقلت له : نعم . وأمرني أن أعلمك أن تصلي الآن معه بمسجده صلاة الصبح . فقال لي : تقدم إليه . ودار حوالي المسجد وغاب عني وانقلبت راجعا . فأصابني أيضا شبه السنة فإذا أنا على قرب من مسجد أبي مهدي . فدخلت المسجد ، فوجدت أبا مهدي وصاحبه في المسجد يتحدثان وقد صليا صلاة الصبح . فصليت وظننت أني قد لحقت بالشيخ . فأتيته . فقال لي : يا بني ، أرأيت بعض ما يراه الرجال ؟ فقلت له : يا سيدي وعسَى أن أصحبك في مسيرك إذا سرت إلى مكان . فقال لي : يا بني إذا طار الطائر الصغير قبل استكمال نبات ريشه مع الطائر الوافر الريش فإنما يصير ميلين ويسقط في القفر فتلتقطه الرعيان . وإن الرجال ليصلون إلى مواضع لو طارت الطيور إلى أن يسقط ريشها وينبت لها ريش آخر فطارت حتّى يسقط وينبت لها ريش آخر ما وصلتها . ويصلها عباد الله في طرفة عين .

---

(661) تاتُورِيتْ . ومعناها : الثريا . تقع هذه البلدة في بلد دكالة على ساحل المحيط جنوبي تيط (مولاي عبد الله) وردت في الخرائط القطالونية واعتمدها **ماسينيون** في خريطة دكالة في ص 203 من كتابه عن المغرب في أوائل القرن السادس عشر استنادا لوصف افريقيا للوزان .

(662) في **بهجة الناظرين** (ص 45) أن تاتوريت على شاطئْ بني سيكْتي ، ولعلهم من بني سمائل .

وَٱلَّذِي بِٱلْبُعْدِ وَٱلْبَيْنِ رَمَانِي
مَا تَذَكَّرْتُ ٱلْحِمَى إِلاَّ شَجَانِي (663)
حَبَّذَا أَهْلُ ٱلْحِمَى مِنْ سَاكِنٍ
شَفَّنِي ٱلشَّوْقُ إِلَيْهِمْ وَبَرَانِي
كُلَّمَا رُمْتُ سُلُوّاً عَنْهُمُ
جَذَبَ ٱلشَّوْقُ إِلَيْهِمْ بِعِنَانِي
أَحْسُدُ ٱلطَّيْرَ إِذَا طَارَتْ إِلَى
أَرْضِهِمْ أَوْ أَقْلَعَتْ لِلطَّيَرَانِ
أَتَمَنَّى أَنَّنِي أَصْحَبُهَا
نَحْوَكُمْ لَوْ أَنَّنِي أُعْطَى ٱلأَمَانِي
لاَ تَزِيدُونِي غَرَاماً بَعْدَكُمْ
حَلَّ بِي مِنْ بُعْدِكُمْ مَا قَدْ كَفَانِي
ذَهَبَ ٱلْعُمْرُ وَلَمْ أَحْظَ بِكُمْ
وَتَقَضَّى فِي تَمَنِّيكُمْ زَمَانِي
يَا خَلِيلَيَّ ٱحْفَظَا ٱلْعَهْدَ ٱلَّذِي
كُنْتُمَا قَبْلَ ٱلنَّوَى عَاهَدْتُمَانِي
وَٱذْكُرَانِي مِثْلَ ذِكْرِي لَكُمَا
فَمِنَ ٱلإِنْصَافِ أَلاَّ تَنْسَيَانِي
وَٱسْأَلاَ مَنْ أَنَا أَهْوَاهُ عَلَى
أَيِّ جُرْمٍ صَدَّ عَنِّي وَجَفَانِي

112 — ومنهم شابة مجهولة

سمعت داود بن عبد الخالق يقول : سمعت غير واحد من أصحاب [الفقيه](664) يغمور بن خالد يقول : جاءني أبو مهدي ، فقال لي : اذهب معي

(663) من الرمل . وردت في المدهش (ص 206) دون نسبة .
(664) زيادة في م وز .

إلى زيارة شابة هسكورية لم تبلغ الحلم وهي من الأولياء . فذهبنا إلى كهف بجبل درن . فوجدناها قد انقطعت عن الناس . فخاضت معي في علوم لا أعرفها . وكانت مريضة فانصرفنا عنها . ثم مررنا يوما آخر لنزورها . فلما قربنا من الكهف الذي كانت فيه . قال لي أبو مهدي : إن تلك الشابة في النزع . فرأيت نورا يسطع من الكهف الذي كانت فيه . فدخلنا عليها فوجدناها تجود بنفسها . ثم قالت لأبي مهدي : إذا أنا مت فاسترني بهذا الثوب الخلق الذي علي واذهب إلى أبوي بموضع كذا واقرأ عليهما السلام واعلمهما بالحال . ففعلنا ما أمرتنا به . ولما خرجنا من الكهف . رأيناها تحمل في الهواء . ثم سألنا عن اسم أبويها وأتيناهما . فلما دخلنا عليهما قالت لنا أمها : أظنكما قريبي العهد بابنتي ! فأعلمناها بوفاتها وعزيناهما وانصرفنا .

113 – ومنهم أبو عبد الله مالك بن مروان اللَّجوسي [الضرير][665]

من أهل تيفكنط[666] من بلد ايلان . مات بتاصرداخت[667] من بلد صودة[668] عام أحد وثمانين وخمسمائة . قدم مراكش وأخذ عن أبي الحجاج يوسف بن موسَى الكلبي الضرير والإمام أبي بكر بن العربي وكان عبدا صالحا عالما عاملا .

---

(665) زيادة في م . والنسبة : اللكُّوسي .

(666) تيفكْنَطْ . لم نعثر على موقعها .

(667) تاصْرْدَّ اخْتْ . باشمام الصاد زايا (تَازْرْدَّ اخْتْ) : مجموعة قرى على الطريق المعبدة اليوم بين مجاط وكَمَّاسَة بدائرة شيشاوة من حوز مراكش .

(668) صُودَة . باشمام الصاد زايا . ولعلها كانت تنطق بفتح الزاي وسكون الواو : زَوْضَة . ويُنسب إليها الصُّودي أو الصَّوْدي (بنطق الصاد زايا) . وأصلها أَزْوضَنْ ومفردها أَزْوضْ . وتُعرف الفرقة الباقية اليوم من القبيلة باسم : مْزوضَة ، وكانت على عهد الموحدين تسكن مقدمات جبال الأطلس وعند قدمه في منطقة مزوضة اليوم وكانت منها فرق عديدة ذكرها البيذق في أخبار المهدي وفي المقتبس من كتاب الأنساب ولم يبق معروفا منها سوى كَاسة (أَيْتْ أُوكَمَّاس) وفروكَة (إيفروكَنْ) . راجع المصدرين المذكورين وكذا :

Berque (J.) – « Les Mezîda » (Style historique d'une tribu marocaine), in « La Rrevue historique », octobre – décembre 1955, pp. 222-244.

أخبرني بعض تلامذته مكاتبة قال : قعد الفقيه أبو عبد الله يوما في المسجد . فدخل عليه رجل . فقال له أبو عبد الله : يا هذا ، تدخل المسجد وأنت جنب ! فاستحيي الرجل وخرج من المسجد .

114 – ومنهم أبو محمد [يرْزْجان](669) ابن محمد الجزولي(670)

قدم مراكش وكان عالما عاملا فاضلا ، رحل إلى المشرق وكان ضريرا وصحب الإمام أبا بكر بن العربي وكان بصيرا بمذهب مالك بن أنس . وأخذ عنه أبو عبد الله محمد بن ياسين فقيه المصامدة الآن ومات أبو محمد بقرية [ومامة](671) من بلد رجراجة وكان أبو محمد مجاب الدعوة .

وأخبرني مخبر عنه أنه سمع برجل أضر بجيرانه فدعا الله تعالى عليه فحمل الرجل ميتا .

وأخبرني الثقة عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن ياسين قال : ما أتيت قط إلى أبي محمد [يرزجان](672) إلا وأدبني بضرب من الأدب . فتحفظت يوما وأتيت

(669) إيرْزْكَانْ ، ومعناه : السعود .

(670) الجزولي هو الكُوزُولي نسبة إلى جزولة وهو تعريب إيكُوزُولْنْ . قبيلة كبيرة شهيرة في سوس . وقد تشمل معظمه حسبا تبناه العلامة محمد المختار السوسي في اصطلاح كتابه **خلال جزولة** ولاسيا السفح الشمالي للأطلس الصغير جنوبي وادي سوس وبقي منها بالاسم جزء في أعلى وادي تيفْنُوتْ مما يجاور سكتانة ، واليهم يُنسب أبو موسَى الكُزولي النحوي اللغوي صاحب **الكراسة** في النحو . وقد أنفقت الدول الوسطوية هذا القبيل وتسربت منه فرق إلى المناطق الواقعة شمالي جبال الأطلس ومن بينهم أولئك الذين نزحوا عند كَنْفِيسة في جبال المصامدة على عهد الموحدين (البيذق : **المقتبس من كتاب الأنساب** ، ص . 43) . ومنهم فرقة أخرى بين حاحا وهزميرة . قرب الصويرة .

(671) ح وبعض نسخ ف : رْمَاسْتْ . وهو الصحيح . ورد ذكرها في **دعامة اليقين** ص 108 ، وفي **مجمع الأسماع** ص 10 . وفي **الإعلام** (10 : 226) . وجاء في إحدَى نسخ ف : مَطْرُويْزَانْ وهو الاسم الحالي للقرية المذكورة ، وهي على الحدود بين الشياظمة وموطن أولاد أبي السباع . وانظر معنًى أرماس عند **إيميل لاوست** ، المادة 355 .

(672) م ، س : ويزجان ، والصحيح إرزْكان كما ذكرنا أعلاه .

إليه . فسلمت عليه وقعدت . فقال لي : استقبل بوجهك القبلة إذا قعدت .

115 – ومنهم أبو عصفور يعلى ابن وينْ يُوفَن[673] الأجذم

تلميذ أبي يعزّى . أصله من مكناسة نزل حارة الجذماء[674] خارج حضرة مراكش وبها مات عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة وكان عبدا صالحا .

سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد الزناتي قال : حدثني علي بن يَحيَى قال : ذهبت أنا والشيخ أبو عصفور في جماعة إلى عيسَى بن عبد الله الايلاني ببلد ايلان . فنزلنا عنده وكان عنده عنب كثير نشاهده . فلم يقدم لنا منه شيئا . فقال بعضنا لبعض : هلا قدم لنا شيئا من هذا العنب ؟ قال أبو عصفور : لعل الله تعالى حاكم عنه . فلما قضينا الأمر الذي وصلنا فيه اليه انصرفنا نسير إلى أن وصلنا أرضا مقفرة . فقال لي أبو عصفور : اذهب إلى مكان كذا وكذا وما وجدت فيه فأتني به . فذهبت إلى ذلك المكان . فوجدت به عنبا مجموعا وليس بمكان عنب . فأتيته به وأكلنا منه حتَّى شبعنا وتركنا منه كثيرا . قال محمد بن أحمد : وكان أبو عصفور حاضرا يسمع كلام علي بن يحيي . وأبو عصفور يقول : لا تحدث بذلك . وعلي يقول : والله لاحدثن به : «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» ...[675] ولم يقطع الحديث حتَّى استوفاه .

116 – ومنهم أبو الحسن علي ابن زكرياء الأسود

من أهل [ايفرجان][676] من بلد تادلا . وكان عبدا صالحا يكثر الجلوس في المقابر ويعيش من عمل الأطباق .

---

(673) بن وِين يُوفَنْ . وين : معناه : أهل لـ : ويُوفَنْ معناه الأحسنون وإذا كانت فاؤه فوقها فتح ونونه بسكون وشد فإن معنى وين يُوفَنْ هو : ابن واجد . .

(674) كانت قبلي المدينة حيث يوجد حي سيدي يوسف بن علي حاليا .

(675) سورة الضحَى : 11

(676) إيفَرْگان ، جمع إفريكْ ، وهو السياج الذي يوضع على البستان .

وحدثني غير واحد قال : زار بعض الولاة بتادلا أبا الحسن . فقال لأبي الحسن : تمن علي . فقال له : أتمنّى عليك الجنة . فقال له الوالي : ليس لي ذلك . فقال له أبو الحسن : ما عندي شيء أتمناه سوَى الجنة . فإذا لم تكن عندك . فليس عندك . إذاً . ما أتمناه .

117 – ومنهم أبو تميم عبد الواحد الأسود

تلميذ أبي يعزى ، انفرد بموضع على أميال من مكناسة(677) وبنَى فيه مسجدا . فلما مات دفن في رحبة ذلك المسجد . وكان عبدا صالحا .

سمعت عمر بن عبد الله(678) يقول : سألت علي بن عبد الكريم عن أعجب ما رآه من كرامات [الأولياء](679) . فقال لي : كانت لي أخت . فظهرت لمعة برص بوجهها . فأعددت لعلاجها مائة دينار وحملتها إلى ابن افلاطون(680) بفاس . فما نجع فيها دواؤه . فرجعت إلى مكناسة [وأخبرت بأبي تميم . فذهبت اليه أزوره](681) . فلما دخلت عليه قال لي : ذهبت إلى الأطباء بفاس وحقرت عبدك ولم يساو عندك شيئا . فخجلت من كلامه وبت عنده . فلما صلينا الصبح قعدنا في مصلانا . فجاءت إليه أختي . فسلمت عليه . وقعدت أمامه فجعل [يحدثها](682) ويمسح بريقه على موضع البرص من وجهها المرة بعد المرة . فأصابتني سنة وأنا قاعد . ثم انتبهت وأبو تميم مستند إلى الحائط وهو في الذكر فنظرت إلى وجه أختي . فلم أر فيه من البرص شيئا . فأشرت عليها أن تقوم فقامت وتبعتها فتناولت المرآة ونظرت فيها ، فلم تر للبرص أثرا .

---

(677) بطرة غ : «بجبل سلْفات من أزغار» .
(678) هو الشيخ الصالح أبو علي الصنهاجي من أهل تادلا نزل مراكش وكانت له صحبة مع عدد من صالحيا من أمثال أبي العباس الجبّاب .
(679) س : الصالحين .
(680) لم أقف له على ترجمة .
(681) م : ومررت بأبي تميم لأزوره .
(682) م . س . ز : يحدثنا .

118 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل الهواري[683]

من أهل أغمات وريكة . قدم مراكش متوجها إلى مكة . فمات بها قرب الزوال يوم السبتَ الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وثمانين وخمسمائة وكان عبدا صالحا على سنن أهل الفضل والدين ، نسخ كتاب **الإحياء** للغزالي فعمل به واستعمل ما فيه من الأذكار والأدعية والأوراد . فلم يخل بشيء من ذلك . وكان إذا صلى الصبح ، قعد في مصلاه إلى أن يصلي الضحَى ، فيصلي الضحَى إلى أن يتعالى النهار . ثم يصلي الظهر ، فلا يزال مصليا إلى أن يصلي العصر . ثم يقعد في المسجد إلى قرب غروب الشمس وما سكن قط بأغمات الا بالكراء ولا اتخذ به ضيعة . فقيل له في ذلك . فقال : أخاف أن [اكتسب][684] ملكا فاحتاج إلى مصانعة العمال .

وحدثني أبو بكر بن عبد الرحيم قال : سمعت أبا علي حسن بن عبد الله يقول : كان أبو عبد الله بن إسماعيل يصلي الضحَى بثمانية أحزاب من القرآن على الدوام ولا يخالف ذلك .

وحدثني أبو الحسن علي بن عيسَى قال : بعث القاضي أبو حفص بن عمر[685] إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل وكان صديقه . فلما وصل إليه قال له القاضي : بقيت ثلاثة أيام لم يطب لي فيها طعام . فقال له : ولم ذلك ؟ فقال له : لأن العامل كتب أحباس الجامع ليرفعها وأنا أرغبه ثلاثة أيام ألا يفعل . فلج في ذلك وكتبها في زمامه . فقال له أبو عبد الله : أنت تدافع عن الله تعالى من يحاربه وإنما

---

(683) نقل ترجمته صاحب **الإعلام** : 4 : 120

(684) س : أكسب .

(685) ولد في حدود سنة 530هـ ونشأ بأغمات وولي قضاءها وقضاء عدد من المدن في العدوتين لبني عبد المؤمن ، وتوفي بإشبيلية سنة 603هـ . راجع **أزهار الرياض** : 2 : 361 **وجذوة الاقتباس** : ص 433 **والإعلام** : 9 : 275 . وراجع : عبد الله كنون : **أبو حفص بن عمر** في ذكريات مشاهير رجال المغرب (30) وراجع المصادر التي ذكرها محقق **نفح الطيب** : 3 : 209 . **والوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى** : 1 : 168 .

ينبغي لك أن تنصر مخلوقا مثلك ، فإن الناقد بصير وهو يدافع عن بيته . ثم دعا على العامل . فأصابته ذبحة من ليلته . فأصبح ميتا وحمل إلى مراكش . فخرجت في السحر . فسمعت مولاته تقول : لقد كان علينا دخول أغمات مشؤوما ! وهي تنوح على مولاها .

قال أبو الحسن : وكان بأغمات رجل يتجسس على الناس في أملاكهم . فجاء الناس إلى أبي عبد الله وهو في المسجد . فشكوه إليه . فدعا عليه . فكث ثلاثة أيام . فبات ذلك الرجل المتجسس مع قوم . فذبحوه وأراحهم الله تعالى منه .

119 – ومنهم أبو عبد الله البَيْفي الكَمَّاد

من أهل سبتة وكان عبدا صالحا من أهل الفضل والدين . وكان أعرج لا يتصرف إلا بعصاه . فإذا جنه الليل وقام إلى ورده انتصب واقفا فلم يحتج إلى عصاه .

سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم البسطي يقول : كان أبو الصبر يقول : إنما هو أعرج في أمور الدنيا خاصة . وكان يحيي أكثر الليل صلاة .

إِذَا مَا اَللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وَهُمْ رُكُوعُ[686]
أَطَارَ اَلْخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا وَأَهْلُ اَلنَّوْمِ فِي اَلدُّنْيَا هُجُوعُ

سمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم بن محمد الأزدي يقول : كان أبو عبد الله البيفي يصنع طعاما كثيرا في يوم من العام ويجمع عليه المريدين ، وأكبر ظني أنه عاشوراء ، وكان لا يتركه ولو احتاج فيه إلى الدين . ثم صنع طعاما كثيرا في غير اليوم المعهود . فاستفهمه بعض أصحابه من خاصته عن ذلك فقال له : زوجت حوراء وهذا عرسها .

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ اَلْخَلِيطِ اَلْمُنْجِدِ وَالسَّعْيَ نَحْوَ اَلْغَانِيَاتِ اَلْخُرَّدِ[687]

(686) من الوافر

(687) من الكامل .

وَٱسْتَغْنِ عَنْ سُعْدَى وَسَلْمَى إِنَّمَا سُعْدَى وَسَلْمَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ
وَإِذَا سَكِرْتَ فَنَادِهِمْ مُتَقَهْقِراً يَا غَافِلِينَ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٱلسَّرْمَدِ
أَخْطَأْتُمُ وَجْهَ ٱلطَّرِيقِ فَكُلُّكُمْ حَيْرَانُ عَنْ مَقْصُودِهِ لاَ يَهْتَدِي
وَسَهِرْتُمُ عَنْ مِنَّةٍ مَخْبُوءَةٍ يَلْقَى مَكَارِمَهَا ٱلْمُوَفَّقُ بِٱلْغَدِ
كَمْ بَيْنَ لَذَّةِ سَاعَةٍ مَخْصُوصَةٍ وَنَعِيمِ دَارٍ لاَ يَبِيدُ مُؤَبَّدِ
فَٱشْدُدْ لِدَارِ ٱلْخُلْدِ رِحْلَةَ حَازِمٍ تَظْفَرْ بِهَا وَٱلْوَيْلُ إِنْ لَمْ تَشْدُدِ
بِٱلرُّشْدِ وَٱلتَّوْفِيقِ يَنْتَهِضُ ٱلْفَتَى لاَ يُنْقِذُ ٱلْأَعْمَى كَآخِذٍ بِٱلْيَدِ

120 – ومنهم أبو عبد الله التاوْدي المعلم [688]

من أهل فاس . ويقال أن اسم أبيه يعلى ويدعَى أيضا بأبي عبد الله الخياط . من أصحاب أبي يعزى . مات بفاس عام ثمانين وخمسمائة وكان من الأفراد . كان يعلم الصبيان . فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويردها على أولاد الفقراء . ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك ولا يأخذ على ذلك أجرا .

حدثني أبو علي حسن بن محمد بن الفتح الغافقي الصواف قال : سمعت الشيخ أبا مدين شعيب بن الحسين الأنصاري يقول : زار أبا عبد الله التاودي رجلان . فأبصرا بين يديه هرين صغيرين قد جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر . فقال : هكذا ينبغي أن تكون أخوة بني آدم . فضغ أبو عبد الله خبزا ورماه [إليهما] [689] . فوثب كل واحد منهما على الآخر . فقال لهما : هكذا كانت أخوة بني آدم حتى دخلت بينهم الدنيا . فلما دخلت بينهم أفسدت أخوتهم .

سمعت محمد بن محمد بن أبي القاسم يقول : سمعت أبا اسحاق [القفال] [690]

---

(688) راجع الجذوة : 185 والاستقصا : 2 : 188 وسلوة الأنفاس : 3 : 110 .
(689) ح : بينهما .
(690) س : البقال .

يقول : دخل أبو عبد الله التاودي بيته ليخرج منه شيئا . فوجد الهرة نائمة عليه . فكره أن يزيلها عنه وهي نائمة .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن أبي الفضل قال : حدثني بعض تلامذة أبي عبد الله قال : خرجت مع أبي عبد الله من فاس إلى بني تاودا[691] . فمشيت معه ساعة . فأخرج من تحته أرنبا . فقال لها : اذهبي حيث شئت . فقد أمنت . فقال لي : إن كلاب الصيادين ألجأتها إلي فسترتها بثوبي إلى أن بعدت عن الصيادين .

وحدثني محمد بن محمد اللخمي[692] عن أبي اسحاق [القفال][693] قال : كان رجل من أهل فاس يأتي أبا عبد الله التاودي بأول عنقود يطيب في عريش العنب الذي بداره في كل عام . فقعدت عنده إلى أن أتاه بعنقود . فقال لي : اقسمه على الصبيان وادفع لكل صبي غصنا . فقلت له : لا يعمهم . فقال لي : ليس لك هذا ، افعل ما أمرتك به ! فلقد قسمته على الصبيان غصنا غصنا فعمهم كلهم وبقيت منه بقية .

وأخبرني مخبر قال : جاء رجل إلى أبي عبد الله بدراهم . فأبى من قبولها . فألح عليه الرجل . فقال له أبو عبد الله : لا أحتاجها . فزاد عليه في الالحاح . فرفع له أبو عبد الله السليخة التي قعد عليها عن دراهم طرية . فلما رآها ذلك الرجل انصرف عنه .

---

(691) كانت مدينة تاوْدَا أو بني تاوْدا على مقربة من جبال غمارة . وكانت ثغرا بناه بعض المرابطين لكبس الغماريين . وهي على مرحلتين من فاس شمالي وادي سبو . راجع **نزهة المشتاق** ص 55 (طبعة الجزائر) **والاستبصار** ص 191 . ومعنى تاوْدَا الرعب والخوف .

(692) لم أهتد إلى ترجمة شخص بهذا الاسم يمكن أن يكون حدث التادلي عن القفال إلا أن يكون هو محمد بن أحمد اللخمي التلمسيني الأصل الواعظ بمراكش أيام الناصر الموحدي . راجع **الاعلام** (4 : 173) وفيه نقل ترجمته عن **التكملة** (1578) **والذيل والتكملة** . سفر الغرباء ص 141 . وقد توفي بمراكش سنة 614هـ .

(693) س : البقال . والصحيح القفال . وهو إبراهيم بن جابر المخزومي ، من أهل مراكش ونشأ بمدينة فاس ، مال إلى التصوف وغلب عليه الوعظ . دخل الأندلس ثم رجع إلى مراكش ومات بها سنة 641هـ . انظر ترجمته في **تكملة الصلة** : 1 : 177 **وجذوة الاقتباس** ص 90 . **والإعلام** : 1 : 173 .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم وغيره قال : جاء رجل [محتاج][694] إلى أبي عبد الله . فقال له : رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي : اذهب إلى أبي عبد الله ومره أن يدفع لك أثوابه . فقال له : اتبعني . فدخل في داره وتجرد من أثوابه ودفعها له من وراء الباب وبقي عريانا .

وحدثني غير واحد أن أبا اسحاق الخراز المؤذن استدعَى أبا عبد الله للمبيت عنده في جماعة فيهم الفقيه أبو يحيَى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق[695] وأبو عبد الله بن [البقار][696] واستعار أبو اسحاق لحافا من بعض أصهاره وكان في زمان البرد الشديد . فلما أصبحوا جعل اللحاف على حائط ووضع النساء مجمر النار قريبا منه . فسقط بعض اللحاف على النار واحترق بعضه . فاغتم أبو اسحاق لذلك وأعلم به أبا عبد الله . فقال له : جئني به لأنظر في إصلاحه . فأتاه به وحمله . ثم أتاه أبو إسحاق فدفع إليه اللحاف . فنظره فلم يجد فيه أثر الحرق ولا أثر الإصلاح . قال أبو اسحاق : فتعجبت أنا ومن عندي من الأهل من ذلك ولولا معرفتنا باللحاف لقلنا بُدِّل بغيره .

وحدثني أبو اسحاق إبراهيم بن أبي بكر بهذه القصة قال لي : حدثني بها أبو إسحاق الخراز . وسمعت أبا القاسم أحمد بن عيسَى الأنصاري قال : سألت عنها الشيخ الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الليثي . فحدثني بهذه القصة وقال لي إنها صحيحة .

وأخبرني مخبر قال : دفعت امرأة أبي عبد الله التاودي إليه غزلا فقالت له : بعه واشتر لنا بثمنه أضحية ولا تعطها أحدا . فباع الغزل واشترَى كبشا وأمر الحمال أن يحمله إلى داره . فلقي في طريقه امرأة وزوجها يتنازعان . فسأل عن نزاعها . فقيل له : طلبت منه زوجته أن يشتري لها أضحية . فقال لها : ليس عندي ما أشتريها

---

(694) س : محتال .

(695) فقيه مستبحر من أهل قرطبة ، حظي بخدمة السلطان بمراكش ، وولي قضاء مدينة فاس وتوفي بها سنة 599هـ . راجع **التكملة** : 1 : 221 **وجذوة الاقتباس** ، ص 106 نقلا عن ابن الأبار ، **وسلوة الأنفاس** : 1 : 224 ، **والاعلام** : 4 : 233 .

(696) س : ابن البقال . والصحيح : ابن البقار وهو محمد بن إبراهيم بن حزب الله كان حيا بعد 582هـ . راجع **الذيل والتكملة** ، سفر الغرباء ، ص 143 .

به . فدفع لها أبو عبد الله الكبش الذي اشتراه وأتى إلى داره . فقالت له امرأته : أين الكبش الذي اشتريته لنا ؟ فقال لها : تركته يعلف لنا . ثم خرج من الدار . فقال له رجل : عسَى أن تذهب معي إلى منزلي . فذهب معه وأدخله إلى أكباش معلوفة وقال له : عينت لك منها كبشا لأضحيتك . فقال له أبو عبد الله : هو هذا . وأشار إلى واحد منها . فقال له الرجل : هو الذي عينته لك .

121 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى الدكالي

من أصحاب أبي عبد الله بن أمغار . وكان عبدا صالحا . قدم مراكش واستقر أخيرا بسجلماسة وبها مات في حدود السبعين وخمسمائة . سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : حدثني غير واحد من أصحاب أبي زكرياء قال : كان لأبي زكرياء صاحب من مؤمني الجن . فإذا قام إلى ورده بالليل يصلي صلَّى صاحبه بصلاته .

122 – ومنهم أبو عبد الله محمد الصباغ[697]

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الوراق يقول : حدثني أبو عبد الله محمد بن [حسن][698] المقري أن صهره أبا عبد الله الصباغ من أهل فاس كان حسن الصوت وكان له ورد من الليل . فقام ليلة إلى ورده فخشع فسمع خلفه حسا ثم قام إلى ورده بعد ذلك بليال فقرأ وختم وخنقته العبرة . فسمع خلفه البكاء وسكت وانقبض . فسمع هاتفا يقول : يا أبا عبد الله . لا تخف . فإنَّا جماعة من مؤمني الجن ، نصلي خلفك لطيب صوتك وحسن قراءتك . وما نصل كل ليلة إلى الصلاة خلفك الا من بلاد الهند . ولقد قتلت منا جماعة بحسن صوتك فبارك الله

---

(697) راجع **النجم الثاقب** لابن صعد ، ص 83 ؛ **وجذوة الاقتباس** ، ص 184 .
(698) س : حسين

لك في صوتك . وأقام مدة إلى أن صار الجني يكلمه ويحدثه . فقال له أبو عبد الله : عسَى أن تظهر لي في صورتك التي صورك الله فيها ! فقال له : يا أبا عبد الله ، وما حاجتك إلى ذلك ؟ فاستغن عنه لئلا يصيبك منه أمر . فقال له : هي حاجتي اليك . فقال له : يا أبا عبد الله ، إني والله تسهل علي حوائجك وما أكره أن تراني في صورتي إلا خوفا من أمر يصيبك . فقال له : لابد من ذلك . فقال له : أمهل نفسك ودبر أمرك واستخر الله تعالى . فأقام ليالي على ذلك . فصلَّى ليلة، ثم انفتل من صلاته وقال له : قد قويت عزيمتي على أن أراك. فقال له : إذا قويت عزيمتك فاخل لي هذا المكان ونظفه واقرأ من القرآن كذا ولا يهولنك ما تسمعه . فانك ستسمع كأصوات الطبول والأبواق والأوتار . فإذا سمعت ذلك فانظر خلفك في ركن بيتك فانك تراني فيه . ففعل ليلة الجمعة جميع ما أمره به . فإذا ذلك الجني من سلاطين الجن . فسمع حينئذ جلبة وصوت الطبول والأبواق ؛ وهو مع ذلك يقول له : لا تخف ، يا أبا عبد الله ، إلى أن قال له : انظر الي ، فإني ههنا . فنظر في ركن البيت ، فرأى شخصا طويلا كثير الوجوه والعيون وهو ينظر إليه ويقول له : يا أبا عبد الله ، انظر الي حتَّى تراني . فلما نظر إليه غاب عنه . فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على شيء وهاله ما شاهده . فأراد في الليلة الرابعة أن يقوم إلى ورده ، فضعف عنه . فأتَى الجني وقال له : يا أبا عبد الله ، ألم أقل لك : استغن عن ذلك لئلا يصيبك منه أمر؟ وقد سألني ذلك رجل من أهل العراق وكنت أصلي خلفه . فرآني ، فما عاش بعد ذلك إلا قليلا . وحذرتك ولم يكن بد من مطاوعتك ، فكان ما ترَى . قال محمد بن [حسن][699] : فرض أبو عبد الله أياما قليلة ، ثم مات رحمه الله .

زِيَادَةُ حُسْنِ ٱلصَّوْتِ فِي ٱلْخَلْقِ زِينَةٌ
يَرُوقُ بِهَا لَحْنُ ٱلْقَرِيضِ ٱلْمُحَبَّرِ[700]
وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ ٱلسَّمَاعُ بِطِيبِهِ
فَذَلِكَ أَعْمَى ٱلْقَلْبِ أَعْمَى ٱلتَّصَوُّرِ

---

(699) س ، م : حسين .

(700) من الطويل ، والشعر لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبير. راجع **الذيل والتكملة** . السفر الخامس ، ص 615 .

تُصِيخُ إِلَى ٱلْحَادِي ٱلْجِمَالُ لَوَاغِياً
فَتُوضِعُ فِي بَيْدَائِهَا غَيْرَ حُسَّرِ
وَلِلَّهِ فِي ٱلْأَرْوَاحِ عِنْدَ ٱرْتِيَاحِهَا
إِلَى ٱللَّحْنِ سِرٌّ لِلْوَرَى غَيْرُ مُظْهَرِ
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ عَابَ ٱلسَّمَاعَ فَإِنَّهُ
مِنَ ٱلْجَهْلِ فِي عَشْوَائِهِ غَيْرُ مُبْصِرِ
وَأَهْلُ ٱلْحِجَى أَهْلُ ٱلْحِجَازِ وَكُلُّهُمْ
رَأَوْهُ مُبَاحاً عِنْدَهُمْ غَيْرَ مُنْكَرِ
وَهَامَ بِهِ أَهْلُ ٱلتَّصَوُّفِ رَغْبَةً
لِتَهْيِيجِ شَوْقٍ نَارُهُ لَمْ تَسَعَّرِ
وَإِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ قَدْ قَالَ : زَيِّنُوا
بِأَصْوَاتِكُمْ آيَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُطَهَّرِ
وَزَانَتْ لِدَاوُدَ ٱلنَّبِيِّ زَبُورَهُ
مَزَامِيرُهُ بِٱلنَّوْحِ فِي كُلِّ مَحْضَرِ
وَفِي ٱلْخُلْدِ إِسْرَافِيلُ يُسْمِعُ أَهْلَهُ
فَيُسْلِيهِمُ ٱلْمَمْنُوعَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرِ
فَإِنْ أَكُ مُغْرًى بِٱلسَّمَاعِ وَحُسْنِهِ
فَحَسْبِي ٱقْتِدَاءٌ بِٱلْكَرِيمِ ٱبْنِ جَعْفَرِ (701)

123 – ومنهم أبو محمد عبد الله
ابن موسَى الجزولي

من أهل سجلماسة . ومات بمكة في حدود الثمانين وخمسمائة وكان عبدا صالحا فاضلا . سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : لما عزم أبو محمد الجزولي على التوجه إلى مكة عرض عليه أبي دراهم . فلم يقبلها . وأبى أن يقبل من غيره

(701) راجع الذيل والتكملة : 1 : 197

شيئا . ثم قال لأبي : أنت قلت في نفسك : ليت شعري كم حمل لزاده . وحدثت نفسك بأنك تزودني بثلاثة عشر دينارا وثلاثة دراهم .

وحدثني ابن أبي القاسم قال : حدثني أبو بكر بن [قرمان][702] الباغاني قال : كنت مقدورا علي في رزقي وكان حرثي لا يقوم بي . فاحتجت في وقت الحصاد . فالتمست أجيرا على الحصاد . فوجدت عبد الله الجزولي . فاستأجرته وأنا حينئذ لا أعرفه . فحصد عندي وظهرت لي بركته في زرعي ولم يزل ينمو كل عام ويضاعف حتّى أثريت وامتلأت مخازني بالزرع حتّى لم أجد أين أجعله .

124 – ومنهم أبو عبد الله محمد البَردعي الأسود

من أهل سجلماسة . وله رحلة إلى المشرق . وكان عبدا صالحا شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة . سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : حدثوا عنه انه كان إذا جنه الليل تنفتح له أبواب المدينة . [فيخرج إلى المقابر][703] يعتبر فيها .

يَا خَاطِراً بِٱلْقُبُورِ مُنْطَلِقاً ... لِسَانُهُ قِفْ وُقُوفَ مُعْتَبِرِ[704]
وَسَلْ عَنْ أَحْبَابِكَ ٱلَّذِينَ ثَوَوْا ... فِيهَا تُجَاوِبْكَ أَلْسُنُ ٱلْعِبَرِ
أَلَمْ تَكُنْ تُرْبَةٌ تُبَاشِرُهَا ... نَعْلاَكَ مَعْدُودَةً مِنَ ٱلْبَشَرِ
بِٱلأَمْسِ كُنَّا عَلَى مَنَاكِبِهَا ... نَرْفُلُ بَيْنَ ٱلْمُلاَءِ وَٱلْحِبَرِ
وَٱلْيَوْمَ صِرْنَا بِبَطْنِهَا رِمَماً ... نَدْرُسُ بَيْنَ ٱلصَّفِيحِ وَٱلْعَفَرِ
أُفٍّ لِدُنْيَا مَآلُ صِحَّتِهَا ... وَصَفْوِهَا لِلسَّقَامِ وَٱلْكَدَرِ
أُخَيَّ لاَ تَغْتَرِرْ بِزَهْرَتِهَا ... إِنَّ كُمُونَ ٱلْحَيَّاتِ فِي ٱلزَّهَرِ
فَٱلْخَطْبُ فَوْقَ ٱلَّذِي سَمِعْتَ بِهِ ... وَفَوْقَهُ فَلْتَكُنْ عَلَى حَذَرِ
عِنْدَ وُرُودِ ٱلْحِمَامِ يَنْكَشِفُ ٱلْـ ... غِطَاءُ لَيْسَ ٱلْعِيَانُ كَٱلْخَبَرِ

---

(702) س : قرمان . ز : قدمان .
(703) م وس : فيمشي بين المقابر .
(704) من المنسرح .

125 - ومنهم أبو محمد
عبد الله بن صاعد

كان عبدا صالحا منقطعا بموضع يقال له قرن الثور على نحو ثلاثة عشر [يوما](705) من مدينة سبتة(706) . سمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول : ذهبت : أنا والفقيه أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري إلى ابن صاعد نزوره . فقال لي أبو الصبر : اشم عليه رائحة شديدة العطر ما شممتها قط إلا من ولي .

وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَاحِبٍ وَدَّعْتُهُ فَوْقَ ٱلرِّحَالَةِ وَٱلْمَطِيُّ رَوَاقِي(707)
أَوَمَا شَمِمْتَ بِذِي ٱلْأَبَارِقِ نَفْحَةً خَلَصَتْ إِلَى كَبِدِ ٱلْفَتَى ٱلْمُشْتَاقِ
فَأَوَى وَقَالَ أَرَى بِقَلْبِكَ لَسْعَةً لِلْحُبِّ لَيْسَ لِدَائِهَا مِنْ رَاقِي

وحدثني أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن محمد الأزدي قال : أخبرني أبو عبد الله الوادلاوي المعلم وكان من الفضلاء قال : أخبرني المزين الذي كان يمشي من سبتة إلى ابن صاعد فيأخذ من شعره متى احتاج إلى ذلك قال : كُتِبتُ مرة في غزاة البحر ، فشكوت إلى ابن صاعد ، فقلت له : انا ضعيف وذو عيال ، ولا قدرة لي أن أكون من غزاة البحر وكان ابن عمروس(708) على البحر . فقال لي : اذهب إلى ابن عمروس واقرأ عليه سلامي وقل له ان ينظر في أمرك . فأتيت ابن عمروس فقلت له : بعثني اليك ابن صاعد . وذكرت له حاجتي . فقال لي : ليس بيدي حيلة في أمرك . فرجعت إلى ابن صاعد . فأخبرته بمقالة ابن عمروس . فقال : انما جرَى هذا من أجلي ، لأني رددت أمري إلى الخلق ، اذهب ، فلن يذكرك أحد . فرجعت إلى سبتة ، فما ذكرني ولا عرض لي بعد ذلك أحد .

---

(705) م ، س ، ز : ميلا ، وهو الصحيح .
(706) راجع تاريخ سبتة لمحمد بن تاويت . الدار البيضاء . 1982
(707) من الكامل .
(708) س : ابن عبدوس .

126 – ومنهم أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن [بن](709) المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني(710)

شيخ أبي بكر بن خلف المعروف بالمواق وأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بالحصار(711) . وكان زاهدا في الدنيا وأهله على سنن أهل الفضل والدين وكان وثاقا(712) بمدينة سلا ، فإذا أعطاه أحد على الوثيقة أكثر من حقه ، رده إليه . واستقر أخيرا بفاس وبها مات سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وحدثني يحيى بن عبد الرحمن قال : حدثني خلف الله بن محمد ابن الشيخ قال : مات بسلا أخو الفقيه أبي الربيع التلمساني . فاجتمع في متروكه ألف دينار . فحملت إلى أبي الربيع بفاس . فأبى من أخذها وقال : كان أخي لا يعرف وجوه التحري . فأخذها أحد بنيه . فاتجر بها فهلكت . فقال له أبو الربيع : ألم أنهك عنها وقلت لك إنها غير طيبة ؟ .

وحدثني أبو الحجاج يوسف بن موسى بن يحيى بن أبي بكر قال : سمعت أبي يقول : ماتت امرأة الفقيه أبي الربيع وتركت دارا بفاس بزقاق ابن بالة(713) . فقال له تلامذته : هذه الدار مثمنة ، فعسى أن تباع ويشترى من ثمنها دونها . فبيعت واشتريت له دويرة وبقي له من الثمن خمسمائة دينار . فأقمت له بها أرجوانا . فلما عزمت على التوجه إلى مراكش قلت له : اكتب لي كتابا إلى القاضي ليلحظني . فقال لي : أحرق الله بالنار هذا الارجوان الذي يحوجني إلى أن أكتب من أجله الكتاب . فخرجت من فاس متوجها إلى مراكش فنزلت مع الرفقة في كسّس(714)

---

(709) سقط من ف .

(710) راجع **جذوة الاقتباس** ، ص 517 وسلوة **الأنفاس** : 3 : 316

(711) س وبعض نسخ ف : الحسّار

(712) بعض نسخ ف : موثّقاً .

(713) زقاق ...

(714) كُسَّسْ ، قرية على مرحلة من سلا جنوبا (**نزهة المشتاق** ص 47) . وذكر ابن عذاري (**البيان** : 3 : 28) وادي كُسَّسْ في منتصف الطريق بين سلا ومراكش . وأرجح أن هذه الأخيرة غير الأولى ، وأنها تنطبق على سّطات الحالية . ومعناها فيه ما يفيد الخفارة التي في سطّاتْ (الفعل كـ . س . يعني وضع الحزام) أما أن تكون هي كيسّر

فقامت لنا نار في المرحلة . فاحترق جميع أرجوانه وذلك في عام تسعة وسبعين وخمسمائة . فلما بلغه الخبر سر سرورا عظيما [بذلك الذي احترق من أرجوانه] [715] .

يَقُولُونَ لِي فِيكَ ٱنْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ ٱلذُّلِّ أَحْجَمَا [716]
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ ٱلْحُرِّ تَحْتَمِلُ ٱلظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ ٱلْعِلْمِ مُهْجَتِي
لِأَخْدُمَ مَنْ لاَقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَغْرِسُهُ عِزًّا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذاً فَٱتِّبَاعُ ٱلْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي ٱلنُّفُوسِ لَعُظِّمَ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا
مُحَيَّاهُ بِٱلْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

سمعت أبا الحجاج يوسف بن موسَى يقول : حدثني محمد بن عبد الوهاب : قال أبو الحجاج : أنا أشك هل حدثني عن نفسه أو عن مخبر أخبره أنه قيل له في النوم : إذا صليت الصبح ، فصل عند السارية الفلانية ؛ فإنك تصلي عندها مع رجل من أهل الجنة . فلما أصبح دخل المسجد وجاء إلى تلك السارية ووجد عندها أبا الربيع التلمساني .

▪ كما ورد في هامش المن بالامامة (ص 90) فستبعد لأن إيجيسل مكان آخر مذكور في نزهة المشتاق (ص 46) وفي التشوف (الترجمة 249) كما سنرى .

(715) زيادة في م .

(716) من الطويل ؛ وهي للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . راجع وفيات الأعيان (3 : 278) . والذيل والتكملة (سفر الغرباء ـ ترجمة عمر بن محمد الصنهاجي الذي كان كثيرا ما يتمثل بها) وكذا الإعلام (9 : 280) .

وقال إبراهيم بن أبي بكر العجمي : مات والد امرأتي ببلد السودان فوصل متروكه إلى مدينة فاس . فوجدنا فيه صرة تبر مكتوب عليها : للفقيه أبي الربيع . فوصلنا بها إليه وقلنا له : وجدنا في المتروك هذه الصرة ، فهل وجهت مع الميت شيئا ؟ فقال : وجهت معه أردية . فقلنا له : لعل هذا ثمنها . فقال : لا آخذ ذلك . فقيل له : ولم ؟ فقال : لو وجدتم عليها مكتوبا : هذا ثمن الاردية التي بعث بها فلان لأخذتها ؛ ولعل بعض الناس كتب ذلك . فقال له الورثة : نحن نجعلك في حل . فقال : لست ممن يأخذ الصدقة ؛ اجعلوها في جملة التركة ؛ فإن كانت لي فأنتم في حل منها والميت في حل . وامتنع من أخذها . وذكرت هذه القصة لأبي العباس أحمد بن يوسف . فقال لي : حدثني بها أبو عبد الله محمد بن عمروس وكان مختصا بالفقيه أبي الربيع رحمه الله .

127 — ومنهم أبو علي [وِيسِّيَنْ] (717) ابن عبد الله البردعي الأسود (718)

أصله من حاحة (719) . ونشأ بدكالة . ونزل بمراكش وبها مات عام ستة وثمانين وخمسمائة . خدم أبا يعزى وغيره من الصالحين وكان عبدا صالحا .

---

(717) ويسِّيَنْ أو ويسيَانْ . ويسِّينْ معناه الثاني في كل شيء ، ولعل المقصود هنا : المثنى أو المثنى من الأولاد . والنون الملحقة به في الأخير للإشارة إلى البعيد بمعنى قريب من ذلك مقابل هذا . وفي س : ويسُشْنْ ، وتعني شغروشن المعروفة إلى الآن اسما على قبيلة . ومعناه الذين يقومون بتيبيس الذئب (قصد أكل لحمه) ويؤول المعنى على أنه يعني المهارة في اصطياد الذئب . وكان أكل الذئاب مشهودا في سجلماسة (**الاستبصار** ص 201) . ولعل ويسِّيَنْ هي القراءة الصحيحة هنا .

(718) نقل ترجمته صاحب **الإعلام** ج 10 ص 191 .

(719) حاحة قبيلة مصمودية شهيرة كانت في العهد الموحدي جنوبي موطن ركراكة ومايزال المستوطنون لهذه المنطقة (نواحي الصويرة) يسمون بهذا الاسم وإليهم انتسب عدد من الأعلام من أمثال أبي عبد الله العبدري صاحب **الرحلة** الشهيرة . واسمهم الأصلي إيحاحَان وهو جمع ، والمفرد إيحيحي ، والراجح أنهم تسموا بذلك لنطقهم الخاء حاء . والنسبة إليهم بالعربية الحاحي نسبة إلى قبيلة حاحا . أما الحيحي فصيغة بربرية يستحسن ألا تدخل عليها الألف واللام بل تترك على أصلها إيحيحي .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي[720] يقول : جلست يوما بدكان أبي علي [ويسين][721] مع موسَى بن مسعود المعلم قبلي مسجد الجزارين[722] وأبو علي يحدثني بأخبار من أدركه من الصالحين إلى أن رأيته في قلق شديد . فقال لي موسَى : اذهب بنا عن هذا الشيخ لئلا نكون قد آذيناه بكثرة الجلوس عنده . فقال لنا أبو علي : يصيبني وجع في رجلي إذا حانت أوقات الصلوات ؛ فلا يزيله عني إلا إسباغ الوضوء . قال محمد بن أحمد : وكانت عينا أبي علي بيضاوين وكان مع ذلك يبصر بهما ويتصرف في عمله . فقال لي : كنت قد عميت وأقت عامين لا أبصر ولزمت البيت . فسمع ذلك الشيخ أبو يعزَى . فبعث لي رقعة من برنوسه وأمرني أن أحرقها بالنار وأكتحل برمادها . ففعلت فرجعت أبصر كما تراني .

128 – ومنهم أبو علي سالم ابن سلامة السوسي[723]

أصله من تارودانت[724] . ودرس الفقه بفاس على محمد بن عيسَى [الهيلاني][725] . وبأغمات على ابن شبونة وعبد السلام بن ومحال الجراوي[726] . واستقر أخيرا بسجلماسة وبها مات عام تسعة وثمانين أو عام تسعين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا فاضلا .

---

(720) راجع الهامش 231 .
(721) س : ويبشن .
(722) لعله مسجد القصابين الذي ذكره صاحب **الإعلام** (1 : 96) . وحي القصابين معروف إلى اليوم بمراكش .
(723) راجع **التكلة** (712) ومفاخر البربر ص 97 **وجذوة الاقتباس** (605) .
(724) تارودانت ، قاعدة سوس (**نزهة المشتاق** ، ص 39 **والاستبصار** ص 211) ، وهي المدينة المعروفة إلى اليوم بهذا الاسم .
(725) ح وم : التادلي وهو الصحيح ، ذكرناه في هامش على ترجمة عثمان السلالجي (69) .
(726) هو عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي ، أحد حفاظ المذهب المالكي . درّس بسبتة ونزل ببني عشرة بسلا فأكرموه وانتقل إلى أغمات فكان رأسا بها في التدريس والفتيا إلى أن توفي بها سنة 537هـ . ترجمته في **الغنية** (57) وفي معجم **أصحاب الصدفي** (197) وفي **الإعلام** (1146) .

سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : دخلت على أبي علي سالم . فوجدته يتوضأ وقد قعد على كرسيه وكان ضيقا ضعيفا . فسقط عنه . فقمت إليه وأخذت بيده . فقال : اللهم يسر لي [كرسيا كبيرا قويا][727] ! فأكمل وضوءه وقعد وقرأت عليه نحو ورقة ، فإذا قارع يقرع الباب . ففتح له فدخل أبو بكر بن أمغار بن أبي العباس[728] الصنهاجي المؤذن . فاستأذن على محمد بن علي بن سليمان . فدخل معه ومعهما خادم على رأسه كرسي على الصفة التي طلب أبو علي . فقال له أبو بكر : ان محمد بن علي دخل دار أخته مريم المتوفاة ، فوجد في تركتها هذا الكرسي . فقال : تحمله إلى الفقيه أبي علي يتوضأ عليه ويدعو لها .

قال أبو عبد الله : ودخل موسى بن عمر بن [ينتري][729] اللمتوني على أبي علي فقال له : عزمت على التوجه إلى مكة وأردت أن أبيع دمنتي . فجمع الربيع الزواغي جماعة الوهبية[730] . فدعوا له ألا يساومني فيها أحد غير الربيع وأراد أن يبخسني فيها . فقال : خيب الله دعاءهم ورزقك فيها ثلاثة آلاف دينار ! فلم يمض إلا أسبوع ، فحضرت عند أبي علي وقد نظر إلى عمامته البالية . فقال : اللهم . افتح لي في عمامة جديدة . فدخل ابن أبي حاج الفاسي[731] علينا وبيده عمامة .

---

(727) م ، ح ، س : في كرسي قوي شديد .

(728) أمغار معناه الشيخ الرئيس في قومه عامة . وقد يكون هذا المذكور من غير بني أمغار الصنهاجيين أصحاب رباط تيط .

(729) ح : عمران بن ينتور . م : ينتر .

(730) يرى الرقيق القيرواني في **تاريخ إفريقيا والمغرب** ص 173 أن الوهبية تنتسب إلى عبد الوهاب بن رستم الإباضي . ويرى البرادي في كتابه **الجواهر** ص 174 أنهم أتباع عبد الله بن وهب الراسبي . راجع : صالح باجيه : **الإباضية بالجريدة في العصور الإسلامية الأولى** (ص 36) . وراجع **نزهة المشتاق** ص 128 **والروض المعطار** ص 158 **ومعيار الونشريسي** ج 1 ص 445 (طبعة دار الغرب الإسلامي) **ورحلة التجاني** ص 123 وما بعدها . وكانت الوهبية من الإباضية . بجربة وبغربي تاهرت ، وهؤلاء من زواغة . فلا شك أن هذا الزواغي الوهبي وجماعته في سجلماسة من زواغة تاهرت وان كانت فرق أخرى من زواغة في مناطق متفرقة من المغرب (يذكرهم البكري قرب داي) .

(731) ليس ابن أبي حاج المترجم في **الجذوة** (ص 392) نقلا عن **المستفاد** وفي **السلوة** (3 : 295) لأنه توفي قبل وفاة أبي جبل يعلى الفامي أي قبل سنة 503هـ . وبيت بني أبي حاج من بيوتات فاس الكبرى .

فجاءه موسَى بن عمر ، فقال له : يا أبا علي قد أجاب الله دعوتك وقد اشتراها الربيع بثلاثة آلاف دينار . ثم نظر إلى العمامة التي بيد ابن أبي حاج ، فقال له : ما هذه العمامة ؟ فقال له ابن أبي حاج : أخرجتها للبيع . فاشتراها منه موسَى وقال لأبي علي : رأيت عمامتك قد تخلقت . فخذ هذه . فلما خرج الناس من عند أبي علي قال لي : لا يغرنك هذا ، فلا جعله الله مكرا ولا استدراجا .

وذكر لأبي علي أن يحيَى بن سليمان بن أيوب الفطناسي تكلم مع جماعة من أهل سجلماسة فقال : لن يمطر هذا البلد مادام فيه أبو علي سالم . فبلغ ذلك أبا علي . فدعا عليه وقال في جملة دعائه : اللهم ، ارسل عليهم سيلا يتعجب منه . قال محمد بن أبي القاسم . فنزل المطر وجاء سيل لم يعهد حتَّى خيف على البلد . وأما يحيَى بن سليمان . فكان قد ترك له والده نحو عشرة آلاف دينار دون العقار . فافتقر حتَّى صار يسأل الناس ، ولقد جاءني يسألني مرة . ثم أفضَى به الحال إلى أن قتل في مغارة بطريق درعة شر قتلة ولسانه مخلوع قد جعل على صدره . قال ابن أبي القاسم : ولما مرض أبو علي مرضه الذي توفي فيه قلت له : من يصلي عليك ؟ قال لي : يصلي علي والدك ، فإني رأيت في النوم شخصا . فقال لي : أبو القاسم هو الرجل الصالح ، فلا يصلي علي سواه . قال : فتوفي أبو علي و[أنا][732] غائب بتازيا[733] وهي على ثمانية عشر ميلا من سجلماسة . فلم يمكنّي أن أبعث إلى أبي . فعزمنا على دفنه بالغداة ، فأرسلنا في السحر إلى الغاسل . فلم يوجد مفتاح الدرب الذي يسكن فيه الغاسل ، فاحتجنا إلى نجار يفتح الباب . فتعذر علينا دفنه بالغداة ولم يتفرغ من تجهيزه إلى قبره الا وقد طلع النهار . فرفعناه إلى شفير قبره ونظرنا من يصلي عليه . فإذا نحن بأبي حاضر . فتقدم وصلَّى عليه فلما فرغنا من دفنه . قلت لأبي : من أين عرفت وفاة أبي علي . فقال : لما صليت العتمة صرخ صارخ بموته . فأسريت طول ليلتي إلى أن وصلت فوجدته على شفير القبر .

(732) س وم : وأبي .

(733) يعرف هذا المكان اليوم بـ «تيزيمي» راجع : الصديق بلعربي : **المغرب** ص 82 . ولمعنَى الاسم علاقة بالملح . وتصحح في الإعلام حيث وردت هكذا : بتازا .

129 - ومنهم أبو علي يِغْمُورْ ابن خالد [اليِرْصِجِي](734)

تلميذ أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه وصاحب أبي مهدي وين السلامة بن جلداسن . وكان مدرسا للفقه ثم اعتزل الناس وغلبت عليه أحوال المعاملات مع الله تعالى ومات [بتاسوفيطت](735) قبل التسعين وخمسمائة . وكان بدء أمره انه نظر إليه أبو مهدي وهو يدرس الفقه . فقال : هذا الفتى لا يصلح إلا لطاعة الله وعبادته . فصحبه وكان يدله على الطريق ويبصره فيه ويحدثه بكرامات الأولياء إلى أن حدثه مرة بالمشي في الهواء . فأنكر له يغمور ذلك . فر عنه أبو مهدي إلى أن جاءه برجلين من أصحابه . [فوجده أبو مهدي](736) في المسجد . فلما رآهم أبو علي تقدم بهم إلى منزله فأدخلهم في البيت وذهب ليأتيهم بطعام . فلما جاءهم بالصحفة خرجوا من البيت واستعلوا على السقف وهو ينظر إليهم وهم يقولون له : كل طعامك أيها الشاك ! ولم يزل ينظر اليهم إلى أن استعلوا في الهواء . فصاح ومزق أثوابه ووقع مغشيا عليه فجاءه والده . فلما أفاق سأله عن سبب غشيانه . فأخبره . فقال له والده : ما لك وأولياء الله تعالى تنازعهم ؟ فمن حينئذ لزم يغمور الطريق إلى أن لحق بالرجال .

حدثني داود بن عبد الخالق قال : حدثني اسماعيل بن خالد أخو الفقيه يغمور قال : كان يأتي أبو مهدي إلى أخي بالليل فيخرج إليه ويغيبان عنا الليل كله فنشاهد على أثوابه بالنهار ندى البحر وعلى رجليه أثر رمل البحر . وبيننا وبين البحر مسيرة [يوم](737) .

---

(734) في بعض نسخ ف : البرصجي . وفي مفاخر البربر (ص 70) : البرزخي وهو تصحيف . ونقول الإرْصِكّي بإشمام الصاد زايا كما لو قلت : المَرّيّ أو ابن مَرّة . ومعنى يِغْمُورْ أو إيغْمُورْ : الفحل .

(735) تَاسُوفِيطَتْ أو تَاسُوفِيطّ بإدغام آخره وتسكين الطاء مع شد . وأقرب معنى يمكن أن يؤول إليه الإسم : مكان التوديع والإرسال . ويظهر من القرائن أن هذه القرية كانت على مسافة يوم من ساحل دكالة في بلد بني دَغُوغْ .

(736) ح : فوجدوا أبا علي .

(737) م : يومين .

130 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سالم الشَّلْبِي[738]

أصله من شلب . ولما قُتل بها أحمد بن الحسين المعروف بابن قسي[739] جاز إلى هذه العدوة . فنزل مدينة سلا . ثم استقر أخيرا بفاس وبها مات . وكان عبدا صالحا زاهدا حكيما .

سمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول : كان كلام أبي عبد الله محمد بن سالم أمثالا . فمن لم يتنبه له ويتأمله عده لغوا . فمن ذلك أني قعدت معه يوما في رابطة فيها شجرة رمان . فقال لي : هذه الرمانة ، من لم ينظر اليها ونظر إلى الأرض لم يدر متَى أورقت ولا متَى نورت ولا متَى أطعمت ولا متَى قطفت ؛ ومن رفع اليها بصره رآها كيف تنتقل من حالة إلى حالة حتَّى تجني فيها ثمرتها . وهذه كلها اشارات إلى أن من «أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ» انحجب عن عجائب الملكوت ومن طمحت همته إلى الملأ الأعلى شاهد العجائب وانقلب بغرائب الفوائد .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري قال : واصل أبو عبد الله بن سالم أربعين يوما . قال : وحضرت معه أنا ووالدي وعبد الرحمن بن يوسف بن عشرة[740] بموضع يعرف بدار أم القاضي[741] على ساحل البحر .

---

(738) ذكره ابن صعد في الجزء الرابع من **النجم الثاقب** وذكره ابن القاضي في **الجذوة** . ص 275 . والكتاني في **سلوة الأنفاس** : 3 : 270 .

(739) هو الثائر على الموحدين في غرب الأندلس ، وهو صاحب ثورة المريدين قتله عبد الله بن سليمان (البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 215) وفي **تاريخ ابن خلدون** (6 : 485) أن الذي غلبه على مرتلة هو سداري بن وزير . راجع ترجمته في **الإعلام** (2 : 58) نقلا عن **لسان الميزان وتاريخ الذهبي والمعجب** للمراكشي .

(740) هو أخو عبد الله بن يوسف بن علي المذكور في ترجمة الشريشي أعلاه (رقم 70) وهما من أسرة بني عشرة الشهيرة بسلا ويرَى الأستاذ بنشريفة أن انصراف بعض أبناء هذه الأسرة إلى الزهد يمثل طورا انصرفت فيه الدنيا عنهم . راجع **مجلة تطوان** العدد 10 .

(741) يرَى الأستاذ بنشريفة أن بانية هذه الرابطة هي سيدة من بيت بني عشرة قضاة سلا وأعلامها . (المرجع المذكور قبله) .

فأهويت بيدي على نبات من الأرض لأقطعه منها . فنهاني عنه وسمعته يقول لأبي : لم يقطعه عبثا من غير حاجة إليه ؟ فكم من حيوان يأكل منه ! وكم من حيوان يستظل تحته ! ثم أكلنا طعاما فلف بقية الطعام في منديل . فوصل إلى منزله وفتحه . فوجد فيه جماعة من النمل فقال : غربت هذا النمل عن مواضعها . فحملها حتّى أعادها إلى المكان الذي كانت فيه .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : خرج أبو عبد الله في سياحة مع جماعة من أصحابه على الساحل . فأصابهم عطش شديد ولم يجدوا ماء . فقال لهم : أتسترون علي ؟ فقالوا : نعم . فدخل في ماء البحر إلى أن بلغ [سرته][742] . ففتح ما بين رجليه وجعل يغرف بيديه ويسقيهم . فشربوا ماء عذبا . قال : وحدثني أبو إسحاق قال : كنت بفاس ، فخرجت إلى السوق بدرهم لأشتري بقيراط لحما وأنفق عليه القيراط الثاني . قال : فسمعت سائلا يسأل فقلت في نفسي : أعطيه قيراطا وأنفق لنفسي قيراطا ، ثم خطر لي خاطر آخر بأن هذا السائل يجد من يعطيه غيري . فأمسكت درهمي . فإذا أنا برجل قد مد يده إلى ثوبي من ورائي وهو يقول لي : لم رجعت عن الخاطر الأول ؟ فالتفت فإذا أنا بأبي عبد الله محمد بن سالم .

131 - ومنهم [الحاج][743] أبو عمران موسَى [الصاريوِيّ][744]

كان عبدا صالحا منقطعا عن الناس في الشعراء بموضع [زردلة][745] . رحل إلى المشرق وحج ، ثم عاد إلى المغرب وانقطع في الشعراء وفيها الأسود . فلا يصل إليه أحد إلا اذا اجتمع الجمع الكثير . فجاءه بعض أهل الدعارة ، ظانا أن عنده

(742) ح ، م : صدره .
(743) سقط من ف .
(744) س : الصاريوني ، والنسبة لـ أصْرُو بإشمام الصاد زايا . وفيها صيغة عتيقة هي أزريون بتفخيم الزاي أو وازْرُو . ومعنَى أَزْرُو الحجرة أو الصخرة أو القرية الواقعة على صخرة أو منخفض صخري . وهذا ما يرجح أن تكون زرهون من أرزيون أما صاريوة فهي من ضواحي فاس ، وكانت منها فرقة داخل باب فتوح دفن بينهم أبو غالب الصاريوي الذي يذكره ابن عيشون (الروض . ص 139) .
(745) م وز : زردالة

مالا . فقال له : أعطني الدراهم والا فعلت وصنعت ! وهدده بالقتل . فدعا عليه أبو عمران . فجن فبقي أياما يصرع ويخنق نفسه المرة بعد المرة . فلما زال ذلك عنه فر وصار يحدث الناس بذلك . ثم إن أبا عمران باع أرضا كانت له هناك وتصدق بثمنها على المساكين وجاور بمكة إلى أن توفي بها رحمه الله .

أَقَامَ رِجَالاً نَظَّمُوا حُبَّهُ سِلْكاً
وَأَقْعَدَ قَوْماً فِي خَطَايَاهُمُ هَلْكَى (746)
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا مِنْ وَسِيلَةٍ
تُقَرِّبُ مِنَّا مَا نُؤَمِّلُهُ مِنْكَا
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُبْرِئْ شَكَايَا عُقُولِنَا
وَتَجْلُ عَمَايَاهَا إِذاً فَلِمَنْ يُشْكَى
نَعُوذُ بِكَ اَللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ
تُطَوِّقُ مَنْ حَلَّتْ بِهِ عِيشَةً ضَنْكَا
فَمَا ذَكَرَتْكَ اَلنَّفْسُ إِلاَّ وَشَفَّهَا
بُكَائِيَ مِنْ نَفْسٍ عَلَى مِثْلِهَا يُبْكَى
رَجَعْنَا إِلَيْكَ اَلآنَ فَاقْبَلْ رُجُوعَنَا
وَقَلِّبْ قُلُوباً طَالَ إِعْرَاضُهَا عَنْكَا
وَقَدْ آثَرَتْ نَفْسِي رِضَاكَ وَقَطَّرَتْ
عَلَيْكَ جُفُونِي مِنْ جَوَاهِرِهَا سِلْكَا

132 — ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الأمان الجزولي المعلم (747)

من أهل مراكش ، من أصحاب أبي محمد عبد الغفور بن يوسف وكان عبدا صالحا متقللا من الدنيا منقبضا عن أهلها .

(746) من الطويل

(747) الجزولي ، كما نبنا عليه من قبل ، بجيم مصرية عليها ضم . نقل هذه الترجمة صاحب الإعلام (4 : 374) وابن الموقت في السعادة الأبدية (2 : 118) .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : جاءه أحد الكبراء إلى مكتبه فقال له : يا أبا عبد الله ما لك لا تأتينا إذا بعثنا إليك ؟ فقال له : ان لي عذرا . فلم يزل به إلى أن وعده أن يأتيه وكان ذلك في يوم الاربعاء . فلما صرف الصبيان يوم الخميس وصلى صلاة العصر قال لي : يا محمد ، وعدت فلانا أن آتيه وأنا أكره إتيانه وأريد أن أدعو وتؤمن على دعائي ألاّ يجمع الله بيني وبينه . فدعا وأمنت على دعائه . ثم قال لي : عسَى أن تذهب معي اليه . فذهبنا اليه ، فوجدنا باب داره مغلقا . فقرعت الباب . فقال البواب : أمرني سيدي ألا أفتح الباب لأحد . فقعد عند الباب إلى أن جاءت جماعة من [العظماء][748] . فاستعظموا جلوس أبي عبد الله بالباب وكلموا البواب أن يفتح لهم. فأبَى. فقال أبو عبد الله لأولئك الواصلين : اعلموا أبا فلان بوصولي اليه . ثم قال لي : سر بنا . فقد قضَى الله حاجتنا . قال محمد بن أحمد : وسمعت أبا عبد الله يقول : بعث إلي بعض معارفي بقصعة من ثريد بلحم . فجمعت عليها الأهل والأولاد . فأردت أن آكل . فلما رفعت لقمة وجدتها مملوءة بالذباب . فأضعها ثم آخذ غيرها فأجدها كذلك وأرَى الأولاد والأهل يأكلون ولا يجدون مثل ما أجد . ثم بحثت بعد ذلك عن أصل ذلك الطعام فإذا هو طعام رجل من الغصاب أهداه إلى الذي بعث به إلي .

133 – ومنهم أبو وكيل ميمون ابن سحنون الجراوي[749]

أصله من تادلا . قدم مراكش وصحب عبد الغفور بن يوسف ثم انتقل إلى تادلا وبها مات .

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : رأيت أبا وكيل بجامع أغمات وريكة ، فقال لي : أتيت زائرا عبد الغفور فعسَى أن تذهب معي إليه . فخرجنا من المدينة . فجاء إلى جدار السور . فأطال الجلوس إلى أن تعالى النهار .

(748) م : العلماء .

(749) نقل ترجمته في الإعلام (7 : 312) . والجراوي بجيم مصرية ، وأصله اگراو أو اگوراي .

فقام ومشينا إلى أن وصلنا جامع أغمات أيلان . فتقدمت إلى عبد الغفور وسلمت عليه وتأخر أبو وكيل ساعة ، ثم جاء إليه فتحدثنا معه . ثم انصرفنا إلى مراكش فأردت أن أوثره بنعلي . فأبى ومشيت حافيا موافقة له ، حتى دخلنا المدينة . فلقيت أبا العباس أحمد بن عبد الرحمن الجباب(750) . فحدثته بذلك كله . فقال لي : لعلك أنكرت عليه شيئا أو خالفته في شيء . فقلت : لم أنكر عليه شيئا ولم أخالفه . فقال لي : إنه محدث . لا يفعل شيئا إلا بأمر وما يتوقف إلا ليؤمر بما يفعله . وقد هم أن يلازم بيته على التوكل . فقيل له : ليس هذا مقامك ، اخرج واحترف ! وانه ليمر به الناس فيبصر صورهم الظاهرة قد بدلت بصورهم الباطنة . فينهاهم عن الأوصاف الذميمة التي ظهروا فيها .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : لقيت أبا وكيل ، فقلت له : ادع لي . فصاح علي وقال لي : تجعل بينك وبينه حجابا وتقول : ادع لي ! فهلا دعوت لنفسك ؟ قال : [فتبت](751) بعد ذلك أن أقول لأحد : ادع لي .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص قال : سمعت أبا العباس الجباب يقول : بت ليلة بمراكش مع أبي وكيل . فقال لي : حدثني أن أبا محمد عبد الغفور توفي الليلة . فلما أصبحنا جاءنا الخبر من أغمات بموت عبد الغفور رحمه الله .

134 — ومنهم أبو مهدي [مُظكُود](752) ابن علي الهسكوري

من أهل [امشكاد](753) من بلد هسكورة . كان عبدا صالحا .

---

(750) انظر الترجمة : 159 .

(751) ح : فهبت .

(752) مُظكُودْ ، وفي س : مُضكُودْ . وفي **أخبار المهدي** (ص 130 من طبعة باريز) اسم مماثل ورد هكذا : مظكود . ومعنى الاسم يدل على متصف بصفة جذرها متكون من زاي وكاف ودال أو ضاد وهي التي في أزْنْكُضْ أي الغزال .

(753) أمْشْكَادْ أي المكان الذي يبدو وكأن له قرونا ، وعلى هذا يقابل في معناه إيلاسْكَاوْنْ المعروف في دكالة أو بعض الأماكن التي تسمى بوقرون . والمعروف اليوم بهسكورة هو أمْشْكْدادْ بأيت حكيم . وهناك أمْشْكَاد آخر على وادي تاشرافت من ورديغة تادلا ذكره صاحب **يتيمة العقود** ص 405 .

حدثني عيسَى بن يعقوب[754] عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله[755] قال : حدثني يلول بن يحيَى[756] قال : أتيت أبا مهدي زائرا فإذا أنا بأرنب قائمة من عنده . فرميتها . ثم أردت أن أضم يدي فلم أقدر . فشكوت ذلك إلى أبي مهدي . فقال : ان لهذه الأرنب مدة تأتيني فلما رأيتها أنت رميتها . فسح يده على يدي . فزال عني ما كنت أجده . وصرت أرسل يدي وأقبضها .

135 – ومنهم أبو الحسن الزناتي

كان من بلاد [بني مصطاو][757] من هسكورة وكان عبدا صالحا .

حدثني يوسف بن سليمان عن ابراهيم بن ولجوط عن أبي عبد الرحمن السايوي قال : كنت يوما في ساحة الدار . إذ سمعت أصوات ثلاثة صفوف في الهواء تتجاوب بالتسبيح والتقديس وتقول : سبحانك اللهم ربّنا وبحمدك اللهم اغفر لنا ! وسمعتهم يذكرون أبا الحسن الزناتي . فنهضت في الحين إلى الموضع الذي كان فيه أبو الحسن الزناتي . فوجدته قد مات في الساعة التي فيها سمعت تسبيح الملائكة .

136 – ومنهم أبو وَلْجُوط
تُونَارْتْ [المَشْنْزالي][758]

وهو الذي يقال له أبو تبرنوست . كان عبدا صالحا زاهدا . شيخه عبد الخالق بن ياسين ، كان مجاب الدعوة .

حدثني بن سليمان قال : حدثني إبراهيم بن ولجوط قال : حدثني أبو تبرنوست

(754) هسكوري مقيم بمراكش ، ذكره ابن عبد الملك في **الذيل والتكملة** ، سفراء الغرباء ص 10 .

(755) ميموني من هسكورة كان له اتصال بصلحائها .

(756) ميموني هسكوري ويلول معناه : مولود . قال عنه المؤلف في ترجمة أبي عبد الحق الهسكوري (185) : «وكان عبدا صالحا» وكناه «أبو واجْرُو» بجيم مصرية ومعناه : أبو ضفدعة .

(757) مصْطَاوْ باشمام الصاد زايا : راجع الهامش 252 قبله .

(758) س : المستزاني .

قال : شكا أهل بلدنا كثرة الأمراض . فدعوت جماعة الجن إلى أبي محمد عبد الخالق . فلما أبصرني أبو محمد عبد الخالق تبسم وقال : سبقوك يا أبا تيرنوست ! وكنت قد لبست برنوسا . فسمعت كلاما كثيرا . فقلت : كيف أخاصم قوما لا أراهم ؟ فليقدموا إلي واحدا منهم يقوم بحجتهم . فظهر لي واحد منهم قصير أزرق العينين مشقوقهما طولا وعليه قيص وقباء وسروال . فقلت لأبي محمد : إن قوم هذا أضروا بأهل بلدنا فكلهم مرضَى . فقال لأبي محمد : ما أضررنا أحدا وما مرضوا إلا من [تغيير][759] هواء بلدهم . وانصرفنا .

137 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر ابن عبد الله

تلميذ أبي مهدي الدغوغي وكان عبدا صالحا .

حدثني داود بن عبد الخالق قال : كنت ماشيا مع أبي يحيَى تلميذ أبي مهدي إلى أن رأيت ديكا في الطريق يصرخ . فقلت : سبحان من يعلم ما يقول هذا الديك ! فقال لي أبو يحيَى : ما تقول فيمن يحدثك انه رأى ديك السماء ؟ فدهشت من قوله ، ثم انبسطت معه إلى أن قلت له : سمعت بعض المريدين يقولون إنهم يكلمون الموتَى ويجيبونهم في قبورهم . فقال لي : هذا صحيح ، إن لله تعالى عبادا لو تكلموا بما استفادوا من مواهب الله تعالى لأفتَى هؤلاء الفقهاء برجمهم .

138 – ومنهم أبو محمد وين يوفن

تلميذ الفقيه يغمور بن خالد . كان عبدا صالحا زاهدا في الدنيا وأهلها .

سمعت داود بن عبد الخالق يقول : جاء رجل إلى وين يوفن بمائة دينار في عام مجاعة وفأسه في يده يحفر . فرمَى اليه بالمائة . فقال له وين يوفن : أتيتني بأوساخك لتنجسني بها ، خذها إليك ! ورماها إليه بفاسه وأقبل على حفره . فانصرف عنه الرجل منكسرا .

---

(759) م : تَغيُّر

وقال يوما لشيخه يغمور : ما هذا البياض الشديد الذي أراه تحت الأرض السابعة ؟ فقال له يغمور : هي الأرض الساهرة . وقال له في يوم الاثنين . وهو صحيح : يا أبا علي ما هذا الغبار الأبيض الذي أراه عليك ؟ فقال له يغمور : تلك آثار الفناء وقد دنا أجلي . فلما جاء يوم الاثنين الثاني مات فيه يغمور رحمه الله .

مَا فَازَ بِٱلْمَجْدِ إِلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ
سِرُّ ٱلْعَوَاقِبِ عَنْهُ غَيْرُ مَحْجُوبِ[760]
لَوْ قِيلَ خُذْ كُلَّ مَا تَهْوَى بِلاَ ثَمَنٍ
لَمْ يَرْضَ إِلاَّ بِإِسْآدٍ وَتَأْوِيبِ

139 — ومنهم أبو اسحاق إبراهيم ابن يِسُّول الاشبيلي

نزل تلمسان وبها مات وكان معلما ، أخذ القراءات عن شريح بن محمد بن شريح الرعيني[761] . واقرأ القرآن بتلمسان محتسبا لله دون أجرة عليه . فإذا صرف الصبيان احتطب من الجبل العزف يصنع منه حصر الصلاة ، فباعها واشترى بثمنها شعيرا يقتاته . وكان عبدا صالحا من أرباب الصيام والقيام . سمعت علي بن محمد[762] يقول : أنا ممن قرأ على أبي اسحاق . فكنت أقرأ عليه . فيغلبه النوم من سهر الليل . فإذا انتبه قال لي : لحنت في آية كذا وأسقطت آية كذا .

لَقَدْ حَكَمَ ٱلزَّمَانُ عَلَيَّ حَتَّى
أَرَانِي فِي هَوَاكَ كَمَا تَرَانِي[763]

---

(760) من البسيط
(761) هو شيخ المقرئين القاضي الأديب الخطيب الاشبيلي (451هـ ـ 539هـ) . ترجمته في **الغنية** (92) ص 213 وفي **الصلة** ص 234 .
(762) هو أبو الحسن بن خيار البلنسي . درس بتلمسان وسبتة ومراكش وتوفي بفاس سنة 605هـ (**الذخيرة السنية** ص 44) وله ترجمة في **التكملة** (1917) **والذيل والتكملة** (سفر الغرباء ص 9) وفي **جذوة الاقتباس** ، ص 483 **والإعلام** (9 : 61) .
(763) من الوافر . وردت في **روض الرياحين** دون نسبة .

حَبِيبِي إِنْ نَأَيْتَ فَإِنَّ قَلْبِي
عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ إِلَيْكَ دَانِي
وَإِنْ بَعُدَتْ دِيَارُكَ عَنْ دِيَارِي
فَشَخْصُكَ لَيْسَ يَبْرَحُ مِنْ عِيَانِي
لَقَدْ أَسْكَنْتَ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي
مَكَاناً لَيْسَ يَعْرِفُهُ جَنَانِي
كَأَنَّكَ قَدْ خَتَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي
فَغَيْرُكَ لاَ يَمُرُّ عَلَى لِسَانِي

140 – ومنهم أبو العباس الجَبَّاب المُقعَد[764]

من أهل مراكش . [زرته][765] مرارا وأنا صغير . وكان خياطا يأكل من كد يمينه . وكان عبدا صالحا . توفي عام اثنين وتسعين وخمسمائة ودفن بباب تاغزوت[766] . سمعت أبا موسَى عيسَى بن أبي عيسَى السوسي[767] يقول : سمعت

(764) المترجم تحت رقم (159) اسمه أيضا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان الجباب توفي في نفس عام وفاة هذا المترجم وكان خياطا هو أيضا . ويظهر أن ذاك شخص ثان لم يكن مقعدا . راجع **الإعلام** : 1 : 233 . وفي طرة س أن ضريحه بجنان النخيلات الذي لأولاد أبي محمد القسطالي بداخل باب تاغزوتْ .

(765) ح : رأيته .

(766) مايزال اسم باب تَاغزُوتْ يطلق على حي من أحياء مدينة مراكش ولم يعد من أبوابها بعد أن أضيف إلى المدينة الحي الذي به ضريح أبي العباس السبتي والمسمى بالزاوية العباسية . وقد اتفق مؤرخا مراكش العباس بن ابراهيم (**الإعلام** : 1 : 96) وابن الموقت (**السعادة الأبدية** ص : 11) على أن هذه الباب سميت بذلك لأنها كانت باب الخروج إلى الغزو . ونبه على أن تاغزُوت اسم شائع من أسماء الأماكن في بلاد المصامدة ، وقد يرد في صيغة الجمع : تِيغْزَا . ويدل على الوهدة والمنخفض من الأرض لأن الفعل إغزَا يعني حفر .

(767) حدث عنه في غير هذا الموضع وقال : «وكان عبدا صالحا» .

الشيخ أبا العباس أحمد بن إبراهيم المروي يقول : بت ليلة مع أبي العباس الجباب . فرأيته في جوف الليل قام واقفا إلى ورده يصلي فقلت له : يا أبا العباس ما هذا؟ فقال لي : اكتم علي .

141 – ومنهم أبو محمد عبد الله
[ابن][768] الخير الزناتي

من أهل تامسنا على قرب من [تالماخت][769] . كان عبدا صالحا فاضلا ورعا مستجاب الدعوة . سمعت محمد بن [الحسن][770] الفزاري[771] يقول : أقام عبد الله بن [وين][772] الخير عشرين سنة لم يأكل لحما ولا شيئا مما يأكله الناس وإنما كان يجمع نبات الأرض ، فيصنع منه أقراصا يأكلها في العام ، فإذا جاء عام آخر صنع مثلها . فسألته عن تلك الأقراص . فقال لي : أجمع النبات فأجففه في الشمس ثم أطحنه وأعجنه وأصنع منه هذه الأقراص فأقتات بها .

142 – ومنهم أبو بكر يحيَى
ابن محمد [ورزّج الزاهد][773]

أخذ عن الإمام أبي بكر بن العربي ، وهو شيخ أبي الحسين يحيَى بن محمد

---

(768) م : وِينْ الخير (بمعنَى : أهل للخير) وهو الصحيح . وفي طرة غ : «هو الذي يقول له الناس : غريب أتوالْ» . (وأتوال هو الكوخ الحقير من أغصان الشجر أو نحوها) .

(769) م : تَالْمَّاغْتْ . وهو جائز . ومايزال هذا الاسم يطلق على فرقة من قبيلة زعير جنوب مدينة الرباط . راجع **أخبار المهدي** ص 178 من الترجمة .

(770) م : محمد بن علي الفزاري .

(771) والراجح أنه الفتزاري نسبة إلى فتزارة التي تستوطن هذه المنطقة القريبة من سلا .

(772) زيادة في م .

(773) س وم : ورزق الزاهد . والراجح أن القاف في محل جيم بدوية فيكون : ورزگ أي ابن صاحب السعد أو ابن ذي السعد ، راجع **الصلة** : 673 (1487) و**بغية الملتمس** : 497 (1455) . وفيها أن ميلاده سنة 503هـ ووفاته سنة 560هـ . و**فهرسة ابن خير** : 437 .

الأنصاري المعروف بابن الصائغ ، وكان من أهل العلم والعمل والزهد في الدنيا وأهلها . سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص يقول : سمعت أبا الحسين بن الصائغ يقول : أقام أبو بكر مدة لم يعقد على دينار ولا درهم ولا أوى إلى عمران ؛ وما كنا نقرأ عليه إلا في بطون الأودية وشعاب الجبال والرباطات . فإذا نزلنا منزلا خدمنا بنفسه ، فإذا جنه الليل غاب عنا ، ثم يأتينا عند الصباح وفي خديه خطان من الدموع . وما كان يأكل إلا مما تنبته الأرض من المباح . فإذا وجد عصير الزُّبِّ يفرح به كثيرا ويترفَّه حينئذ ويقول فرحا [به][774] : يا قريب عهد بربه ! وكان كثير البكاء دائم الحزن وما أوى إلى العمران إلى أن مرض مرضه الذي مات فيه . فنقلته إلى داره بمدينة سبتة . فمات بها رحمه الله [ودفن][775] في الميناء .

ذَهَبْتُ أَطْلُبُ قَلْبِي . في كُلِّ شِعْبٍ وَوَادِي[776]
فَمَا وَجَدْتُ فُؤَادِي فَمَنْ يَحُلُّ قِيَادِي
لَأُذْرِفَنَّ دُمُوعِي لَأَهْجُرَنَّ رُقَادِي
حَتَّى أَفُوزَ بِقُرْبٍ وَالْقُرْبُ مِنْكَ مُرَادِي

حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : سرت مع أبي الحسين بن الصائغ في جبال سبتة . فبتنا في الطريق وقد أتعبه السير من المشي على قدميه . فجعلت رجليه في حجري وشرعت في دلكهما بيدي . فقال لي : يا بني ادلك قدمي والله ما مشيت بهما قط في مظلمة ولا إلى باب سلطان وهكذا فعلت بقدمي شيخي أبي بكر [ابن وزرج][777] فقال لي مثل ما قلت لك .

143 – ومنهم أبو عمران موسى ابن إسحاق الوزيكي المعلم[778]

من أهل مراكش ، وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمائة ودفن خارج [باب

(774) زيادة في س وم .
(775) س وم : ودفنته .
(776) من الجثث .
(777) ح : زرق ، م : زرق . والصحيح وَارْزْكَ .
(778) نقل الترجمة صاحب الإعلام : 7 : 290 وابن الموقت في السعادة الأبدية : 2 : 119 .

يتنان][779] . صحب أبا العباس الجباب ومحمد بن تميم وأبا يعقوب المبتلى وأضرابهم . وكان أبو عمران من أهل الزهو والكبر والركون إلى الدنيا ونعيمها . ثم نزعت به إلى الله همة عالية . فزهد في الدنيا ومتاعها . فلقد رأيته ، بعدما تاب ، محلوق الرأس حافي القدمين ، على جسده كساء صوف بال ، وعليه آثار الانكسار والندم . وما رأيته قط إلا ووعظني بحاله وحقر الدنيا في عيني . وإذا بت معه في جماعة من المريدين ، لم يأكل إلا آخر الناس بقية الآكلين . وما رأيته قط ضحك حتّى فارق الدنيا ، وما مر بحجر أو عظم في طريق إلا أماطه . وما جاء قط مسكين وعنده ما يعطيه إلا أعطاه فإن لم يجد شيئا يعطيه قام معه إلى السوق يمشي على الناس ويسألهم له . وكان يُعاتبُ على التشديد على نفسه فلا يقنع إلا بذلك .

دَعْ عَذْلَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ إِخْوَانِهِ
يَكْفِيكَ مَا يُخْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ[780]
إِنَّ ٱلْعَذُولَ هُوَ ٱلْخَذُولُ إِذَا لَحَى
لَا تَعْذِلَنْهُ فَأَنْتَ مِنْ إِخْوَانِهِ
نَشَرَتْ مَطَاوِي سِرِّهِ أَنْفَاسُهُ
فَبَكَى وَأَعْرَبَ شَأْنُهُ عَنْ شَانِهِ
يَا أَيُّهَا ٱلْغَادِي ٱجْتَنِبْ بَانَ ٱللِّوَى
فَٱلْأُسْدُ صَرْعَى ٱللَّحْظِ مِنْ غِزْلَانِهِ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ ٱلْعَقِيقَ فَإِنَّمَا
بَلْوَايَ بَيْنَ لِوَى ٱلْعَقِيقِ وَبَانِهِ
وَٱسْتَوْقِفِ ٱلْحَادِي وَسَلْ أَظْعَانَهُ
فَفُؤَادِيَ ٱلْمَأْسُورُ فِي أَظْعَانِهِ

وكان أبو عمران قد دفعت اليه أربعمائة دينار وقت المجاعة التي كانت عام أحد وتسعين وخمسمائة . فتصدق بجميعها على المساكين وبقي دون أضحية . فأتت امرأة

(779) س إنْتَان . وهو الباب الذي كان الخروج منه إلى جهات هنتاتة ، وليس باب ايلان كما ظن ليفي بروفنسال (أخبار المهدي ، ص 170 من الترجمة) .
(780) من الكامل .

مسكينة إلى زوجه وقالت لها : عسى أن تكلمي الشيخ أبا عمران أن يعطيني من الصدقة التي يفرقها . فقالت لها زوجه : ما عندي بذلك علم . فلما دخل عليها أبو عمران قالت له : كيف ؟ فرقت الصدقة على المساكين وأولادك أحوج منهم ! فقال لها : والله ما أرضى تلك الصدقة للمساكين فكيف أرضاها لأولادي . فمات رحمه الله ولم يترك شيئا قليلا ولا كثيرا . فرق الناس لما كان في أولاده من الفاقة والفقر . فجمعوا لهم صدقة على قبره . فاشتريت لهم منها دار وأعطوا باقيها ليصلحوا منها شأنهم . أخبرني بعض المريدين قال : أخبرني محمد القماد وكان من أصحاب أبي عمران قال : كنت ليلة في مصلاي وأنا في الذكر إذ سمعت حسا فقلت : يا هذا ، من أنت ؟ فقال : من مؤمني الجن ، أتينا من الشام في جماعة لنحضر جنازة أبي عمران المعلم . فلما أصبحت خرجت فصليت الصبح مع الأستاذ أبي زكرياء يحيى بن حسان المرادي[781] . فقلت له : سمعت أن أبا عمران المعلم توفي البارحة . فجلسنا ساعة ، فجاء إليه ابنه محمد فقال لنا : إن أبي توفي البارحة .

وحدثني أبو الحسن علي بن زكرياء قال : أخبرني أخي يوسف قال : رأيت أبا عمران بعد موته في النوم . فقلت له : كيف حالك ؟ فقال لي : «هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ !»[782] .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : سمعت أبا عمران يقول : عقد رجل مع الله عقدا ألا يرى فتاتة طعام بالأرض إلا التقطها . فحضر مع قوم على طعام . فسقطت فتاتة ، فاستحيى من الحاضرين أن يلتقطها . فخرج ثم رأى أنه قد حل العقد الذي كان بينه وبين الله تعالى . فعاد إلى المكان ليلتقطها فإذا هي قد انقلبت جوهرة . فاستحيى وخرج . قلت : إنما أخبر ، والله أعلم ، عن نفسه . فإنه كان بهذه الصفة ، وما مر قط بطعام في الأرض إلا رفعه .

رأيت أنا في النوم الشيخ الصالح أبا زكرياء يحيى بن أبي بكر الزناتي المعلم بعد وفاته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فذكر خيرا . فقلت : ما فعل باخواننا في الله

---

(781) شلبي نحوي حافظ ، أقرأ بمراكش إلى أن مات بها سنة 614هـ . ترجمته في **الإعلام** ج 10 ص 217 نقلا عن **صلة الصلة** وعن **البغية** .

(782) سورة الرحمن : 60 .

تعالى الذين ماتوا ؟ فقال لي : هم كلهم في خير. ثم ولى عني ذاهبا . فمشيت في أثره وقلت : أسأله عن أبي عمران المعلم . فقلت له : ما فعل بأبي عمران المعلم ؟ فقال لي : ما رأيته ولكن سألت عنه فقيل لي إنه مع العارفين.

144 – ومنهم أبو يعقوب يوسف بن عبد الله ابن مصباح التادلي المعلم[783]

أصله من داي من بلاد تادلا ونزل مراكش وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا ورعا ، على سنن أهل الفضل والدين ، وكان لا يأكل إلا من شيء عرف وجهه . أخبرني عنه مخبر أنه قام ليلة إلى ورده ، فلما سجد لدغته عقرب [في جبهته][784] فلم ينفتل من صلاته إلى أن سلم . ولما مات أبو يعقوب غسله جيرانه ولم يعلم بموته غيرهم . فما خرجوا بجنازته من باب الدباغين حتّى انثال الناس من كل جهة واحتفل الناس لجنازته . فاجتمع خلق كثير ، وكنت أنا ممن حضرها [وكان في يوم جمعة ، وكان يوما صائفا شديد الحر][785] . فغلب على الناس الغبار وشدة الحر فجاءت سحابة فرشت على قبره وما حواليه فسكن الغبار وخف الحر.

أخبرني عيسَى بن علي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن تميم يحدث عن ابنه عبد الله قال : رأيت في النوم جماعة وصلت من المشرق إلى جنازة أبي يعقوب المعلم فحملوه . فسألت عنهم . فقيل لي : هم ملائكة حملوه ليصلى عليه في المشرق . قال أبو عبد الله : فما أدري هل قال لي إنهم يصلون عليه بمكة أو بالمدينة أو بالمسجد الأقصَى ، إنما ذكر لي أحد هذه المساجد فنسيت . ثم لقيت عبد الله فسألته عن هذه الرؤيا فحدثني بها.

---

(783) نقل ترجمته في الإعلام ، ج 10 . ص 310

(784) زيادة في م وس.

(785) سقط من ف.

145 – ومنهم أبو علي منصور
ابن [عبد الرحمن][786] [السايُويّ][787]

تلميذ يحيَى بن يسولال الصنهاجي . أصله من بلد هسكورة . ومات [بتاهورت][788] من بلد أيلان قرب الزوال من يوم الخميس السابع عشر من شهر رمضان عام سبعة وتسعين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا زاهدا متزويا عن الدنيا وأهلها وما تزوج قط وما ركن إلى معلوم . سألت تلميذه مخلوف بن ياسين عن أحواله فقال لي : ما جاءه أحد قط يسأله عن شيء إلا سمع منه الجواب قبل الدخول إليه . وقد طال عهدنا باللحم في بعض الأوقات . فخرج من بيته ورفع بصره إلى السماء . فقال : يا رب عودتنا فضلك فأفض علينا ما عودتنا ! ثم قال لي : احدد ذلك السكين واغسل الصحفة . ودخل بيته . فلما طلعت الشمس سمعت قارعا يقرع باب الدار فخرجت إليه فإذا رجل بشاة سمينة . فدفعها لي وانصرف ؛ فادخلتها وذبحتها وأكلنا منها .

وحدثني مخلوف بن ياسين قال : سمعت أبا علي يحدث قال : أتى علي وقت وليس عندي فيه شيء غير حصير نام عليه . فأتاني رجل بلحم وكان رفيق يوسف الرجراجي غائبا . فجعلت اللحم وغرزت العود فوق رأسي في الحائط وقلت : أتركه حتى يجيء رفيق . فنمت . فسمعت في نومي قارئا يقرأ القرآن . فانتبهت وانا أسمع قراءة قوله تعالى : «وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ...» إلى قوله تعالى : «... عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ»[789] والصوت في جهة اللحم فلا أدري هل كان ذلك الصوت في اللحم أو على قرب منه .

---

(786) م : عبد الرحيم .

(787) م : السَّايوِيي وهو الصحيح ، نسبة إلى سايوية (إيسايْوِيْنْ) من هسكورة الظل وكانوا على وادي تَاسَاوْتْ المعروف .

(788) تَاهُوَّرْت . قرية منسوبة إلى هوارة وكان منهم سكان أغمات وتعرف إلى اليوم بمفيوة بتاوُرْت .

(789) سورة الواقعة : 30 ـ 31 ، 37 ـ 38 .

146 – ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن عبد الله [الهواري][790] المغيلي

تلميذ أبي عبد الله الهواري . كان عبدا صالحا زاهدا ورعا مؤثرا . سمعت علي بن ياسين يقول : سمعت أحمد بن بصال تلميذ أبي زكرياء يقول : نهضنا مع جماعة إلى أبي زكرياء . فاشترينا خبزا وتينا . فأكلنا منه وبقيت لنا من التين بقية . فجعلناها تحت السدر وسترناها بالنبات . فدخلنا على أبي زكرياء . فقدم لنا طعاما . فأكلنا منه ثم قال لنا : ما هكذا أخلاق المريدين ! رفعتم بقية التين ! هلا تركتموه على الطريق يأكله ابن السبيل ؟ فقلنا له : نتوب إلى الله تعالى من ذلك .

قال علي : ولقد حدثني أبو بكر بن فاضل قال : كنت مع أبي زكرياء المغيلي في المسجد وقد أدخل رأسه في جبته ، فقلت له : سمعت أن بعض الرجال يحج من ليلته . فأخرج رأسه من جبته ورجلاه تحت الجبة وقال : أعرف رجلا كما تعرفني يجعل قدمه الواحدة عند باب هذا المسجد وقدمه الأخرى بمكة .

قال علي : وحدثني أبو بكر يعقوب بن [الحجار][791] قال : كانت دار أبي زكرياء في ظهر مسجده ووراء داره أشجار قريبة من الجبل . فكان يدخل بين الشجر وعليها الحجل ، فإذا دخل ورأته نزلت إليه فيسقيها واحدة بعد واحدة . فتحرك تلميذ من تلامذته بين الشجر . فالتفت إليه أبو زكرياء وقال له : أنت ههنا تطلع على سري ! لا تصحبني أبدا !

147 – ومنهم أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن مؤمن المرادي[792]

من أهل أغمات وريكة وبها مات رحمه الله . وكان إمام الفريضة بجامعها .

(790) زيادة في ح . ورد ذكر المترجم في **الذيل والتكملة** ، في ترجمة أبي مدين (بقية السفر الرابع ، ص 129) وفيها أنه كان ساكنا بحومة مليانة من بجاية ، واستدعاه المنصور الموحدي والشيخ أبا مدين فلم يجبه .

(791) م : الحجاج .

(792) نقل ابن مليح هذه الترجمة في **أنس الساري والسارب** ، ص 17 ونقلها صاحب

صحب أبا زيد الامام وأبا عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري . كان عبدا صالحا ورعا يخيط الثياب بداره ولا يعيش الا من كد يمينه . أخبرني من حضر وفاته قال : رأيت أبا يعقوب المرادي عند النزع قد قبض بيده على لحيته وقال : والله لئن لم تغفر لي وترحمني لأكونن من الخاسرين ! ثم قطب وجهه فقضى نحبه رحمه الله .

وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبَلِّغِي
فَلِلزَّادِ أَبْكِي أَمْ لِبُعْدِ مَسَافَتِي[793]
أَتُحْرِقُنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى
فَأَيْنَ رَجَائِي فِيكَ أَيْنَ مَحَبَّتِي

148 - ومنهم أبو علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي[794]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمائة ودفن خارج باب ينتان . وكان عبدا صالحا معمور الباطن بأمر الله تعالى . وكان لا يفتر عن تلاوة القرآن . إذا دخل في زقاق خال التفت يمينا وشمالا فيرفع صوته بقراءة شجية لا يسمعها أحد إلا خشع .

طَوَى وَجْداً فَضَاقَ بِهِ احْتِمَالاً فَأَعْلَنَ بِالصَّبَابَةِ فَاسْتَرَاحَا[795]
وَأَطْرَبَهُ حَمَامُ الأَيْكِ لَمَّا أَتَاحَ لَهُ التَّشَوُّفُ مَا أَتَاحَا
وَمَا عَيْشُ امْرِئٍ لِلْبَيْنِ أَضْحَى يُسَائِلُ عَنْ أَحِبَّتِهِ الرِّيَاحَا

سمعت محمد بن يحيى يقول : سمعت أبا علي يقول : قرأت القرآن حتى ختمته سرا . فقلت في نفسي : ليت شعري هل أثاب على هذه الختمة . فسمعت هاتفا يقول : «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ»[796] .

▪ الإعلام ج 10 ، ص 392 . وقبره معروف في مقبرة أغمات العتيقة ، يسمونه سيدي يعكوب .

(793) من الطويل . راجع رسالة القشيري : 33 .

(794) راجع الإعلام (1457) .

(795) من الوافر .

(796) سورة النحل : 19 .

وحدثني محمد بن سعيد قال : كان أبو علي يكلم الجن وحدثني أن أمير الجن عاهده أن لا يكتب مكتوبه لمصروع الا برئ .

وحدثني محمد بن يحيى قال : دخلت على أبي علي وهو مريض فقال لي : ان الجن [سألوني][797] عن مسائل لا أعرفها .

وسمعت محمد بن سعيد[798] يقول : قال لي أبو علي : إن محمد المرسي يؤذيني . فقلت له : لعله لم يصح عنه ذلك . فقال لي : بل هو صحيح . فأقام محمد المرسي قليلا . فخرج يوما من باب فاس فجن وتعرى من أثوابه وذهب عريانا فانقطع خبره إلى الآن .

وكان أبو علي يؤثر الخلوة والانفراد ويبيت في المساجد الخالية وسكن بمصرية ببحيرة المصفصة . فافتقد فوجد في بيته مستقبل القبلة ميتا رحمه الله .

سمعت محمد بن يحيى يقول : كنت أسير مع أبي علي يوما فقال لي : ما معنى قوله تعالى : «قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ»[799] ما هذا الملك ؟ ففهمت إشارته وقصدت أن لا [أبوح][800] بسره وأردت أن أقطعه عن ذلك . فقلت له : تمام الكلام عند قوله : «وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» . ففهم عني وسكت . فأقمت شهرين وبات عندي فوق السطح . فنظر إلى السماء وقال لي : قال لي فلان : أتريد أن أعرفك بالمنازل لتعرف بها أجزاء الليل ؟ فقلت له : أنت تعرف مني أني لا أعرف المنازل ، فأي وقت أردت أن أوقظك فيه أيقظتك . فنام فاخترقت من المشرق إلى المغرب قبل ذهاب الثلث الأول من الليل .

وحدثني محمد بن سعيد قال : قعدت مع أبي علي في بستان خارج المدينة إلى أن مالت الشمس للغروب . فقلت : لعله يريد المبيت في قرية [تاووتي][801]

---

(797) ح : يسألونني .

(798) محمد بن سعيد الأنصاري. بلنسي نزل مراكش كان عارفا بالقراءات. عاقدا للشروط . توفي في حدود ستمائة . راجع **الذيل والتكملة** : 6 : 209 .

(799) سورة آل عمران : 26 .

(800) م ، ح ، س ألا يبوح . وهو الصحيح .

(801) تاووتي . لم يعد لها وجود . ومعناها : الضرب أو الحدود .

وباب المدينة [عازم][802] على أن يغلق . فقال لي : أتطيق الإسراع في الجري ؟ وكان نحيفا وأنا أقوى منه . فأشفقت عليه لضعفه . فما التفت إلا وقد غاب عني . فأجهدت نفسي في الاشتداد إلى أن وصلت إلى باب المدينة وقد سبقني إليه ورغب البواب أن يحبس على الباب إلى أن أصل . فنظر الي وهو يتبسم . فدخلنا المدينة وأغلق البواب الباب وقضيت العجب من ذلك .

149 – ومنهم رجل مجهول

سمعت محمد بن يحيى بن علي يقول : سمعت أبا علي عمر بن علي بن عبد العزيز يقول : صليت المغرب في رابطة أبي اسحاق[803] التي هي داخل باب أيلان . فلما سلمت وقع بصري على رجل توهمت فيه أنه ولي . فأحرم للنافلة فقلت : أتنفل قدر ما يسلم وأكلمه . فسلم قبلي وخرج من المسجد فسلمت واتبعته . فصعد في درج سطح المسجد . فقلت : قد يسر الله لي في الحديث معه على السطح في خلوة . فصعدت في الدرج ، فلما علوت السطح نظرت فلم أجد له أثرا ولا علمت أين ذهب .

150 – ومنهم أبو عمران موسَى ابن عيسَى الدرعي الأسود[804]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبها مات عام أربعة وتسعين وخمسمائة . ودفن خارج باب الدباغين . وكان أبو عمران مسرفا على نفسه . ثم تاب إلى الله توبة صادقة . فجمع القرآن في مدة يسيرة وأقبل على الصيام والصلاة والاجتهاد وما رأيته قط ضاحكا منذ تاب حتّى لحق بالله تعالى . وكنت إذا نظرت إليه ذكرني حاله بالآخرة . وكان سبب موته أنه حضر مجلس وعظ يوم جمعة فأصابه حال . فخرج من المسجد إلى داره وقد استصحبه ذلك الحال . فسقط في الطريق مغشيا

(802) غير وارد في م وح وس .

(803) معروفة بضريح سيدي إسحاق بمراكش .

(804) نقل هذه الترجمة صاحب **الاعلام** : 7 : 292 . وصاحب **السعادة الأبدية** : 1 : 131 .

عليه فحمل إلى منزله . فأقام يومين أو ثلاثة ومات رحمه الله تعالى :

هَذِي ٱلصَّوَافِي وَذِي أَعْلاَمُ نَجْرَانِ
فَٱحْبِسْ لَعَلِّيَ أَقْضِي بَعْضَ أَشْجَانِي[805]
وَٱسْتَخْبِرِ ٱلرَّكْبَ مِقْدَارَ ٱلسُّؤَالِ فَفِي
سُؤَالِ تِلْكَ ٱلْمَغَانِي بَعْضُ سُلْوَانِي
مَا ذَا ٱلْهَوَى ٱلآنَ مِمَّا كُنْتَ تَعْهَدُهُ
قِدْماً فَتَزْجُرَنِي عَنْهُ وَتَنْهَانِي
هَذَا هَوًى جَازَ عَنْ حَدِّ ٱلْهَوَى وَجَرَى
كَٱلْمَوْتِ وِجْدَانُهُ قَاضٍ بِفِقْدَانِي

151 – ومنهم أبو علي عمر
ابن كامل الفخار[806]

أصله من الأندلس ، نزل بمراكش وبها مات في شهر صفر عام اثنين وتسعين وخمسمائة . وكان إمام الفريضة بمسجد بئر الجنة[807] وكان رجلا صالحا معتزلا عن الناس منزويا عنهم . سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الغساني المعلم يقول : مات عمر بن كامل في يوم مطير فحمل إلى قبره خارج باب أغمات فأمسك المطر وكان السحاب متراكما . فلما صلينا عليه وألحدناه في قبره عاد المطر إلى انهماره الأول . قال أبو العباس : ورأيت أبا علي بعد موته في النوم وهو يقرأ : «وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ»[809] وسمعت هارون بن عبد الحليم يقول : رأيت أبا علي بعد موته في النوم وعليه ثياب خضر فقلت له : ما فعلت ؟ فقال لي : استرحت يا بني .

---

(805) من البسيط

(806) راجع الإعلام : 9 : 271 . والسعادة الأبدية 1 : 38 . وفي طرة س : «قبره بباب الصالحة» .

(807) قال ابن الموقت في السعادة الأبدية (ص 18 من طبعة الدار البيضاء) : «وهو المعروف اليوم بمسجد سيدي أبي يعقوب الحكيم بباب الدبغ» .

(808) معروف بمراكش .

(809) سورة الأعراف : 170 .

وسمعت يوسف بن محمد الخزرجي[810] يقول : سمعت أحمد بن عبد العزيز الخزاز[811] يقول : قال لي أبو الحسين بن الصائغ بسبتة : من أين أتيت ؟ فقلت له من مراكش . فقال لي في أي جهة تسكن ؟ فقلت : بباب أغمات . فقال لي : أتعرف عمر بن كامل ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : وددت أني صليت خلفه ركعتين . فلما عدت إلى مراكش ذكرت لأبي علي مقالة أبي الحسين . فتغير وانقبض وأنكر علي ذلك . .

وحدثني أحمد بن محمد الغساني قال : جاء رجل إلى أبي علي في عام مجاعة بمال . فامتنع من قبوله . فقال له الرجل : خذه مني على وجه السلف . فقال له : لا يحل لي أن أستلف ما أعلم أني لا أؤديه وليس عندي من أين أؤديه . فانصرف الرجل [ولم يقبل مما أتاه شيئا][812] .

152 — ومنهم أبو يحيَى أبو بكر ابن جلداسن الصنهاجي[813]

كان بسجلماسة ثم قدم مراكش فمات بها في حدود التسعين وخمسمائة وكان عبدا صالحا .

حدثني محمد بن أبي القاسم عن أبيه قال : بعث أبو بكر الصنهاجي إلى يحيَى بن عمر بن المعتصم — وكان خاصا به — أن يبعث إليه تمرا من [التمر البيراري][814] . فبعث به إليه . فلما سيق إليه امتنع من أكله . فقلت له : لم

(810) مراكشي كانت له علاقات مع بعض صلحائها .
(811) راجع ترجمته في **التشوف** تحت رقم (199)
(812) سقط من ف .
(813) راجع **الإعلام** : 1 : 404 و**السعادة الأبدية** : 2 : 114 . وهو : ابن كُلْيدَاسَن .
(814) م : البراري . والصحيح البَرَارِي أو الإيراري ، نسبة لمنطقة قصور إيرارة في نواحي سجلماسة ، ومازال معروفة بهذا الاسم في تافيلالت . وقد ذكر الادريسي (**نزهة المشتاق** ص 38 من طبعة الجزائر) **شهرة سجلماسة** بنوع من التمر سماه البرني واختلف رسمه في طبعة بريل (1975) ص 226 . فلعله الإيراري .

امتنعت من أكله ؟ فقال لي : إنه اقتطفه امرأة حائض فكرهت أكله . قال أبو القاسم . فبعثت إلى أبي زكرياء أن يبعث لي من ذلك التمر . فبعث لي شيئا في طبق . فأكل منه أبو بكر وقال : أما هذا فاقتطفه ولده علي . قال أبو القاسم فقمت من فوري إلى دار أبي زكرياء فسألته عن التمر الأول والثاني . فقال لي : أما الأول فاقتطفته امرأة وأما الثاني فاقتطفه ولدي علي . وسمعت ابن أبي القاسم يقول : كان أبو يحيى يأوي إلى أبي . فاقترح عليه ألا يصنع له الطعام الذي يأكله غير أختي الصغرى ميمونة . فكانت تصنع له عصيدة شعير دون ادام . فحملتها الخادم إليه يوما وقالت في نفسها : قال هذا الشيخ : لا آكل إلا ما تصنعه ميمونة فلآكلن منه حتَّى أرَى هل يعلم بذلك أم لا . فأخذت من وسطه بأطراف أصابعها . فلما وضعت الطعام بين يديه أكل من جوانب الصحفة ولم يأكل من وسطها . فقال له : إني أراك تركت من طعامك . فقال له : إن الخادم قالت في نفسها : لآكلن من طعام هذا الشيخ حتَّى أرَى هل يعلم بذلك أم لا . فأكلت منه وتركت الموضع الذي مسته .

وحدثني ابن أبي القاسم قال : دفع محمد بن [النوقي][815] ، وكان رجلا صالحا . لأبي يحيَى دراهم وقال له : ابعث بها إلى أمك . فتركها وديعة عند أبي القاسم فجعلها في صدع حائط ، ثم ان أبا يحي طلبها من أبي القاسم [فطلبها أبو القاسم][816] في الصدع الذي كان قد جعلها فيه . فلم يجدها . فقال له أبو يحيَى : لا تتعب نفسك في طلبها ، فإن ابنك عبد الله جاء يطلب الأقلام في هذا الصدع . فوجدها فيه . فطلبها عند ابنه عبد الله فوجدها وأعطاها لأبي يحيَى .

153 – ومنهم أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وابوسكط [المشنزائي][817]

من أهل قرية [يليسكاون][818] . أشخص إلى حضرة مراكش ثم عاد إلى

---

(815) من بعض نسخ ف : النوفي أو النومي .
(816) سقط من ف .
(817) س : المشتزائي . ورسم اسمه هكذا : تَصُولي باشمام الصاد زايا ، بن وَابُّوسْكُطْ
(818) س : يلَيْسكاوْنْ ، م : بيسكاوْنْ ، ز : يلَى سكاوْنْ . وكلها محاولات لرسم النطق .

بلده . فمات فيه عام خمسة وتسعين وخمسمائة . وكان عبدا صالحا .

سمعت هارون بن عبد الحليم يقول : دخل قوم من العرب أطراف بلاد دكالة . فدخل أحدهم في جنة أبي حفص . فأخذ منها عنبا . فلما جعله في فيه أصابه وجع كاد يقضي عليه . فجاء إلى أبي حفص فأخبره . فسح أبو حفص على حلقه فزال عنه ما كان أصابه . فقال له : ما الذي أدخلك جنتي ؟ فقال له : كنت آكل من جنات أهل تامسنا فلا يصيبني شيء فظننت أن جنتك كتلك الجنات . قال هارون : وخرج أبو حفص ليلة من داره متوجها إلى مسجد [أساكن][819] بعدوة وادي أم الربيع[820] . فإذا اللصوص خارج القرية مرتقبين من يمر بهم فيجردوه من ثيابه . فعاينوا كساء أبي حفص وهو أبيض في ظلام الليل . فتبعوه وهم يجرون ولا يدركونه . فدخل في المسجد . فقعدوا ينتظرونه عند باب المسجد وقالوا : إذا خرج علينا أخذنا كساءه . فخرج من باب المسجد ولم يشعروا به حتّى بعد عنهم . فتبعوه إلى أن وصل وادي أم الربيع . فمشى على الماء إلى أن عبر إلى العدوة الأخرى . فعلموا حينئذ أنه أبو حفص . فخاضوا الوادي إلى أن جازوا إليه . فوجدوه قد دخل

---

* الصحيح كما هو معروف اليوم : إيلا اسْكَاوْنْ أي أبو القرون .

(819) س : أسْكَا انتغدووت ز : أسكان تغدَّوْتْ ، ح وم : أَسْكَانْ تَغْزُوتْ . وهذا الرسم الأخير هو الصحيح ومعنى أسْكَا : المجاز ، والنون للإضافة وتغزوتْ كما سبق هي الوهدة والمنخفض .

(820) س : أم ربيع . وهذا هو الصحيح إلى يومنا هذا على ألسنة الناس ، وهكذا ذكره الادريسي (**نزهة المشتاق** : 46 من طبعة الجزائر) **والأستبصار** ص 185 . وعنها نقل صاحب **الروض المعطار** ، ص 605 . وأم ربيع عند الادريسي قرية على الضفة الجنوبية لهذا الوادي في الطريق بين مراكش وسلا . وصفها وصفا مفصلا . أما الوادي فكان يسمى وادي وانسيفن، وبذلك سماه **التشوف** في مجراه الأعلى بتادلا مرارا. ويذهب ماسينيون في **دراسته** (بالفرنسية) عن المغرب في أوائل القرن السادس عشر استنادا إلى **وصف افريقيا** للوزان (ص 210) أن اسم أم ربيع أطلق على هذا الوادي مؤخرا وذلك نسبة لمجازه عند بولعوان المسمى أم الرجلين ، وليس من شك أن اطلاق اسم أم ربيع على مجموع المجرى جاء متأخرا بعد حلول قبائل عربية في ضفتيه بتامسنا ودكالة وكذا في مجراه الأعلى بتادلا . ولكننا نستبعد أن تكون قرية أم ربيع هي بولعوان لأن الادريسي يجعلها على مرحلة قبل ايجيسل للمتوجه إلى سلا ، وايجيسل هي كَيْسِرْ الحالية . ولا يعقل أن تنحرف الطريق بما يقتضيه العبور في بولعوان إلى كَيسر .

داره . فانتظروه ساعة ، ثم قرعوا الباب . فخرج إليهم . فتابوا بين يديه وحلقوا رؤوسهم . فدعا لهم وانصرفوا .

أُكَلِّفُ ٱلْقَلْبَ أَنْ يَهْوَى وَأُلْزِمُهُ
صَبْراً وَذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ أَضْدَادِ[821]
وَأَكْتُمُ ٱلرَّكْبَ أَوْطَارِي وَأَسْأَلُهُ
حَاجَاتِ نَفْسِي لَقَدْ أَتْعَبْتُ رُوَّادِي
هَلْ مُدْلِجٌ عِنْدَهُ مِنْ مُبْكِرٍ خَبَرٌ
وَكَيْفَ يَعْلَمُ حَالَ ٱلرَّائِحِ ٱلْغَادِي
فَإِنْ رَوَيْتُ أَحَادِيثَ ٱلَّذِينَ مَضَوْا
فَعَنْ نَسِيمِ ٱلصَّبَا وَٱلْبَرْقِ إِسْنَادِي

154 – ومنهم أبو اسحاق الأندلسي

أصله من الأندلس وقدم فاس . فبنى رابطة خارج باب الجيسة وانقطع فيها . فكان يأوي إليه المريدون فيها . فأخبرني مخبر أن جماعة من أصحابه صنعوا طعاما لعشائهم وقد قرب المغرب . فأتت إليه امرأة وقالت له : إن أولادي هؤلاء جياع وليس عندي ما أطعمهم . فقال أبو اسحاق لأصحابه : ادفعوا هذا الطعام لهذه المرأة وأولادها . فدفعوه لها وهم كارهون وأيقنوا أنهم يبيتون دون عشاء وقد مالت الشمس للغروب وباب الجيسة [عازم][822] على أن يغلق . فإذا رجل جاء إلى البواب وناشده الله تعالى أن يتأخر بإغلاق الباب حتى يحمل طعاما إلى أصحاب أبي اسحاق بالرابطة . فسمع البواب بذلك فتأخر رغبة في الثواب إلى أن جاء حمال يحمل على رأسه طعاما كثيرا . فحمله إلى الرابطة وتركه هناك وانصرف . فلما انفتل أبو اسحاق من صلاة المغرب نظر إلى ذلك الطعام . فقال لأصحابه : ما أسوأ ظنونكم بالله تعالى ! آثرتم بطعامكم على كراهة منكم وقلتم نبيت الليلة جياعا ، فعوضكم الله أطيب من طعامكم .

---

(821) من البسيط .
(822) سقط من ح وم وس .

155 – ومنهم أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الصنهاجي[823]

من أهل فضالة[824] [إنما كان يتعبد بفضالة ، وهو من أفوجك ، قرية من نظر أزمور]* من عدوة وادي أزمور . قدم حضرة مراكش بعد أن أمر بإشخاصه إليها . ثم عاد إلى موضعه ومات فيه عام ستة وتسعين وخمسمائة . كان عبدا صالحا وكان سبب توبته أنه كان في حداثته محبا في اللهو يغني في الأعراس ويضرب الدف . فخرج يوما مع جماعة من الشباب يغني لهم ويضرب دفه لهم . فأبصروا أبا شعيب أيوب السارية وهو مقبل إلى جهتهم . ففروا حياء منه وبقي وحده . فوصل إليه أبو شعيب ودعا له فنفعه الله بدعوته . فأقبل على العبادة ثم انقطع عن الناس واعتزلهم حتّى لحق بالله تعالى .

بِأَيِّ فُؤَادٍ أَحْمِلُ ٱلْبُعْدَ وَٱلْهَوَى
وَأَنْتَ قَرِيبٌ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ[825]
مَلَكْتَ فُؤَادِي عِنْدَ أَوَّلِ نَظْرَةٍ
كَمَا صَادَ عُذْرِيّاً أَغَنُّ رَبِيبُ
وَحَيْثُ لِدَائِي كُنْتَ لِي فِيهِ عَائِداً
شُفِيتُ وَبَعْضُ ٱلْعَائِدِينَ طَبِيبُ
وَأَنْهَلْتَنِي مِنْ رِيقِكَ ٱلصِّرْفِ شَرْبَةً
حَلَتْ لِي وَمَا كُلُّ ٱلدَّوَاءِ يَطِيبُ

(823) راجع **الإعلام** : 1 : 152

(824) ذكر البكري أنها جزيرة بساحل بلد تامسنا (المغرب ، ص 87) وهي مرسَى . وذكر الادريسي أن مرسَى على ثلاثة مراحل من واد أم ربيع شمالا) (**نزهة المشتاق** ص 46) وحدد بدقة أكبر عندما ذكر أن بينها وبين سلا اثنى عشر ميلا وبينها وبين أنفا أربعون ميلا . ولعل العكس هو الصحيح إذا كانت تنطبق على فضالة المعروفة حاليا بهذا الاسم وصارت تسمى المحمدية ؛ سيما وأن البكري يذكر مرسَى أخر هي ماريفن بينها وبين سلا .

(*) سقط من ف ومن النسخ التي اعتمدناها واستدرك من **الإعلام** . وكان السياق بسقوطه هو «فضالة من عدوة أزمور» وهو لا يستقيم .

(825) من الطويل .

عَلَى أَنَّ ذِكْراً لاَ تَزَالُ سِهَامُهُ
تَرَى مَقْتَلاً مِنْ مُهْجَتِي فَتُصِيبُ
أُعِيرُ ٱلْمُنَادِي لِٱسْمِهِ ٱلسَّمْعَ كُلَّهُ
عَلَى عِلْمِهِ أَنِّي بِذَاكَ مُرِيب
وَيَا أَسَفِي كَمْ لِي عَلَى ٱلْخَيْفِ شَهْقَةٌ
إِلَى خَبَرِ ٱلْأَحْلاَمِ وَهْوَ كَذُوبُ
وَلاَ فِي ٱلنَّوَى يَا مُنْيَةَ ٱلْقَلْبِ رَاحَةٌ
وَلاَ فِي ٱلتَّدَانِي إِنَّنِي لَكَئِيبُ

156 — ومنهم أبو يعقوب يوسف ابن علي المُبْتَلَى [826]

تلميذ الشيخ أبي عصفور . كان بحارة الجذماء ، قبلي حضرة مراكش وبها مات في شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة . ودفن خارج باب أغمات عند رابطة الغار[827] . واحتفل الناس لجنازته ، وكان كبير الشأن فاضلا زرته مرارا ورزقني الله منه محبة ومودة . وكان صابرا راضيا . سقط بعض جسده في بعض الأوقات . فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك .

تَعَوَّدْتُ مَسَّ ٱلضُّرِّ حَتَّى أَلِفْتُهُ
وَأَسْلَمَنِي طُولُ ٱلْبَلاَءِ إِلَى ٱلصَّبْرِ [828]

---

(826) راجع **الاستقصا** : 2 : 211 **والإعلام** : 10. ص. 311 وإظهار الكمال **والسعادة الأبدية** : 1 : 24 . وهو معدود من الرجال السبعة الذين يزارون بترتيب مخصوص في مراكش ، ويعرف فيها بسيدي يوسف بن علي .

(827) هي مدفنه المعروف خارج سور مراكش في الحي الذي يحمل اسمه .

(828) من الطويل . والبيتان من ثلاثة نسبها ياقوت في **معجم الأدباء** (ط مصر) ج 12 ص 38 ، لظالم بن عدي بن عمرو بن سفيان الدؤلي ، والبيت الثاني فيه هكذا :
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى   وكان قديما قد يضيق به صدري
وردت منسوبة لأبي العتاهية في **ديوانه** ، ص . 175 .

وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْأُنْسُ بِالْأَذَى
وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

سمعت أبا الحسن علي بن [سحنون][829] بن ميمون الهزرجي الشاهد يقول : حضرت غسل أبي يعقوب وكان الفقيه أبو علي بن صمغ[830] يغسله فقال له : رأيته الآن وأنا أغسله وهو يتبسم . وسمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول : صليت الجمعة بجامع القصر الجديد[831] مع أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الخراز . فلما سلم الإمام أصابت أبا العباس سنة . فلما أفاق منها قال لي : رأيت أبا يعقوب قد مات فأسرع بنا إلى داره بحارة الجذماء ! فأتينا إليه ودخلنا عليه . فلما سلمنا عليه قال لأبي العباس : رأيت في منامك أني قد مت ؟ فقال له : نعم . فقال له أبو يعقوب : بقي لي ، وأشار بيده ؛ فعد باصبعه أربعين . فقال يوسف بن محمد : فلما كملت أربعون يوما من ذلك اليوم مات أبو يعقوب رحمه الله .

157 – ومنهم أبو محمد عبد الحليم ابن إسماعيل الأيلاني الأسود[832]

من أهل قرية تاووتي من جهات مراكش . مات عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة . زرته مرات بداره وكان حسن الموعظة سريع الدمعة مؤثرا بماله يقصده المريدون ويجتمعون عنده . فنفع الله به خلقا كثيرا ، سألت بعض خاصة تلامذته عن أحواله فقال لي : ما جئت قط من بلد نفيس إلى قرية تاووتي إلا وقال لي : فعلت بدارك كذا ، وقلت كذا وأخبرني بأمور خفية لا تدرك إلا بالمكاشفة .

---

(829) في بعض نسخ ف : اسحاق . وفي **الإعلام** (9 : 75) : ابن سحنون

(830) هو عمر بن عبد الله القرشي . تونسي نزل مراكش . كان زاهدا راوية للحديث متحققا بالفقه . توفي سنة 598هـ . ترجمته في **الذيل والتكملة** . سفر الغرباء ص 51 من المخطوط .

(831) هو جامع المنصور بالقصبة الذي بني سنة احدى وتسعين وخمسمائة .

(832) نقل ترجمته هذه صاحب **الإعلام** : 8 : 35 .

قَالُوا عَسَاكَ مُتَرْجِمٌ فَتَبِينَ لِي ... هَيْهَاتَ لَيْسَ بِنَاظِرِي إِنْ غَرَّنِي[833]
هَاتِيكَ دَارُهُمُ وَهَاذَا مَاؤُهُمْ ... فَاحْبِسْ وَرِدْ وَشَرِقْتَ إِنْ لَمْ تَسْقِنِي
اِشْتَقْتُ يَا سُفُنَ الْفَلَاةِ فَبَلِّغِي ... وَطَرِبْتُ يَا حَادِي الرِّفَاقِ فَغَنِّنِي

158 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن [عبد السلام][834] الدكالي

من بني سيكتي . من أهل العلم والعمل . شيخ أبي طالب المغيطي . حدثوا عن أبي العباس أنه زار الشيخ أبا يعزَى . فما وصله حتَّى حان وقت الصلاة . فنادَى أبو يعزَى بأبي العباس : يا أبا العباس ! فلم يجبه لأنه دخل في لفيف الناس ولم يكن رآه أبو يعزى قبل ذلك . فناداه أبو يعزى : يا أبا العباس أحمد بن عبد السلام ! فحينئذ أجابه وعلم أنه كوشف به . فلما أتاه قال له : تقدم بنا وصل . فتقدمه وصلَّى به .

159 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن الصنهاجي الجباب[835]

من أهل بلد أزمور وبه نشأ ثم نزل بالجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام اثنين وتسعين وخمسمائة . كان من أهل المعرفة بعلوم الاعتقادات وكان كبير الشأن .

---

(833) من الكامل . والأبيات من قصيدة لمهيار الديلمي . راجع **ديوان مهيار** (ط القاهرة) ج 4 ص 30 وفيه :
الشطر الأول من البيت الأول هكذا : قالوا عساك مرجِّم فتبيَّن
الشطر الأول من البيت الثاني : هي تلك دراهم وذلك ماؤهم .
الشطر الأول من البيت الثالث : «فأبلغي» بدل فبلغي .

(834) في بعض نسخ ف : أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي . وهو خلط بين هذا والمترجم الذي بعده .

(835) نقل ترجمته هذه صاحب **الإعلام** : 1 : 89 . ويتفق هذا المترجم مع المترجم تحت رقم (140) في الكنية والاسم وسنة الوفاة والمهنة . والواضح أنهما شخصان أحدهما مقعد والآخر ليس كذلك .

سمعت أبا علي عمر بن عبد الله الصنهاجي يقول : كنت أخرج مع أبي العباس الجباب من مراكش قرب الزوال . فيصلي الظهر بمسجد عقبة الذي بعدوة وادي نفيس [836] .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص قال : سمعت محمد بن يعقوب يقول : قعدت مع أبي العباس الجباب فوق السطح في ليلة مرجوة الخير والفضل . فكان أبو العباس يدعو إلى أن غاب . فرأيت العرق يتصبب من جسده . فكنت أمسح عنه العرق بقميصي حتى ابتل كله وعصرته كما يعصر الثوب المغسول بالماء . فأقام ساعة على ذلك الحال ثم سرى عنه .

نَظَرَ ٱلْغَرَامُ إِلَيْهِ مِنْ نَظَرَاتِهِ   فَمَنْ يَلُومُ وَدَاؤُهُ مِنْ ذَاتِهِ [837]
لَمْ يَدْرِ مَا لاَقَى وَلَوْ وَصَفُوا لَهُ   مَاذَا يُلاَقِي مَاتَ عِنْدَ صِفَاتِهِ

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : سمعت أبا العباس الجباب يقول : كنت في موضع مشرف على بحر أزمور فلم أزل أنحدر منه إلى جهة البحر حتى حصلت في حفرة في الحجر المشرف على البحر . فرأيت ماء البحر قريبا مني . فنظرت إلى المكان الذي كنت عليه فإذا هو فوقي . فنظرت في الرجوع إليه فإذا ذلك بعيد صعب . فأيقنت بالهلاك . فغلبت علي حالة غبت فيها عن نفسي . فلم أرجع إلى نفسي إلا وأنا في الموضع المشرف الذي كنت فيه أولا ولا أدري كيف وصلت اليه ولا كيف كان ذلك . وعجبت من حالي غاية العجب .

قال : وسمعت أبا العباس يقول أتت علي أوقات أعتقد فيها أن الواجبات إنما

---

(836) في كتاب **القبلة** لابن عبد الحليم (ص 15) وكذا في **كتاب الأنساب** (ص 42) أن هذا المسجد أو الرباط على وادي نفيس قرب دركالة . وظن من اعتمد مقال عبد الحي الكتاني المنشور في **مجلة المغرب** (عدد يونيه – يوليوز 1936) أنه رباط شاكر . ولكن رباط شاكر على وادي تانسيفت ، وصاحب **التشوف** يذكره ويذكر رباط عقبة. وقد قرأ عبد الحي اعتمادا على أبي زيد الفاسي ذكالة بدل دركالة ، وهو تصحيف ، وقد بين صاحب **القبلة** المعتمد عليه أن دركالة في بلد إنْمِّيغرن وهي قريبة من سد تاكركوست الشهير على وادي نفيس ولا عبرة في نظرنا بنقد العبدري للبكري وبينهما مدة اندثرت فيها معالم أخرى غير رباط نفيس .

(837) من الكامل .

تعينت علي وحدي وهي أحسن الأوقات عندي . وكنت إذا أشكل علي أمر يفتح علي في تيسير كتاب انظر فيه فأجد فيه بيان ما أشكل علي . وكنت أخيط الجبة بخمسة دراهم فأجيد خياطتها حتّى تقوم بعشرة دراهم وأرضى بما ينالني من الغبن مع التحري مني . فرأيت النبي ﷺ في النوم . فعلمني كيف أخيط وأراني قدر ما يكون بين الغرزتين . فكنت أخيط بعد ذلك على ذلك المثال .

160 — ومنهم [منية][838] بنت ميمون الدكالي[839]

أصلها من مكناس ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش وبه توفيت عام خمسة وتسعين وخمسمائة . ودفنت خارج باب الدباغين وكانت من الأفراد . زرتها ورأيتها عجوزا قد اسودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها .

وَمَا أَبْقَى ٱلْهَوَى وَٱلشَّوْقُ مِنِّي ... سِوَى نَفَسٍ تَرَدَّدَ فِي خَيَالِ[840]
خَفِيتُ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ أَنْ تَرَانِي ... كَأَنَّ ٱلرُّوحَ مِنِّي فِي مَحَالِ

حدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي البسطي قال : مشيت إلى رباط شاكر فوجدت فيه منية فقالت لي : ما رأيت هذا المكان قبل هذه المرة ولقد تمنيتك فيه . ثم حدثتني إلى أن قالت لي في حديثها : قيل لي : يتفق لك شيء . وأنا أظنه أنه الموت . فقلت لها : لعله غير ذلك . فلما عادت إلى مراكش مرضت مرضها الذي ماتت فيه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : رأيت منية في رباط شاكر . فصليت بها في جماعة من المريدين وانصرفت عنهم . فأخبرني بعض من تحدث معها من المريدين أنها قالت : حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء .

---

(838) ورد الاسم في بعض نسخ ف مشكولا هكذا : مُنَيَّة وفي بعضها الآخر : منينة .
(839) جاء في الإعلام (7 : 332) : «المشهورة عند العامة بميمونة تاكْنُوت» ومعنى تاكنوت : التي لا تبين في كلامها ، وأكْناو الذي من بلد غانا .
(840) نسب البيتين في روض القرطاس (ص 271) لمحمد بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني . وكذا في جذوة الاقتباس (ص 220) . ولعل الصواب أنها للوأواء الدمشقي كما ورد في يتيمة الدهر للثعالبي : 1 : 279 .

وحدثني محمد بن علي قال : قالت لي منية : زرت ولدي حسونا بحارة [أبي يعبيدن][841] في فصل المطر والطين . فخرجت من عنده إلى مسكني ببحيرة أبي مروان[842] وأنا أسمع أذان المغرب . فخرجت ولم أشعر إلا وأنا عند باب مسكني وأذان المغرب لم ينقطع . قال : وزرتها يوما ، فوجدت عندها ابن أخيها أبا الحسن علي العربي وقالت لي : يا محمد ، بات البارحة عندي العربي ، فصلّى بنا عيسَى بن موسَى[843] . فكان النور يدخل علينا من هذه الطيقان . فقلت في نفسي : كيف بات عندها عيسَى وهو شاب ؟ فقالت : يا بني أتتهمني ؟ أو لم أقل لك بات ابن أخي علي العربي ؟ يا علي ، ألم تكن عندنا البارحة ؟ وكان نائما عندها فأجابها وقال : نعم . فخجلت مما خطر في خاطري ثم اني أقمت زمانا بعد أن حدثني محمد بن يحيَى بهذه القصة ، فلقيت عيسَى بن موسَى فسألته هل شاهد النور يدخل عليهم من الطاق في مصرية منية إذ كان يصلي بها وبعلي العربي . فقال لي : رأيت والله النور داخلا من الطاق ومن خلفي وأنا أنظر اليه إلى أن انحرفت عن القبلة .

مَنْ رَأَى ٱلْبَرْقَ بِنَجْدٍ إِذْ تَرَاءَى   سَلَبَ ٱلنَّوْمَ وَأَهْدَى ٱلْبُرَحَاءَ[844]
فَاضَ فِيهَا كَجُفُونِي مَاؤُهُ   وَٱلتَّظَى وَهْناً كَأَنْفَاسِي ٱلْتِظَاءَ
قَامَ سُمَّارُ ٱلدُّجَى عَنْ سَاهِرٍ   تَخِذَ ٱلْهَمَّ سَمِيراً وَٱلْبُكَاءَ
أَسْهَرَتْهُ دَمْعَةٌ تَفْضَحُهُ   وَإِذَا مَا أَحْسَنَ ٱلدَّمْعُ أَسَاءَ
يَا خَلِيلَيَّ وَلَمْ أُشْعِرْكُمَا   بِٱلْهَوَى حَتَّى تَبَيَّنْتُ ٱلْإِخَاءَ
عَلِّلَا قَلْبِي بِذِكْرَى قَاتِلِي   رُبَّ دَاءٍ قَادَ لِلنَّفْسِ دَوَاءَ

سمعت محمد بن يحيَى يقول : زرت قبر منية . فقعدت عنده فرأيت يخرج منه شيء كبخار القدر . ثم رأيت كعمود من النور يخرج من قبرها إلى السماء إلى أن غلب على شعاع الشمس .

---

(841) يعْبيدْنْ تعني العُبّاد . لعلها الدرب المعروف بدرب عبيد الله .
(842) لعلها البستان المعروف بـ (تابْجيرْت) وصار به حي مبني اليوم .
(843) مراكشي ، خالط عددا من رجال التشوف ، وكان يتردد على رباط شاكر ورباط أسفي .
(844) من الرمل .

قال محمد : وكانت منية تحدثني قالت : دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبته كارهة . فلما قدمت القصعة بالطعام ، كلمني الطعام وقال لي : لا تأكلني ، فإني حرام ! فاستحييت من صاحبه ورفعت بضعة من لحم إلى فمي ثم وضعتها . فحرمت أورادي والنوافل ثلاثة أيام ، والهواتف تهتف عن يميني وعن شمالي : هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجرون !

قالت : وصليت الضحَى يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته . فقلت في نفسي : لعله دخل تحته حيوان . فلما سلمت رفعته فإذا تحته دراهم طرية . فخررت ساجدة أبكي وأقول : أنت مطلوبي ! لا سواك فأقلني ! فعاد الحصير على الأرض كما كان . فرفعته فلم أجد تحته شيئا .

161 – ومنهم أبو سعيد عثمان [اليِرْصِجي][1]

من أهل قرية سرنو[2] من دكالة . كان عبدا صالحا منقطعا في غار يعمل أحجار الأرحاء . مات في حدود التسعين وخمسمائة . سمعت داود بن عبد الخالق يقول : سمعت أبا سعيد غير ما مرة يقول : أيصلي أحدكم خمسة عشر يوما ولا يكون لصلاته نور ؟ وهل الصلاة صلاة ان لا يكون لها نور ؟

162 – ومنهم أبو مدين شعيب ابن حسين الأنصاري[3]

أصله من حصن قَطْنِيانة من عمل اشبيلية ثم نزل ببجاية وأقام بها إلى أن أمر باشخاصه إلى حضرة مراكش . فمات وهو متوجه اليها بموضع يسّر[4] عام أربعة وتسعين وخمسمائة وقيل عام ثمانية وثمانين . ودفن بالعباد خارج تلمسان . وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري . فقال : كان زاهدا . فاضلا عارفا بالله تعالى . قد خاض من الأحوال بحارا ونال من المعارف أسرارا وخصوصا مقام التوكل لا يشق فيه غباره ولا تجهل آثاره وكان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتّى ختم الله له بذلك . ولقد أخبرني من أثق به ممن شهد وفاته

---

(1) الإِرْصِكي . بإشمام الصاد زايا . سبق شرح معناه .

(2) سِرْنُو . تبعد من أَسْفي بحوالي ثمانية عشر كيلومترا . وآثارها معروفة . ولا ينطبق موقعها على وضعه عند ماسينيون في خريطة دكالة (ص 203 من كتابه : **المغرب في أوائل القرن السادس عشر**) . راجع أحمد بوشرب : دكالة **والاستعمار البرتغالي** ، ص 50 .

(3) ترجمته في **صلة الصلة** ص . وفي **التكلة** (2015) وفي **الذيل والتكلة والنجم الثاقب** ص 115 بقية السفر الرابع ، ص 127 . وأفرد له ابن قنفذ كتابه **أنس الفقير وعز الحقير** . وترجم له كذلك في **عنوان الدراية** ص 22 **والمعزى في مناقب أبي يعزى** ص ص 83 . **والبستان** ص 108 **ونيل الابتهاج** (على هامش **الديباج**) ص 127 **ونفح الطيب** : 7 : 136 **وجذوة الاقتباس** (609) **وشجرة النور** ص 164 **والاستقصا** : 2 : 212 **وسلوة الأنفاس** : 1 : 364 .

(4) وادي يسر قريب من **تلمسان** (المعزى ، ص 83) .

أنه قال : رأيته عند آخر الزمن يقول : الله الحق .

حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري[5] قال : سمعت أبا مدين يحدث بيدء أمره ويقول : كنت بالأندلس يتيما . فجعلني إخوتي راعيا لهم لمواشيهم فإذا رأيت من يصلي أو من يقرأ أعجبني ودنوت منه وأجد في نفسي غما لأنني لا أحفظ شيئا من القرآن ولا أعرف كيف أصلي . فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة . ففررت ، فلحقني أخي وبيده حربة . فقال لي : والله لئن لم ترجع لأقتلنك ! فرجعت وأقمت قليلا ثم قويت عزيمتي على الفرار ليلا . فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخر . فأدركني أخي بعد طلوع الفجر . فسل سيفه علي وقال لي : والله لأقتلنك وأستريح منك ! فعلاني بسيفه ليضربني . فتلقيته بعود كان بيدي فانكسر سيفه وتطاير قطعا . فلما رأى ذلك قال لي : يا أخي اذهب حيث شئت . فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة ، ثم ذهبت إلى سبتة . فكنت أجيرا للصيادين . ثم ذهبت إلى مراكش . فدخلتها وأدخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد . فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطونني منه إلا اليسير . فقيل لي : ان رأيت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس . فتوجهت إليها ولزمت جامعها وتعلمت الوضوء والصلاة وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين فلا أثبت على شيء من كلامهم إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي . فسألت من هو . فقيل لي : أبو الحسن ابن حرزهم . فأخبرته أني لا أحفظ إلا ما سمعته منه خاصة . فقال لي : هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان . وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب . ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات أبي يعزى . فذهبت إليه في جماعة توجهت لزيارته . فلما وصلنا جبل ايروجان ودخلنا على أبي يعزَى أقبل على القوم دوني . فلما أحضر الطعام منعني من الأكل . فقعدت في ركن الدار . فكلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهرني فأقمت على تلك الحالة ثلاثة أيام وقد أجهدني الجوع ونالني الذل . فلما انقضت ثلاثة أيام قام أبو يعزَى من مكانه . فأتيت إلى ذلك المكان ومرغت وجهي فيه . فلما رفعت رأسي نظرت . فلم أر شيئا وصرت

---

(5) ذكره في أنس الفقير (ص 37) وقال : «ومن أصحاب الشيخ أبي مدين ، رضي الله عنه ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الأنصاري ، وهو من كبار تلامذته ، وكثير الرواية عنه» . حضر مجلسه ببجاية وحضر بها مجالس أبي زكرياء الزواوي (المترجم 256) ولعله نزل مراكش بأخرة .

أعمَى . فبقيت أبكي طول ليلتي .

قَلِيلٌ لِمِثْلِي زَفْرَةٌ وَنَحِيبُ   وَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ ٱلْحَبِيبَ طَبِيبُ[6]
وَأَمْثَلُ مَا يَلْقَى ٱلْمُحِبُّ خُضُوعُهُ   إِذَا كَانَ مَنْ يَدعُوهُ لَيْسَ يُجِيبُ

فلما أصبحت استدعاني وقال لي : [اقرب . يا أندلسي !][7] فدنوت منه . فسح بيده على عيني . فأبصرت . ثم مسح بيده على صدري وقال للحاضرين : هذا يكون له شأن عظيم ، أو قال كلاما هذا معناه . فأذن لي في الانصراف وقال لي : ستلقى في طريقك أسدا . فلا يروعنك فإن غلب عليك خوفه . قل له : بحرمة يلنور إلا ما انصرفت عني ! وسيلقاك ثلاثة من اللصوص عند شجرة وستعظهم فيتوب اثنان منهم على يدك ويرجع الثالث فيقتل ويصلب على تلك الشجرة . فودعته وانصرفت . فاعترضني أسد في الطريق . فأقسمت عليه بأبي يعزى وتنحى عن الطريق وجزت ولم يزل يتبعني إلى أن خرجت من الشعراء فرجع عني ، ثم أتيت على ثلاثة من اللصوص وهم جلوس إلى أصل شجرة . فقاموا إلي فوعظتهم فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم . فانصرفا وبقي الثالث إلى أصل الشجرة . فقعد عندها . فسمع به الوالي فبعث إليه من ضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة . ولم أزل سائرا إلى أن وصلت بجاية . فأقمت بها .

وحدثني أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف وكان قد صحب أبا مدين نحوا من ثلاثين سنة وما فارقه إلى أن مات بيسر قال : سمعت الشيخ أبا مدين يقول : كنت بقطنيانة فأردت التخلي عن الدنيا . فسرت قاصدا نحو المغرب ثلاثة

---

(6) من الطويل .

(7) في **عنوان الدراية** ، ص 23 : كان أبو يعزى يثني عليه (أبي مدين) ويقول بلسانه : «إيشار أفان أندلسي» وفي **أنس الفقير** ، ص 16 أن أبا يعزى كان يقول له : «آشك أرگاز الأندلسي» ومعناه آشك الرجل الأندلسي وقال محققا الكتاب : إن معناه تلف . وفي الطبعة الأولى **لعنوان الدراية** التي حققها ابن شنب قال المحقق : «وقيل معناه : (المشار إليه هو الأندلسي)» وفي **المعزى** ص 83 : «كان أبو يعزى يقول إذا ذكر أبو مدين : «أرگاز أندلسي» يعني : «أي رجل أندلسي» . وواضح أن كلمة «آشك» تصحيف لكلمة أشْكَدْ بمعنَى اقترب . وكلمة أفان تصحيف لكلمة أرقاز بقاف معقودة أي أرگاز ، ومعناه الرجل . فيكون المعنَى هو ما ورد في التشوف «اقرب يا أندلسي» .

أيام أو أربعة أيام فلاحت لي كدية على البحر وعليها خيمة . فخرج إلي منها شيخ وليس عليه إلا ما يستر به عورته . فنظر إلي وظن أني أسير فررت من أرض الروم . فسألني عن شأني فأخبرته . فأخذ حبلا وربط في طرفه مسمارا ، فرمَى به في البحر فأخرج حوتا فشواه لي فأكلته . فأقمت عنده ثلاثة أيام . كلما جعت . رمَى بالحبل والمسمار في البحر فيخرج به حوتا . فيشويه وآكله . ثم بعد ذلك قال لي : أراكَ تروم أمرا . فارجع إلى الحاضرة . فإن الله لا يعبد إلا بالعلم . فرجعت إلى اشبيلية ثم ذهبت إلى شريش ومن شريش إلى الجزيرة الخضراء . فجزت البحر إلى سبتة وذهبت إلى فاس فلقيت بها الأشياخ . فسمعت رعاية المحاسبي على أبي الحسن ابن حرزهم . وسمعت كتاب السنن لأبي عيسَى الترمذي على أبي الحسن علي ابن غالب وأخذت طريقة التصوف عن أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي[8] . فكنت أقيم بفاس وآخذ آية من القرآن وحديثا فأخرج إلى موضع خال متصل بالساحل فإذا فتح لي في العمل بالآية والحديث عدت إلى فاس فأخذت آية وحديثا وكذلك فأعمل عليهما . وكان الموضع الذي آوي إليه في الجبل عمرانا طرأ عليه الخراب فلم يبق من بنيانه شيء قائم إلا مقصورة المسجد خاصة . فكنت إذا قعدت فيها تأوي إلي غزالة فلا أدري هل كانت تأوي إلى أهل ذلك المكان فرحلوا وبقيت تأنس بالمكان أو كانت تأوي إلي . فكانت تأتيني متَى جئت إلى ذلك المكان فتشم من قرني إلى قدمي ثم تربض أمامي . فذهبت يوم الخميس إلى فاس وبت بها ليلة الجمعة . فلقيت رجلا من الأندلس أعرفه . فسألت أبا عبد الله بن أبي حاج عن ثوب كان عنده . فقال لي : ما تريده ؟ فقلت له : أريد أن يباع ويدفع ثمنه إلى هذا الرجل ويكون ذلك ضيافته فقال لي : خذ عشرة دراهم وادفعها له . فأخذتها وطلبت الرجل . فلم أجده . فصررت الدراهم في صرة وجعلتها في مئزري وخرجت إلى الجبل . فمررت بقرية على طريق فيها كلاب كثيرة وكنت إذا مررت بها . تبصبص إلي الكلاب وتدور بي. فلما قربت من تلك القرية أنكرتني كلابها ونبحتني وما تخلصت منها إلى أن حال بيني وبينها أهل القرية. فلما وصلت مكاني من الجبل جاءتني الغزالة فشمتني ثم تنحت عني ونظرت إلي نظرا منكرا ونطحتني مرة وثانية

(8) أبو الحسن السلاوي .

وثالثة بقرنها وأنا أتلقّى قرنيها بيدي . فتفكرت في سبب ذلك وفي انكار كلاب القرية لي . فعلمت أنه من أجل الدراهم التي صررتها في مئزري . فنزعتها ورميتها ناحية . فنظرت إلي وربضت أمامي على عادتها . فبت بذلك المكان . فلما أصبحت أخذت الصرة وحملتها إلى فاس . فوجدت الرجل الذي أعددتها لضيافته . فدفعتها له . ثم سرت إلى الجبل على عادتي . فمررت بالقرية التي في طريقي . فبصبصت الكلاب على عادتها ولم تنبحني . فوصلت موضعي من الجبل . فجاءتني الغزالة فشمت السلهامة من قرني إلى قدمي فربضت أمامي على عادتها .

قال أبو مدين : وكنت أزور الشيخ أبا يعزَى . فأول مرة زرته مشيت إليه مع رجلين فاشتهى كل واحد منها طعاما يأكله عنده . فلما وصلنا إليه . قدم لكل واحد منها ما اشتهاه قبل الوصول اليه . فأقمت عنده أياما . فرأيته في تلك الأيام يقدم الرجل للصلاة فإن كان قارئا مجيدا أقره وإن كان لحانا أخره . وكان أبو يعزَى أميا ولكنه رزق إدراك علم هذا .

قال أبو مدين : وقالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزَى : ثبتت عندنا ولاية أبي يعزَى ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرأن ونرى أن لمسهن حرام فإن نحن تكلمنا في هذا هلكنا وان سكتنا تحيرنا . فقلت لهم : أرأيتم لو أن بنت أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج ولم يجد من يعانيه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألستم تجيزون ذلك مع أن دواء اليهودي أو النصراني مظنون وأنتم من معاناة أبي يعزى على يقين من الشفاء ومن معاناة غيره على شك . فبلغ كلامي أبا يعزى فكان يقول : إذا رأيتم شعيبا فقولوا له : عسَى أن يعتقني . كأنه استحسن جوابي عنه .

قال أبو علي : كان أبو مدين يقول : رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزَى وينبغي أن تكتب بالذهب .

سمعت أبا علي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول : الملتفت إلى الكرامات كعابد الأوثان . فإنه انما يصلي ليَرَى كرامة . قال أبو علي : ولما احتضر أبو مدين استحييت أن أقول له : أوصني . فأتيت بربيبه وقلت له : هذا فلان . فأوصه . فقال لي : سبحان الله . وهل كان عمري معكم كله إلا وصية . وأي وصية أبلغ

من مشاهدة الحال ؟ قال أبو علي : سمعته عند النزع وهو يقول : الله ! الله ! حتَّى رق صوته.

ذَكَرْتُكَ ؟ لاَ أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً وَأَهْوَنُ مَا فِي ٱلذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي[9]
وَكِدْتُ بِلاَ وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ ٱلْهَوَى وَهَامَ عَلَيَّ ٱلْقَلْبُ بِٱلْخَفَقَانِ
فَلَمَّا رَآنِي ٱلْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ وَلاَحَظْتُ مَعْلُوماً بِغَيْرِ عِيَانِ

سمعت محمد بن إبراهيم الأنصاري يقول : خرج أبو مدين ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة.

حدثني محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت الشيخ أبا مدين يقول : رأيت من واصل ستة أشهر ، وذكرت عنده العقبات السبع التي في كتاب **منهاج العابدين** . قال : رأيت من قطعها في سبعين عاما بان قطع كل عقبة منها في عشرة أعوام ورأيت من قطعها كلها في ساعة واحدة كإبراهيم بن أدهم[10] الذي قطعها في ساعة واحدة وجاءه التوفيق من الله تعالى.

حدثني محمد بن خالص قال : حدثني أبو الربيع المديوني قال : وصل رجل من أهل المكاشفة إلى تلامذة أبي مدين . فأنكر عليهم بعض أمورهم . فأعلموا أبا مدين . فقال لهم : سيسلب ما وهب . فسلب المكاشفة بتغيير قلب الشيخ . فكان كأحد العامة.

قِفْ بِٱلدِّيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ
تَبْكِي ٱلْأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا[11]

(9) من الطويل ، وردت الأبيات في **ديوان الشبلي** ، ص 127 . ونسبها الكلاباذي في **التعرف لمذهب أهل التصوف** ، ص 104 ، للجنيد.
(10) أبو إسحاق بن منصور العجلي ، أصله من بلخ روى عن جماعة من التابعين ، واشتغل بالزهد ، وكان يكون بالكوفة ثم بالشام . توفي سنة 140هـ ودفن في صور . راجع **وفيات الأعيان** : 1 : 31
(11) من الكامل ، وردت في **طبقات الصوفية** ، ص 264 وفي **المدهش** ، ص 240 ونسبها في **تاريخ بغداد** : 4 : 433 لأبي محمد الجريري ، وكذا في **روضة التعريف** ، ص 659.

كَمْ قَدْ وَقَفْتُ [بِرَبْعِهَا مُسْتَخْبِراً][12]
عَنْ أَهْلِهَا أَوْ [سَائِلاً][13] أَوْ مُشْفِقَا
فَأَجَابَنِي دَاعِي ٱلْهَوَى [لِي مُسْرِعاً][14]
فَارَقْتَ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ ٱلْمُلْتَقَى

حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري قال : حدثني عبد الله بن ماكْسَن الصنهاجي[15] قال : جاء رجل إلى الشيخ أبي مدين ليعترض عليه . فأراد القارئ أن يقرأ عليه الكتاب . فسكته أبو مدين وقال له : اسكت ، ثم التفت إلى الرجل وقال : لم جئت ؟ فقال له الرجل : جئت لأقتبس من أنوارك . فقال له : ما الذي في كمك ؟ فقال له : مصحف . فقال له أبو مدين : أخرجه ! فأخرجه من كمه . فقال له : اقرأ أول سطر . ففتحه وقرأ أول سطرٍ منه فإذا فيه : «ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ»[16] فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا ؟

سمعت محمد بن إبراهيم الأنصاري يقول : سمعت أبا مدين يقول : جاءني رجل من الصالحين فقال لي : رأيت البارحة في النوم حلقة عظيمة لجماعة من الصوفية وفيهم أبو يزيد البسطامي[17] وذو النون المصري[18] وغيرهما من المشايخ وهم على منابر من نور وأبو طالب المكي[19] على منبر عال وأبو حامد الغزالي على منبر يقابله

(12) **تاريخ بغداد** : كم قد وقفت بها أسائل مخبرا .
(13) **تاريخ بغداد** : صادقا . **روضة التعريف** : عاذرا .
(14) **تاريخ بغداد** : فأجابني داعي الهوَى في رسمها .
(15) في **أنس الفقير**. ص 90 : «ومن أصحاب الشيخ أبي مدين رضي الله عنه . الشيخ الصالح أبو محمد بن عبد الله بن مَاكْسَن الصنهاجي» . وماكسن من فعل اكْسِ الذي يعني : ورث . وإماكسن : بنو وارث .
(16) سورة الأعراف : 92
(17) طيفور بن عيسَى ، الزاهد المشهور . توفي سنة 261 أو 264هـ . راجع **وفيات الأعيان** : 2 : 532
(18) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم . أحد رجال الطريقة المشهورين . توفي بمصر سنة ست أو سبع أو ثمان وأربعين ومائتين .
(19) محمد بن علي بن عطية ، واعظ له مصنفات في التوحيد والتصوف ، أصله من الجبل ، سكن مكة ووعظ ببغداد . توفي سنة 386هـ . راجع **وفيات الأعيان** : 4 : 303 .

وأبو طالب يسأل أولائك الصوفية . فيجيبه كل واحد بمبلغ علمه . فقال أبو طالب لأبي حامد : أين غابت هذه العلوم التي يصرفها أبو مدين في دار الدنيا ؟ فقال له أبو حامد : هو هذا عن يمينك . فاسأله . فقال أبو طالب : يا أبا مدين : أخبرني عن سر حياتك . فقال : بسر حياته ظهرت حياتي وبنور صفاته استنارت صفاتي وبديموميته دامت مملكتي وفي توحيده أفنيت همتي . فسر التوحيد في قوله : لا إله إلا أنا . والوجود بأسره حرف جاء لمعنى وبالمعنى ظهرت الحروف وبصفاته اتصف كل موصوف وباسمه ائتلف كل مألوف . فمصنوعاته له محكمة ومخلوقاته له مسلمة لأنه خالقها ومظهرها ومنه مبدأها وإليه مرجعها كما أظهرها ذرا . فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى يا أبا طالب هو لوجودك محرك وهو الناطق والممسك . ان نظرت بالحقيقة تلاشت الخليقة فالوجود به قائم وأمره في مملكته دائم وحكمه في خلقه عام كحكم الأرواح في الأجسام . الحواس به بانت على اختلاف أنواعها منها اللسان للبيان وهو مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن . فقال له أبو طالب : من أين لك هذا العلم يا أبا مدين ؟ فقال : لما أمدني بسره غرف وادي من بحره فامتلأ وجودي نورا وأثمر غيبة وحضورا وسقاني شرابا طهورا . وأذهب عني ضلالا وزورا . فغشيت أنواره أخلاقي فنظرت الباقي بالباقي .

فَاحَ ٱلنَّدِيُّ بِمَنْطِقِي فَتَنَازَعُوا أَبِإِسْحِلٍ أَسْتَاكُ أَمْ بِأَرَاكِ[20]
هَيْهَاتَ عَهْدِي بِٱلسِّوَاكِ وَإِنَّمَا شَفَةُ ٱلْحَبِيبِ جَعَلْتُهَا مِسْوَاكِي
وَيَظُنُّ مَنْ سَمِعَ ٱلْحَدِيثَ بِأَنَّهُ حَقٌّ جَلَا وَمُدَبِّرِ ٱلْأَفْلَاكِ
رُؤْيَا رَأَيْتُ وَإِنَّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ لَمُنَزَّهٌ عَنْ مِهْنَةِ ٱلْإِدْرَاكِ

وحدثني أبو علي حسن بن محمد الغافقي قال : حدثني أبو مدين قال : صليت مع عمر الصباغ صلاة المغرب . فلما سلمنا قال لي : رأيت وأنا في الصلاة ثلاثا من الحور أو أربعا وهن يلعبن في ركن البيت . فقلت له : أرأيتهن ؟ فقال لي : نعم . فقلت له : أعد صلاتك . فإن المصلي يناجي ربه وأنت انما ناجيت الحور .

163 – ومنهم رجلان اسم أحدهما موسَى

قيل ان موسَى هذا هو أبو عمران الهروي وهو من الأفراد والطيارين في الهواء

(20) من الكامل

وممن تطوى له الأرض وتؤثر عنه العجائب من خوارق العادات . قال أبو محمد عبد الخالق التونسي[21] : أخبرني الشيخ أبو مدين أنه سمع برجل اسمه موسى وسمع عنه المشي على الماء وغيره من الكرامات وكان يأتيه رجل كل يوم عند انصداع الفجر يسأله عن مسائل لا يفقهها الناس . قال أبو مدين : فوقع ليلة في نفسي أن الرجل الذي يأتيني فيسألني هو موسى الذي سمعت به . فطال علي الليل فلما انصدع علي الفجر قرع الباب قارع . فخرجت إليه . فإذا هو الرجل الذي يأتيني فيسألني . فسألني عن مسألة . فأجبته . ثم قلت له : أنت موسى ؟ قال لي : نعم . فكان يختلف إلي في أكثر الأوقات . فجاءني يوما ومعه آخر . فقال لي : كنت قد صليت أنا وصاحبي هذا ببغداد صلاة الصبح . ثم أتينا مكة فوجدناهم يصلون تلك الصلاة . فأعدنا معهم . وأقمنا بمكة حتّى صلينا الظهر ثم أتينا بيت المقدس . فوجدناهم يصلون الظهر . قال لي صاحبي : هذا : نعيد معهم ؟ فقلت له : لا نعيد : فقال لي : لأي شيء أعدنا بمكة ولا نعيد ههنا ؟ فقلت له : هكذا أدركت شيخي يفعل وبهذا أمرني . فاختلفنا . فجئنا نسألك . فقلت له : الصواب معك . فقال لي صاحبه : كيف ذلك ؟ فقلت له : لأنكما صليتما ببغداد على علم اليقين وصلاتكما بمكة على عين اليقين وعين اليقين أولى من علم اليقين وأيضا فإن مكة أم القرى وما صلي في الأمهات لا يعاد في البنات . فقنعا بذلك وانصرفا .

قَطَعْتُ ٱلْأَرْضَ ذَا سَيْرٍ حَثِيثٍ كَلَمْعِ ٱلْبَرْقِ حُبّاً فِي ٱلتَّلَاقِي[22]
فَقَالَ لِيَ ٱلعَذُولُ وَقَدْ رَآنِي سَبُوقاً بِٱلْمُضَمَّرَةِ ٱلْعِتَاقِ
رَكِبْتَ عَلَى ٱلْبُرَاقِ فَقُلْتُ : كَلاًّ وَلَاكِنِّي رَكِبْتُ عَلَى ٱشْتِيَاقِي

164 – ومنهم أبو محمد عبد الرزاق الجزولي

تلميذ أبي مدين . استقر أخيرا بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ .

حدثني الثقة عن الشيخ الصالح أبي محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الماجري

(21) ذكر في **أنس الفقير** (ص 100) أنه من أصحاب الشيخ أبي مدين .
(22) من الوافر .

عن أبي محمد عبد الرزاق أنه كان يواصل سبعة أيام. فقيل ذلك لأبي مدين(*). فقال : دعوه . فإن كان كاذبا في وصاله كان ذلك عقوبة له وإن كان صادقا فسينتفع بذلك .

وكان أبو مدين يحدث أصحابه أن الشيخ أبا يعزّى بشره أنه تهدى له جارية حبشية يرزق منها ولدا فإن عاش فسيكون له شأن . فأهدى له تاجر [ببجاية](23) جارية حبشية فرزق منها ولدا سماه محمدا . ثم اعتزلها أبو مدين وكان يظهر عليه أثر الكآبة . فقيل له في ذلك فقال : لم يكن لي في هذه الجارية أرب ولولا بشرَى الشيخ أبي يعزّى بأنه سيكون لي منها ولد ما قربتها ، ولم يبق لي الآن فيها أرب . فإن تركتها [أثمت](24) وإن زوجتها تحيرت من أمر ولدي منها . فقال لي عبد الرزاق : أنا أتزوجها وأكفل ابنك . فقال أبو مدين : أوتفعل ذلك ونكاح الحبشية(25) عند المصامدة عار ؟ فقال له عبد الرزاق : وإنما أفعل ذلك من أجلك . فتزوجها وكان يربي ولد أبي مدين . فحفظ القرآن في أمد يسير . وظهرت منه فراسات . ثم اخترم صغيرا فانتقل عبد الرزاق إلى المشرق .

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ ٱلْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا
بِأَنَّكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ(26)
وَدُومُوا عَلَى حِفْظِ ٱلْوِدَادِ فَإِنَّنَا
بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا ٱسْتُحْفِظُوا خَانُوا
سَلُوا ٱللَّيْلَ عَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ
هَلِ ٱكْتَحَلَتْ بِٱلْغُمْضِ لِي فِيهِ أَجْفَانُ

(*) من كبار تلامذة أبي مدين شعيب الأنصاري (راجع **أنس الفقير** ، ص 35) ومن شيوخ أبي محمد صالح الماكري (راجع **المنهاج الواضح** ، ص 89) قال عنه : «ممن جمع بين الفقه والتصوف» . وله ترجمة في **طبقات الحضيكي** ، ص 170 .

(23) سقط من ف .

(24) م : أيمت

(25) يقصد الزنجية . والكَزولي هذا من المصامدة سكان الجبال والأودية المتحفظين من الاختلاط الذين يسمون أنفسهم إيمازيغْنْ أي الأحرار والبيضان .

(26) من الطويل . نُسبت في وفيات الأعيان : 4 : 430 **ونفح الطيب** : 7 : 24 **وجذوة الاقتباس** : 256 لابن باجه . ونسبها الحاتمي في محاضرات الأبرار لابن حبوس . راجع الوافي **بالأدب المغربي** : 1 : 116

سمعت عبد [النور][27] بن علي يقول : سمعت الشيخ أبا محمد صالح بن ينصارن يقول غير ما مرة . اغتم شيخنا أبو محمد عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجه وربما ضربته . فاعتزلها وانفرد في زاوية ذي النون المصري بأخميم[28] . فغدونا إليه يوما فوجدناه قد تلطخ بالدماء ورأسه مجروح . فحدثني أنه كان بالزاوية بالليل وبابها مغلق . فإذا رجل مد يده إلى الباب فانفتح ودخل عليه . فقال له : من أنت ؟ فقال له : أنا موسَى الهروي . قال عبد الرزاق : فقال لي : اسمع أحدثك . فأنشأ يحدثني عن نفسه ولم يصرح . فقال له : ذهب رجل إلى ولي من الأولياء سمع به ، فسار إليه مسيرة أشهر . فدخل البلد الذي كان فيه بالليل ، فنزل في علو الدار التي كان يسكن فيها ذلك الولي . فلما كان الليل سمع ذلك الرجل كلام امرأة الولي ، وقد أتته بطعام . فقالت له : خذ يا هذا المرائي ! فوالله لو علم الناس منك ما أعلم لرجموك بالحجارة . فلما سمع الرجل كلامها ، تغير ظنه فيه وقال : أتيت إلى هذا الشيخ لأتبرك برؤيته وزوجه أعلم بأحواله . فهم بالانصراف دون أن يراه ، ثم استقبح الرجوع دون أن يراه . فلما أصبح ، قرع باب دار الشيخ فقالت له زوجته : إن الشيخ ذهب إلى الغابة ليحتطب . فذهبت إلى الغابة . فوجد الشيخ ما بين الشجر والأسد يكسر له الحطب . فجمعه الشيخ وربطه بالحبل وجعله على ظهر الأسد ، فحمله الأسد إلى أن قرب من العمران فأنزل الشيخ الحطب عن ظهره ورجع الأسد إلى الغابة . فبادر الرجل إلى الشيخ فقبل يده وقال له : يا سيدي : بم نلت هذا المقام ؟ فقال له الشيخ : بصبري على ما سمعته البارحة . ثم قال لي موسَى الهروي : وأنت يا عبد الرزاق وضع لك الله التعظيم في قلوب أهل المشرق وأهل المغرب وسخرهم لك الا عجوزا واحدة فلم تقدر على الصبر على خلقها ! ثم غاب عني ، فصحت صيحة شديدة ووقعت مغشيا علي ، فإذا بي قد وقع رأسي على الجدار فانجرح كما ترون . ثم قال لنا عبد الرزاق : فوالله لا أبالي بعد هذا بما تفعله بي الزوجة ولو نتفت لحيتي ما أنكرت عليها . ثم طرح ثيابه للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك . فباعوها وأكلوا ثمنها .

---

(27) م : عبد الرزاق .

(28) مدينة في البلاد المصرية في الجانب الشرقي من النيل . راجع **الروض المعطار** ، ص 15 .

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرْعَى خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَرْعَى نَاظِرِي وَلِسَانِي[29]
فَمَا رَمَقَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَراً ... لِغَيْرِكَ إِلاَّ قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
وَلاَ خَطَرَتْ فِي ٱلسِّرِّ مِنِّيَ خَطْرَةٌ ... لِغَيْرِكَ إِلاَّ عَرَّجَا بِعِنَانِي
وَإِخْوَانِ صِدْقٍ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ ... وَعَرَّجْتُ عَنْهُمْ خَاطِرِي وَلِسَانِي
وَمَا ٱلزُّهْدُ أَسْلَى عَنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... وَجَدْتُكَ مَشْهُوداً بِكُلِّ مَكَانِ

165 – ومنهم رجل مجهول

حدثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري قال : كنت ليلة ببجاية برابطة الزيات[30] وكان معي أبو علي منصور الملياني ، فقمنا إلى وردنا في ليلة مقمرة . فسمعت حسا شديدا كحس وحش فار أو طائر طار بانزعاج شديد ، ثم استبان لي شخص على البحر ، فرأيته قائما يصلي . فلم أرد أن أنبه عليه أبا علي . فقال لي أبو علي : أترى ما أرى ؟ فقلت له : رأيته حين انزعج فأردت ستره عنك . فقال لي : أعرفه ورأيته يحضر معنا مجلس الشيخ أبي مدين .

سَرَى يَخْبِطُ ٱلظَّلْمَاءَ وَٱللَّيْلُ عَاكِفُ
حَبِيبٌ بِأَوْقَاتِ ٱلزِّيَارَةِ عَارِفُ[31]
فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ
أَأَدْخُلُ ؟ قُلْتُ: ٱدْخُلْ فَكَمْ أَنْتَ وَاقِفُ

166 – ومنهم أبو عمران موسَى ابن يلِّرَاسنْ الحلاج[32]

من أصحاب أبي مدين وكان عبدا صالحا . سمعت أبا علي حسن بن محمد

(29) من الطويل ، نسبها الحافظ في تاريخ بغداد : 9 : 236 لسمنون . وانظر رسالة القشيري : 42 وروضة التعريف : 651 .
(30) رابطة الزيات .
(31) من الطويل ، راجع تزيين الأسواق (ص 518) للأنطاكي .
(32) ذكره في أنس الفقير، ص 38 ويلّرَاسْن أو إدّراسْن مركبة من إدَّر ومعناها يحيى واسن وهي ضمير بمعنى لهم . وهو من باب التفاؤل لأهله .

يقول : كان أبو عمران الحلاج حلاجا للقطن . فكان لا يأتيه أحد إلا قال له : كان من أمرك كذا وكذا وفعلت كذا وقلت كذا . فشاعت عنه هذه الأمور . فخاف على نفسه وفر من فاس إلى بجاية . فلما اجتمع مع أبي مدين . شكا اليه ما قاساه من الناس . فقال له أبو مدين : [اسمك موسَى][33] واسمي شعيب وقد أمنت . فإن موسَى لم يأمن حتَّى لقي شعيبا .

سمعت أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري يقول : سمعت أبا مدين يحدث أن أبا عمران غاب عنه مدة . ثم جاء وهو يتكلم على الناس . فلما فرغ من كلامه . قام إليه أبو عمران . فسلم عليه . فقال له أبو مدين : على من هي الضيافة أعلى الزائر أم على المزور . فسكت أبو عمران . فقال له أبو مدين : علي الرغفان وعليك العسل . فأمر أبو مدين أن تشتري أرغفة وقال لأبي عمران : انظر أنت في العسل . فقال له : نعم . فاستدعَى صحفة ووضعها بخارج البيت . ثم أتَى زاوية البيت وصلَّى ركعتين وخرج . ثم طلب من أبي مدين ثوبه . فأداره على الصحفة . ثم عاد إلى البيت . فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأدخل الصحفة مملوءة عسلا أبيض . فأكلنا منه . فحدثني أبو عبد الله قال : قال لي الشيخ أبو مدين : فلقد أكلنا من ذلك العسل خمسة وعشرين يوما وهو على حالته لم ينقص فخفت أن يكون معلوما لي فتصدقت به .

167 – ومنهم فاطمة الأندلسية

من أهل قصر كتامة وكانت من الصالحات .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : بت ليلة عند أبي عبد الله محمد بن محمد بن جميل القصري المعلم وبات معنا أبو عبد الله التاودي وأبو زكرياء السائح . فصلينا العشاء الآخرة ثم جرَى ذكر طيب حوت القصر ، وأبو عبد الله المعلم حاضر . فغاب عنا . فلما طلع الفجر طلبته أنا وعمر بن عيسَى الكتامي . فلم نجده . فتفقدنا بيته الذي كان ينفرد فيه . فوجدناه مغلقا . فأتينا باب المصرية التي بتنا فيها فوجدناه مغلقا . فجلست أنا وعمر نرقبه لنعلم من أين يأتي . فسمعناه قد

---

(33) سقط من ف . والتصحيح من س .

دفع باب المصرية بيده وطلع فقلنا : ننظر إلى خفيه فإن وجدنا بهما بللا علمنا أنه لم يبت معنا ، وكان في زمان الربيع . فوجدنا بلل النَّدَى على خفيه وعليهما نوار أصفر من نوار المروج . فأخرج لنا حوتا لا يكون إلا في بركة على قدر ثمانية عشر ميلا من القصر. فعجبنا من أمره ، فصلينا الصبح وذهبنا إلى فاطمة الأندلسية . فوجدناها تصلي صلاة الضحَى . فلما انفتلت من صلاتها قالت لنا : لا تنكروا براهين الصالحين فإنها حق .

ولقد ذهبت أنا والفقيه ابن صالح من قصر كتامة إلى مدينة فاس لزيارة أبي مدين . فبتنا معه في سماع كان عنده . فلما طلع الفجر دخل علينا رجل عليه عباءة ، ففرح به الشيخ أبو مدين وقال : هذا أخ من اخواني في الله تعالى ، صلَّى البارحة العشاء الآخرة بمكة والطائف وسرى ليلته فطلع عليه الفجر بفاس فصلينا معه الصبح . وذبح أبو مدين كبشا لضيافته .

168 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم المَهْدوي[34]

نزيل مدينة فاس وبها توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادي الأولى عام خمسة وتسعين وخمسمائة ودفن بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور . كان من أهل العلم والعمل والزهد في الدنيا وأهلها . دخل مدينة فاس بنحو من أربعين ألفا ولم يزل ينفقها في سبيل الخير حتَّى لم يبق له غير دار . ثم باعها من محمد بن علي [القزاز][35] فأعمره فيها . فلما خرجت جنازته منها قبض المشتري داره .

وسمعت غير واحد يقول : أقام أبو عبد الله المهدوي بجامع فاس مستقبل القبلة نحوا من أربعين عاما . فما فاتته صلاة في جماعة إلا يوما واحدا لعذر عاقه عن ذلك وما قبل قط من أحد شيئا .

وقال بعض الصالحين : صحبت أبا عبد الله المهدوي ثمانية عشر عاما فما قدرت

---

(34) راجع **النجم الثاقب** لابن صعد . (الجزء الرابع من المخطوط) **وجذوة الاقتباس** ، ص 273 **وسلوة الأنفاس** : 3 : 267 **والاستقصا** : 2 : 213 .

(35) س : الهواري . وفي بعض نسخ ف : القزاز .

عليه أن يقبل مني من المباح من بقل البرية شيئا .

سمعت محمد بن علي الهواري يقول : سألته أن أحمل عنه بعض ما يحمله من العلوم . فأبى وقال لي : قد ضاعت أصولي فلا يحل لي أن يُحمل عني شيء .

وحدثوا عن أبي عبد الله أنه كانت عنده ألف صحفة من قمح . فأصابت أهل فاس مجاعة . فباع جميع ذلك القمح من أجل السِّتْر[36] بوثائق وأخرهم بالثمن إلى أجل . فلما حل الأجل استدعاهم وحل الوثائق في الماء وقال لهم : أنتم في حل وما بعت إلا من الله ولكني احتلت عليكم بالبيع إلى أجل .

عَامِلْ بِذَاتِكَ مَوْلًى أَنْتَ صَنْعَتُهُ
وَعَامِلِ ٱلنَّاسَ إِنْ عَامَلْتَ بِٱلْعَرَضِ[37]
وَٱسْتَرْزِقِ ٱللَّهَ وَٱسْأَلْهُ فَإِنَّ لَهُ
لُطْفاً يَكُفُّكَ عَنْ رَاضٍ وَمُعْتَرِضِ
يَا جَامِعَ ٱلْمَالِ لَمْ يُخْلِلْ بِمَكْسَبِهِ
وَقَدْ أَخَلَّ بِمَسْنُونٍ وَمُفْتَرَضِ
تَنَامُ مُتَّخِماً حِرْصاً وَمَنْهَمَةً
وَجَارُ بَيْتِكَ مَطْوِيٌّ عَلَى مَضَضِ
لاَ تَأْمَنِ ٱلْمَوْتَ وَٱحْذَرْهُ فَبَطْشَتُهُ
لَمْ تَقْوَ يَوماً عَلَيْهَا نَفْسُ مُنْتَهِضِ
تَقُولُ فِي ٱلْمَرَضِ ٱلذِّكْرَى تُذَكِّرُنَا
كَمْ مَيِّتٍ قَدْ رَأَيْنَاهُ بِلاَ مَرَضِ
تَنْجُو ٱلسَّفِينُ وَمَوْجُ ٱلْبَحْرِ مُرْتَكِمٌ
وَرُبَّمَا غَرِقَتْ فِي مَأْمَنِ ٱلْفُرَضِ
فَٱنْبِذْ بِدُنْيَاكَ فِي دِينٍ خُلِقْتَ لَهُ
وَٱقْبِضْ عِنَانَ ٱلْهَوَى مَا ٱسْتَطَعْتَ وَٱنْقَبِضِ

(36) في **سلوة الأنفاس** : فباعه من ضعفاء أهل فاس .
(37) من البسيط

فِي كُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ
وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضِ

حدثني يوسف بن موسَى بن يحيَى بن أبي بكر قال : قال رجل : استعرت من أبي عبد الله المهدوي كتابا . فهممت أن أسافر به . فتعذر علي السفر [مدة من ستة أشهر وكل يوم أروم فيه السفر يتعذر علي][38] إلى أن دفعت له كتابه فخرجت من فاس من حيني .

وأخبرني مخبر قال : سافرت مع ابن عم لي إلى مدينة فاس وكنا إذا دخلنا فاسا زرنا أبا عبد الله المهدوي فيقبل علينا . فذهبنا إليه لنسلم عليه فوجدناه بالجامع جالسا مستقبل القبلة . فأردنا أن نقرب منه فتباعد عنا وولانا ظهره . فكلما دنونا منه بعد عنا واستدبرنا . فقلت لأبي عبد الله : هذا ابن عمي . وكان والده من أصدقاء أبي عبد الله . فقال لي : أعرفه . وهو مع ذلك يعرض عنه . فقلت له : لعله انما انقبض من أجلي ! فقال لي ابن عمي : بل انما انقبض من أجلي . فرفع الى الثوب عن بطنه . فرأيت في بطنه أثر خضرة البقل . فقال لي : ان الحاجة مستني في هذه المجاعة . فأخذت مالا حراما على وجه الضرورة . فسافرت به . فلذلك أعرض عنا أبو عبد الله المهدوي .

جِئْتُ مُسْتَخْفِياً وَقَدْ عَرَفُونِي هَا أَنَا تَائِبٌ تُرَى يَقْبَلُونِي[39]
أَنَا بِالْبَابِ وَاقِفٌ لِيَ دَهْرٌ كُلَّمَا رُمْتُ وَصْلَهُمْ أَبْعَدُونِي
لَمْ أَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلاً وَلَكِنْ أَنْتُمُ بِالْوِصَالِ أَطْمَعْتُمُونِي
فِي بِحَارِ الْهَوَى غَرِقْتُ بِوَجْدِي طَالَ شَوْقِي لَهُمْ وَقَدْ تَرَكُونِي
أَيُّهَا النَّفْسُ سَاعِدِينِي وَنُوحِي وَيْحَ قَلْبِي وَمُهْجَتِي هَجَرُونِي

(38) سقط من ف . واستدرك من ح وم وس .
(39) من الخفيف . وتنسب لأبي مدين .

169 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن علي بن عبد الكريم الفنْدلاوي المعروف بابن الكتاني[40]

من أهل فاس وبه مات في العشر الأوسط من ذي الحجة عام [سبعة وتسعين][41] وخمسمائة وصلى عليه الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق وكان ابن الكتاني آخر أئمة المغرب فيما أخذه عن أبي عمرو الأصولي من علوم الاعتقاد . وكان زاهدا في الدنيا معرضا عنها وعن أهلها على سنن أهل الفضل والدين .

عَسَى نَفْحَةٌ مِنْ حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ تَسْنَحُ
وَبَارِقَةٌ مِنْ جَانِبِ ٱللُّطْفِ تَلْمَحُ[42]
عَسَى ٱللَّهُ يُدْنِينِي إِلَى سَاحَةِ ٱلرِّضَى
فَأَقْرَعَ أَبْوَابَ ٱلْعُلُومِ فَتُفْتَحُ
عَسَى نَفْحَةٌ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ أَنَّهَا
تُبَلِّغُنِي أَقْصَى ٱلْمُنَى حِينَ تَنْفَحُ
وَمَازَالَ فَضْلُ ٱللَّهِ يَغْمُرُ سَاحَتِي
وَيَبْهَرُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَمَّحُ
وَلَكِنَّنِي مِنْ فَضْلِهِ أَسْتَزِيدُهُ
وَإِنْ كُنْتُ فِي بَحْرٍ مِنَ ٱلْجُودِ أَسْبَحُ

(40) راجع **الفتوحات المكية**. الباب 463 و**التكملة** (1718) و**الذيل والتكملة** سفر الغرباء. ص 111 من المخطوط. و**جذوة الاقتباس**. ص 220 و**سلوة الأنفاس** : 3 : 173 وراجع مقدمة التحقيق وفندلاوة التي ينتسب إليها من قبائل ناحية فاس . قرب صفرو. راجع **نزهة المشتاق** . ص 53 من طبعة الجزائر.

(41) في ف : سبعة وسبعين . وهو خطأ . والتصحيح من م وح وس . وفي **التكملة** أن وفاته سنة 596هـ .

(42) من الطويل . نسبها في **الحلة السيراء** . ص 447 لعبد الرحيم بن محمد الخزرجي الثائر المقتول بمراكش حوالي سنة 600هـ .

وَلَيْسَ سَبِيلُ ٱلْحَقِّ عَنْكَ بِنَازِحٍ
وَلَـكِـنَّـهُ يَـدْنُو وَقَـلْـبُكَ يَـنْـزَحُ

سَبِيلُ ٱلْهُدَى أَجْلَى وَأَقْوَمُ مَنْهَجاً
وَمَـطْـلَـعُ أَنْوَارِ ٱلسَّـعَـادَةِ أَوْضَحُ

وَمَنْ كَانَ فِي رَوْضِ ٱلْمَعَارِفِ سَارِحاً
فَمَا رَاقَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَسْرَحُ

إِلَى ٱلْمَلاِ ٱلأَعْلَى سَمَوْتُ بِهِمَّتِي
كَـذَلِكَ شَأْنُ ٱلشَّكْلِ لِلشَّكْلِ يَجْنَحُ

وَإِنِّي لأَرْقَى دَائِـماً فِي مَعَارِجٍ
مِنَ ٱلْعُلْوِ فِيـهَا لِلْبَصَائِرِ مَسْبَحُ

يَبُوحُ بِسِرِّ ٱلْحَقِّ صَائِبُ مَنْطِقِي
وَكُـلُّ إِنَـاءٍ بِـالَّـذِي فِـيـهِ يَرْشَحُ

وَأَكْـتُـمُ سِـرَّ ٱلسِّرِّ كَتْـمَ ضَـنَانَةٍ
وَلَوْلاَ قُصُورُ ٱلْخَلْقِ كُنْتُ أُصَرِّحُ

وَلَيْسَ جَنَابُ ٱلْقُدْسِ إِلاَّ لأَهْلِهِ
وَمَـا كُـلُّ إِنْسَانٍ بِوَادِيهِ يَسْرَحُ

وَمَـا يُسْتَـفَـادُ ٱلْحَقُّ إِلاَّ بِذَاتِهِ
وَحَسْبُكَ أَنَّ ٱلْحَقَّ بِالْحَقِّ يُفْصِحُ

تَـعَطَّشَ أَرْبَابُ ٱلسُّلُوكِ وَعِنْدَهُمْ
لِسَمْعِ نِدَاءِ ٱلْحَقِّ شَوْقٌ مُبَرِّحُ

وَلَـيْـسَ يَكُونُ ٱلشَّوْقُ إِلاَّ لِغَائِبٍ
وَمَا ٱلْحَقُّ إِلاَّ حَاضِرٌ لَيسَ يَبْرَحُ

وَهَـذِي إِشَـارَاتٌ تُـفِـيـدُ تَـنَـبُّـهاً
وَيَـكْـفِـيكَ مِـنِّي أَنْ أَكُونَ ٱلْوَحُ

غَنِيتُ بِنَيْلِ ٱلْحَقِّ عَنْ كُلِّ مَكْسَبٍ
فَمَا بَعْدَ نَيْلِ ٱلْحَقِّ لِلنَّفْسِ مَطْمَحُ

وَيَكْسِبُنِي عِلْمِي بِقَدْرِ سَكِينَةٍ
وَتَنْزُو بِيَ ٱلْأَرْوَاحُ طَوْراً وَتَجْمَحُ
قَبَضْتُ عِنَانِي عَنْ مُخَالَطَةِ ٱلْوَرَى
وَقُلْتُ : سَبِيلُ ٱلصَّبْرِ أَوْلَى وَأَنْجَحُ
وَلَكِنْ ضَرُورَاتُ ٱلْمَعِيشَةِ رُبَّمَا
تُغَيِّرُ فِي وَجْهِ ٱلْمُرَادِ وَتَقْدَحُ
وَحَسْبِيَ مَدْحُ ٱلْوَاحِدِ ٱلْفَرْدِ إِنَّهُ
لَأَكْرَمُ مَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُمْدَحُ

170 – ومنهم أبو إسحاق إبراهيم ابن القاسم التِينْمَلّي (43)

صحب أبا لقمان وأبا إبراهيم السفاج ومات بمراكش عام اثنين وتسعين وخمسمائة ودفن خارج باب الدباغين وكان زاهدا في الدنيا وأهلها . مقبلا على الله بهمته . وخرج من الدنيا ولم يتلبس منها بشيء .

171 – ومنهم أبو محمد يسكر بن موسَى الجراوي ثم الغفْجومي (44)

نشأ بتاجنيت من بلد تادلا ثم نزل مدينة فاس وبها مات ضحَى يوم السبت

(43) نقل ترجمته صاحب **الإعلام** : 1 : 152 . والتِينْمَلّي نسبة إلى تينمل في الأطلس الكبير وهي قاعدة انطلاق الموحدين الشهيرة .

(44) راجع **جنَى زهرة الآس** : ص 56 و**روض القرطاس** . ص 71 و**أنس الفقير** : ص 23 . و**جذوة الاقتباس** . ص 562 و**نيل الابتهاج** (على هامش **الديباج**) ص 360 و**الروض العاطر الأنفاس** . ص 193 و**سلوة الأنفاس** ج 3 ص 360 . ونسبته الكَراوي أو الكَوراني . والغفجومي نسبة إلى قوم في تادلا سبق أن نبهنا على أنهم أيْتْ وَغْفْكُمّي . مركبة من إغفْ ومعناه الرأس وكمّي ومعناه الدار . قال البيذق إنهم أهل باب الدار (**المقتبس من كتاب الأنساب** . ص 56 من ط . دار المنصور) ويقصد في ترتيب الموحدين . ولكن الإطلاق على القبيلة يعني : أهل المدخل أو الممر أو الوادي .

الحادي عشر لذي القعدة عام ثمانية وتسعين وخمسمائة . تفقه على أبي خزر وحضر مجلس أبي الربيع التلمساني وصحب أبا الحسن علي ابن حرزهم وكان ورعا فاضلا مجتهدا صائما قائما . وكان إذا دخل شهر رمضان طوَى فراشه وأخذ في الاجتهاد

لَا تَجْعَلَنْ رَمَضَانَ شَهْرَ فُكَاهَةٍ ... تُلْهِيكَ فِيهِ مِنَ ٱلْحَدِيثِ فُنُونُهُ[45]
وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَنَالَ ثَوَابَهُ ... حَتَّى تَكُونَ تَصُومُهُ وَتَصُونُهُ

وحدثني غير واحد أن أبا محمد يسكر كان لا يأكل مما يباع في الأسواق . فإذا احتاج إلى اللحم بعث إلى ماشيته فيؤتَى بكبش فيذبحه ؛ وإن أبا عبد الله المهدوي كان يعتب عليه ويقول : لم يفعل هذا والحلال بفاس ممكن ؟ هذا فلان الجزار لا يشتري الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم ؛ وفلان الدقاق لا يشتري القمح إلا من قوم عرف طيب مكسبهم .

وأخبرنا عيسَى بن يعقوب قال : حدثنا أبو بكر بن علي الصنهاجي قال : ذكر أبو محمد يسكر بمحضر الشيخ الصالح أبي صالح عبد الحليم بن هارون الهسكوري . فقال أبو صالح : كنت بجامع فاس ليلة مظلمة ، فدخل علي فيه أبو محمد يسكر. فأضاء الجامع كله : فجاء إلى زاوية ، فصلى ما قدر له ثم انصرف إلى منزله فعاد المجلس مظلما كما كان .

هُمُ ٱلْقَوْمُ لَا تُلْهِيهِمُ عَنْ مَلِيكِهِمْ ... تَعَالِيلُ دُنْيَا بِالْغُرُورِ تَدُورُ[46]
يُضِيءُ ظَلَامَ ٱللَّيْلِ حُسْنُ وُجُوهِهِمْ ... فَهُمْ فِي ٱللَّيَالِي ٱلْمُظْلِمَاتِ بُدُورُ

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر قال : حدثني أبو محمد يسكر قال : ذهبت مع جماعة لزيارة الشيخ أبو يعزى . فتمنيت في نفسي أن يطعمني رغيف البر

▪ الذي يشبه بالنسبة للبسيط بعده المدخل بالنسبة للدار . وتستعمل الكلمة في اللسان العربي الدارج مقتبسة من البربرية لتعني البهو الذي بين باب الدار ووسطها فيقال : أَغْكُمِّي بعد حذف الفاء وابدال الغين عينا . ويسكَّرْ أو إسْكَّرْ من صفة أسْكُّورْ وهو طائر الحجل وفي نظرنا أنها القِصَر ، ونرَى أنها تقابل في المجال الصنهاجي الهسكوري ما يعنيه اسم أكُوزولْ في مجال مصمودة .

(45) من الكامل . نسبا للمترجم في **القرطاس** : 271 وفي **جنَى زهرة الآس** : 56 وجذوة **الاقتباس** : 563 .

(46) من الطويل .

بالعسل . فلما دخلنا عليه . قدم لنا طعاما . فأهويت بيدي لآكل مع الناس . فقال لي : اصبر حتَّى تأكل ما اشتهيت . فأتاني برغيف البر والعسل .

وحدثني الشيخ الصالح أبو زكرياء يحيى بن محمد الزناتي قال : زار أبو محمد يسكر الشيخ أبا يعزى فأعطاه أبو محمد نعليه ليلبسها وقال له : أريد أن تقبلها مني لتذكرني كلما نزعتها للوضوء فتدعو لي .

أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ ٱلنَّفْسِ فِيمَا أَرُومُهُ ... أُثَابُ بِمُرِّ ٱلْعَيْشِ حِينَ أُثَابُ[47]
فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَٱلْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَٱلْأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ ٱلْوِدُّ فَٱلْكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلتُّرَابِ تُرَابُ

172 – ومنهم أبو صالح عبد الحليم ابن هارون بن سعيد الهسكوري

من أهل تاجنيت من بلاد تادلا من أقران أبي محمد يسكر وأبي الأمان بن مشو . وكان من الأفراد وتوفي بتادلا ليلة خمس عشرة للمحرم عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة .

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أبي بكر يقول : سمعت أبي يقول : سافرت مع أبي صالح الهسكوري . فلقينا الأسد . فتقدم إليه أبو صالح الهسكوري بعصاه . فضربه إلى أن تنحَّى عن الطريق .

وحدثوا عن أبي صالح أنه يجيز الرفاق من المخاوف . فإذا سمع اللصوص بأنه تقدم رفقة فروا ولم يتعرضوا لها . وكان يتقدم الرفاق من بلد إلى بلد على قدميه محتسبا لا يبتغي على ذلك أجرا إلا من الله تعالى .

حدثني أبو محمد عبد الله بن موسَى بن يحيَى بن أبي بكر قال : حدثني ابراهيم بن يحيَى بن بطان الرفروفي قال : سمعت أبا صالح يقول : أتاني آت في الثلث

---

(47) من الطويل . والأبيات في **ديوان أبي فراس الحمداني** . راجع **ديوان الحلاج** بتحقيق كامل مصطفى الشيبي ، ص 334 .

الآخر من الليل وأنا ببلد رفروفة . فقال لي : قم ! فمشيت معه إلى أن وصلنا وادي [وانسيفن][48] ، فتوضأنا منه ومشيت معه إلى أن طلع الفجر . فصلينا صلاة الصبح ثم غاب عني فإذا أنا قريب من معدن عوام . فمشيت إلى المعدن فوجدت الرفاق مجتمعة . فقاموا الي وقالوا لي : يا أبا صالح لنا ثلاثة أيام ننتظرك . فقلت لهم : قد جئتكم مكرها غير طائع . فقدمتهم حتّى أوصلتهم المأمن .

حدثنا عيسَى بن يعقوب قال : حدثني أبو بكر بن علي الصنهاجي وكان من الأخيار قال : سمعت الشيخ الصالح أبا جعفر محمد بن يوسف الذي كان بتاغزوت من بلاد تادلا يقول : جاءني أبو صالح الهسكوري فقال لي : أرني بعض ما يتحدث به الناس عنك . فقلتَ له : انما أنا عبد أسود . فدعني ! فقال لي : لابد من أن تريني . فأهويت بيدي إلى الأرض فانفتح لي شق ، فأخذت منه ثعبانا عظيما أسود . فقال لي أبو صالح : هاته . فأخذه من يدي وحكه بين يديه فتلاشى . فكدت يغشَى علي . فقال لي : أنا أقول لك أرني كرامات الأولياء ، فأريتني ما يريه أبو الحيات للصبيان بقرية [كويت][49] . فجاءت فوقنا سحابة فرشتنا . فافترقنا وهو يقول لي : إنما طالبتك بأن تريني مثل هذا .

173 – ومنهم أبو الحسن علي ابن عبد الرحمن المعروف بابن الدلال[50]

تلميذ أبي عبد الله الصيقل[51] . صحب أبا العباس أحمد بن عبد الرحمن

(*) يعرف بـ (سيدي عبد الحليم) ، ومزارته بحي المديولة بقصبة بني ملال . وذكره صاحب **المعزى** 119 .

(48) وَانْسِيفَنْ . ذو الأنهار أو نهر الأنهار ، ويعرف اليوم في طول مجراه بواد أم ربيع ، وترفده أنهار عديدة .

(49) م : كريت . وفي **المقتبس** للبيذق ، ص 45 : أهل كَرِيتْ من صنهاجة .

(50) نقل الترجمة صاحب **الإعلام** : 9 : 73 . وابن الموقت في **السعادة الأبدية** : 2 : 116 .

(51) لم أقف له على ترجمة ولعله من عقب أبي عبد الله بن الصيقل المتوفى حوالي سنة 500هـ والمترجم في **الغنية** (29) **والتكلة** (1154) الخ . إذ أن المترجم الذي صحب الجباب المتوفَى سنة 592هـ لا يمكن أن يكون تلميذا لابن الصيقل المذكور .

الجباب وكان أبو العباس الجباب يقول : من الأولياء . صغار وكبار وكان أبو الحسن من الصغار وكان يخدم أهل المحلة التي كان يسكن فيها ويتصرف في حوائج الضعفاء ويستقي الماء للأرامل ويحمل لهن الخبز إلى الفرن .

سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت أبا العباس الجباب يقول : بت ليلة مع علي على ظهر المسجد . فلما كان في الثلث الآخر من الليل نزلت إلى البئر لأتوضأ منه ، فلم أجد دلوا . فصعدت إليه وأنا أتأسف . فنزل ، ثم ناداني . فنزلت إليه . فإذا صحفة أمامه مملوءة ماء ولا دلو معه . فقال لي هاك ماء الوضوء . فتوضأت وأنا أتعجب من ذلك .

سمعت محمد بن خالص الأنصاري يقول : سمعت أبا العباس الجباب يقول : خرجت مع علي يوما إلى المقابر خارج باب الدباغين ، فرأى قوما ينظرون إليه وقد توسموا فيه الخير . فقام إلى [وادي إغْزَرْ][52] وملأ حجره بالحجارة وجعل يلعب بها ، فغاب عنهم بذلك .

قال أبو العباس : وحضرت معه في جمع من المريدين ، فاحتاجوا إلى طعام ، فقام مبادرا وقال : أنا أشتريه لكم . فلما خرج عنا أنشأت أحدثهم بأخباره . فلما عاد الينا ، رأيت التغير في وجهه فانقبض عني . فتلطفت في بسطه إلى أن انبسط إلي . فقلت له : ما هذا التغير؟ فقال لي : ما لك تذكر الإنسان إذا غاب؟ فعلمت أنه كوشف بذكري له .

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : سمعت أبا العباس الجباب يقول : مرض علي مرضه الذي مات منه . فما عرف علته أحد . فلما مات وجد الجنب الذي كان ينام عليه قد أنفذته الأكلة إلى جوفه وما علم أحد بذلك إلى أن مات .

إِنَّ ٱلْحَبِيبَ ٱلَّذِي يُرْضِيهِ سَفْكُ دَمِي
دَمِي حَلَالٌ لَهُ فِي ٱلْحِلِّ وَٱلْحَرَمِ[53]

---

(52) إغْزَرْ معناه الشِّعب الذي لا يدوم ماؤه . والمقصود هنا الذي تحت سور مراكش من جهة الشمال الشرقي ويسمى اليوم واد إيسِـلْ .

(53) من البسيط . وردت في **ديوان الحلاج** . ص 86 . وليست له .

إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُمُ
فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي
وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَتْ رُوحِي بِمَنْ عَلِقَتْ
قَامَتْ عَلَى رَأْسِهَا فَضْلاً عَنِ الْقَدَمِ

174 – ومنهم أبو حفص عمر ابن هارون الماديدي[54]

من أهل أنسا[55] وكان عبدا صالحا انقطع في الجبل لعبادة الله تعالى واعتزل الناس . فما أوى إلى أحد ولا تزوج قط إلى أن مات في [أعوام][56] التسعين وخمسمائة .

حدثوا عنه أنه كان أكثر جلوسه في المقابر فيأتيه الأسد فيمسح ظهره بيده ويقول له : اذهب ، جعل الله رزقك حيث لا تضر أحدا من المسلمين فينصرف عنه .

حدثني عبد الواحد بن سالم الصودي[57] قال : حدثني عبد الرحمن بن اسماعيل المناني قال : زرت أبا حفص عمر بن هارون وكانت عندي مخلاة فيها

(54) راجع **رحلة العبدري** ، ص 7 **وطبقات الحضيكي** ، ص 171 **وخلال جزولة** : 3 : 177 ، **والإعلام** : 4 : 288 . وجاء في طرة س : «وقبره مشهور بزاويته بوامْسْلاخْتْ برأس الوادي» . على بعد حوالي ثلاثة أميال من أُوْلُوزْ بسوس . والماديدي نسبة إلى إماديدن ، فرقة في وادي سوس الأعلى معروفة هناك إلى الآن . وقال عنه الحضيكي : «مدفون عند مسجد اغالي في واد تيساك ، وقال عنه الرسموكي : هو أخو سيدي مَصَال (بنطق الصاد زايا) دفين تَرَمَّتْ .

(55) أنسا ، بفرقة إماديدن المذكورة بقبيلة سكتانة قرب تاليوين . وقد ذكره البيذق في كتاب **الأنساب وأخبار المهدي** . وذُكر أيضا في **نظم الجمان** ، ص 92 وفي **الإعلام** : 4 : 289 و3 : 198 .

(56) ح : حدود

(57) س الصَّوْدي نسبة إلى صَوْدة ، بإشمام الصاد زايا . وقد سبق ذكرها . وفي س : المصمودي وهذا المذكور كانت له صحبة مع بعض الصلحاء المترجمين .

موطأ مالك بن أنس رحمه الله تعالى . فقال لي أبو حفص : أنت [ضيف][58] ولو كان عندي خديم يقوم بك لبت عندي ولكني منقطع هنا وليس عندي من يقوم بالضيف . ثم قال لي : أحق ما قرئ كتاب الله عز وجل والذي في مخلاتك . يعني الموطأ ، وما رآه ولا أعلمته به . ثم قال لي : أتعرف الشيخ أبا ابراهيم الرجراجي من أهل أدار[59] ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : لم يبق من ينبغي أن يزال ببلاد المصامدة[60] [غير أبي ابراهيم ولا ببلاد القبلة[61] غير هذا أبو موسى الباعقيلي الجزولي][62] .

175 — ومنهم أبو عمران الهسكوري الأسود[63]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات في [أعوام][64] التسعين وخمسمائة ودفن برابطة الغار بخارج باب أغمات وكان عبدا صالحا وكان يمزج ضحكه ببكائه ولا تكاد ترقأ له دمعة . فربما سئل عن كثرة بكائه ، فيقول : إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عز وجل .

لاَ ٱلعَذْلُ يَنْفَعُهُ وَلاَ ٱسْتِعْبَارُهُ ... لَذَّ ٱلغَرَامُ لَهُ وَلَجَّ أُوَارُهُ[65]
فَتَجَنَّبُوا تَأْنِيبَهُ وَتَعَوَّذُوا ... مِنْ مِثْلِ مَا هُتِكَتْ بِهِ أَسْتَارُهُ
لَوْ كَانَ فِيهِ لِلْغَرَامِ بَقِيَّةٌ ... أَوْ لِلتَّحَمُّلِ مَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ

(58) ف : ضعيف ، والتصحيح من س ومن **طبقات** الحضيكي .
(59) أدّار ، اسم شائع من أسماء الأمكنة ، والمقصود في بلد مْتوكّة اليوم بعد تجاوز بوابوض بحوالي أربعة أميال بالنسبة للقادم من جهة مراكش .
(60) يقصد هنا كل القبائل المتوطنة جنوبي مراكش ولاسيا في جبال الأطلس .
(61) جنوبي الأطلس الكبير ولاسيا بلاد جزولة على سفوح ما نسميه اليوم بالأطلس الصغير .
(62) س : «غير أبي إبراهيم ببلد المصامدة ولا غيرها ولا بالقبلة غير هذا أبي موسى الباعقلي الجزولي» . والباعقيلي نسبة إلى اداو باعقيل ، قبيل معروف إلى اليوم في سوس . وأبو موسى المذكور سبق التعريف به ، فهو صاحب **الكراس** في النحو .
(63) نقل ترجمته صاحب **أنس الساري والسارب** ، ص 6 ، وصاحب **الإعلام** (1006)
(64) ف : عام ، ح : حدود
(65) من الكامل

فَحُضُورُهُ غَيْبٌ عَلَى حُكْمِ ٱلْهَوَى   فِيمَا يُحِبُّ وَهَكَذَا ٱسْتِحْضَارُهُ

حدثني غير واحد من المريدين قال : ماتت زوج أبي عمران الهسكوري وتركت له ولدا [صغيرا][66] اسمه حبيب فضاقت به [أحواله][67] . فذهب إلى السوس[68] لزيارة أبي حفص عمر بن هارون . فشكا اليه بأمر ولده ، فدعا له أبو حفص . فنام أبو عمران مع ابنه حبيب فاستيقظ بالليل وهو يجد البلل في صدره . فخاف أن يكون قد بال عليه ولده . فجعل يمسح صدره . فبان له أن اللبن في ثدييه ، فصار يرضع ولده من ذلك اللبن إلى أن كبر واستغنَى عن الرضاع .

176 – ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر اللمطي*

من أهل أسرير[69] من بلد لمطة[70] وكان من أهل الفضل والدين وكان إذا دخل شهر رمضان [سد عليه بابه][71] وختم القرآن كل ليلة فيأتيه أهل الجهات . فيصلون بصلاته .

---

(66) م وس : رضيعا

(67) م وس : الحال

(68) البلاد التي يخترقها الوادي المعروف بهذا الاسم بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير .

(*) راجع **إيليغ قديما وحديثا** : 7 . **وطبقات الحضيكي** : 79 وفي طرة س : «قبره مشهور بأَسْرِرْ بواد نون الموالي للصحراء وهو منتهَى عمارة البنيان بيمين السوس الأقصَى» .

(69) أَسْرِيرْ يعني الوادي المتسع أو السهل عند واد متسع أو مخاضة . والمقصود هنا القصر الذي عند مصب واد نون .

(70) راجع : Monteil (Vincent) – **Notes sur les Tekna**, Paris, 1948.
لأن هذا الباحث قضَى عشر سنوات من حياته في منطقة نون لمطة . وراجع الهامش 12 على الباب العاشر من ترجمته **لمسالك** البكري إلى الفرنسية في مجلة :

Bulletin de l'I.F.A.N. T XXX, série B, ° 1, 1968, pp. 41-116.

(71) م : شد عليه ثيابه

177 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الحسن [اليَصْلُتِي][72]

من أهل سجلماسة واستقر أخيرا بفاس وبه مات عام خمسة وتسعين وخمسمائة . وكان من تجار الصحراء فتاب إلى الله تعالى وانتقل إلى مدينة فاس فأقام بها سبعة عشر عاما صائما لا يفطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها .

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْماً يَقِيناً   بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةْ[73]
فَلِمْ لاَ أَكُونُ ضَنِيناً بِهَا   وَأَجْعَلُهَا فِي صَلاَحٍ وَطَاعَةْ

سمعت إسماعيل بن يعلَى يقول : دخلت عند محمد بن الحسن وهو مريض في يوم الأربعاء وكنا عنده في ثلاثة نفر . فأغمي عليه ، فلما أفاق من إغمائه ، سألناه عن حالته فقال لنا : لما أغمي علي أحضرت بين يدي الحق سبحانه وتعالى . فقال لي : يا محمد أكره لك الموت ولابد لك منه . فقلت له : يا رب أريد أن تقبضني وليس علي فرض من فرائضك وأن أموت يوم الجمعة . فقال لي : كذلك قضيت عليك أن تموت يوم الجمعة بعد أن تصلي الصبح . ثم قال لنا : اكتموا علي هذا . فخرج واحد منا . فتحدث بذلك إلى أن فشا في الناس خبره . فأردت أنا أن أبيت عنده تلك الليلة . فقال لي : اذهب إلى منزلك فإن عندك مريضا ، فانصرفت إلى أهلي ، فبت عندهم فلما طلع الفجر خففت الصلاة وبادرت إلى منزله فدخلت عليه فوجدته يتوضأ . فلما فرغ من وضوئه ركع ركعتي الفجر ، ثم صلى صلاة الصبح وقرأ فيها قراءة مرتلة فسلم وسبح ودعا ثم امتد وقطب وجهه وارتعد ساعة ومات رحمه الله . فانثال الناس علينا من كل جانب وتعجبوا من إخباره بموته في الوقت الذي أخبر به .

---

(72) راجع **النجم الثاقب** (الجزء الرابع من المخطوط) **وجذوة الاقتباس** (281) **والروض العاطر الأنفاس** ، ص 176 **وسلوة الأنفاس** : 3 : 126 . وفي هذا المصدر الأخير : اليصلوتي . وفي ز وبعض نسخ ف : اليصلتي . وفي نظرنا أنه الإصْلْتِي ، بإشمام الصاد زايا ، نسبة إلى أيْتْ زْلْطْنْ وهي تسمية أقوام في مناطق مختلفة . ومعنَى زْلْطْنْ : لا متاع لهم .

(73) من المتقارب . والشعر لأبي الوليد الباجي . راجع **الصلة** ، ص 201 **ونفح الطيب** =

178 – ومنهم أبو محمد عبد الله ابن أحمد المؤذن(74)

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات في أعوام التسعين وخمسمائة . وكان رجلا خيرا نحيل البدن شديد الصفرة .

سمعت محمد بن يحيى يقول : أخبرني مخبر أن عبد الله المؤذن كان يسأل الله تعالى أن يريه وليا من الأولياء . قال عبد الله : فقمت ليلة إلى مسجد أبي مروان وفتحت باب المسجد ، ثم أغلقته وكبرت للصلاة . فأبصرت رجلا داخلا في المسجد . فركع وسلم من الصلاة وفرغت من صلاتي فكلمني وكلمته وأخذ بيدي . فخرجت معه من المسجد ومشينا إلى أن وصلنا باب الدباغين ، فانفتح ودخلنا إلى الباب الثاني فانفتح وأخذ يؤنسني ويحدثني إلى أن وصلنا إلى المسجد ، فدخلناه فوجدنا فيه رجالا يصلون . فصلينا معهم ما قدر لنا ، ثم قال لي : قد قرب طلوع الفجر فاذهب بنا . فرجعت معه وهو يحدثني فلم أشعر إلا وأنا عند باب المسجد وغاب عني . وأخبرني ثقات من الجيران أن أبا محمد مرض [من ذلك](75) مرضه الذي مات منه وكان يحدثهم بما شاهده .

يُرَادُ مِنَ ٱلْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ ... وَتَأْبَى ٱلطِّبَاعُ عَلَى ٱلنَّاقِلِ(76)
وَلَوْ زِلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ ... بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ ٱلزَّائِلِ
وَهَبْتُ ٱلسُّلُوَّ لِمَنْ لاَمَنِي ... وَبِتُّ مِنَ ٱلْحُبِّ فِي شَاغِلِ
كَأَنَّ ٱلْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ... ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ

■ 2 : 74 وخريدة القصر : 2 : 473 .
(74) راجع الإعلام : 8 : 198 والسعادة الأبدية : 1 : 132.
(75) سقط من ف واستدرك من م و س .
(76) من المتقارب . والشعر للمتنبي ، راجع ديوان المتنبي ، ص 259 ووفيات الأعيان : 3 : 321 .

179 – ومنهم أبو محمد صالح
ابن وَانْدلوس السوسي [الأسود][77] [78]

أصله من تارودانت واستوطن مراكش وأغمات وريكة بعد أن حج واستقر أخيرا بالسوس الأقصى وبه مات رحمه الله بعد التسعين وخمسمائة وكان أبو محمد من الأفراد . إذا رآه من لا يعرفه ظنه معتوها وكان لا يمسك شيئا مما يفتح له فيه .

سمعت مخلوف بن محمد الأنصاري وكان من جيرانه الخاصين به يقول : حدثني أبو محمد صالح قال : لما عقلت كسرت [لأهلي][79] خوابي المسكر لأهلي . فسجنوني فقلت لهم : لن أنطلق من سجنكم حتى يصل إلى هذه البلاد أقوام يضفرون شعورهم كالنساء ، يعني الأغزاز[80] . وتنهدم [طائفة][81] من سور المدينة . فقال أهلي : حمق صالح . فقيدوني . فبقيت في السجن إلى أن دخل الأغزاز المغرب فوصلت طائفة منهم إلى السوس وانهدمت [طائفة][82] من السور فخرجت من السجن وتوجهت إلى المشرق . فصحبني رجل من أهل بلدي ، فكلما دخلنا بلدا رام بيعي وأدخلني في السوق فلم يجد من يشتريني وأنا لا أنكر عليه شيئا إلى أن رجعت معه إلى السوس .

وحدثوا عنه أنه لما وصل إلى بلده تصدق على المساكين بجميع ما ورثه من أبيه من الأملاك ولم يتمسك بشيء .

---

(77) زيادة في س وفي **الإعلام** .

(78) نقل ترجمته في **طبقات الحضيكي** . ص 131 (من المخطوط) وفي **الإعلام** : 7 : 342 . راجع أيضا **خلال جزولة** : 4 : 190 . جاء في طرة غ : «قف على قبره جهة الولي الصالح سيدي ودّار» وجاء في طرة كتا وطرة س : أنه المعروف بسيدي وسيدي بتارودانت . وله مزارة مقصودة هنالك إلى الان . وابن واندالوس يعني ابن الأندلسي .

(79) كذا في س .

(80) الأغزاز أو الغُزّ طائفة من مماليك الترك المصريين وردوا على المغرب أيام أبي يعقوب يوسف وأبي يوسف يعقوب المنصور من بني عبد المومن . راجع **المعجب** للمراكشي ص 370 و412 .

(81) م : مسافة .

(82) م : مسافة

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجي[83] قال : حدثني أبو محمد صالح قال : عندي صديق من مؤمني الجني وعدني أن يعطيني كل يوم درهمين على ألا آخذ من أحد شيئا . فاحتجت إلى تجهيز يتيمة . فأخذت مالا أجهزها به ، فغاب عني شهرين . ثم عاد إلي . فقال لي : ألم أقل لك : أوافقك على ألا تأخذ من غيري شيئا .

وحدثني أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد قال : سمعت أبا يعقوب يوسف بن عيسَى بن عمران يقول : حضرت بدار الشيخ أبي يعقوب المبتلى خارج باب أغمات بحارة الجذماء مع جماعة فيهم أبو محمد صالح وكان بيده درهم فكان يرميه من يد إلى يد إلى أن سقط من يده . فطلبناه أشد الطلب ، فلم نجده . فقال لنا : إن لي صاحبا من الجن ، فإذا وقع بيدي متشابه رماه من يدي ولم يتركه فيها .

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد القيسي[84] قال : أخبرني عبد الوهاب بن [الغاني][85] قال : دخل علي أبو محمد صالح يوما برجل عريان مجروح خرج عليه قوم فجرحوه وسلبوا أثوابه . فقال لي : يا عبد الوهاب ، اكس هذا وأعطه ما يستعين به ، فاعتذرت له . فقال لي : والله لا أفلحت أبدا وليهدمن لك من هذا البيت ما تنفق فيه خمسين دينارا . فقلت له : لا تفعل يا أبا محمد ودعني ! أعوذ بالله من كلامك ! فخرج عني بالرجل [وخرجت][86] من البيت بعد ساعة فانهدمت منه طائفة أنفقت في بنائها خمسين دينارا .

وحدثني أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد الوراق قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن يوسف بن زكرياء الشاهد يقول : مر بي أبو محمد صالح يوم الجمعة وكان اليوم الحادي عشر من شعبان من سنة احدَى وتسعين وخمسمائة وأنا في جماعة فقال : قد اجتمع الفريقان وكان الظفر لصاحبنا ! فلم نفهم معنَى كلامه . فكأنه علم أنا لم نفهمه . فعاد إلينا وقال لنا : قد اجتمع المسلمون والكفار ونصر الله طائفة

---

(83) من كبار أصحاب أبي العباس السبتي ، خدمه أربعة أعوام بمراكش وحدث عنه ، وقد ظل في مراكش بعد وفاة أبي العباس ، وحضر مجلس الحباك بتلمسان . ذكره صاحب **الإعلام** مرتين . تحتَ رقم 1387 ورقم 1401 .
(84) ليس هو ابن واجب المتوفي بمراكش سنة 614هـ لأن كنيته أبو الخطاب .
(85) س وز : الغازي .
(86) سقط من ف . واستدرك من م وز .

الإسلام . فدخل كل واحد منا داره وأرخ اليوم الذي حدثهم فيه . ثم بعد ذلك وصل الخبر الصحيح من جزيرة الأندلس بغزاة الأرك[87] التي هزم فيها المسلمون أدفونش[88] وجيوش الروم وان ذلك كان من فتح الله تعالى ونصره يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان سنة احدَى وتسعين وخمسمائة . حدثني بهذا الخبر غير واحد من الموثوق بهم عن جماعة أخبرهم أبو محمد صالح بوقعة الأرك وهي صحيحة .

وقال لي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد : كان أبو محمد صالح صديقا لأبي . فسافر أبي مرة إلى بلد أزمور . فلقيته فقال لي : لأي شيء لاتزور والدك؟ فقلت له : ليس عندي شيء أصلح به شأني فقال لي : إذا فتح لك في عشرة دنانير أتزوره؟ فقلت له : نعم . ففتح لي في أمد يسير في عشرة دنانير . ونسيت ما عاهدني عليه أبو محمد صالح . فلقيني . فقال لي : لم تركت زيارة أبيك؟ فقلت له : الآن أشرع في ذلك . فقال لي : لا تتحرك . فإنه سافر من بلد أزمور . ثم مكثت أياما فاتصل بي أن والدي سافر من بلد أزمور . ثم أتيت إلى منزلي فوجدته واقفا وكان من عادته إذا أراد أن يكلم أحدا يطأطئ رأسه ويتكلم وهو ينظر الأرض . فقال لي : أما بلغك الخبر؟ فقلت له : ما بلغني شيء . فقال لي : مات صاحبنا . وانصرف عني . فلم أفهم معنًى كلامه . فأقمت أياما وجاء الخبر بموت أبي ؛ ثم ورد علي كتاب فيه كيفية قتله . فلقيت أبا محمد صالحا . فقلت له : كيف قتل أبي؟ فحدثني بأمره كما ورد علي الكتاب بشرح الحال ولم يخالف قوله شيئا مما ورد علي به الكتاب .

قلت : أدركت أنا بمراكش أبا محمد صالح ورأيته . فكان يأتي إلي فيكلمني بكلام لا أفهمه . وإذا رآه من لا يعرفه . يقول : هذا مجنون . وكان المساكين لا يفارقون منزله . فتارة يخرج إليهم بصدقات وتارة يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب . وكان من أعاجيب الزمان وأخباره كثيرة ويكفي منها ما أوردته .

---

(87) وقعت في 8 شعبان سنة 591هـ . والأرك موضع بنواحي بطليوس . راجع **البيان المغرب** : 3 : 193 **والاستقصا** : 2 : 185 . وراجع :

A. Huici, **las Grandes Batallas de la Reconquista**, p. 336.

(88) ألفونس الثامن ملك قشتالة .

180 – ومنهم أبو إبراهيم إسماعيل ابن [وَجْهاتن][89] الرجراجي

من أهل أدَّار[90] من بلد رجراجة وبه مات عام خمسة وتسعين وخمسمائة . وكان أبو ابراهيم من أكابر العلماء واتفق أهل عصره على أنه من الأوتاد وغلبت عليه أحوال المشاهدة . فلم يتفرغ لأخذ العلم عنه ، فيظن الجاهل أنه تصيبه غاشية . وكان لا يتكلم إلا بالكلام العربي الفصيح وكان محفوظا . يتكلم بما شاء ولا يبالي . وكان يأوي في بيته بمكان لا عمران حوله فلا يخرج إلا في أوقات الصلوات . فمرة يخرج وعليه كسوة سنية ومرة يخرج وعليه تليس وكان أكثر كلامه : ألا لا تؤذوا أولياء الله ! ألا لا تؤذوا أولياء الله ! ألا لا تؤذوا أولياء الله ! «أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ . وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»[91] . يعيد هذا الكلام في أكثر الأوقات . وكراماته منقولة نقل تواتر . أخبرني الثقة عن الشيخ الصالح أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري أن أبا ابراهيم أقام بمدينة الرسول ﷺ . بعد أن حج نحو العشرين سنة بين الروضة والمنبر إلى أن سمع هاتفا يقول له : يا اسماعيل . اذهب إلى المغرب فقد قضيت حاجتك . ثم سمع الهاتف في الليلة الثانية ، فلما كان في الليلة الثالثة قيل له : لئن لم تفعل ما أمرت به لَتُسْلَبَنَّ الايمان . وحدثني جابر بن ياسين وكان خديما لأبي إبراهيم قال : سمع أبو إبراهيم وهو بين الروضة والمنبر هاتفا من فوق رأسه يقول : يا إبراهيم ، ارجع إلى دارك . فقد قضيت حاجتك . قال جابر وكنت أسمع أبا ابراهيم من جوف الليل وهو يقول بصوت عال : أنا عبدك اسماعيل ! أنا عبدك

---

(89) أَوْكْهاتن بمعنى : ذو الإخوة وتحذف فيه الجيم المصرية اليوم فيقال أَوَّاتْنْ وفي م وس : يُخْهاتْنْ ، بمعنَى آخاهم ، أو كان لهم أخا . وهي صيغة تماثل ما سبق من صيغ الأسماء التي تدل على صفة أو فعل يلحق به ضمير على قوم المسمى بذلك الاسم . تفاؤلا بأن يكون لهم أخا أو سندا أو غير ذلك . وفي بعض نسخ ف : يخياتن ، وهي صيغة مشابهة ، وفي **مفاخر البربر** (ص 70) : ابن واجانات ، وضريح المترجم معروف بأدَّار إلى اليوم ، وقفت عليه حيث تنعقد السوق ، ويسمونه سيدي بوبراهيم .

(90) راجع الهامش 59 أعلاه . وفي غ : بوادّار ، وتعني صاحب أدَّار أو من أهل أدَّار . وكذا : أَوَادَّار ، ولا إشكال (راجع أنس الفقير ، الهامش 2 على ص 62) .

(91) سورة يونس : 62

اسماعيل ! أنا عبدك اسماعيل ! أموت على نبيّي ! أموت على نبيّي ! أموت على نبيّي ! «لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ! لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ! لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ !»(92) ويعيد هذا الكلام مرات بالليل .

صَبٌّ بَكَتْ لِبُكَائِهِ عَبَرَاتُهُ ... وَتَنَفَّسَتْ بِغَلِيلِهِ زَفَرَاتُهُ(93)
أَخْفَى خَفِيَّ ٱلْحُبِّ عَنْ عُذَّالِهِ ... فَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ بِهِ خَطَرَاتُهُ
لَمْ يَخْفَ سِرُّ ٱلْحُبِّ إِلاَّ أَنَّهُ ... مَجْهُولَةٌ بَيْنَ ٱلْوَرَى حَالاَتُهُ
إِنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا خَلاَ بِحَبِيبِهِ ... هَاجَتْ إِلَيْهِ تَشَوُّقاً حَرَكَاتُهُ
وَتَوَقَّدَتْ نَارُ ٱلْهَوَى بِفُؤَادِهِ ... وَتَضَاعَفَتْ مِنْ وَجْدِهِ طَرَبَاتُهُ
وَرَنَا بِلَحْظِ فُؤَادِهِ فَإِذَا رَنَا ... عَادَتْ إِلَيْهِ كَلِيلَةً لَحَظَاتُهُ
فَدُنُوُّهُ مَهْمَا دَنَا وَبِعَادُهُ ... سِيَّانِ فِيهِ حَيَاتُهُ وَمَمَاتُهُ
سُبْحَانَ مَنْ هَامَ ٱلْفُؤَادُ بِحُبِّهِ ... وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ

سمعت عبد العظيم بن ابراهيم يقول : سمعت أبا ابراهيم يقول غير ما مرة إذا طلعت الشمس بصوت عال : طلعت الشمس بإذن الله وارتفعت بقدرة الله وسارت في بلاد الله وانتشرت على خلق الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وسمعت عيسى بن موسى يقول : مررت أنا وجماعة إلى أبي إبراهيم نزوره فضللنا وبتنا في بعض الكروم . فوصلنا غدوة فلما رآنا قال لنا : ضللتم البارحة ؟ فقلنا له : نعم . وعجبنا من مكاشفته بذلك .

وسمعت محمد بن يحيى وغيره يقول : سمعت أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول : أصابتني علل . فقلت في نفسي : لو زرت أبا إبراهيم لدعا لي بالشفاء من هذه العلل . ثم دعوت الله أن أخلو به لأستمتع بالحديث معه . فأدركني الليل وغشيني الظلام وأنا على قرب من منزله . فعمي علي الطريق . فسمعت صوت أبي ابراهيم وهو يقول : من ههنا يا أبا محمد من ههنا ؟ وأنا أتبع صوت كلامه إلى أن وصلته فقال لي : ما مثلك يسير في هذا الوقت . فنزلت عن حماري وحملني إلى البيت ثم خرج عني . فقلت في نفسي : هل قيد حماري وقدم إليه التبن ؟ فناداني أبو

---

(92) سورة يونس : 64
(93) من الكامل

إبراهيم : قد اشتغلت بجارك وعنده ما يأكل . ثم غاب عني قليلا وجاءني بصحفة من ثريد الدرمك بالزعفران واللحم الغنمي السمين المفوه وليس مما يصنع بتلك البلاد . فقال لي : هذا صنعه الآن لنا بعض الإخوان فكل . فلما أكلت قال لي : قد أجاب الله دعاءك . وليس في الدار هذه الليلة إلا أنا وأنت . ثم مد يده إلى رأسي ومسح عليه وعلى عيني وصدري وسائر الأعضاء التي أصابتني فيها العلل السبع وقال لي : ستبرأ من عالك باذن الله . ثم غاب عني فلم أره إلى طلوع الفجر .

حدثني أبو علي عمر بن يحيى ، رحمه الله ، قال : سمعت أبا بكر بن محمد الحيحي[94] يقول : جئنا إلى أبي ابراهيم نزوره . فخرج الينا وهو يقرأ : «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ، ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ»[95] . فصاح ودخل منزله وتركنا فانصرفنا عنه .

وحدثني عبد الواحد بن سالم الصودي قال : كنت عند أبي ابراهيم فدخلت عليه جماعة وهو مستقبل القبلة . فقعدوا خلفه على البعد منه وولاهم ظهره . فمشت خنفساء حتَّى وصلت إلى أحدهم . فرماها بطرف أصبعه . فعادت إليه فرماها . فقال له أبو ابراهيم : دع ذلك الحيوان فانه لا يخرج إلا إذا [أتى][96] أمثالكم . وكانوا ممن لا ترضى أحوالهم .

وحدثني عبد الواحد أن رجلا من قومه دخل عليه . فقال له أبو ابراهيم : اني أشتهي لحما . فاشترى له الرجل لحما من السوق وأمر أهله فصنعوه بالأفاويه وأتاه به وذهب عنه . ثم جاءه في اليوم الثاني فوجد اللحم على حالته . فقال له أبو ابراهيم : ما شأن هذا اللحم ؟ فإني أردت أن آكل منه فوجدته مملوءا دودا ! [فأخرجه عني][97] فذهب به الرجل وجاء إلى الجزار فقال له : ما شأن اللحم الذي اشتريته منك ؟ فقال له : اشتريت كبشا من غنم جاء بها فلان . يعني رجلا

---

(94) نسبة إلى قبيلة حاحا وتقع جنوبي أدّار مقر أبي إبراهيم المترجم .
(95) سورة آل عمران : 14 ـ 15
(96) س : أتاني .
(97) زيادة في س وم .

من أشياخ القبائل لا يتورع . فأخبر الرجل الجزار بما قال له أبو ابراهيم . فقال له الجزار : لو أعلمتني أنك اشتريته لأبي ابراهيم لأعلمتك وما بعته منك .

وكان البسباس بدار أبي ابراهيم كبيرا كأكبر الشجر . يقال إنه جاء ببزره من بلاد المشرق ، فلا يشكو إليه أحد بعلة أي علة كانت إلا أعطاه منه . فينفع لكل داء بإذن الله تعالى .

وحدثني جابر بن ياسين قال : كنت عند أبي إبراهيم . فدخل عليه رجل من أهل المشرق فسر به سرورا عظيما . فقدم لنا أنواعا من الطعام وأكل معنا لشدة سروره بذلك الرجل . ثم أنشأ يسأله عن الصالحين من أهل الشام واحدا بعد واحد ويسميهم له بأسمائهم إلى أن سأله عن أهل مدينة الرسول عليه السلام . فقال له : ما فعلت العجوز سيدة الناس ؟ فقال له الرجل : ماتت . فتأسف أبو إبراهيم بخبر موتها تأسفا شديدا ثم قال : كانت لي ، بالمدينة ، كالأم الشفيقة وكانت تأتيني بطعام أفطر عليه مدة اعتكافي بمسجد الرسول عليه السلام .

لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إِلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ ٱلْبَدَنُ(98)
فَمَا يُدِيمُ سُرُوراً مَا سُرِرْتَ بِهِ
وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْفَائِتَ ٱلْحَزَنُ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ ٱلْعِشْقِ أَنَّهُمُ
هَوُوا وَمَا عَرَفُوا ٱلدُّنْيَا وَلاَ فَطِنُوا
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ
فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْهُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ
فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ
إِنْ مِتُّ شَوْقاً وَلاَ فِيهَا لَنَا ثَمَنُ
سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ
ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ سُهَادِي وَٱرْعَوَى ٱلْوَسَنُ

(98) من البسيط ، والشعر للمتنبي .

سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول : حدثني عبد الله بن يحيَى اللمطي أن الشيخ أبا وزاغار تيفاوت بن علي ذهب مع جماعة من المريدين لزيارة أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه . فلما انصرفوا من عنده مر أبو وزاغار بأبي ابراهيم . فاستأذن عليه . فقال له أبو ابراهيم : ما جاء بك ؟ فقال له : زيارتك . فقال له أبو ابراهيم : كذبت ، انما جئت لزيارة ابن ياسين ثم جزت علي .

فقال أبو العباس : خرجت من مراكش إلى رباط شاكر . ثم توجهت إلى أبي إبراهيم وجددت القصد لزيارته خوفا من الذي كان منه مع أبي وزاغار . فلما قربت من منزله جددت النية وعملت عمل من يلقَى وليا من الأولياء : فتطهرت وغسلت ثيابي وتوجهت إليه ودعوت الله تعالى أن يحفظ لي عقله وحاله مما يعتريه لأتمتع بمجالسته . فلما وصلت إليه قال لي : ما جاء بك ؟ فقلت له : رؤيتك . ثم قال لي : يوم الأحد خرجت من مراكش . فعملت حساب الأيام التي كنت فيها برباط شاكر إلى أن تحققت بعد فكرة أن يوم الأحد هو اليوم الذي خرجت فيه من مراكش . فقلت له : يا سيدي : عسَى أن تفرغ لي ساعة . فقال لي : أقول لك ما قال الخضر لموسَى : «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً»[99] . ثم استوَى قائما وهو يقول : «ألا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ»[100] . فخرج إلى بيت آخر فاتبعته ووقفت وأنا أقول : أودعه وأروح . ثم اشتهيت أن أحمل من عنده شيئا أتبرك به وقلت : لو أعطاني رغيفا لحملته إلى الأهل والأولاد يتبركون به . فناداني : يا أحمد ! فأتيته ودخلت إليه فقال لي : أتغدو أم تروح ؟ فقلت له : أروح . فقال لي : أو تقعد ؟ فقلت له : أروح . فقال لي : هل جربت نفسك قط في دعوة مستجابة ؟ فقلت له : لا أدري . ثم ذكرت دعوتي بالتمتع بمجالسته . فناولني كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي . فقرأته عليه . ثم دخلت عليه جماعة من قومه . فشكوا إليه جور العامل فغضب وأخذ في الكلام حتَّى خرج الزبد على فمه وكان لا يعتريه هذا إلا عند سماع منكر وانتهاك حرمة الله . ثم انه سكن عنه ذلك . فصليت معه العصر وودعته . فلما خرجت من عنده رأيت رجلا يجري خلفي إلى أن وصلني فدفع إلي رغيفتين وقال لي : بعثني بهما إليك الشيخ أبو إبراهيم . فأخذتهما منه وانصرفت .

---

(99) سورة الكهف : 67 . 68 .

(100) سورة الرعد : 28

وحدثني جابر بن ياسين وغير واحد من المريدين أن أبا ابراهيم صلَّى الجمعة بقرية [أُجْوز][101] من بلد رجراجة . فتكلم بكلام سمعه العامل فسجنه . وأقام في السجن ثلاثة أيام ، ثم صاح بأهل السجن . فحضروا . فقال لهم : توبوا إلى الله تعالى . فقالوا له : تبنا . فأعاد عليهم هذا الكلام مرارا . فأجابوه بأنهم تابوا . فقال لهم : أتريدون أن تنطلقوا من السجن ؟ فقالوا له : نعم . فسقطت طائفة من جدار السجن فتقدمهم وخرج ، فخرجوا في أثره ولم يرجع منهم أحد إلى السجن ولقد كان فيهم رجل محبوس في مال كثير من الخراج فما طالبه العامل بشيء من ذلك ولا غيره ولا تعرض له أحد .

يَا سَائِلِي عَنْ تَوْبَةٍ كَشَفَتْ لَنَا ... عَمَّا طَوَتْهُ صَحَائِفُ ٱلتَّصْدِيقِ[102]
لاَ يَنْقُصُ ٱلذَّهَبَ ٱلْكَرِيمَ بَلاَؤُهُ ... بِٱلنَّارِ تَحْتَ وَسَائِطِ ٱلتَّحْرِيقِ
إِنْ كُنْتَ مُمْتَحَناً فَمَا أَنَا بِٱلَّذِي ... كَسَدَتْ تِجَارَتُهُ بِهَذَا ٱلسُّوقِ
لَكِنْ خَطَبْتُ مَقَامَةً صِدِّيقَةً ... فَوَرَدتُ مَوْرِدَ يُوسُفَ ٱلصِّدِّيقِ
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَمَدَتْ لَهُ ... نَفْسِي فَأَوْقَفَهَا عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ

سمعت سليمان بن أبي نور الرجراجي يقول : سمعت الفقيه أبا عبد الله محمد بن ياسين يقول : حضرت يوم جمعة في الجامع . فلما صلينا قام أبو ابراهيم فقال : أتريدون أن أعظكم ؟ فسكتوا إلى أن قالها ثلاثا والناس سكوت والعامل حاضر . فتكلم في حق العامل بكلام خاف منه الناس على أنفسهم . فخرجوا من المسجد كلهم وخرج العامل من المسجد . [فجلس على قرب منه فخرج أبو إبراهيم من المسجد ومر على العامل][103] فقيل له : هذا هو الذي تكلم في المسجد بما سمعته . فقال : احملوه إلى السجن وقيدوه واجعلوه في مطمورة عميقة . ففعلوا ما أمرهم به العامل وأمر الكاتب أن يكتب فيه كتابا إلى حضرة مراكش . فما لبث غير ساعة حتَّى أبصر أبا ابراهيم ماشيا وهو يقول بصوت جهير : «أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ !»[104] فغضب العامل وقال : ما أظنكم فعلتم الذي أمرتكم به ! وقام بنفسه

(101) س : أوجوز ، وهي أكُوز ، مرسًى عند مصب نهر تانسيفت قديمة كان بها رباط وقد سبقت الإحالة على مراجع تعريفها في مقدمة التحقيق .
(102) من الكامل .
(103) زيادة في س .
(104) سورة غافر : 28 .

وحمله إلى السجن وجعل على رجليه كبلين ودلاه بالحبل في حفرة وجعل عليها لوحا وأمر رجالا أن يجلسوا عليه. فلما قعد الكاتب بين يديه يكتب الكتاب في شأنه إلى مراكش أبصر أبا إبراهيم مارا عليه وهو يصيح ويقول: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ!» فطأطأ العامل رأسه وتستر بالجالسين حوله إلى أن جاز عنه. فزق الكتاب وتغافل عن أمره ولم يتعرض له بعد ذلك بشيء. وهذه القصة مشهورة. سمعتها من غير ما طريق من غير واحد وهي وان اختلفت ألفاظ روايتها ترجع إلى معنًى واحد وبالجملة فشأن أبي ابراهيم من أعجب العجائب.

وَمُسْتَهْزِئٍ بِٱللَّهِ بَاتَ فُؤَادُهُ ... عَلَى حُرَقٍ تَشْكُو لِحُرْقَتِهَا ٱلنَّارُ[105]
تَوَجَّهَ عَنْهُ ٱلنَّاسُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَلَيْسَ لِأَهْلِ ٱلْحَقِّ أَهْلٌ وَلاَ جَارُ
وَسَاعَدَهُ طَيْفُ ٱلْخَيَالِ فَأَشْرَقَتْ ... عَلَيْهِ مِنَ ٱللَّوْحِ ٱلْمُكَرَّمِ أَسْرَارُ
فَنَحْنُ عَلَى رَيْبِ ٱلزَّمَانِ شَوَامِخٌ ... وَعِنْدَ مُلاَقَاةِ ٱلْحَوَادِثِ أَحْرَارُ

سمعت عيسَى بن موسَى يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول: زرت أبا إبراهيم. فرأيت على رأسه شاشية. فقلت في نفسي: لو وهبها لي! فقال لي: خذها يا أبا محمد ولكنها لا تبقَى لك. فأخذتها وأنا أظن أن معنَى قوله: لا تبقَى لك أنها ستسرق. فجعلتها بين الثياب وشددت عليها. ثم ذهبت إلى موضعي. فحللت عن ثيابي وهي مشدودة كما كانت. فطلبت الشاشية حيث جعلتها. فلم أجدها وأنا على يقين أنها لم تسرق ولا حل أحد ما شددته. فأقمت مدة. ثم زرت أبا إبراهيم فوجدت الشاشية بعينها على رأسه فقال لي: كان لي فيها غرض. فحملت الينا ولم يبق لنا الآن فيها غرض. فخذها. فدفعها إلي. فأخذتها منه.

181 – ومنهم أبو عبد الله يلاسيف ابن [يغْديون][106] الرجراجي

من أهل بلاد رجراجة ومن كبار المشايخ والصالحين. سمعت موسَى بن

(105) من الطويل.

(106) يلاسيف بن يغْدِّيون. يلا تعني له أو «ذو» والكلمة بعد: أسيف وهو الوادي أو السيف وهو السيف. ويغَدِّيُونْ جمع أغدُّو: نوع من الزنابير. وبنواحي إيمي نْ تانوت مكان يسمى إيغديون.

[سدرماح][107] الرجراجي يقول : زرت أبا إبراهيم بأدّار . فلما أردت أن أنصرف عنه قال لي : خذ من هذا البسباس . وكان بداره قدر القامة . ثم قال : من اشتكى بوجع فأعطه منه شيئا . فأخذت منه . ثم قلت له : يا أبا إبراهيم . اني لا يعيش لي ولد . فقال لي : وما [حبك][108] للأولاد ؟ فقلت له : انما أحب الأولاد لعلي أرزق ولدا يحفظ القرآن . فدعا لي . ثم قال : سترزق ثلاثة أولاد [ذكورا][109] ولكن اذهب إلى أبي عبد الله محمد بن ياسين وأبي تونارت وأبي عبد الله وأعلمهم برغبتك . فذهبت إلى الفقيه أبي عبد الله بن ياسين فدعا لي ، ثم ذهبت إلى أبي تونارت فوجدته أعمَى وكان من الصالحين . فدعا لي ، ثم ذهبت إلى الشيخ أبي عبد الله بتامْزاوْرْت[110] من بلاد هنفيفة[111] فلم أجده بمنزله وكان زمان الدراس . فسألت عنه فقيل لي : انه في الأندر . فمشيت إليه . فرأيته مشتغلا بالدراس وقد دخلت حمارته في فدان جاره . فصاح عليها : إلى أين قيدك الله ؟ فرأيت الحمارة واقفة لا تتحرك . ثم أنه رآني فقال لي : عسَى أن ترد الحمارة من ذلك الفدان . فررت اليها ، فوجدتها مقيدة لا تتحرك ، فنظرت إلى يديها وقد دار بهما كالقيد الأسود . فظننت أنه قيد من شعر . فانحنيت عليه لأحله فإذا هو حنش أسود قد التوَى على يديها فانسل وذهب في الحطام وأنا أسمع حسه في الحطام . فأتيت أبا عبد الله وقبلت يده وقلت له : بعثني اليك أبو ابراهيم لتدعو لي فإني أحب أن أرزق ولدا يحفظ القرآن . فقال لي أما يكفيك ما بشرك به أبو إبراهيم ؟ فقال موسَى بن [سدرماح][112] : لقد رزقت ثلاثة من الأولاد ذكورا حفظ القرآن واحد منهم .

---

(107) م وس : سَدْرمَامْ

(108) س : وماحاجتك في الأولاد

(109) ف : ذكرا .

(110) تامْزّاورْتْ . وردت في بعض نسخ ف : تامارووت . وهذه أيضا من أسماء الأماكن . وتوجد تامَارُووت الشهيرة قريبة من هنفيفة ، إلا أنها ليست المقصودة هنا ، بل تامزّاوْرْت وهي قرية انقرض بنيانها وبقيت منها حفرة تزار لعلها المزارة الأصلية فيها وسط بساتين أيت علي إيْزّمْ بقبيلة إدْويران قريبا من مكان انعقاد سوق هذه القبيلة الآن . ورد ذكرها في **البيان المغرب** : 3 : 370

(111) هي قبيلة أَفِيفَنْ التي تعرف بهذا الاسم إلى اليوم في منطقة إيمي نْ تانوتْ . ولعل مجالها كان أوسع من حدودها اليوم إذ كانت تمتد إلى تامزاورت المذكورة أعلاه .

(112) م وس وز : سدرماح .

182 - ومنهم أبو الحسن* نجا
ابن عبد الله الأموي

أصله من مدينة لبلة ، ثم جاء إلى هذه العدوة واستقر بمدينة سلا وبها مات عام [خمسة][113] وتسعين وخمسمائة وشيخه أبو عبد الله بن خليل[114] وكان أبو الحسن رجلا صالحا زاهدا في الدنيا منقبضا عن أهلها . لا يقبل من أحد شيئا وكان يقول : إذا أردت أن تكون شيئا فلا تكن شيئا ! ولما ركب البحر من لبلة إلى مدينة سلا كان معه في المركب عبد السلام بن عبد الخالق الصنهاجي من أعيان بلد أزمور . فكلم صاحب المركب أن يحط ببلد أزمور . فلما عدل بمركبه عن مرسَى سلا وتوجه إلى بلد أزمور هال البحر واضطربت أمواجه وشاهدوا هولا عظيما فرجعوا إلى مرسَى سلا وحطوا بها . فكان عبد السلام بن عبد الخالق بعد ذلك يزور أبا الحسن في كل عام .

وحدثوا عنه أنه شكا اليه أهل سلا بأقوام استأصلوا ما في كرومهم من العنب . فقال لهم : يكفيكم الله ! فبعث الله في كرومهم دويبة تعرف بالرتيلة ، فكل من دخل فيها تلسعه فيموت من حينه .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : كان القاضي بسلا أبو الحسن علي بن الحسين الصديني[115] وكان يكثر زيارة أبي الحسن نجا وكان يكره أن يكثر القاضي زيارته . فقال لي أبو الحسن نجا : اذهب إلى القاضي وقل له : أريد أن لا تأتيني ولا نأتيك وادع لي وأنت في موضعك وأدعو لك وأنا في موضعي . فإن مثلنا كرجل حصل في المرحاض فإن جاء من يريد أن يخرجه تلوث معه وان تركه وحده كان أحسن له .

(*) في ز وبعض نسخ ف : أبو الحسين

(113) س : تسعة .

(114) محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي ، كان محدثا سكن فاس ثم مراكش ، وتوفي بها سنة 570هـ . راجع التكملة : 515 والذيل والتكملة : 6 : 305 (796) وجذوة الاقتباس : 265 والإعلام : 4 : 108

(115) راجع المترجم في الجذوة تحت رقم 517 .

183 – ومنهم أبو محمد عبد الواحد ابن [تومرت][116] الهسكوري الأسود[117]

رأيت هذا الرجل ، قد نزل بمحلتنا بالجانب الشرقي من حضرة مراكش وكان كل من رآه يتوسم فيه الخير وأنه رجل صالح وكان لا يفتر عن الذكر وكنت إذا أبصرته نالتني منه هيبة ولم أقدر أن أكلمه إلا مرة واحدة ؛ استوهبت منه الدعاء فدعا لي . ولما توجه المسلمون إلى جزيرة الأندلس لغزو الروم نهض معهم فاستشهد . رحمه الله ، في غزوة الأرك التي كانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة .

وكان عبد الواحد يبيع الباقلاء ويحمله على رأسه . فقال له رجل : هلا قبلت مني شيئا يغنيك عن رفع الباقلاء على رأسك وتقعد في دكان تبيع الباقلاء ؟ فقال له : حالتي هذه أحسن ، فإني إذا أدركني وقت الصلاة توضأت ودخلت المسجد ووضعت قفتي عند سارية وتنفلت ما قدر لي إلى أن تقام صلاة الفريضة فأصلي مع الناس وأنصرف وإذا اتخذت دكانا وحانت الصلاة ومررت إلى المسجد يوسوس إلي الشيطان ويقول لي : لعلك سرق لك شيء فلا يصفو لي خاطري في الصلاة ويشوش علي بالوسوسة .

وحدثني بعض الجيران قال : كان عبد الواحد قريبا مني . فأخبرت أنه يحيي الليل صلاة . فقلت : في جواري رجل من الصالحين ولم أدر به . فصنعت طعاما ودعوته إلى منزلي لأتبرك به . فرأيت صورة رجل في الهواء في غلاف من نور وذلك الغلاف ينزل إلى أن قرب من ساحة الدار وغاب عن بصري فعلمت أن ذلك من أجل الرجل الذي دعوته إلى الطعام .

184 – ومنهم أبو مهدي اللّسيدي[118]

من هسكورة من حومة وادي أم الربيع وكان عبدا صالحا .

(116) في بعض نسخ ف : تونارْت ، ومعناهما على ما يبدو واحد وهو الفرحة أو السعد .
(117) نقل هذه الترجمة صاحب **الإعلام** : 8 : 508
(118) نسبة إلى لسيدة وهم إينْ لْسِّيدْ ، قبيلة من قبائل هسكورة الظل (**المقتبس من كتاب الأنساب** ، ص 44) أي اتحادية قبائل إسْكُورَنْ المتوطنة السفوح الشمالية للأطلس

حدثني عيسَى بن يعقوب عن أبي محمد [عبد الحق][119] بن عبد الله الميموني* عن أبي علي [وَلْلوي][120] قال : زرت أبا مهدي ، فوجدته قد توضأ . فأمسك فضلته للقطا* وهي تشرب منه .

185 - ومنهم أبو عبد الحق عبد الصمد ابن إسحاق الهسكوري

من أهل رباط بئر [قرن][121] الجدي وبه مات عام أحد وتسعين وخمسمائة . وكان من كبار المشايخ وأدرك أبا الأمان [بن][122] يلارزج وأبا شعيب وأبا يعزى .

سمعت شعيبا بن جلداسن[123] يقول : سمعت موسَى بن عمران تلميذ أبي عبد الحق يقول : مررت مع أبي عبد الحق لزيارة الشيخ أبي يعزى . فكنت أسير معه في الطريق إلى أن أدركني عطش شديد . فشكوت اليه ما بي من العطش ، فسكت عني ساعة ثم ناولني ركوة فيها ماء بارد عذب فوقه شبه الطحلب . فشربت منها

= الكبير الأوسط إلى حدود وادي العبيد عند هنتيفة الذين عدهم البيذق أيضا من هسكورة الظل ، فإذا كان المؤلف قد قصد أن المترجم من حومة وادي أم ربيع أي رافده واد العبيد فوطن لسيدة كان في أيت عباس أو في جزء من تيفة نفسها وإلا فهناك تجاوز في إطلاق هسكورة بالنسبة لما ورد عند البيذق .

(119) ز : عبد الخالق

(*) م : الميموني ، والصواب : الميمنوني ، نسبة إلى ابن ميمنون ، قبيلة من هسكورة الظل .

(120) في بعض نسخ ف : وَلْلّوين . ومعنَى ألْلُويْ : السياحة وجمعه : إِلْلُوينْ . ويمكن أن يكون هذا الشخص منسوبا بالواو في أوله إما إلى المفرد أو إلى الجمع ويكون معنَى كنيته : السائح .

(*) ح : للقطة .

(121) زيادة في س وبعض نسخ ف .

(122) سقط من ف . وهو الصواب والمقصود هو المترجم تحت رقم (37)

(123) كَلْيدَاسَنْ ، وهو حدث فقط عن هساكرة ، والذين حملوا هذا الاسم من الواردين في التشوف من الهساكرة .

حتّى رويت وناولته الرّكوة ثمّ نظرت إليه بعد ذلك ، فلم أر الرّكوة ولا رأيت من أخذها منه .

وحدثني يوسف بن سليمان قال : حدثني إبراهيم بن ولجوط قال : سمعت أبا عبد الحق يقول : ذهب ثلاثة نفر ليزوروا [صاحبهم][124] في جزيرة من جزائر البحر . فمشى اثنان منهم على الماء ، فلم يقدر الثالث على المشي معهما . فأمسكاه وسار معهما ساعة وهما يمسكانه ، ثم مشى على الماء كمشيهما إلى أن وصلوا إلى صاحبهم في جزيرة البحر . فدعا لهم وانصرفوا . قال إبراهيم بن ولجوط : فكنا نقول إن الشيخ أبا عبد الحق هو الثالث الذي ذكره لنا ولم يصرح [بنفسه][125] .

وأخبرني الثقة عن أبي محمد عبد الحق [بن عبد الله][126] الميّمْوني قال : حدثني أبو واجرو يلول بن يحيى الميموني وكان عبدا صالحا أن لصا من السودان قال لأصحابه : لأختبرن أبا عبد الحق ولأسلبن أثوابه حتّى أرى ما يفعل الله بي على ذلك ! وكان أبو عبد الحق يتأخر في المسجد بعد خروج الناس منه . فانتظره اللص بباب المسجد ثم خرج ، فتبعه اللص ثم التفت خلفه فرأى ظلمة تتبعه ، فاضطر إلى اتباع أبي عبد الحق خوفا من الظلمة التي تتبعه إلى أن وصل البحر . فدخل إلى جماعة ، فقاموا إليه وقالوا له : أبطأت عنا منذ ثلاثة أيام . فمشى معهم على الماء وغاب ساعة . ثم خرج إلى الشط ، فرجع إلى القرية واللص يتبعه وقد عاين ما عاين . فالتفت إليه أبو عبد الحق وقال له : يا هذا ، خف الله والزم بيتك . فلزم بيته ولم يخرج منه وأقبل على عبادة الله تعالى إلى أن لحق بالصالحين .

سمعت عيسى بن يعقوب يحدث عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الميمونى قال : جئت من بلاد المصامدة ، فمررت بأبي عبد الحق فسلمت عليه فقال لي : ألا تنزل عندنا ؟ فأبيت ، وكانت حمارتي قد انخلع كتفها وهي لا تقدر على الحركة . فالتفت إليها ونظر إليها ساعة وانصرف . فأبصرتها قد انزعجت بحركة قوية كأنها لم يصبها شيء . فركبت عليها وتوجهت إلى منزلي .

---

(124) م : أصحابهم .
(125) ح وم وس : عن نفسه .
(126) زيادة في م وس وح .

186 – ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن صالح [المصطاوي][127]

من أهل [تاورجين][128] من بلد هسكورة. شيخه أبو عبد الله ابن أمغار وخدم الشيخ أبا يعزى من أقران أبي عبد الحق وكان عبدا صالحا مجتهدا كثير البكاء والخوف من الله تعالى ومازال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء. فلما عمي ضاعف عبادته وأوراده شكرا لله تعالى.

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ ٱللَّهِ نِعْمَةً
عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ ٱلشُّكْرُ[129]
فَكَيْفَ بُلُوغُ ٱلشُّكْرِ إِلاَّ بِفَضْلِهِ
وَإِنْ طَالَتِ ٱلأَيَّامُ وَٱنْفَسَحَ ٱلْعُمْرْ
إِذَا سَرَّ بِٱلنَّعْمَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا
وَإِنْ مَسَّ بِٱلضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا ٱلأَجْرْ
وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ
تَضِيقُ بِهَا ٱلأَوْهَامُ وَٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرْ

187 – ومنهم أبو عبد الرحمن [السايوي][130]

من أصحاب أبي عبد الحق ويحيى بن صالح وكان عبدا صالحا.

---

(127) نسبة إلى إِينْ مُصْطَاوْ. بإشمام الصاد زايا. وهم قبيلة من هسكورة الظل، ربما كانت أيت مصَّاضْ المعروفة بهذا الاسم اليوم.

(128) تاوْرْكِينْ وفي م: ترجين (تِرْكِينْ). لم أقف على موقعها. إذا كانت جمع تُورْكِيت وهو الفحم فهل تكون جهة أيت شخمان أو ناحية واد العبيد؟ وفي إثمد العينين (ص 139) أن تاوركين مقر الشيخ صالح بن صالح.

(129) من الطويل

(130) ز: السَّايوِيي، نسبة إسايوية، قبيلة من هسكورة الظل، كانت على نهر تاساوْتْ.

حدثني يوسف بن سليمان قال : سمعت إبراهيم بن ولجوط يقول : سمعت أبا عبد الرحمن يقول : كنت أسمع دعاء أبي زكرياء يحيى بن صالح . فكنت أقول : هل هذا الذي أسمعه دعاء أبي زكرياء ؟ وكانت بيننا مسافة يوم . قال : فسرت إلى أن وصلته . فقلت له : اذكر لي الدعوات التي تدعو بها . فذكرها لي ؛ فإذا هي الدعوات التي كنت أسمعها بمكاني . فأخبرته أني أسمع ذلك الدعاء وأنا ببلدي . فقال لي لا تشكن فيما سمعت فإن الغطاء رفع عن أذنيك فأسمعت ما سمعت .

188 – ومنهم أبو عمران موسَى ابن عبد الله الأسود[131]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش ومن أصحاب أبي ابراهيم السفاج وأبي عبد الله بن تميم وأضرابهما وكان رجلا خيرا من أهل السخاء والإيثار .

حدثني أبو عبد الله محمد بن يحيَى بن علي قال : رأيت أبا عمران بعد موته في النوم . فقلت له : من أين أقبلت ؟ فقال : الآن هبطت من السماء الرابعة وصليت هناك مع النبيين والمرسلين . فقلت له : صدقت «وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً»[132] .

189 – ومنهم أبو علي [وَللوي][133]

من أهل [تاغرودين][134] من بلد هسكورة من أصحاب [أبي تبرنوست][135] وأبي مهدي اللسيدي وكان عبدا صالحا .

(131) نقل ترجمته صاحب الإعلام (1010) وصاحب السعادة الأبدية : 1 : 133 .
(132) سورة النساء .
(133) راجع الهامش : 120
(134) تاغرودينْ جمع تاغرُوت وتعني : الكَتِف أو ما يشبهها من الأرض . وموقع هذه بأيتْ مْكُون من قطواكة . وذكرها صاحب المنهاج الواضح : 188 (من المخطوط) .
(135) في بعض نسخ ف : بوتِبْرْنُوسْتْ . والمعنى واحد ، وهو صاحب البُرْنس القصير المعروف عند أهل الجبال في المغرب . ويقصد به المترجم تحت رقم (136) .

حدثني الثقة عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله المينوني قال : أدرك فدان أبي علي واستحق الحصاد ولم يكن عنده ما ينفقه في حصاده . فخرج إلى فدانه وطاف به وقال : سبحان الله . وعاد إلى منزله فأصبح وقد حصد فدانه . فجاءه قومه وقالوا له : إن فدانك قد حصد . فقال : انه جاءه البارحة رجال ، فحصدوه . وذكر لهم قوما لا يعرفونهم من عباد الله تعالى .

190 — ومنهم أبو صالح واطيل ابن عبد الرحيم الهسكوري

من أهل سافو(136) من بلد هسكورة وكان من الأفراد .

حدثوا عنه أنه كان يحج في كل عام ولا يغيب إلا في أيام الحج خاصة .

حدثني الثقة عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الميمنوني عن أبي علي حسون بن عبد الباري(137) قال : قال لي أبو صالح وقد أهل هلال ذي الحجة : يا حسون ، أتريد أن تحج ؟ فقلت له : أخاف أن أذهب معك فتتركني . فقال لي : ضع رجليك حيث أضع رجلي ولا تلتفت . فقلت له : أخاف أن أخطئ خطوة من خطواتك . فقال لي : صدقت . ثم سكت عني ؛ فغاب أياما يسيرة ، ثم جاء بعد ذلك .

قال أبو علي : وذبح أهل سافو ثورا . فسألهم الفقراء أن يجعلوا لهم نصيبا فيه . فأبوا . فشكوا ذلك إلى أبي صالح . فغاظه ذلك . ثم قال لهم : اذهبوا إلى الموضع الفلاني من الجبل فما وجدتموه فيه فجيئوني به فذهبوا إلى ذلك المكان فوجدوا فيه ظبيا يضطرب فجاؤوه به . فذبحوه وأكل معهم منه .

وحدثني شعيب بن جلداسن قال : قال لي أبو صالح : إني لأعرف من اللحوم الحلال من الحرام . فقلت له : وبم تفرق بينهما ؟ فقال لي : إذا كان اللحم حراما ظهر لي فيه الدود فأتركه .

---

(136) لم يعد معروفا ، ولعله المكان الذي به ضريح سيدي بوصالح المعروف في أيت محمد .
(137) هو المترجم تحت رقم (212) .

قال شعيب : وحدثني أبو محمد عبد الحق : زارني أبو صالح في عيد الأضحى . فقدمت له من لحم الأضاحي . فعض فيه وقال : ليس هذا اللحم من لحم أضحيتك . فسألت أهلي عن ذلك فقيل لي : جاءتنا فلانة زائرة ، فساقت لنا من لحم أضحيتها فقدمته لكم . فقال لي أبو صالح : لما تناولت منه علمت أنه ليس من أضحيتك .

191 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن موسَى الأزكاني

أصله من [أزكان][138] واستقر أخيرا بصفرو على أميال من فاس ومات بعد التسعين وخمسمائة وكان من الأفراد الأكابر . وكان مبدأ أمره أنه كان في شبيبته يلعب ويغني في الأعراس . فحضر بفاس مجلس أبي اسحاق الميورقي الواعظ . فأثرت فيه الموعظة ، فمازال يبكي ويمرغ وجهه في التراب إلى أن انجرح وجهه وسالت منه الدماء . ففر إلى الله تعالى وساح في طلب الصالحين برباط شاكر وغيره وتعبد أحدا وعشرين عاما فلحق بالرجال .

تَعَرَّضْ نَسِيماً هَبَّ مِنْ أَرْضِ نُعْمَانِ
لِيَحْيَى بِهِ مَا مَاتَ مِنْ قَلْبِ هَيْمَانِ[139]
وَقِفْ عَنْ يَمِينِ ٱلرَّوحِ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَى
وُقُوفَ ذَلِيلٍ هَائِمِ ٱلْقَلْبِ حَيْرَانِ
وَنَادِ سَلَامُ ٱللَّهِ يَا بَانَةَ ٱلْحِمَى
عَلَيْكَ وَمَنْ لِي بِٱلسَّلَامِ عَلَى ٱلْبَانِ
وَقُلْ إِنْ رَآكَ ٱلْوَاشِيَانِ مُدَلَّهاً
ضَلَلْتُ عَنِ ٱلنَّهْجِ ٱلْقَوِيمِ فَدُلَّانِي
فَإِنْ شِئْتُمَا قَتْلاً فَهَا أَنَا صَابِرٌ
وَإِنْ شِئْتُمَا أَسْراً لَدَيْكُمْ فَشُدَّانِي

---

(138) بناحية صُفْرو ، راجع وصف إفريقيا ، ص 281 من الترجمة العربية .
(139) من الطويل .

لَعَلَّهُمُ أَنْ يَسْمَعُوا لَكَ أَنَّةً
فَنَادِهِمُ صَفْحَ ٱلْكِرَامِ عَنِ ٱلْجَانِي

حدثني يحيى بن داود الزناتي قال : حدثني أبو عبد الله الأزكاني قال لما أراد الله تعالى أن أقيم بعد السياحة سمعت كلاما عن يميني : [خذ][140] سلاحك ومر إلى صفرو[141] . وكنت حينئذ ببلاد الهبط[142] ، فالتفت فلم أر أحدا . فسمعت هذا مرة ثانية وثالثة فأتيت صفرو الأسفل . ثم سمعت ذلك الكلام مرارا ، فأتيت صفرو الأعلى . فاجتمع لي جموع كثيرة فتاب على يدي مئون من الرجال ومر أكثرهم إلى مكة فحجّوا . وتسامع الناس بي . فجاؤوا من كل مكان وكثروا . فسمع بذلك القائد [ابن حسون][143] وكان واليا على فاس . فخرج إلي في جمع كثير من الخيل والرجال . وكنت جالسا خارج الرابطة ، فلم يروني وأنا أراهم يطلبونني طلبا شديدا . فلما لم يجدوني انصرفوا . فقلت في نفسي : أنا رجل أمي لا أقرأ ولا أكتب فما الذي يتقون مني .

وسمعت أبا زكرياء يحيى بن داود يقول : سمعت أبا عبد الله الأزكاني يقول : دخلت مرة مدينة فاس . فاختفيت في دار رجل من أصحابي . فسمع بي أهل فاس . فجاؤوا إلى الدار . فلم أفتح لهم فتسوروا على السقف من كل جانب ، فلم أخرج اليهم . فأقمت إلى يوم آخر وخرجت من فاس فلم أعد اليها بعد ذلك . قال أبو زكرياء . وكان الغالب على أبي عبد الله الأزكاني الخوف ، فإذا سمع آية من كتاب الله تعالى غلب عليه البكاء .

يَا نَدَامَايَ صَحَا ٱلْقَلْبُ صَحَا   فَاطْرُدُوا عَنِّي ٱلصِّبَا وَٱلْمَرَحَا[144]
شَمِّرُوا بُرْدِيَ لِلنُّسْكِ وَلاَ   تَعْجَبُوا مِنْ فَاسِدٍ إِنْ صَلُحَا

(140) ح : حدٌّ
(141) في ح وم : صفروي ، وكذا عند البكري (**المغرب** ، ص 146) والإدريسي (**نزهة المشتاق** ، ص 55) و**الاستبصار** ، ص 193 .. وهي اليوم مدينة شهيرة ونطقها : صَفْرو ، ولا نجد هذه الصيغة إلا في أسماء أماكن قليلة مثل سبُّو ودبْدُو ، وكُرُّو . وزيادة الياء . إما أن يكون نطقا قديما أو تصحيفا عند البكري اقتفى فيه .
(142) منطقة في الشمال المغربي .
(143) ح : أبو حسون
(144) من الرمل ، وردت في **المدهش** دون نسبة .

سمعت يحيى بن داود يقول : لما من الله تعالى علي بالتوبة وأيقظني من سنة الغفلة وصلت إلى فاس . فأقمت بها نحو أربعة أشهر في حال المجاهدة إلى أن سمعت بأبي عبد الله الأزكاني وبما عنده من أسرار المكاشفة والنظر بعين الفراسة . فتوجهت إليه . فلما وصلت صفرو تطهرت ودخلت المسجد الجامع فحييته بركعتين ونهضت إلى منزله . فنقرت الباب بأطراف أصابعي نقرا خفيفا . فخرج الي رجل كهل عليه جبة صوف وشاشية صوف وبوسطه مئزر صوف وبيده سبحة من المهاة . فقال لي : من تطلب ؟ فقلت له : أطلب سيدي أبا عبد الله . فقال لي : ما تريد منه ؟ فقلت له : جئته زائرا ومتبركا برؤيته . فقال لي : ها أنا ذا ، ادخل . فدخلت إليه وهو يصعد في النظر ويصوبه المرة بعد المرة . فجلست معه . فقال لي : كنت عاملا وأرى البياض أقل من السواد من مظالم العباد . فأنت الآن كثمرة أخذت في اللقاح وأرى خيلا وأخبية كمثل ما كان ابراهيم بن أدهم في زمانه . ولنا مطرق . ثم قال لي : لك من العمر ثلاثون سنة . وكذلك كان . ثم قال لي : أراك زهدت في النساء وحب الدنانير . فقلت له : أرجو ذلك من الله تعالى . ثم قال لي : أراك حُببت اليك السياحة وزيارة الصالحين . فأزل عنك هذه الثياب وانظر في جلابية واخرجْ فارًّا بنفسك في طلب الصالحين ، وأنت . عند دخولك مدينة فاس ودخول المسجد الذي تأوي اليه ، يفتح لك في تليس ، فاصنع منه جلابية واخرج إلى السياحة ولكن بت الليلة عندي وأقم أياما فإن التائب حبيب إلى الله وما أقام قط عندي أحد غيرك . ثم أتاني بجوز في قشره وقال لي : هذا الجوز كنت غرسته بأزكان . فأقمت عنده نحو خمسة أيام . فرجعت إلى فاس . فدخلت المسجد الذي آوي إليه . وحدثت بعض الإخوان بما شاهدته من أبي عبد الله الأزكاني . فدخل علي أبو عبد الله بن بيضاء امام الجامع بتليس مطرق بطرق حمر ودفعه لي فصنعت منه جلابية وتجردت من أثوابي وخرجت إلى زرهون ، ثم إلى الهبط لزيارة الصالحين . فأقمت في ذلك أربعة أشهر . فلقيت أبا عبد الله بمغيلة[145] وقد وصلها لزيارة بعض إخوانه بزرهون[146] وكان ذلك في يوم جمعة . فصلينا الجمعة وخرج من القرية والناس على بعد منه ؛ فلم يقرب منه إلا أنا وخادمه . فجاءته عجوز ،

---

(145) معروفة في جهات فاس . ذكرها **البكري** ، ص 114 . **والإدريسي** ، ص 53 . **والاستبصار** ، ص 193 .

(146) المدينة المعروفة ، وقد سبق أن رجحنا أن يكون النطق الأصلي للإسم هو أرزيون .

فسلمت عليه ، فصوب فيها النظر وصعد وقال لها : ما هذا الشيء المعلق في عنقك ؟ ثم قال : هلا أديت حق الله الواجب عليك ؟ فإذا بها قد نذرت نذرا لم توف به [ولم تصم الأيام التي نذرت صومها][147] . ثم جاءه رجل ، فسلم عليه . فقال له : أرَى سيلا قد حملكم ، ما هذا الذي بينكم ؟ فقال له الرجل : بيني وبين اخوتي مخاصمة كثيرة . فقال له : لا تفعلوا وارجعوا إلى الحق .

فجاءنا رجل حاج ، فحملنا إلى داره وأتانا بقصعة كبيرة فيها ثريدة اللبن . فنظر في القصعة ساعة وتوقف عن أن يضع يده فيها . ثم قال : سموا الله وكلوا . فأكلنا . فلما فرغنا من الأكل قال لصاحب الطعام : يا حاج لأي شيء صنع طعامك من لا يصلي ؟ فقال له : صنعته زوجتي وزوجة أخي وهما لا تصليان . فلما خرجنا من عنده قلت له : يا سيدي رأيتك توقفت ساعة حين قدم لنا الطعام . فقال لي لما هممت بالأكل حجبت الصحفة عن بصري ؛ فقلت : يا رب طعام صنع لوجهك ، لمَ حُجب عني ؟ ثم علمت أنه صنعه من لا يصلي .

قال أبو زكرياء يحيَى بن داود : وكانت عندي جبة ألبسُها تحت الجلابية ؟ فبعتها ببعض أسواق الهبط بثلاثة دراهم أو أربعة دراهم وربطتها في محزمي . فقعدت مع أبي عبد الله برابطة زرهون[148] في جماعة من الصالحين . فتحدثوا في شأن الدراهم . فقال لهم أبو عبد الله : ليس في هذه الجماعة من عنده دراهم إلا فلان [وأشار إلي][149] . وذكر العدد الذي كان عندي ولا أدري أن أحدا من خلق الله تعالى علم بها .

192 – ومنهم أبو عبد الله محمد بن حسان التاوْنتي المعروف بابن الميلي[150]

أصله من تاونت[151] من عمل تلمسان وكان من الأفراد واستقر أخيرا بجبل

(147) سقط من ف

(148) لعله يقصد ضريح المولى إدريس الأكبر.

(149) زيادة في س و م.

(150) ذكر ترجمته ابن صعد في **النجم الثاقب** . (القسم الرابع من المخطوط) .

(151) قال **ابن صعد** : «وهذا الموضع هو المعروف عندنا بتَوْنتْ من غير ألف ـ بليدة بساحل مطغرة» والصواب أنها تاوْنتْ ، ومعناها الصخرة والحجرة .

لبنان وبه مات في أعوام التسعين وخمسمائة وكان ابتداء أمره أنه كان كاتبا لبعض الكبراء بجزيرة الأندلس وكان مسرفا على نفسه . فنام ليلة في فراشه . فلما طلع الفجر قالت له زوجته : قم لصلاة الفجر ! فتكاسل واستطاب النوم وقال لها : دعيني . فإني قد طاب لي النوم . فأتى إليه رسول من الرئيس الذي كان يكتب له ، فوثب مسرعا وبادر اليه عجلا . فقالت له زوجته : سبحان الله ، دعاك داعي الله ، فلم تجبه وبادرت إلى داعي المخلوق هذه المبادرة ! فأثر كلامها في قلبه وقعد إلى الأرض يبكي وقال لها : اصرفي عني هذا الرسول الواصل إلي . ثم خرج من حينه . فلقي بعض الرعيان ، فأخذ منه جبته وتجرد له من أثوابه ولحق بالبحر . فكان يخدم من خدمة البحر فأقام مدة معهم لا يعرفه أحد وظن أهله أنه قتل . ثم عبر البحر وجاز لبلدة تاونت بساحل تلمسان . فاجتمع إليه أهل بلده وعينوا له أملاكا لأبيه . فقال لهم : من بيده شيء من أملاك أبي ، فهو له . ولم يبق لنفسه إلا فدانا قريبا من حصن تاونت حبسه لدفن موتى المسلمين وبنى بدار أبيه محرابا وقال لهم : اجعلوا هذا مسجدا . وتخلى عن كل شيء . فأقام بتلمسان مدة ، ثم توجه إلى المشرق . فجاور بمكة وترك بالمدينة ابنته عند امرأة من أهل المدينة . فروت العلوم وانتهت إلى أن صارت تروى عنها المصنفات . ثم رحل أبو عبد الله إلى جبل لبنان . فوافق وصوله اليه موت إمام الصالحين به . فقدموه للصلاة بهم . وأقام به إلى أن مات رحمه الله تعالى .

سمعت عبد الرحمن بن محمد(152) يقول : حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي عرجون قال : سافرت من تلمسان إلى بجاية مع رفقة فيهم شيخ يمشي على قدميه وليس عليه غير جبة ومئزر في وسطه ، ومعه أم عجوز وابنة على حمار . فكنت أصلي بالرفقة وأعظهم وذلك الشيخ يصغي إلى وعظي . فغسل يوما مئزره وجعله على رأسه ونشره بيده لتجفقه الشمس . فهبت ريح ، فأطارت المئزر عن رأسه فرد إليه رأسه ونظره ، ثم مر وتركه . فقلت في نفسي : هذا الشيخ موسوس ، فرفعت له مئزره إلى أن وصلته في المرحلة . فأعطيته إياه . فلما قربنا من بجاية ونزلنا في بعض المنازل أخرجت أمه أوعيتها . فرأيت في بعض ما أخرجته من تلك الأوعية رقا فيه خطوط الأشياخ بإجازة أبي عبد الله بن حسان بما رواه عنهم من المصنفات . فقلت

---

(152) كان بتلمسان ونزل بمراكش كنيته أبو زيد حدث عن ابن المليي وأبي الطاهر التونسي وأبي عبد الله العمراني بتلمسان .

لها : لمن هذه الاجازة؟ فقالت : لذلك الإنسان ، وأشارت إلى أبي حسان . فقمت اليه وقلت له : يا أبا عبد الله ، تركتني أصلي بك وأعظك وأنا لا أعرفك! فقال لي : وأي شيء في هذا؟ فقلت : أنت الخير . فاستمعت اليه . فلما حانت صلاة المغرب عزمت عليه أن يصلي بنا . فتقدم وقرأ قراءة خاشعة أحسست منها أعضائي قد انتقضت وخنقتني العبرة . فلما سلم قبلت يده ورجليه وقلت له : حرمتني الصلاة خلفك وسماع قراءتك من تلمسان إلى هذا المكان! فصليت خلفه إلى أن وصلت بجاية . ثم سألته عن قصة المئزر الذي رمته الريح عن رأسه فلم يرفعه . فقال لي : كنت نويت الهجرة إلى الله تعالى من المغرب ، فخفت أن أقبض عند أول خطوة أخطوها في رجوعي فأكون قد نقضت هجرتي .

سمعت يحيى بن عبد الرحمن يقول : سمعت محمد بن [الكري][153] يقول : كنت مع أبي عبد الله بن حسان ببجاية على سطح ؛ فتجرد من جبته ليفليها . فرأيت ظهره أسود من أثر الضرب . فسألته عن ذلك ، فلم يجبني . فمكث ساعة ، فإذا مناد ينادي على قوم مضروبي الظهور بالسياط . فاطلعنا عليهم ، فإذا هم حرس السوق . فلما رآهم قال : سبحان الله عُجِّلت عقوبتهم! ثم قال : هؤلاء الذين فعلوا بي ما رأيت . فسألت عن ذلك . فقيل لي : ان أبا عبد الله خرج بالليل ؛ فقبض عليه حرس السوق وظنوا أنه سارق ، فأوجعوه ضربا إلى أن قيل : هذا ولي من أولياء الله تعالى فخلوا عنه!

وحدثني يحيى بن عبد الرحمن عن محمد بن [الكري][154] الخياط خادم أبي عبد الله محمد بن حسان قال : لما عزم أبو عبد الله على ركوب البحر إلى المشرق جاءه رؤساء المركب يرغبونه أن يركب معهم . فقال لهم : لا أركب عند واحد منكم إلا على شرط أن تحملوا معي كل من يريد أن يركب من المساكين ممن يتوجه إلى مكة كرمها الله وتزودوهم ولا تأخذوا منهم أجرا . فأجابوه إلى ذلك . فلما خرج بساحل الاسكندرية حفر حفرة في الرمل ودخل فيها ورمَى مرقعته في البحر . فمر به رجل من الاسكندرية فرمَى عليه ملحفة جديدة ، فلبسها وقام فدخل الاسكندرية .

وحدثني عبد الرحمن بن محمد قال : أخبرني عبدون بن وادفل قال : بات

---

(153) م وبعض نسخ ف : البكري .
(154) س : ابن الكدي .

عندي أبو عبد الله بن حسان وكان إذا بات في مكان انفرد في بيت خال . فلما كان في جوف الليل ، سمعت صوت شيء سقط . فقمت إلى البيت الذي بات فيه ابن حسان فإذا به قد سقط نصفه . فدخلت إليه فوجدته قائما يصلي وكادت الغبرة تحول بيني وبينه . فناديته مرات ، فلما سمعني أوجز في صلاته وسلم وما شعر بالهدم . فقلت له : أما رأيت هذا الهدم ؟ فحينئذ شعر به . قال عبدون : ودخلت عليه وهو ببجاية فقال لي : بت الليلة عندي . فقالت له أمه : أتريد أن يبيت الليلة جائعا ؟ فقال لها : لعله يأتيه رزقه . فلما صليت المغرب أتيته فقالت له أمه : هذا الذي ذكرت لك . فقال لها : لن يتركه الله دون رزق . فلبث ساعة . ثم سمعت قرع الباب . فإذا مملوكة جاءت بطاجين فيه لحم الدجاج وعليه رغفان من الدرمك . فقدمها إلي وقال لي : كل . فقلت له : كل معي . فقال لي : أما أنا فلن آكل . ثم أكلت وحدي . فلما كان من الغد جاء مولى المملوكة التي جاءتنا بالدجاج والرغفان فقال لأبي عبد الله : ما أخرني عن الوصول اليك البارحة إلا أني أمرت المملوكة أن تصنع لك ذلك الطعام فلم تصنعه ، فضربتها عليه ، فصنعته وجاءتك به . قال عبدون : فحينئذ علمت أنه إنما امتنع من الأكل لضربه لها عليه .

193 – ومنهم أبو محمد عبد الحليم بن عبد الله [المراسي] [155] الغمّاد [156]

من أهل سلا ، قدم مراكش مرة واحدة . ثم عاد إلى بلده وبه مات في أعوام التسعين وخمسمائة وكان عبدا صالحا يطوف على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبكي على نفسه .

دَعْنِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ زَلَّتِي   وَسُوءُ أَفْعَالِيَ [أفعَى لي] [157]
ثُمَّ مُرَاعَاتِي وَمَيْلِي إِلَى   قَبُولِ أَعْمَالِيَ [أعمَى لي] [158]

---

(155) م وس وبعض نسخ ف : المراسي
(156) راجع **الإعلام** (1064) **والاستقصا** : 2 : 211 ، وفيه قال الناصري السلاوي مؤلفه : «وقبره معروف ملاصق للمسجد الأعظم قرب بابه الكبير من جهة القبلة» .
(157) كذا في **الإعلام** ، وهو الصواب ، وفي ف : أفعالي .
(158) كذا في **الإعلام** ، وهو الصواب ، وفي ف : أعمالي

وَلاَ أَرَى فِيمَا أَرَاهُ سِوَى تَرْقِيعِ أَسْمَالِيَ [أسمَى لي][159]
وَلاَ أَقُولُ الزُّورَ مَا عِشْتُ إِذْ تَحْقِيقُ أَقْوَالِيَ [أقوَى لي][160]

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : قال لي عبد الحليم الغماد : كنت أصلي صلاة التراويح في رمضان في ليلة شديدة البرد . فغلبني البرد . فنمت في زاوية المسجد وتغطيت بحصير فنمت فرأيت في منامي رمال سلا وهي روضات مغروسة يغرسها أقوام لا أعرفهم . فرأيت روضة قريبة مني قد تركوا غرسها . فقلت لهم : لمَ لا تغرسون هذه الروضة؟ فقالوا : أنت أبيت أن تغرس . فقلت لهم : وكيف أبيت أن أغرس؟ فقالوا : هذه الروضات المغروسة لهؤلاء الذين يصلون ، فنمت أنت فتعطلت روضتك . قال : فانتبهت مذعورا وتوضأت وعدت إلى الصلاة معهم .

وحدثني محمد بن الحسن قال : سمعت عبد الحليم الغماد يقول : رأيت في النوم أن الخلق قد حشروا وقد أنبتت الأرض كلها نباتا ذا شوك كرؤوس الإبر في الأرض طريق طويل لا شوك فيه ورجل يمشي في ذلك الطريق ووراءه خلق كثير يتبعونه ووراءهم رجل بيده لواء أبيض وهو ينادي بصوت يسمعه الداني والقاصي ، وهو يقول : أيها الناس . هلموا إلى الطريق ! فرأيت كل من كانوا في تلك الطريق كلما أرادوا الخروج من الأرض ذات الشوك سقطوا ولم يقدروا على الخروج منها . وكنت في الأرض ذات الشوك . فكلما رمت الخروج منها آذاني الشوك فسقطت . فأخذت ملحفتي . فلففت بها قدمي لأقيها من الشوك . فكلما أردت الخروج من الأرض ذات الشوك والوصول إلى الطريق التي لا شوك فيها سقطت ولم أقدر على الخروج منها . فقلت : يا قوم ، أخبروني عن هذا الرجل الذي تقدم هذا الخلق ومن هذا المنادي الذي بيده اللواء الأبيض؟ فقالوا لي : الذي تقدم الخلق هو رسول الله ﷺ . وهؤلاء الذين اتبعوه هم متبعوه من أمته . وهذا المنادي الذي بيده اللواء هو الفقيه أبو إسحاق بن قرقول المحدث . فلم أزل أحاول الوصول إليهم من ذلك الشوك إلى أن انتبهت من نومي .

(159) كذا في الإعلام . وهو الصَّواب ، وفي ف : أسمالي
(160) كذا في الإعلام ، وهو الصَّواب ، وفي ف : أقوالي

وحدثني محمد بن إبراهيم قال : بَنَى رجل من أهل سلا دارا وتأنق في بنائها وقال لعبد الحليم الغماد : أريد أن ترَى داري التي بنيتها . فمر معه إليها ، فدخلها . فقال له الرجل : ما تقول فيها ؟ فقال له : أرَى فصلانها متداخلة ولم تعمل للفرس مدخلا يدخل منه . فقال له : وما هذا الفرس الذي يدخل هاهنا ؟ فقال له : هو النعش فإنه لا مدخل عنده من تعاريج هذه الفصلان . فقال له : نعيت إلي نفسي ، فما انقضَى عليه شهران حتَّى مات ذلك الرجل .

أَنَسِيتَ يَا مَغْرُورُ أَنَّكَ مَيِّتُ   أَيْقِنْ بِأَنَّكَ فِي ٱلْمَقَابِرِ نَازِلُ
تَبْلَى وَتَفْنَى وَٱلْخَلَائِقُ لِلْبِلَى   أَبِمِثْلِ هَذَا ٱلْعَيْشِ يَفْرَحُ عَاقِلُ

سمعت أبا الحجاج يوسف بن حجاج الأنصاري يقول : سمعت عبد الحليم الغمار يقول : دفعت لرجل عشرين درهما ، لم يكن عندي غيرهما ، على وجه القراض . فحاسبني على أنه أنفقها علي ولم يبق عنده منها شيء فاغتممت غما شديدا . فنمت بالليل فرأيته في المنام قد سيق [إليه][(161)] في كساء جديد وفي يدي عود . فكلما ضربته بالعود تلقاه بالكساء . فقلت : أي فائدة في ضربه وهو يتوقاه بالكساء ؟ فقيل لي : هذا الكساء الذي يتقي به الضرب هو صلاته . فرأيت موضعا من خصره قد انكشف . فقيل لي : هذه صلاة ضيعها ، اضربه في خصره . فلما أصبحت قيل لي عنه إنه مريض . ثم أتيته أعوده فوجدته وبه وجع في خاصرته . فخرجت من عنده ولم يزل ذلك الوجع به إلى أن مات .

وَلَسْتُ [بِمَيَّالٍ][(162)] إِلَى جَانِبِ ٱلْغِنَى
إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْرِ[(163)]
وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِي
وَحَسْبُكَ أَنَّ ٱللَّهَ أَثْنَى عَلَى ٱلصَّبْرِ

(161) م : إلي
(162) س : بنزاع .
(163) من الطويل . نسبا في **طبقات الصوفية** (ص 387) لأبي علي بن الكاتب . وانظر أيضا ص 269 .

194 – ومنهم أبو علي عمر ابن عمران [السمائلي][164]

من كبار المشايخ وكان فقيها ؛ ثم غلبت عليه أحوال المشاهدة فانقطع عن الناس بمسجده بساحل تاتوريت . سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي يقول : قال لي بعض المريدين : سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم المروي يقول : رأيت عمر بن عمران وهو يسير تحت سحابة تظله .

وحدثني بعض المريدين قال : رأيت أبا حفص عمر بن عمران فقلت له : سمعت أنك [كنت][165] تنكر أحوال المريدين وأخبارهم . فقال لي : كذلك كنت إلى أن مشيت في برية فلقيت شابين . فقالا لي : انظر إلى من جاء من ههنا . فالتفت ، فلم أر أحدا . ثم التفت إلى جهتهما فلم أرهما . فعلمت أنهما وليان من أولياء الله تعالى أرادا أن يحققا عندي أحوال الرجال .

وأخبرني عيسَى بن موسَى قال : نهضت من مراكش مع رجل من المريدين من أهل مراكش يواصل عشرة أيام . فقلت له : كيف تكون حالتك في الوصال ؟ فقال لي : أنا في اليوم العاشر كما أكون في اليوم الأول . فكنت معه في رباط شاكر ، وقد انصرف عنه الناس ، فأقمنا ثلاثة أيام لم نأكل شيئا . فكان ذلك الرجل يتصرف ويتوضأ من الوادي ولم يضعفه الجوع وأما أنا فضعفت حتَّى لا أستطيع الصلاة إلا قاعدا . . فخرج يوما إلى الوادي ليتوضأ ، فمر برجلين يأكلان خبزا ؛ فقالا له : تعال لتأكل معنا . قال : فقلت في نفسي : كيف آكل وصاحبي في المسجد جائع . فقال لي أحدهما : تعال ، فكل واحمل لصاحبك الجائع الذي في المسجد ، فأكل معهما وجاءني بكسر الخبز . فسألته عنهما . فأخبرني بالقصة . فقمت معه إلى الرجلين لأراهما . فلما رأيتهما سألته عن المتكلم معه منهما فأشار إلى أحدهما فلما تبينته وجدته عمر بن عمران .

---

(164) س : السمايلي . وهي نسبة إلى بني سمايل الذين كانوا على ساحل البحر من دكالة جهة رباط تيط .

(165) سقطت من ف .

195 – ومنهم أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال المشنزائي(166)

من أصحاب عمر بن عمران وأضرابه ، وكان جليل القدر وكان الشيخ أبو وزاغار تيفاوت بن علي يقول إنه من المشاة على الماء وحدثوا عنه أنه كان يحلف بالله أنه ما كبر قط للصلاة إلا على معاينة الكعبة . وكان إذا جن عليه الليل ركب أمواج البحر يصلي عليها . وحدثوا عنه أن رجلا رأى ضوءا في الكهف أضاء منه جميع الكهف فظن أنه سراج ؛ فلما قرب من الكهف وجد فيه إبراهيم بن هلال .

196 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عثمان الصنهاجي(167)

من أهل مراكش وبه توفي عام تسعة وتسعين وخمسمائة وكان مسرفا على نفسه ، ثم تاب إلى الله تعالى وكان نادما على ما فات وسلف منه ؛ كثير البكاء والحزن وما رأيته ضحك بعد ذلك إلى أن لحق بالله تعالى . وكان يقول : إذا تفكرت في ذنوبي ضاقت علي الأرض برحابها وليس للسرور في قلبي موضع .

صَرَّحَ عَنْ مَحْضِهِ ٱلصَّرِيحُ وَجَدَّ فِي وَعْظِهِ ٱلنَّصِيحُ(168)
وَقَصَّرَتْ أَرْبَعُونَ حَوْلاً عُمْرَكَ لَوْ أَنَّهُ فَسِيحُ
طَارَ غُرَابٌ بِهَا وَجَاءَتْ حَمَامَةٌ بِٱلرَّدَى تَنُوحُ
وَأَنْتَ تَلْهُو وَكُلَّ يَوْمٍ يَفْغَرُ فَاهُ لَكَ ٱلضَّرِيحُ
كَمْ طَلَقٍ لِلْهَوَى بَعِيدٍ جَرَى لَهُ طَرْفُكَ ٱلْجَمُوحُ
وَكَمْ نَصِيبٍ مِنَ ٱلتَّصَابِي هَفَا بِهِ غُصْنُكَ ٱلْمَرُوحُ
وَمَذْهَبٍ لِلتُّقَى جَمِيلٍ غَيَّرَهُ فِعْلُكَ ٱلْقَبِيحُ

---

(166) في ط و س : «ابن هلال الذي بساحل أولاد بوعزيز من دكالة» , وانظر :
Villes et Tribus du Maroc, Doukala. T. I, p. 131.

(167) راجع الإعلام : 4 : 151 والسعادة الأبدية : 2 : 113 .

(168) من مخلع البسيط .

فَجَاهِدِ ٱلنَّفْسَ فِي هَوَاهَا   لَعَلَّهَا مِنْكَ تَسْتَرِيحُ
وَكَيْفَ تَثْنِي عِنَانَ نَفْسٍ   لَهَا إِلَى غَيِّهَا جُنُوحُ
فَانْوِ لَهَا تَوْبَةً بِصِدْقٍ   لَعَلَّهَا تَوْبَةٌ نَصُوحُ
وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ ٱغْتَنِمْهُ   فَإِنَّهُ مَتْجَرٌ رَبِيحُ
وَاسْعَ وَبَادِرْ سَحَابَ عُمْرٍ   تَجْرِي بِهِ لِلْمَنُونِ رِيحُ
وَاغْدُ وَرُحْ فِي سَبِيلِ خَيْرٍ   مَادَامَ فِي ٱلْجِسْمِ مِنْكَ رُوحُ

وكان محمد بن عبد الله ، يفضي إلي بسره ويقول لي : ربما أتيت إلى باب مغلق ، فيفتح لي ، فأخاف أن يكون ذلك من الشيطان ليغرني ، ورآه بعض أصحابه في النوم بعد موته ، فقيل له : هذا ولي من أولياء الله تعالى .

197 – ومنهم أبو محمد عبد العزيز ابن مُسري الهسكوري

خديم أبي يعزى يلنور [بن ميمون]* بن عبد الله وكان رجلا صالحا فاضلا .

حدثني يوسف بن سليمان قال : حدثني إبراهيم بن ولجوط قال : سمعت ابنا لعبد العزيز بن مسري الهسكوري يقول : مات أبي فوسدناه في قبره ، فسمعته يقول : لا اله إلا الله حتَّى قالها ثلاث مرات .

سمعت يوسف بن سليمان يقول : سمعت إبراهيم يقول : سمعت عبد العزيز يقول : رفعت من حرثي ثماني صحاف من الشعير بالصحاف الهسكورية . فأكلت منها وعيالي وعلفت دوابي وأطعمت منها أضيافي سنة كاملة .

أَهَابُكَ أَنْ أَقُولَ فَنِيتُ وَجْداً   عَلَيْكَ وَقَدْ فَنِيتُ عَلَيْكَ وَجْدا(169)
وَلَوْ أَنَّ ٱلرُّقَادَ جَرَى بِعَيْنِي   جَلَدتُ جُفُونَهَا بِٱلدَّمْعِ جَلْدَا

(*) لم يرد في ح وم وس .
(169) من الوافر

198 – ومنهم أبو الحسين يحيَى ابن محمد الأنصاري[170]

عرف بابن الصائغ من أهل سبتة . تلميذ أبي بكر بن [ورزج][171] الزاهد وشيخ أبي محمد ابن تاخميست وكان أبو الحسين زاهدا في الدنيا وأهلها صليبا في الحق مهابا لا يخاف في الله لومة لائم . توفي بسبتة في الثاني والعشرين من شعبان عام ستمائة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص يقول : نزلت عند أبي الحسين بدار مجاورة لداره بسبتة . فأقمت فيها أربعين يوما . فدخل علي أخ من إخواني في الله تعالى . فقلت له : أريد السفر . فسمعت الضرب في الحائط المتصل بدار أبي الحسين . فقمت إلى الباب . فوجدت أبا الحسين واقفا بباب الدار فقال لي : إن كنت تعتقدني ، فلا ترحل عني حتَّى أرحل معك . فأقمت معه إلى أن سافرنا إلى فاس .

199 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز السلالجي الخراز[172]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش . توجه إلى مكة فمات ببجاية في صدر عام ستمائة ودفن بملّالة . وكان صاحب مجاهدات وسياحة وكان إذا سُمع بخروجه من مراكش يشيعه المريدون وغيرهم وتطرح عليه أنواع الثياب ، فيطرحها على الفقراء ويبقَى بمرقعة وكان يسافر على التجرد . وحدثني أنه كان يعدل في سياحته عن العمران ولا زاد معه ويتجنب المواضع التي فيها أصحابه ومعارفه حتَّى لا يروه فييسر الله رزقه من حيث لا يدري وأنه ينزل حيث شاء من الأرض فلا يتعذر عليه شيء .

---

(170) راجع **صلة الصلة** ، ص 200 **والتكملة** : 3 : 730 **والذيل والتكملة** ، سفر الغرباء ص 193 (من المخطوط)

(171) م : ورزف . والصواب ورزگ .

(172) راجع **الإعلام** (154) .

أَنَا فِي حَالِيَ ٱلَّذِي قَدْ تَرَاهُ ... إِنْ تَفَكَّرْتَ أَحْسَنُ ٱلنَّاسِ حَالاَ[173]
مَنْزِلِي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْـ ... أَرْضِ أُسْقَى مِنَ ٱلْمِيَاهِ ٱلزُّلاَلاَ
لَيْسَ لِي كِسْوَةٌ أَخَافُ عَلَيْهَا ... مِنْ مُغِيرٍ وَلاَ تَرَى لِيَ مَالاَ
لَيْسَ لِي وَالِدٌ وَلاَ لِيَ مَوْلُو ... دٌ وَلاَ حُزْتُ مُنْذُ خُلِقْتُ عِيَالاَ
أَجْعَلُ ٱلسَّاعِدَ ٱلْيَمِينَ وِسَادِي ... ثُمَّ أَثْنِي إِذَا ٱنْقَلَبْتُ ٱلشِّمَالاَ
قَدْ تَمَتَّعْتُ حِقْبَةً بِأُمُورٍ ... لَوْ تَدَبَّرْتَهَا لَكَانَتْ خَيَالاَ

وكان أبو العباس ممن لا يروض نفسه إلا بالجد والتشمير. وكان يعمل بيده فيطعم إخوانه من كد يمينه ، وإذا كان معهم في موضع كان خديمهم . وعقد مع الله تعالى ألا يبيت وعنده معلوم يركن إليه .

سمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول : كان ليلة عند أبي العباس الخراز ربع درهم . فطلب فقيرا يتصدق به عليه . فلم يجده . فخرج إلى المسجد ، فلم يجد فقيرا يتصدق به عليه فجعله في كوة حائط ودخل منزله حتّى لا يبيت معه شيء يشغل خاطره .

أخبرني مخبر أن رجلا وصل من بجاية أخبره عن وفاة أبي العباس أنه نزل في فندق يخرز فيه ويعتزل الناس في بيت يعمل فيه . ثم جاءت إلى بجاية جماعة من الصالحين المنقطعين وسألوا عن الفندق الذي نزل فيه أبو العباس وقالوا : أين نزل هذا المراكشي ؟ فأرشدوا إليه . فلما اجتمعوا به قال لهم : أريد منكم ألا تشهروني عند الناس فاتركوني . فقالوا له : انما جئنا لنحضر جنازتك فإنّا أُمرنا في النوم أن نأتي لحضور جنازتك . فودعوه وهو صحيح وخرجوا من الفندق ثم دخل في بيته وأغلقه على نفسه فافتقده أصحابه فوجدوه في البيت ميتا مستقبل القبلة .

200 – ومنهم أبو القاسم بن أبي الفضل

من أهل سجلماسة وبها مات ليلة الخميس الثالث من رجب عام أحد وستمائة وكان عبدا صالحا .

(173) من الخفيف . والأبيات لأبي وهب الزاهد القرطبي . راجع أربعة منها في **الغنية** ، ص 150 ، وفيها بعض الاختلاف عما هنا .

حدثني ابنه أبو عبد الله محمد قال : لما مرض أبي مرضه الذي مات منه قال لي : ما بقي من الليل ؟ فكرهت أن أعلمه أنه أول الليل لئلا يقلق بطوله فوَرَّيْت له وقلت له : قد أذن محمد السكاك ، وكان يؤذن في أي وقت قام من الليل ولا يتربص لوقت معلوم . فقال لي : أقول لك الليلة قولا ما قلته لأحد قط : طالما استقصرت الليل وأنا الآن أستطيله وطالما ختمت كتاب الله تعالى في ركعة واحدة .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : أخبرني أبو زكرياء يحيَى بن أبي القاسم بن منون[174] ، وكان رجلا فاضلا من أهل البيت قال : خرج إلي أبو القاسم فبات عندي بالرابطة ، فأحيَى ليله صلاة . فاحتاج بالغداة إلى تجديد الوضوء . فدخل في كمون الفصفصة[175] فرأى الفيران قد حفرته كله . فقلت له : إن الفيران أضرتني في كموني كما ترَى . فقال : سيكفيك الله مئونتها . فسقيت الفصفصة تلك الليلة ، فأصبح كل فار فيها ميتا .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : كان [يلجا الورتطغيرني][176] إذا قرب وقت الأضاحي يسافر من سجلماسة ويجلب الغنم إليها . فصلى أبي صلاة الغداة وقعد مستقبل القبلة . يذكر الله تعالى إلى أن ناداني فأجبته ، فقال لي : خرج اللصوص علي يلجا [الورتطغيرني][177] اثر سماء[178] ، فأخذ بضاعته وخبأها في سدرة وسلم وقد سلمت بضاعته . فوصل بعد ذلك يلجا إلى سجلماسة وسلم على أبي وقال له : وجدت بركة دعائك ، فإنه خرج علينا اللصوص اثر سماء فخبأت بضاعتي في سدرة فسلمت [وسلمت البضاعة والحمد الله][179] .

---

(174) بعض نسخ ف : بن ميمون .
(175) الكمُّون في منطقة الواحات حوض صغير يُزرع فيه ويسقَى بماء الفجارة .
(176) يِلَاجْمَا ، بجيم مصرية ، يعني له أخ . والورتطغيري ، نسبة إلى قبيلة ورتطغير ، ذكر الإدريسي (ص 60) أنها بين تلمسان وتاهرت . ومعنَى ورتطغير : غير ساكنة أو غير مستقرة ، ومقابلها إمطغرن أو إمدغرن (مداغرة) الساكنون أو المستقرون .
(177) ح : الورتطغيرني ، والنسبة هنا للمجمع : إيورْتَطْغيرْنْ ، وهو أرجح .
(178) كذا في جميع النسخ . لم أقف على تعريف بهذه الجماعة .
(179) زيادة في ح .

201 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن مُفرّج الأنصاري[180]

أصله من إشبيلية ونزل مراكش وبها مات عام أحد وستمائة . من أصحاب أبي عمران موسى بن عمران الزاهد وشيخهما هو ابن مجاهد الزاهد[181] وكان أبو عبد الله زاهدا في الدنيا ، أقبلت عليه فكان يفرقها ولا يمسك منها شيئا . وبنى خيمة بمسجد الصحراوي[182] . فكان يأوي فيها إلى أن لحق بالله عز وجل .

202 – ومنهم أبو هارون عبد السلام ابن ولجوط العزفي[183]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبها مات عام أحد وستمائة ودفن خارج باب الدباغين وكان رجلا فاضلا حزينا دائم البكاء لا يكاد ترقأ له دمعة وقلما رأيته في جموع المريدين الا وأبكاهم لكثرة بكائه .

يَا نَسِيمَ ٱلرِّيحِ مِنْ كَاظِمَةٍ ... شَدَّ مَا هِجْتَ ٱلْأَسَى وَٱلْبُرَحَا[184]
ٱلصَّبَا لَابُدَّ إِنْ كَانَ ٱلصَّبَا ... إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَرْوَحَا
يَا نَدَامَايَ بِسَلْعٍ هَلْ أَرَى ... ذَلِكَ ٱلْمُغْتَبَقَ وَٱلْمُصْطَبَحَا
ٱذْكُرُونَا ذِكْرَنَا عَهْدَكُمُ ... رُبَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا
ٱذْكُرُوا صَبّاً إِذَا غَنَّى بِكُمْ ... شَرِبَ ٱلدَّمْعَ وَعَافَ ٱلْقَدَحَا

---

(180) راجع **الإعلام** : 4 : 154 ، **والسعادة الأبدية** : 2 : 113 .
(181) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد ، الفقيه الزاهد . أخذ عن ابن العربي وغيره وأخذ عنه ابن خير وغيره . مولده سنة 484هـ ووفاته سنة 574 .
(182) قال في **الإعلام** : «ومسجد الصحراوي بمراكش اثنان : أحدهما بيناهض ، والآخر بالقصور» .
(183) راجع **الإعلام** (1293) **والسعادة الأبدية** : 1 : 133 .
(184) من الرمل . والشعر لمهيار الديلمي . راجع **الديوان** : 1 : 202 . **وروضة التعريف** . ص 240 ، وفي روايته عما هنا بعض الاختلاف .

أخبرني مخبر أن رجلا صالحا من أهل درعة وصل إلى مراكش . فسأل عن قبر أبي هارون فدل عليه . فدعا عنده وانصرف ؛ فسئل عن ذلك . فقال : نمت ببلدي فرأيت في نومي أني بمقابر باب الدباغين ، فرأيت بها قبرا صعد منه نور إلى السماء فقلت : من صاحب هذا القبر؟ فقيل لي : هو قبر أبي هارون العزفي فأتيته وزرته ورئي أبو هارون بعد موته في النوم . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما لقيت إلا خيرا .

203 – ومنهم أبو يِلْبْخْتْ
[يَالِلْتَنْ] [185] [الأسود] [186]

تلميذ الشيخ أبي يعزى . كان بجبل دمنات [187] من جبال هسكورة وبه مات عام اثنين وستمائة وكان من أكابر المشايخ والأولياء .

سمعت القاسم بن عبد العزيز يقول : كان أبو يلبخت يقول : عاهدت الله تعالى ألا يفتح لي في شيء من الدنيا إلا رددته إليه . وكان أبو يلبخت قد أعد ثورا يطعمه جيرانه إذا ختن ولده فجاءه رجل فقير فقال له : نفست زوجتي وليس عندي ما أطعمها لولادتها وقد ولد لي مولود ذكر . فقال له أبو يلبخت : احمل هذا الثور . فأطعمه أهلك . فقيل له : أنت الآن أحوج إليه منه . قال : سيفتح الله لي فيما أطعمه الناس . فما طلع الفجر حتّى وسيقت اليه جملة من الثيران فأطعمها الناس. وأخبرني الثقة عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الميلوني عن [بيدان] [188] بن عبد الكريم وكان من الصالحين قال : نزلت ليلة في جوف الليل

---

(185) في س وبعض نسخ ف : يالنتن . مما قد يعني أنه من قبيلة يِنُولْتانْ ، والصواب أن اسمه : يِلّتْن أو إيلاَلْتْنْ ، ومعناه : أغاثهم . كأنما يتفاءل به أن يكون غياث قومه . ورسم كنيته : يِلّبْخْتْ أو إيلاَلبخت . أي : هو ذو بخت وسعد . شرحنا ذلك في هامش في الترجمة رقم (5) عند ذكر أبي موسَى الكُزولي .

(186) سقط من ف . واستدرك من ح وم وس وز .

(187) ضريح هذا المترجم معروف بفرقة ايت أومغَار بقبيلة إينولتان على مقربة من دمنات ، ويسمونه سيدي بُولْبْخْتْ .

(188) س : بيران ، ح : ايران ، وفي **المنهاج الواضح** ، ص 85 : بيدار . ومعنى أيدار الأعرج .

لأتوضأ . يعني أسفل الجبل . فرأيت أبا يلبخت نزل من الهواء على مدارج من نور ، فوضعت يدي على آخر درجة نزل منها حتَّى لمستها بيدي . قال [بيدان][189] بن عبد الكريم : وجلست معه يوما ، فإذا رجل واقف بين يديه فقال له : يا أبا يلبخت ما بقي من الناس إلا الصور فالتفت فلم أر أحدا . قال أبو محمد عبد الحق بن عبد الله : حدثني محمد بن أبي سلمة قال : أخبرني أبو يلبخت مشافهة قال : ادعت نفسي التوكل . فأردت أن أصحح ذلك ، فذهبت إلى الغابة واضطجعت بين طريقين ولففت الثوب على رأسي فجاءني أسد أسمع زئيره . فلما وصلني انصرف ، ثم جاءني ثان فانصرف ، ثم جاءني ثالث فانصرف . وحدثني يوسف بن سليمان عن إبراهيم بن ولجوط عن علي بن عبد العزيز الهزرجي تلميذ أبي يلبخت قال : زرت أبا يلبخت فأقمت عنده سبعة أشهر وهو يطحن لزائريه ما يأكلونه . فأبطأ يوما فطحنت له وجعلت حفنة من القمح في فم الرحَى . فدخل علي وقال لي : تنح بارك الله فيك . ثلاث مرات . فتنحيت في الثالثة . فقعد يطحن وهو يجمع الدقيق من تلك الحفنة إلى أن ملأ برمة كبيرة .

وحدثني يوسف بن سليمان عن إبراهيم بن ولجوط قال : حدثني يحيَى بن يلول صاحب أبي يلبخت قال : قال لي أبو يلبخت : حدثتني نفسي أني من المتوكلين . فأردت تصحيح دعواها . فأتيت موضع السباع واضطجعت فجاءني سبع ، فشمني ولحس ركبتي . فقلت له : أنا خلق مثلك ! فذهب عني وتركني . ثم جاء سبع ثان وثالث إلى سابع وكل واحد منها يفعل ما فعل الأول وأنا أقول لكل واحد مثل ما قلته للأول فينصرف . ثم قمت فرجعت إلى منزلي .

وحدثني يوسف عن إبراهيم قال : حدثني علي بن عبد العزيز قال : قلت لأبي يلبخت : أتعرف فلانا من أهل أغمات وريكة ؟ فقال لي : أعرفه وقد زرته البارحة ورجعت من عنده في ليلة واحدة .

قال إبراهيم : حدثني الثقة قال : كان أبو يلبخت يطحن ليلة إلى أن قال لي : اطحن لي ساعة لأصلي ركعات . فقلت له : نعم . فطحنت له حتَّى ركع ما قدِّر له . فقال لي : قم يا فلان ، فصل أنت . فقمت لأصلي ، فنظرت إلى الرحَى تدور وحدها وتطحن دون أن يطحن بها أحد . فلما رآني رأيت ذلك قال لي : لا تعجبن

---

(189) س : يبران ، ح : ايران

مما رأيت. فإنه من اتقى الله تعالى رأى أكثر من هذا.

وحدثني عيسى بن يعقوب قال : قال لي أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الميزوني : أتيت مرة من الفحص إلى أهلي ، فلقيت العرب في طريق وهم يعيثون في الناس يمينا وشمالا وأنا راكب على دابتي فحفظني الله منهم ولم يتعرضوا لي حتى وصلت أهلي ولم أحدث بذلك أحدا ، ثم إني زرت أبا يلبخت ، فجلست معه نتحدث إلى أن وصلته جماعة من المريدين من أهل تامسنا . فقالوا له : أردنا أن نستسقي ، فخرجنا إلى المسجد الفلاني فجردنا العرب . فقال لهم أبو يلبخت : أعرف رجلا من أبناء هسكورة اجتاز بالعرب فلم يتعرضوا له وهم يعيثون في كل جانب ، فتطمعون أنتم ان تستنزلوا المطر من السماء وقد عجزتم عن استرجاع أثوابكم من عند العرب ! قال أبو محمد : ما أخبرت بما أخبر به عني أحدا من الناس .

204 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن محمد العزفي[190]

من أهل مراكش وبه مات في شهر ذي الحجة عام ثلاثة وستمائة . كان عبدا صالحا صابرا على شدة الفقر ، معرضا عن الدنيا وأهلها .

تَبَارَكَ اللَّهُ وَسُبْحَانَهُ مَنْ جَهِلَ اللَّهَ فَذَاكَ الْفَقِيرْ[191]
مَنْ ذَا الَّذِي تَلْزَمُهُ فَاقَةٌ وَذُخْرُهُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرْ

حدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد : أخبرني أبو الحجاج يوسف بن علناس الزناتي قال : مات أبو العباس أحمد بن محمد ، فلم يكن عنده شيء يُكَفَّن فيه . فأراد أقوام أن يجمعوا له ثمن كفن . فأدركتني عليه رقة . فقلت لهم : لا تنظروا في كفنه فإن عندي كفنا أعددته لنفسي اشتريته بدراهم نحو ثلاثة دنانير أعطانيها بعض الأكابر وقال : حصلت لي في واجبي من الغنيمة ببلاد الروم فآثرني بها .

(190) راجع الإعلام : 2 : 111 ، والسعادة الأبدية : 2 : 113 .

(191) من السريع ، ورد البيتان في الحلية : 6 : 373 . وأولها ورد الآخر من سبعة أبيات في قصيدة لأبي العتاهية . (ديوان أبي العتاهية ، ص 173 ط . دمشق 1965)

205 – ومنهم أبو علي [حسن][192]
ابن علي المطغري المؤذن[193]

نزل عندنا بالجانب الشرقي من مراكش ، ثم رحل إلى المشرق على قدميه . فحج ثم أراد الرجوع إلى المغرب . فمات بالاسكندرية عام ثلاثة وستمائة وكان عبدا صالحا يعيش من كد يمينه ، وإذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود وغير ذلك . يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه وأن يصلي الظهر والعصر في الجماعة . فإذا أخذ أجرته أخذ منها قوته وتصدق بالباقي على المساكين . وكان أبو علي إذا انتقض وضوءه جدده . فقيل له في ذلك . فقال : أخاف أن يأتي أمر الله وأنا على غير طهارة .

وأصابته فاقة شديدة فقال له بعض جيرانه : هلا أعلمتني بحالتك ؟ فقال له : أتريد أن يبتليني الله فأشكوه إليك ! وكان الغالب عليه التفكر والاعتبار . فإذا قام بالسحر إلى الصومعة ليؤذن سبح وهلل ثم ركع ركعات قليلة وقعد وأدخل رأسه في جبته يتفكر إلى طلوع الفجر .

مُسْتَعْجِمُ ٱلسِّرِّ صَامِتٌ ذَاكِرٌ ... مُتْعَجِمُ ٱلْأَمْرِ غَائِبٌ حَاضِرٌ[194]
مُنْقَبِضٌ فِي ٱلْغُيُوبِ مُنْبَسِطٌ ... إِذَا بَدَا ٱلْغَيْبُ مُطْرِقٌ نَاظِرٌ
تَرَاهُ تَحْتَ ٱلسُّكُوتِ مُنْطَرِحاً ... كَذَاكَ مَنْ كَانَ عَارِفاً ذَاكِرٌ
يَرْقُدُ فِي لَيْلِهِ بِلَا سِنَةٍ ... فَهْوَ مَدَى ٱللَّيْلِ رَاقِدٌ سَاهِرٌ
يُؤْيِسُهُ ٱلظَّنُّ ثُمَّ يُطْمِعُهُ ... فَمَنْ رَأَى قَطُّ آيِساً ظَافِرٌ

---

(192) س : حسُّون

(193) راجع **الإعلام** : 3 : 134 . والمطغري . نسبة إلى مطغرة قبيلة كانت بين فكيك وسجلماسة في عهد المؤلف وبعده . وأصغار أو أدغار . المقر والمسكن . راجع ما قلناه بصدد ورتطغير في الهامش 176 أعلاه .

(194) من المنسرح

206 - ومنهم أبو يِخْلو الصديني[195]

تلميذ الشيخ أبي يعزى من أهل تادلا وبها مات عام اثنين وقيل عام أحد وستمائة وكان عبدا صالحا .

حدثني عبد الله بن موسَى بن يحيَى بن أبي بكر قال : حدثني أخي محمد وكان خاصا بأبي يخلو الصديني قال : قال لي أبو يخلو : مرضت فأقمت خمسة عشر يوما لا أعقل فيها أحدا . فلما عدت إلى عقلي صليت الصلوات التي فاتتني في الخمسة عشر يوما ، فقطعت الليل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى إلى أن أحسست من جوف الليل شيئا قد نزل من السماء على خيمتي كالطائر الكبير . فقال لي : قد غفر الله لك ، قد غفر الله لك ، قد غفر الله لك ، ثلاث مرات . قال محمد : فلما حدثني أبو يخلو بهذا الحديث رأيته تغير وأدركه روع . فقال لي : اكتم علي ما حدثتك به فهو أمانة .

207 - ومنهم امرأة مجهولة

كنت توجهت من مراكش إلى رباط شاكر في شهر رمضان عام ثلاثة وستمائة مع جماعة من الفضلاء فأقنا بها إلى ليلة سبع وعشرين . فقمنا في الثلث الآخر من الليل وأسرينا فرارا من شدة الحر بالنهار فاتبعنا جمع كثير من الرجال والنساء فرغبنا أبا بكر الخزاز المريد ، رحمه الله ، أن ينشدنا وكان حسن الإنشاد طيب الصوت فمازال ينشدنا ونحن نسير إلى أن أنشدنا هذا البيت من أبيات :

إِذَا لاَحَ وَجْهُ ٱلْحَقِّ لَمْ يَبْدُ غَيْرُهُ
وَمَنْ لِي بِوَجْهِ ٱلْحَقِّ إِنْ غَابَ أَنْ يَبْدُو[196]

فلمع نور أضاء منه الأفق وظهر ما كان غائبا في ظلام الليل . فرأينا عجوزا قد

(195) صدينة التي ينتسب إليها ليست الفرقة التي كانت قرب فاس (البكري، ص 117) بل فرقة أخرى كانت في تادلا وإليها ينسب أبو عبد الحلم الصديني (المترجم : 49) دفين بني ملال وأبو يخلو أو إخْلو يقابل إرْصِكْ، أي المر، وقد سبق التنبيه عليه.

(196) من الطويل.

سقطت عن حمارها وأخذت تضطرب على وجه الأرض إلى أن بعدت عنا . فوقفنا عليها وخفنا أن تتكشف فأمرنا أن تستر بثوب . فقال لنا بعض من أراد أن يسترها : هي مستورة بسراويلها . فنظرنا إليها فرأينا ثوبا أبيض قد سترها إلى كعبيها ولم نشك أن عليها سراويل . فأقنا عليها إلى أن أفاقت من حالها . فركبت حمارها وانصرفنا . فلما طلع الفجر نزلنا فصلينا الصبح وسرنا ونحن ننظر اليها إلى أن استبان النهار . فرأينا عجوزا قد لصق جلدها بعظمها وعليها كساء خلق وساقها مكشوفة ليس عليها سراويل . فعجبنا من شأنها . فقال لنا بعض المريدين : أعرف هذه العجوز وهي امرأة صالحة تسكن بحومة باب أغمات من مراكش .

مَـا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ نَبَّهَهُ بَارِقٌ مِنْ قِبَلِ ٱلْغَوْرِ فَشَامَا[197]
كُلَّمَا أَوْمَضَ مِنْ حَوْلِ ٱلْحِمَى قَعَدَ ٱلْقَلْبُ مِنَ ٱلشَّوْقِ وَقَامَا

208 – ومنهم أبو موسَى عبد الصمد ابن أبي مروان الهلْتاني[198]

من أهل بلد [كرول][199] من جبل هسكورة قديم الموت وكان عبدا صالحا فقيها . حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثني أبي قال : زرت أبا موسَى المعروف بأزطوط . فدخلت [جنته][200] بالليل فوجدته يتهجد فرأيت غزالة تحتك اليه . فلما سلم أبو موسَى قال : ما بال أحدكم يدخل علينا من غير اذن حتَّى يتكشف علينا ؟ فهلا استأذنت علينا قبل دخولك ؟ قال عبد العزيز : وحدثني أبو سليمان الماصوصي[201] قال : لما احتضر أبو موسَى قال لمن حضره : حججت أربعا

(197) من الرمل
(198) الأصل في النسبة : الإينولتاني ، نسبة إلى إينُولْتَان، قبيلة من هسكورة الظل . وقبر المترجم معروف بإفطُوشَنْ بفرقة كرول ، وهناك سيدي عبد الصمد آخر بدوار بوسبا من نفس الفرقة .
(199) في ف وس وم : كزول . وكذلك كتبها جورج كولان على هامش كتا ، والصواب كَرْوْل ، وهو اسم غريب لكنه اسم موطن معروف إلى الآن . راجع بحثنا : إينولتان ، ص 55 .
(200) م : بيته .
(201) نسبة إلى ماصوصة ، وهم إينْ مَاصُوصْ (بإشمام الصاد زايا) ذكرهم البيذق من

وعشرين حجة ولم يعلم بذلك أحد من قومي إلى الآن .

209 – ومنهم أم محمد السلامة

من أهل قرية [تايدافالت][202] من بلد دكالة ، كبيرة الشأن من الأفراد . سمعت موسَى بن عيسَى[203] يقول : سمعت الشيخ أبا ويعزان بيريدن بن [ويبدن][204] الأيلاني القدار يقول : في المصامدة سبعة وعشرون وليا يخترقون الهواء وفيهم أربعة عشرة امرأة منهن عجوز [بتكتينت][205] من بلد ايلان. وتين السلامة بتايدافلت وعجوز عمياء [بسامدن][206] من بلد هسكورة .

أخبرني مخبر قال : أخبرني أبو بكر الحويري خديم [تين][207] السلامة قال : خدمت [تين][208] السلامة ثمانية أعوام . فكانت تبذر في كل يوم خمسة أمداد خاصة . فإذا حصدت رفعت خمسة أمداد للبذر وأعدت الباقي لنفقتها ونفقة أضيافها مدة عام . قال أبو بكر : وقلت يوما [لتين][209] السلامة : خدمتك مدة ، فما رأيت شيئا مما يراه الرجال : فقالت لي : تتوب إلى الله تعالى وعليك بالصوم . فصمت أياما . فلما كان ذات ليلة قالت لي : قم . فانظر كم بقي من

■ هسكورة الظل . وهم مجاورون لإينولتان الذين منهم المترجم . وإيمازوزْن : الذين أتوا متأخرين .

(202) ز وم : تايْدَا ، وهو نوع من شجر العرعار ، وتايدافالت ، نبات الليلاب . ولعل هذه القرية هي تيقيتين أو تيقطين في دكالة (راجع : ماسينيون : **المغرب في بداية القرن السادس عشر** : ص 203) .

(203) أيلاني صحب أبايعزى الذي يروي عنه .

(204) انظر المترجم تحت رقم (258)

(205) م : بَتكْـتِينتْ ، وكذلك تنطق اليوم ، وهي بالدراع من جهات أيت وربر . وراجع **وصف افريقيا** 1 : 86 .

(206) مركبة من سا ومعناها سبعة . ومن مُدَّنْ ومعناها : رجال . فتكون سبعة رجال .

(207) زيادة في س وم .

(208) زيادة في س ، وهو الصواب . فيكون اسم المترجمة الأصلي . تِين الـَّـلاَمْـتْ ، أي ذات السلامة أو المتفاءل لها بالسلامة ومذكر «تين» ، وهو : وين . انظر المترجم (111) .

(209) ف : للسلامة

الليل . فقمت لأنظر ما بقي من الليل . فرأيت شيئا يطير في الهواء كالغرنوق العظيم . فإذا به قد نزل على خيمتنا . ثم دخل إليها فإذا هو صهرها أبو سجيات فسمعته يقول لها : ما وجدت من ترينه من تلامذتك إلا أنا . فتحدث معها ساعة ثم رأيته عاد من حيث جاء .

قال أبو بكر الحويري : وكنت مع [تين][210] السلامة وابنها محمد في زمان الحصاد إلى أن صاحت فسقطت . فسمعت ابنها محمدا يقول لها : ستكون الكرة لهم ، ثم أفاقت من غشيانها وصرخت صرخة بصرخها النساء عند السرور بالشيء . فاجتمع الناس عليها وأنكروا عليها ذلك . فقالت لهم : كنت رأيت الروم قد حملوا على المسلمين حملة عظيمة . فعظم ذلك علي ، ثم بعد ذلك كانت الكرة للمسلمين عليهم فهزموهم . فأرخ الناس ذلك اليوم فجاء الخبر من جزيرة الأندلس بأن المسلمين هزموا في ذلك اليوم ادفونش ملك الروم وهي غزوة الأرك التي كانت يوم الأربعاء التاسع من شهر شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة .

210 – ومنهم أم عصفور تيعزّات بنت حسين الهنتيفي[211]

من أهل [رباط ملولاسن][212] وكانت كبيرة الشأن . سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : حدثني أبو سليمان الماصوصي قال : حدثتني أم عصفور قالت : مرضت مرضا شديدا . فرأيت أنه دخل علي أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب . رضي الله عنهما ، فأقعداني . فوجدت في نفسي قوة ، فقمت من حيني وقد استرحت من مرضي ووجدت الراحة .

وَمُغْتَرِبٌ بِٱلْكَرْخِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ
وَقَدْ غَابَ عَنْهُ ٱلْمُسْعِدُونَ عَلَى ٱلْحُبِّ[213]
إِذَا مَا أَتَاهُ ٱلرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ
تَنَشَّقَ يَشْتَفِي بِرَائِحَةِ الرَّكْبِ

(210) زيادة في س و م .
(211) في ز : تيقدّات بنت حسن .
(212) مُلولاسْنْ . معناه أبيض له (أي لقومه) .
(213) سقط البيتان من م .

211 – ومنهم أبو تُونَارْتْ وجلوط ابن عبد الرحمن الهنتيفي

من أهل بلد هسكورة ، كان فقيها فاضلا خيرا .

حدثوا عنه أنه كان ماشيا فظهر له كنز . فوضع قدمه عليه وقال لرجل كان معه : انظرِ ما تحت قدمي . فجعل الرجل ينظر في قدمه . فقال له أبو تونارت : اذهب إني ظننت أنك ترَى ما أرَى .

212 – ومنهم أبو علي حسون ابن عبد الباري الماصوصي

تلميذ أبي صالح [واطيل][214] بن عبد الرحيم الهسكوري . كان عبدا صالحا . حدثوا عنه أنه لما مات ودفن قام بعض أصحابه على قبره . فقال له : يا حسون ! فأجابه من قبره . فقال له : أتعرف أين أنت ؟ فقال له : نعم .

أَخُو ٱلْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ رَمِيمُ[215]
وَذُو ٱلْجَهْلِ مَيْتٌ وَهْوَ مَاشٍ عَلَى ٱلثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيمُ

---

(214) واطِيلْ . ومعناه : حسن أو جميل .

(215) من الطويل ، والبيتان لأبي محمد بن السِّيد البطليوسي . راجع **الغنية** (61) و**الصلة** . ص 293 . و**وفيات الأعيان** : 3 : 96 ، ووهم صاحب **القرطاس** إذ نسبها لابن تاخميست واتبعه صاحب **الجذوة** ، ص 220 .

213 - ومنهم أبو محمد عبد الله
ابن حريز المعروف بابن تاخميسَت(216)

من أهل فاس . قدم مراكش وعاد إلى فاس وبه مات ليلة الثلاثاء السادس والعشرين لذي الحجة عام ثمانية وستمائة وكان عبدا صالحا كبير الشأن وعلى سنن السلف الصالح ، كثير الانقباض عن الناس .

حدثوا عنه أنه كان ساكنا بمكناسة في دويرة قريبة من المسجد . فأقام بها مدة : فرحل عنها ، فسقطت صومعة المسجد على الدويرة فانهدمت . أخبرني أبو العباس أحمد بن يوسف قال : أدركت أبا محمد بن تاخميست بفاس وكان حسن [السمرة](217) يلبس برنسا أكحل . فإذا سلم الإمام من الصلاة دخل بين الناس وغاب حتّى لا يجتمع بأحد .

وأخبرني أبو الحجاج يوسف بن موسَى قال : كان أبو محمد ابن تاخميست يدفع لأصحابه قراطيس فيها دراهم طرية طيبة وكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها .

أخبرني مخبر ثقة قال : نهضت من المغرب إلى المشرق لأزور مكة ، كرمها الله ، فركبت البحر. فحدثنا رجل صالح من رؤساء البحر قال : ركب أبو محمد ابن تاخميست في البحر في وجهته إلى المشرق فهال بنا البحر واضطرب اضطرابا شديدا أشرفنا منه على الهلاك . فسمعنا هاتفا يقول : لولا عبد الله ابن تاخميست لغرقتم . فطلبناه عندنا ، فلم نعرفه . فلما فطنا به غاب من بيننا . فلما وصلنا مرسَى الاسكندرية قيل لنا انه وصل الاسكندرية منذ أيام وقد تقدم إلى مكة .

---

(216) راجع روض **القرطاس** ، ص 272 وفيه أنه أبو عبد الله بن جرير ، وراجع **الجذوة** ص 220 وفيها أنه محمد بن جرير ، وراجع **سلوة الأنفاس** : 3 : 174 . **والإعلام** : 8 : 205 . والصواب ما في التشوف ، وكثيرا ما مال النساخ عما إلى يفهمون ، فاسم حريز بلاشك ترجمة لاسم يدل على الحرْز والحفظ ، وقد رأينا أمثلة منها ، وتاخميست في هذا المعنَى أيضا ، فهي الحلية التي تصور أصابع اليد الخمسة وتشير إلى الحرز من العين والشر عموما .

(217) ز : الصورة ، ح : السيرة .

وَلَـمَّـا رَكِبْـتُ ٱلْبَحْرَ نَحْوَكَ قَاصِداً
وَلَمْ أَرَ غَيْرَ ٱللَّهِ مَالاً وَلاَ أَهْلاً[218]
دَعَوْتُكَ بِٱلإِخْلاَصِ وَٱلْمَوْجُ طَامِحٌ
بِصِـدْقٍ وِدَادٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مُعْتَلاَ
أَيَا مُنْقِذَ ٱلْغَرْقَى وَيَا مُلْهِمَ ٱلتُّقَى
وَيَا صَمَداً يَبْقَى إِذَا أَذْهَبَ ٱلْكَلاَ
لِوَجْهِكَ ذَلَّ ٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ خَاضِعٌ
وَحُقَّ لِهَذَا ٱلْخَلْقِ أَنْ يَأْلَفَ ٱلذُّلاَّ

حدثني أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري قال : حدثني أبو بكر ابن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن علي الأنصاري السقطي قال : مرضت . فدخل علي أبو محمد ابن تاخميست يعودني . فمسح بيده علي ثلاث مرات وهو يقول : سألت الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . فما أكملها في المرة الثالثة حتَّى برئت من مرضي وخرجت .

214 — ومنهم أبو موسَى ويعزان ابن مخلوف الصادي[219]

من أهل [تاوْزْنيت][220] من بلد هسكورة وكان عبدا صالحا . سمعت عبد العزيز بن عبد اللَّه يقول : حدثني أبو سليمان الماصوصي قال : لما احتضر أبو موسَى نزع قلنسوته عن رأسه وقال لأهله : احفظوها . فإني قد طفت بها الكعبة أربعا وعشرين سنة ما علم بذلك أحد إلى الآن !

(218) من الطويل .

(219) الصَّادِي . بإشمام الصاد زايا ، نسبة إلى صادة من هسكورة الظل (**المقتبس** ، ص 44) .

(220) س وم : تاوَزينت ، والراجح أنها كذلك . والمكان المعروف باسم قريب من هذا في جبال هسكورة هو وَرْنْتْ بكَطيوة الجبل والراجح أنها بكَلاوة . راجع : ماسينيون : **المغرب** ... ، ص 205

215 – ومنهم أبو محمد [يِلَارزْجْ] [221] ابن القاسم الركوني

من أهل بلد ركونة من عمل مراكش . مات قبل عام أحد وستمائة . قدم من مراكش وكان عبدا صالحا من أرباب القلوب . سمعت أبا محمد عبد الصمد بن [يوجْكَل] [222] الركوني يقول : كان أبو محمد يواصل أربعة وثلاثين يوما . وكنت يوما بمراكش . فأردت صحة ما يحدث به عنه . فقلت وأنا بمراكش وهو ببلد ركونة : يا أبا محمد ! فأتاني بالمكان الذي كنت فيه وقال لي : ما الذي أردت مني حين ناديتني فأتعبتني بالوصول إليك ؟

216 – ومنهم أبو علي حسين بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن يابو [223]

من أهل أغمات وريكة وبها مات عام أربعة وستمائة . قدم مراكش وكان عبدا صالحا ، أدرك أبا الحسن ابن حرزهم وخدمه ولقي بأغمات الامام أبا بكر بن العربي . سمعت علي بن عيسَى يقول : سمعت أبا علي يقول : حضرت عند أبي بكر

---

(221) إيلا أرْزْكْ أي : مسعود (له السعد) ، وبالإضغام صارت يِلَارزك . والركوني نسبة إلى ركونة . راجع هامشا على الترجمة (80) .

(222) يُوجْكَلْ صيغة مفعول أو فعيل ، وأجْكَالْ هو المشكاة ، ويُوجْكَلْ منها بمعنى معلق . ولا معنَى هنا لهذه الدلالة إلا أن تعني «المعلَّق» أي الذي فقد زوجته . ولا يبقَى من المعاني المعروفة المتصلة بهذا الجذر إلا كلمة : إكِيكِيل وهو اليتيم ، وكلمة أدْكَالْ أو تَادْكَالْتْ وهي الأيم والأرمل . وصيغة مفعول أو فعيل من فعل هذا الاسم تعطي : يوكْكل أو يوجكل فيكون هو المتروك والمؤثم والموتور أو اليتيم أو «المعلق» . وعبد الصمد هذا هو أبو محمد الذي ذكره ابن عبد الملك في **الذيل والتكلة** (سفر الغرباء ، ص 72 من المخطوط) في الآخذين عن أبي موسَى الجُزولي ، وشرح ابن عبد الملك معنى يوجكل ولكن الكلام الذي شرح به معناه ممحو من المخطوط الفريد لكتابه ، وإلا كان أخرجنا من الظن إلى اليقين .

(223) نقل الترجمة صاحب **أنس الساري والسارب** ، ص 21 وصاحب **الإعلام** : 3 : 136 . وفي ز وبعض نسخ ف وفي **أنس الساري** : ابن تابو .

ابن العربي بأغمات وقد وصل إليه بعض فقهائها فقال له : أريد أن أصلي بحضرتك حتّى ترَى هل أحسن الصلاة أم لا . فلما فرغ من صلاته قال له أبو بكر : صلاتك مكروهة بالإجماع . فقال له : ما أخللت بشيء من الفريضة والسنة . فقال له أبو بكر : بلى فإن القراءة في الركعة الثانية عندك أطول من القراءة في الركعة الأولى ؛ والسنة أن تطول قراءة الركعة الأولى وتكون الثانية دونها .

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجي قال : جلست مع أبي محمد عبد الله بن محمد القناع وأبي الحسن [العربي][224] وجماعة من المريدين ونحن بمراكش إلى أن قال لنا أبو محمد : حدثتني نفسي أن أبا علي ابن يابو يموت ؛ فلنذهب إلى أغمات لنحضر جنازته فذهبنا إلى أغمات فدخلنا عليه . فوجدناه مريضا ؛ فأردنا أن نبيت عنده . فقال لنا : لن أموت الليلة وإنما أموت غدا ان شاء الله بالليل . فانصرفنا عنه . فلما أصبحنا أتينا اليه وأقمنا عنده وهو في النزع إلى العتمة . قال علي : فقلت له : يا أبا علي ، حسن ظنك بالله عز وجل ، فإنك أفنيت عمرك في طاعة الله تعالى . فقال : يا قوم لا تغروني وذكروني بالله تعالى . ثم قال : أي وقت هذا ؟ فقلنا : هذا أول وقت العتمة . فاستقبل القبلة وتوجه وقال : الله أكبر ! فخرجت نفسه رحمه الله ، فحضرنا جنازته ورجعنا إلى مراكش .

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجي قال : رأيت بأغمات رجلا ملهوفا يستغيث بالمسلمين ؛ فسألته عن شأنه . فقال لي : أنا من أهل فاس ، احترق كل ما كان عندي بقيسارية فاس ؛ فلم يبق لي شيء فانتقلت إلى مراكش وصرت دلالا بقيساريتها . فسمعت أن زوجتي وأولادي قد وصلوا إلي من فاس . فخرجت من مراكش لأتلقاهم فاستعرت فرسا ألقاهم عليه ؛ فلقيني عبيد فنزعوا مني الفرس وسلبوني أثوابي وفروا . فلم أزل أتبع أثرهم إلى أغمات . فما وجدت منهم أحدا . فقلت له : تطهر وتأهب لأحملك إلى رجل صالح يدعو لك . فلعل الله يرد عليك ما سلبت . فتطهر الرجل ودخلنا إلى أبي علي . فأخبره الرجل بشأنه ورغب إليه أن يدعو له . وكان أبو علي متربعا . فجلس على قدميه وأطرق ساعة ، ثم قال له : لو وصلت إلى مراكش اليوم لوجدت ما سلب منك ؛ ولكن بت الليلة هنا ، فإذا انصرفت غدا وجدته ان شاء الله تعالى . فبات عندي تلك الليلة فلما أصبح غدا إلى

---

(224) م : العزفي ، والصواب العربي وهو المترجم تحت رقم (250) .

مراكش . فلقيته بعد ذلك ، فحدثني وقال : خرجت من أغمات ، فلما وصلت باب أغمات من مراكش ، وقفت متحيرا . فأتاني رجل قال لي : أنت الرجل المسلوب ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : سر معي لأريك الدار التي فيها العبيد الذين سلبوك . فأقعدني عند باب الدار ، فقرعت الباب وذهب الرجل إلى الحرس ليأتيني بهم . فخرج من الدار رجل فلما رآني ، عرفني ، فدخل اليهم ، ثم خرج وقال لي : استرنا ونحن نرد لك ما سلبناه . فأخرجوا الفرس والثياب ، فأخذت جميع ذلك منهم وانصرفت .

217 – ومنهم أبو وُزَاغَارْ تِيفَاوْتْ ابن علي المشترائي (225)

من كبار المشايخ وكان رجلا صالحا ذا حكم تؤثر عنه ؛ قيل إنه مات عام ثلاثة وستمائة . أخبرني الثقة قال : زرت أبا وزاغار ، فلما جن علي الليل ، أمرني أن أبيت في مكان خال من الدار بازاء حائط عال . فقمت من الليل وأنا أقول في نفسي : لعل هذا الوقت هو الوقت الذي جرت عادتي بأن أقوم فيه ؛ فرأيت الجدار قد انشق ودخل منه أبو وزاغار وأنا أشم عليه رائحة البحر . فمس كتفي وقال لي : نم فليس هذا وقت قيامك . فلما أصبحت ودعني وقال لي : زر موسَى بن وجادير وابراهيم بن هلال . فانهما يتحدث عنهما أنهما يمشيان على البحر . ثم قال : وهذا الذي يذكر عنهما حق .

وأخبرني عيسَى بن يعقوب عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله قال : حضرت برباط شاكر مع أبي وزاغار والفقيه أبي ابراهيم بن يغمور فإذا جماعة من مريدي المصامدة يرفعون أصواتهم بالدعاء . فقال أبو وزاغار لأبي ابراهيم كلاما معناه : ينبغي ألا ينكر عليهم لأنهم أهل نيات وجد وصدق . ولقد حضرت بهذا المكان وقد قام فيه أبو تبرنوست فأردت أن أسكته ، فدعا علي بالجلاء عن بلدي . ففررت من المغرب إلى المشرق حتَّى حججت من غير اختياري وذلك حين طلب أشياخ

(225) أزاغار معناها السهل وتيفاوْتْ ، معناها الضياء أو النور . فيكون معنَى اسمه هو : أبو سهل نور بن علي : المشترائي سبق شرحه . وفي طرة س : «دفين أولاد عمران من دكالة البيضاء» .

المريدين بسبب ما نسب إلى عتاب[226] حين قيل إنه يطلب الملك فقُتل وطُلب أصحابه .

218 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن تميم الزناتي[227]

أصله من داي ونزل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام سبعة وستمائة ودفن خارج باب الدباغين . وكان عبدا صالحا مجاب الدعوة وصحب أبا ابراهيم السفاج وأبا لقمان وأضرابهما .

سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي يقول : أخبرني المريسي عن ثقات من المريدين قالوا : كنا مع [ابن تميم][228] بجبل [اجليز][229] فأردنا أن نتوضأ من ساقية قريبة منا ، فلم نقدر أن نتوضأ من الساقية لعمقها إلا بالنزول فيها . فذهبنا إلى موضع منها يتمكن أن يتوضأ منه . فلما رجعنا وجدنا أبا عبد الله محمد بن تميم قد توضأ من أعلى الساقية ، وأثار الماء حوالي الساقية . فنظرنا فيها ، فرأينا آثار ماء الساقية قد ارتفع حيث يمكن القاعد أعلاه أن يتوضأ منها . وأخبرني محمد بن عبد الله قال : أخبرني إبراهيم الزناتي وكان من الأخيار قال : لما نهض المسلمون من حضرة مراكش إلى جزيرة الأندلس لغزوة الأرك رأيت في النوم ، النبي ﷺ ، وقد تقدم خلقا كثيرا من أهل مراكش ثم رأيت جمعا آخر كثيرا تخلفوا عنه وأنا معهم ، فعظم علي تخلفي عنه . فرأيت أبا عبد الله بن تميم مع المتخلفين . فأعزي نفسي بذلك وأقول : هذا أبو عبد الله وهو رجل صالح قد تخلف ولي فيه اسوة . فقعدت معه إلى أن جاءه أسود حبشي وقال له : بعثني اليك رسول الله ﷺ ، وقال لك : لا تنس أمتي .

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي قال : حدثني أبو محمد

---

(226) راجع مقدمة التحقيق ، وفيها افترضنا أنه من تادلا وإليه يُنسب أيت عتاب .
(227) راجع **النجم الثاقب** ، الجزء الرابع من المخطوط ، **والإعلام** : 4 : 156 **والسعادة الأبدية** : 1 : 128 .
(228) ح : أبي إبراهيم وهو خطأ .
(229) م وس : اجليز ، وهو إيكيليز أو إيكلّيز .

عبد الله بن محمد القناع قال : أبقت لجارتي مملوكتها فبكت عليها [حتّى عميت بكائها][230] . فأتيت أبا عبد الله ، وذكرت له ذلك وسألته أن يدعو لها أن ترجع إليها . فسكت . فقلت له : أخر الدعاء إلى وقت خلوتك وحضور النية . فشد بيده على يدي وقال : سترجع إليها مملوكتها إن شاء الله . فخرجت من عنده مسرورا بقوله وعلمت أن قوله حق لا شك فيه . فأتيت إلى المرأة وقلت لها : هل رجعت اليك مملوكتك ؟ فقالت : لا ، فقلت لها : سترجع لك الآن إن شاء الله ؛ فما مرت عليها ساعة حتّى دخلت عليها مملوكتها .

219 – ومنهم أبو محمد عبد الحق ابن واليل المغيطي (٭)

من كبار المشايخ وكان عبدا صالحا . مات قبل عام أحد وستمائة وكان نازلا على قرب من قرية [يمُويْمَن][231] من بلد دكالة . فبعث اليه الشيخ أبو وزاغار يقول له : أما وجدت موضعا تنزله إلا موضعا تجاور فيه العمال ؟ فهلا ارتحلت عنه ؟ قال أبو محمد للرسول : أعلم أبا وزاغار أنه لا يلحده في قبره إلا أحد الذين عاب علي مجاورتهم . ثم مات أبو محمد عبد الحق وبقي بعده أبو وزاغار إلى أن مات فامتنع قومه من دفنه إلى أن يحضر كبير شيوخهم . فبعثوا اليه [رقاصا][232] فوافاه بين يدي العامل . فقال له : ورد علي كتاب قومي بموت الشيخ أبي وزاغار وقد توقفوا عن دفنه حتّى أحضر . فقال له العامل : أريد أن أذهب لحضور جنازته . فبادر إلى أن يلحده [في قبره فألحده][233] فعجب الحاضرون من مقالة أبي محمد عبد الحق قبل ذلك بزمان .

بِخَيْفِ مِنىً بِالْحَجِّ بِالْمَوْقِفِ الَّذِي ... تُحَطُّ بِهِ الْأَوْزَارُ مِنْ عَرَفَاتِ[234]

(230) م وح : الى أن عمي بكاؤها ، وفي س : إلى أن غمتني بكائها .
(٭) س : أبو محمد عبد الله . واليل يعني الغوث وهو مذكر تاليلْتْ
(231) يِمُويْمَنْ : المؤمنون . كانت مدينة وافرة العمارة والرخاء في أرض دُكالة بين مراكش والبحر إلى أن خربها الخلط أيام العادل الموحدي . راجع : **الروض المعطار** : 619 .
(232) س : رسولا . والرقّاص في الاصطلاح المغربي هو الرسول والساعي .
(233) زيادة في م .
(234) من الطويل .

بِزَمْزَمَ بِالْأَرْكَانِ بِالْحِجْرِ بِالصَّفَا   بِمَشْعَرِهِ بِالرُّكْنِ بِالْبَرَكَاتِ
بِحُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   بِحَصْبِ حَجِيجِ اللَّهِ بِالْجَمَرَاتِ
أَجِرْنِي مِنَ الْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ وَالْجَفَا   فَلِي كَبِدٌ تَنْفَتُّ بِالْحَسَرَاتِ

220 – ومنهم أبو الخير مسعود الأيلاني الأسود

أصله من بلد أيلان ونزل بمحلة داود[235] من بلاد تادلا وبها مات عام أربعة وستمائة. وكان عبدا صالحا زاهدا في الدنيا لا يقبل من أحد شيئا ؛ شيخه أبو الحسن علي الصنهاجي الزاهد.

وحدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني يحيى بن عبد الرحمن بن خيرون وأبو بكر بن علي الخياط ، وكانا من الأخيار ، قالا : حدثنا أبو الخير قال : دخلت على أبي الحسن الصنهاجي في خيمته. فشكوت اليه ما أنا فيه من الفقر وضيق الحال. فأخذ يزهدني في الدنيا ويهونها ويحقرها ثم قال لي : قم لنتأهب للصلاة. فخرجنا من الخيمة وكانت في الفضاء وحدها. وقد نبت الخباز حولها. فسمعت كصوت السحابة صبت البرد ، فإذا على أوراق الخباز دراهم وقراريط بيض طرية يبرق بياضها على خضرة الأوراق. فقلت له : أما ترى ؟ فأخذ يمنعني أن أنظر اليها وقال لي : لا تنظر إلى ذلك ولا تلتفت اليه وأزعجني حتَّى بعدنا عنها.

مَتَى سَهِرَتْ عَيْنِي لِغَيْرِكَ أَوْ بَكَتْ
فَلَا أُعْطِيَتْ مَا أَمَّلَتْ وَتَمَنَّتِ[236]
وَإِنْ أَضْمَرَتْ نَفْسِي سِوَاكَ فَلَا رَعَتْ
بِأَرْضِ الْمُنَى مِنْ وَجْنَتَيْكَ وَجَنَّتِ

---

(235) هي ثكنة مرابطية ومدينة بتادلا تنسب إلى القائد المرابطي الكبير داود بن عائشة وهي التي يسميها البيذق (أخبار المهدي 89) تاكْرَارْتْ متاع داود ؛ ومعنَى تاكرارت محلة الجيش. وأطلالها معروفة في ضواحي بني ملال.

(236) من الطويل. وهي لسمنون المحب بن حمزة البصري.

221 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن شعيب الجذامي[237]

أصله من بلنسية وجاز إلي هذه العدوة. فكان يتردد من سلا إلى فاس. ثم جاز إلى الجزيرة الخضراء. فمات بها سنة أربع وستمائة وكان جليل القدر. كبير الشأن ودعا له أبو عبد الله التاودي. فلما احتضر قال لأبي عبد الله: يا بني رد إلي الأمانة. فدعا له ابن شعيب.

حدثني عيسَى بن أبي عيسَى رحمه الله وكان عبدا صالحا قال: حدثني عمر المراكشي[238] قال: كان ابن شعيب في صغره جميل الصورة؛ ناعم البدن. فحضر في موضع فأصابه حال غلب عليه. فخرج بالليل هائما على وجهه. فدخل في السوق. فرآه حارس السوق فأخذ بيده فجاء به إلى حانوت وهم به. وكان عند الحارس كلب عقور لا يرسله من قيده إلا بالليل. فأنكر الكلب الحارس ونبحه وحاز ابن شعيب وحال بينه وبين الحارس. فكلما أراد الحارس أن يدنو من ابن شعيب نبحه الكلب إلى أن طلع الفجر. فاعتبر بذلك وتاب إلى الله تعالى وصار من الصالحين.

وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن عبد الخالق قال: رأى ابن شعيب في نومه أنه يتصل بالملك. فخاف من هذه الرؤيا وكان الملك متوجها من افريقية إلى مراكش. فعبر ابن شعيب من فاس إلى الجزيرة الخضراء ومات بها واتصل بملك الدنيا والآخرة.

أخبرني محمد بن خالص الأنصاري قال: أخذت نفسي بالمحاسبة في بعض الأوقات. وكنت أرى ابن شعيب، فأهاب أن أكلمه. فكنت يوما بمكان بمدينة

---

(237) راجع **الجذوة**، ص 276

(238) عمر بن محمد بن الطوير الصنهاجي. تفقه بمراكش وكانت له رحلة علمية إلى الشرق، ثم عاد إلى مراكش وأخذ عنه الناس، وكان مع استبحاره في العلم متصوفا، توفي بمراكش سنة 622هـ. راجع **الذيل والتكملة** سفر الغرباء، ص 64 (من المخطوط).

سبتة ، فدخل علي وأنسني وقال لي : ينبغي للانسان أن يحاسب نفسه ولا يتركها مهملة فكوشف بحالي .

قال محمد بن خالص : أخبرني أبو عبد الله السبتي قال : رغبت ابن شعيب أن يكون شيخي . فأجابني إلى ذلك بعد حين . فما انقضى اليوم حتى حل نفسه من التشيخ علي . قال : وذلك أني قد خرجت مع جماعة من المريدين فانغمسنا في غدير من ماء ولم تتجرد من أثوابنا إلا بعد أن دخلنا في الماء . فلما جئنا إليه آخر النهار انقبض عني . فسألته عن انقباضه عني . فقال لي : تدخلون الماء من غير ازار ! ولم يكن أعلمه أحد منا بذلك .

سمعت أبا العباس أحمد بن محمد يقول : كلمت ابن شعيب مرارا أن يذهب معي إلى منزلي فأبى . فكلمت تلميذه أبا عبد الله الصفروي في ذلك . فقال : عادته ألا يجيب أحدا إذا دعاه إلا إذا أحضر له الطعام وأعلمه بأن الطعام حاضر . قال : فأعددت له طعاما وقلت له : باسم الله اذهب معي ، فان معي طعاما حاضرا . فقال لي : أحاضر هو ؟ فقلت نعم . فقام معي . فلما فرغنا من الأكل . قلت له : دعوتك مرات ولم تجبني ، وأجبتني اليوم . فقال لي : وما سؤالك عن ذلك ؟ فقلت له : أريد أن أعلمه . فقال لي : الفقير معلق القلب بالله تعالى . واثق بوعده الصدق في ضمان الرزق ، فلا يترك وعد الخالق وضمانه ، وهو الغني . لوعد المخلوق وضمانه وهو فقير . فان دعيت إلى شيء حاضر أجبت ولم أحل ضمان الله تعالى .

222 — ومنهم أبو زيد عبد الرحمن ابن [هبة](239) الله المزياتي

من أهل ورغة(240) من بلد مزياتة(241) . وكان عبدا صالحا . مات بعد عام سبعة وستمائة وقد زاد على مائة سنة . وكان أبو زيد منقطعا وحده في موضعه . فلا

(239) في بعض نسخ ف : بن هبت الله ، وفي س وم : بن هبة المزياتي .
(240) حوض الوادي الذي يحمل هذا الاسم إلى الآن في غربي جبال الريف
(241) قبائل الجبال المحيطة بالوادي المذكور قبله .

يجاوره إلا من يعينه على خدمة من يأتيه من أهل الخير وكانت له أرض يخدمها بنفسه .

حدثني محمد بن عبد الله الوراق قال : حدثني يحيى ابن الشيخ أبي زيد بن هبة قال : جاءنا أقوام على وجه الاختبار لأبي . فدخلوا بالليل في فدانه وأخذوا منه زرعا وسنابل وجعلوا يسيرون ليلتهم . فلما صلّى أبي الصبح خرج إلى أرضه . فرأى أولائك الأقوام يدورون في الفدان ولا يخرجون منه وظنوا . بسيرهم . طول الليل . أنهم قطعوا أرضا كثيرة ولم يشعروا أنهم باقون في ذلك الفدان بعينه ، فأبصروا الشيخ . فقالوا له : نتوب إلى الله تعالى ! وحدثوه بأمرهم . فقال لهم : لو أعلمتموني لأعطيتكم قوتكم من الزرع ؛ اذهبوا . فأنتم في حل . فخرجوا من الفدان وانصرفوا .

وحدثني أبو محمد عبد الله بن يخلف [الصاريوي][242] قال : مرضت لنا صبية . فحملناها إلى أبي زيد ليدعو لها ، فدعا لها ثم قال : بيتوا الليلة عندي . فأردنا المبيت في أهلينا ، فاعتذرنا له ، فقال لنا : أما إذا أبيتم إلا الرجوع من فوركم ، فإذا وصلتم موضع كذا ، فبيتوا عند فلان لئلا يصيبكم المطر . قال : وكان اليوم صاحيا وليس في السماء شيء من السحاب . فانصرفنا ولم نزل نسير إلى أن وصلنا الموضع الذي أمرنا أن نبيت فيه . فتمادينا في السير وتعديناه فنشأت سحابة وعمت الأفق . فأمطرت مطرا كثيرا ، فقصدنا قرية نأوي اليها وقد ابتلت أثوابنا وجن علينا الليل ولم نجد من يأوينا إلا بعد ساعة من الليل .

223 – ومنهم أبو وجلوط تُونَارْتْ ابن [واجَّرَام][243] الهزميري[244]

من أهل بلد نفيس من عمل مراكش وبه مات في حدود الثمانية وستمائة وكان

---

(242) م : الصايوري ، وفي بعض نسخ ف : الصَّارْيوني . وهذه هي الصواب . بنطق صادها زايا . وقد ينسب : الصاريوي .
(243) أَكَّرَام : المرابط ، أو الفقير المتخذ طريقة التصوف .
(244) راجع : **الإعلام** (370)

عبدا صالحا. شيخه أبو محمد عبد الخالق بن ياسين وكان أبو ولجوط في حداثه يغني في الأعراس . ثم تاب إلى الله تعالى ، فكان يتكلم بالحكمة وهو مع ذلك أمي . وبت معه ليلة بمراكش عند رجل من المريدين ، فقطع الليل كله بأنواع من الحكم والأمثال من غير تلعثم ولا تردد . والفضل بيد الله ، يؤتيه من يشاء . وكان يتكلم على المصامدة في الرباطات بمواعظ لا يهتدي إليها الخطيب المصقع .

مَا تَقْبَلُونَ لِوَاعِظٍ نُصْحًا وَهُوَ ٱلطَّبِيبُ وَأَنْتُمْ ٱلْجَرْحَى[245]
يَا رَاقِداً فِي لَيْلِ غَفْلَتِهِ وَٱلشَّيْبُ قَدْ أَبْدَى لَهُ صُبْحَا
يَا خَاسِراً فِي بَيْعِ صَفْقَتِهِ ضَيَّعْتَ رَأْسَ ٱلْمَالِ وَٱلرِّبْحَا
إِنْ أَبْعَدُوكَ فَقِفْ بِبَابِهِمُ مُتَضَرِّعاً وَسَلْهُمُ ٱلصَّفْحَا

حدثني أبو علي عمر بن يحيى ، رحمه الله ، قال : حضرت ليلة برباط عقبة[246] من بلد نفيس فقام أبو ولجوط وتكلم على المصامدة بلسانهم ووعظهم موعظة بليغة وزهدهم في الدنيا . فكان من كلامه أن قال لهم : يا هؤلاء ، انما مثلكم كمثل قوم نصبت لهم قنطرة يعبرون عليها . فجاؤوا إلى أعلى القنطرة فطلبوا الإقامة عليها وشرعوا في البنيان . فن رآهم قال : هؤلاء قوم حمق ! طلبوا الإقامة في غير منزل . وكذلك أنتم طلبتم الإقامة في الدنيا وليست بدار قرار وإنما هي معبرة للآخرة والآخرة الموطن فلا ينبغي لكم أن تستوطنوا دارا لا قرار لها .

أَرَى أَشْقِيَاءَ ٱلنَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوَّعُ[247]
أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحَبُّ فَإِنَّهَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

أخبرني بعض الثقة عن مخبر أخبره قال : كنت مع أبي ولجوط بنفيس . فسمعته يؤمن ولا أسمع الدعاء ، فلما فرغ من تأمينه سألته فقال لي : ان الشيخ أبا يلبخت دعا بجبل دمنات . فسمعت دعاءه فأمنت عليه .

---

(245) من الكامل

(246) راجع ما قلناه في هامش على الترجمة (157) حول مسجد عقبة .

(247) من الطويل . راجع **حلية الأولياء** : 6 : 374 .

224 - ومنهم أبو محمد [تيلجي](248) ابن موسَى الدغوغي

من كبار المشايخ من أهل بلد بني دغوغ من دكالة وبه مات عام خمسة وستمائة وقد عُمِّر مائة سنة وعشرين سنة ، وكان واعظا برباط شاكر في وقت لا يصعد منبر جامع شاكر إلا الآحاد . سمعت داود بن عبد الخالق يقول : حضرت أنا وجماعة من المريدين عند أبي محمد تيلجي . فتكلمنا في الوصال وكم يقدر الانسان أن يواصل . فأنكر بعضهم أن يواصل الإنسان مدة طويلة . فقال أبو محمد : أعرف عبدا من عباد الله يواصل سنة . فسكتنا ولم يجترئ أحد أن يقول له : من هذا ؟ فكنت أقول : إذا زرته ، سألته عنه . فكلما زرته نسيت أن أسأله . فإذا خرجت من عنده تذكرت ، ومازلت كذلك إلى أن مات ، رحمه الله ، ولم أسأله . قال داود : وحدثني أبو محمد قال : طلبت في أيام عتاب طلبا شديدا ، ولو وجدت لقتلت . ففررت في يوم صائف إلى خيمة ، فقعدت فيها ودابتي واقفة عند باب الخيمة وإذا [فرسان](249) قد اقتفوا أثري ، فجاؤوا إلى الخيمة ، فنظروا اليها فلم يرني واحد منهم ولا رأى دابتي . فسمعتهم يقولون : ما لهذه الخيمة رحل عنها أهلها ؟

وحدثني محمد بن جلداسن قال : حدثني محمد بن تيلجي أن أمه حدثته قالت : رأيت بالليل شخصا دخل إلى أبي محمد ، فأيقظه من نومه ودفع اليه سطلا فتوضأ منه . قالت : فرأيت حيوانا كأنه ناقة بيضاء قد أتته ، فركبها فعلت به سقف الدار وسارت به وأنا أبصرها . فلما حدثت بذلك خرست ، فلم تتكلم فأقامت مدة قليلة فماتت .

---

(248) تِيلْكِي ، معناه : صُبح .
(249) ح : فارسان يقتفيان .

225 - ومنهم أبو جعفر محمد ابن يوسف الصنهاجي الأسود (*)

الساكن بتاغزوت على وادي وانسيفن من بلاد تادلا وبها مات عام ثمانية وستمائة وكان عبدا صالحا .

سمعت عبد الله بن موسَى وغيره يقول : سمعت أبا جعفر يقول : زرت الشيخ أبا يعزَى بايروجان مائة مرة وما وجدت الا بركة [الرجال][250] .

وحدثني الشيخ الصالح أبو زكرياء يَحيَى بن محمد الزناتي قال : سألت أبا جعفر عن بدء أمره . فقال : كنت أصطاد الحيتان من وادي وانسيفن وأتخذ أجباح النحل . فإذا بعت الحيتان والعسل عاملت الله بأثمانها ودفعتها لحملة القرآن والعاكفين على قراءته . فلازمت ذلك إلى أن جاءني الفتح من الله تعالى .

وسمعت أبا الحجاج يوسف بن موسَى بن [يَحيَى][251] قال : سمعت حجاج بن يوسف يقول : كنت كثيرا ما أجالس أبا جعفر فأسمعه يقول : نعم ! ويرفع بها صوته . فإذا سألته عن ذلك قال لي : ان الشيخ أبا يعزَى ناداني من جبل ايروجان . وقال لي أبو جعفر : ولقد أتيت أبا يعزى مرة فعاتبني وقال لي : ما لك ، فإني ناديتك ثلاث مرات فلم تجبني إلا في المرة الثالثة ؟ .

وكان أبو جعفر يحمل سلال العنب على ظهره من تاغزوت إلى جبل إيروجان. وحدثني يوسف بن موسَى قال : حدثني يوسف بن [سواجات][252] وكان من الأدباء والأذكياء قال : قال لي حجاج بن يوسف : اذهب بنا إلى زيارة أبي

(*) ضريحه معروف بتاغزّوت في تادلا بينه وبين وادي أم ربيع حوالي خمسة أميال . وهو مشرف على السهل يمين الذاهب في طريق فم العنصر. وقفت عليه. وقد جدد بناؤه ويقام به موسم في الخريف . ذكره صاحب **يتيمة العقود الوسطى** . ص 380 . وصاحب **المعزى** . ص 82 .

(250) ح : الرجل

(251) س : يرزيكن

(252) صوابه : سْواكَّات

جعفر . فقلت له : أنعملني إلى أسود عامي أعجمي لا علم عنده . فمازال بي إلى أن حملني إليه . فلما دخلنا عليه قال : أنا أسود عامي أعجمي لا علم عندي وإنما وجدت بركة الشيخ أبي يعزى . قال : فخجلت مما قلته غاية الخجل .

وحدثني الشيخ الصالح عمر بن عبد الله قال : سمعت أبا جعفر يقول : أدركت بيلاد تادلا [مائة][253] وسبعين رجلا من الصالحين كلهم يزارون .

فَآهاً مِنَ ٱلرَّبْعِ ٱلَّذِي غَيَّرَ ٱلْبِلَى
وَوَاهاً مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا[254]
أَصُونُ تُرَابَ ٱلْأَرْضِ كَانُوا حُلُولَهَا
وَأَحْذَرُ مِنْ مَرِّي عَلَيْهَا وَأَفْرَقُ
وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلْهَوَى غَيْرُ أَنَّنِي
إِذَا ٱلرَّكْبُ مَرُّوا بِي عَلَى ٱلدَّارِ [أَشْهَقُ][255]

226 — ومنهم أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن [الحسن][256] الأنصاري المعروف بالحكيم[257]

أصله من الأندلس ونزل بالجانب الشرقي من مراكش وبه مات في جمادى الأولى من عام خمسة وستمائة . من أكابر أصحاب أبي العباس السبتي[258] وفيه يقول :

وَمُنْفَرِدٍ بِٱللَّهِ هَامَ بِحُبِّهِ
فَلَيْسَ لَهُ أُنْسٌ بِشَيْءٍ سِوَى ٱلرَّبِّ[259]

---

(253) ح وس : ثلاثمائة .
(254) من الطويل . وظن اليوسي في **المحاضرات** (ص 160) أنها للمترجم
(255) م : أشفق .
(256) م وس : الحسين .
(257) راجع **الإعلام** : 10 ص 390 و**السعادة الأبدية** : 1 : 118
(258) انظر أخباره التي كتبها مؤلف التشوف . وألحقت بهذه الطبعة .
(259) من الطويل راجع أخبار أبي العباس السبتي .

تَفَرَّدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِطَاعَةِ رَبِّهِ
فَأَوْرَثَهُ عِلْمَ ٱلْكِتَابِ بِلاَ رَيْبِ
وَآثَرَ حُبَّ ٱللَّهِ فَٱنْكَشَفَتْ لَهُ
عَجَائِبُ أَسْرَارٍ ثَوَاباً عَلَى ٱلْحُبِّ
فَمَنْ كَانَ فِي دَعْوَى ٱلْمَحَبَّةِ صَادِقاً
تَجَلَّتْ لَهُ ٱلْأَنْوَارُ مِنْ غَيْرِ مَا حُجْبِ
فَيَرْتَعُ فِي رَوْضِ ٱلْمَعَارِفِ دَائِماً
وَلَذَّتُهَا أَشْهَى مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ
تُخَاطِبُهُ ٱلْأَحْوَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَيَفْهَمُ عَنْهَا بِٱلضَّمِيرِ وَبِٱلْقَلْبِ
يُكَاشَفُ بِٱلْأَسْرَارِ مِنْ مَلَكُوتِهَا
فَيَأْتِي عَلَيْهِ ٱلْفَيْضُ مِنْ عَالَمِ ٱلْغَيْبِ

وكان أبو يعقوب الحكيم جارا لأبي علي الحسن بن حامة الهكوري ، رحمه الله ، ولم تكن بينهما معرفة . فأصابت أبا يعقوب فاقة من توالي الأمطار وكان لا يملك شيئا . فأقام يومين وليلتين [لم يأكل شيئا][260] فرهن سراويله في قيراط واشترى رغيفين وسمنا وكان قد بيت الصيام . فخرج إلى المسجد ليصلي صلاة المغرب وكانت له زوجة عمياء، فسمعت السائل بالباب، فأخرجت إليه الصحفة بالطعام وكانت عادته أن يخرج للسائل الطعام ، فإذا أكل أدخل الصحفة . فلما أخرجت الصحفة للسائل أكل جميع ما فيها من الطعام . فلما أتى أبو يعقوب من المسجد ، سألها عن الطعام ليفطر . فأخبرته أن السائل قد استوفاه . فسهر من شدة الجوع إلى أن مرت عليه ساعة من الليل . فسمع قرع باب الدار ، فخرج فإذا هو بأبي علي الحسن بن حامة واقف بالباب وبيده شمعة ومعه خادم ، معها مائدة عليها ألوان من الطعام وخبز فقال له أبو علي : أريد أن تأذن لي في الدخول عليك . فأدخله في بيته [وقدم اليه][261] المائدة . فقال له أبو علي : صنعت الطباخة هذا الطعام فوجدته مرا فخفت أن يكون مسموما وأنت حكيم فأردت أن تراه فإن كان

(260) زيادة في ح وس .
(261) ح : وقدمت الجارية ؛ س وم : وقدمت المائدة

قد جعل فيه شيء تحفظت من هذه الطباخة . فذاقه أبو يعقوب فوجده طيبا ثم قال لأبي علي كل من هذا الطعام . فأكل من كل صحفة فاستطابه وتعجب من مرارته قبل ذلك . فقال له أبو يعقوب : ما تمرَّر طعامك إلا من أجلي ، فإني بقيت في جوارك جائعا يومين وليلتين . وذكر له فاقته . فقام أبو علي من فوره إلى منزله وجاءه بقرطاسين فيهما دنانير ، فقال له : خذ الواحد وتصدق عني بالآخر ليكون كفارة لما وقعت فيه من التفريط في أمرك على أني لم أعلم بحالك . فإذا في كل قرطاس عشرون دينارا وصار بعد ذلك من أصدقائه ، سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الصنهاجي يحدث بهذه القصة عن أبي يعقوب وأكبر ظني أني سمعت أبا يعقوب يحدث بها والله أعلم .

227 — ومنهم أبو الطاهر إسماعيل ابن إبراهيم التونسي

أصله من تونس وأشخص إلى حضرة مراكش . فقدمها ثم استقر أخيرا بتلمسان [فاقرأ][262] بها العلم وأعرض عن الدنيا وأهلها ومات بها عام ثمانية وستمائة وكان على سنن العلماء والفضلاء .

حدثني عبد الرحمن بن محمد قال : سمعت أبا الطاهر يقول : رأيت أبا المعالي في النوم ، فقلت له : تكلم فيك الناس من أجل ما قلته في كتاب **البرهان** . فقال لي : يا بني ، من عرض عقله على الخلق لم يأمن من القول .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد قال : حضرت مجلس أبي الطاهر وقد دخل عليه عمر بن العباس المعروف بالحباك . فقال له أبو الطاهر : يا أبا علي : ادن . فدنا منه . فقال له : رأيتك البارحة في النوم وأنت تنشدني :

أجيـروني فإنّي قَدْ وَحَلْتُ ... وَفي نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ حَصَلْتُ[263]
أُنَزِّهُ خَالِقِي عَنْ ذَا وَعَنْ ذَا ... وَأَعْرِفُهُ وَلَيْسَ كَمَنْ جَهِلْتُ

---

(262) ف : فقرأ . والتصحيح من ح وس

(263) من الوافر .

فم أجيرك ؟ فقال له : يا سيدي . ما وحلت إلا في هذا . فلما انفض المجلس خلا بعمر في حديث كان بينهما لم نعلمه .

228 – ومنهم أبو واجّاج عفّان ابن إسماعيل المطاطي[264]

أصله من تامسنا ونزل بالجانب الشرقي من مراكش وبه مات في النصف من شعبان عام أربعة وستمائة وكان عبدا صالحا من أئمة العلم [بالقرآن][265] وكان أكثر جلوسه بمسجد بئر الجنة . فمن أراد من المصامدة أن يجوّد عليه القرآن يقصده . وكان من أهل الصيام والقيام وتلاوة القرآن وما تزوج قط . ولا انبسط إلى أحد وكان شديد الصفرة . يهابه كل من يراه . سألت بعض تلامذته عن أحواله ، فقال لي : كنا نقرأ عليه القرآن بالمسجد فينصرف إلى منزله ونبيت نحن في المسجد . فإذا لم نقرأ بالليل جاءنا غدوة وعتبنا على ترك القراءة بالليل وإن قرأنا بالليل لم يقل لنا شيئا . فكنا نفتش المسجد بالليل خوفا من أن يكون قد بات معنا لكثرة ما يكاشف به من أحوالنا . قال : ولما مرض أبو واجاج مرضه الذي مات منه قال لصاحبه أبي يحيى وكان خاصا به : لا تنفق علي إلا من دراهمي ، فإذا نفدت فأعلمني . فلما نفدت دراهمه قال له : لا تنفق علي من دراهمك ولا من دراهم أحد من خلق الله تعالى . فأقام أربعين يوما لا يذوق فيها إلا الماء بعد يومين . فكان في تلك الأربعين يوما لا يدخل عليه أحد يعوده إلا أخبره بما في نفسه وكوشف بسره . فلما احتضر قال للحاضرين : أما ترون الخضر عليه السلام قائما ورأسه يكاد أن يشق السقف وهو يلقنني الشهادتين ويذكرني ؟ ثم مات . رحمه الله . فاحتفل الناس بجنازته ودفن خارج باب [أغمات][266] .

---

(264) راجع **الإعلام** (1485) . أبو واگّاگ . سبق شرح معناه (ترجمة (5)) . وفي طرة س : «سيدي وَگّاگ بمراكش» .

(265) س : والقرآن

(266) م وس : باب الدباغين

229 — ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن [تماجورت][267] الدرعي[268]

من أهل وادي درعة وبه مات في حدود خمسة وستمائة وكان عبدا صالحا.

حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم في شعبان سنة ست عشرة وستمائة قال : حدثني موسَى بن ميمون الدرعي[269] قال : أخبرني غير واحد أن أبا زكرياء كان في رفقة. فروا بلصوص قد كمنوا لهم. فسقط الحمل عن الدابة، فقام رجل من اللصوص ورفع الحمل على الدابة. فقال له أبو زكرياء : تاب الله عليك. فأقلع اللص من حينئذ عما كان عليه وأقبل على الله تعالى، وصار من الصالحين. وقال لي أبو عبد الله حين حدثني بهذا الحديث في شعبان : وهذا الرجل الآن في قيد الحياة واسمه يحيَى ابن أبي بكر الدرعي وهو يزار [لفعله][270].

230 — ومنهم أبو عمر [ياخميان][271] ابن عبد الله الصنهاجي

من أهل قرية [تيمغسن][272] من بلد أزمور وبها مات عام خمسة وستمائة وعاش مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان عبدا صالحا. أخبرني واخير بن زيري

---

(267) ثَمَاكُورْتْ : المبقية، المتأخرة، الأرمل.

(268) ذكر ترجمه صاحب الدرر المرصعة (ص 480 من مخطوط خ. ع تحت رقم 265 ك) وخلط بين ترجمه وترجمة أبي الحسن الدرعي (233). وجاء في طرة غ : «معروف بخميس لكتاوة».

(269) درعي نزل مراكش، حدث عنه المؤلف بواسطة ابن أبي القاسم تارة وبدون واسطة تارة أخرى.

(270) س : لفضله.

(271) س : ياجْزِيان، م : يُوجْزِيانْ، وهو الأرجح، ومعنى يوكريان : أكبر (من غيره).

(272) تِيمْغِيسِنْ، اسم معروف للأمكنة، راجع الخريطة.

الصنهاجي قال : أخبرني رجل من المريدين قال : أتيت أبا عمر زائرا فوجدته في مقثأة . فسألت عنه خديمه . فقال لي : هو ذاك . فقصدت جهته وهو لا يراني ، فرأيت في حجره أرنبتين . فجعل يمسح على الواحدة [ويفتل][273] أذن الأخرى ويقول لها : إياك أن تفسدي القثاء للمريدين . قال : وأخبرني أيضا قال : كنت جالسا مع أبي عمر يوما إلى أن سمع عصفورا يصيح صياحا كثيرا . فقال لي : ما لهذا العصفور يكثر الصياح وقد رأيته باض في عشه ولعله أوذي . فقام ومشيت معه إلى عشه فوجدنا حنشا عظيما قد أكل بيضه . فقال أبو عمر للحنش : أريته قدرتك ، أراك الله قدرته . ثم انصرفنا عنه وتحدثنا ساعة . فقال لي : لعل ذاك الحنش قد مات ، فذهبنا إليه فوجدناه ميتا ، فربطناه بحبل وأتيناه به حتَّى رآه . فقال : إنه يفزع النساء . فغطاه بالحشيش ، فلما جن عليه الليل حفر له حفرة ورماه فيها .

وحدثني عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص الصنهاجي قال : قال لي أبو عمر : نمت ليلة فرأيت في النوم أني رفعت إلى السماء . فلما وصلتها سرت فيها كمثل ما سرت في الأرض . فلما استويت على ظهر السماء رأيت أكداسا من الأموال منها كدس قليل وكدس آخر كثير. فسألت عنهما ، فقيل لي : هذه أموال الذين أخذت أموالهم بغير حق . فطفت عليها فإذا في كل كدس براءة فيها اسم صاحبها . فلم أزل أطوف إلى أن وجدت قيراطا واحدا ومعه براءة فيها اسمي . فقيل لي : أنت لم تظلم قط إلا في هذا القيراط خاصة . فانتبهت وسألت الله تعالى أن يقدم لي عنده جميع مالي لأجده عنده ولا يبقَى لي إلا قدر ما أترمق به . فأقمت قليلا . فجاءت سرية من العرب وأغارت على مالي وحجبني الله عنهم فلم يبصروني فحملوا جميع ماشيتي وأنا أبصرهم ثم فتشوا أجباح النحل فأخذوا دراهم كنت رفعتها في بعضها وذهبوا . فقلت : يا رب ما دعوتك إلا أن تترك لي قدر ما أترمق به . فقمت من جوف الليل لأصلي ، فسمعت نفسا كثيرا في مراح الغنم والبقر. فدنوت ، فإذا ثلاث بقرات بعجولها قد رجعت إلى موضعها فأقامت عندي إلى أن تناسلت وصارت أكثر مما كانت .

---

(273) س وم : يقتل ، وهو الأرجح .

231 – ومنهم أبو الربيع سليمان ابن عبد الباري الدرعي[274]

من أهل وادي درعة وبه مات في حدود خمسة وستمائة وكان عبدا صالحا.

حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال: حدثني موسَى بن ميمون الدرعي قال: أتَى السيل في وادي درعة. فامتلأ الوادي ماء من الضفة إلى الضفة. فمنع الناس أن يدخلوا فيه لكثرة مائه. وأقام أياما على ذلك. فلما نقص ماؤه وأمكن الدخول فيه اجتمع أهل العدوتين. فحدَّث كل فريق منهم أن سليمان بن عبد الباري كان يُرَى في هذه العدوة وفي تلك العدوة في الأيام التي كان السيل قد قطع الناس عن الدخول في الوادي. وقال أهل هذه العدوة: كنا نراه عندنا، وقال أهل العدوة الأخرى: كنا نراه عندنا.

232 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر بن محيو الصنهاجي المعروف بأبي يحيَى السائح[275]

رأيته بمراكش وكان قد جال ببلاد المشرق وغيرها ومات بأغمات وريكة عام خمسة وستمائة وكان لا يعرف أصله ولا يحدث أحدا بذلك وكان عبدا صالحا زاهدا في الدنيا لم يتلبس منها بشيء ولا تزوج قط ولا ركن إلى شيء من الدنيا إلى أن لقي الله تعالى. وأقام بمصر أحد عشر عاما ثم ساح ببلاد جزولة ثم ذهب إلى نول لمطة[276] وجاز إلى بلاد دكالة ودخل جزائر بحر المغرب الأقصَى[277] ونفع الله به خلقا كثيرا.

---

(274) نقل ترجمته هذه صاحب **الدرر المرصعة**، ص 166

(275) راجع **الإعلام**: 1 : 405. وانظر: عبد العزيز بنعبد الله: **الموسوعة المغربية**: 3 : 10، ففيها أن اليوريني ذكر المترجم في **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**: 1 : 275 (ط دمشق). وانظر أيضا: **أنس الساري**، ص 20. وقد وقفت على ضريحه في بيت معزول بدير سالّ من بلاد مْسِّيوة، بقرية امْضِي، ويعرف بسيدي السائح، على بعد أميال من أغمات.

(276) راجع: عبد العزيز بن عبد الله: **الموسوعة المغربية** (ملحق 2) ص 366

(277) لعله يقصد الجزر الخالدات؟

حدثني أحمد بن محمد بن إسماعيل الهواري قال : سمعت أبا يحيى السائح يقول : وجدت في جزائر بحر المغرب أقواما لا يعرفون الإسلام. فعلمت الرجال والنساء الإسلام والشرائع ولم أفارقهم حتّى كانوا يصلون صلاة الصبح ، ثم دخلت بلاد السودان . فرغب الي ملكهم أن أقيم عنده ويسلم لي أمره فأبيت .

قَالُوا نَرَاكَ كَثِيرَ ٱلسَّيْرِ مُجْتَهِداً ... فِي ٱلْأَرْضِ تَنْزِلُهَا طَوْراً وَتَرْتَحِلُ
فَقُلْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي ٱلسَّيْرِ فَائِدَةٌ ... مَا كَانَتِ ٱلشَّمْسُ فِي ٱلْأَبْرَاجِ تَنْتَقِلُ(*)

233 – ومنهم أبو الحسن علي ابن عمر الدرعي[278]

تلميذ أبي الحسن علي ابن العطار . قدم مراكش وتوجه إلى مكة . فحج وعاد إلى بلاده بوادي درعة . فمات بها عام ثمانية وستمائة وكان عبدا صالحا صاحب مجاهدة وأحوال وكان لا يفطر إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة ويواصل أيام الأسبوع وكان إذا غلبه الحال سال دمه من أنفه لشدة وجده .

إِذَا أَنَا وَاصَلْتُ ٱلصَّبَا عَادَ بَرْدُهَا ... وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي عَلَيَّ لَهِيبُ[279]
وَقَدْ أَكْثَرَتْ فِي ٱلْأَطِبَّاءِ قَوْلَهُمْ ... وَمَا لِيَ إِلَّا أَنْ أَرَاكَ طَبِيبُ
يُسَالِمُ قَلْبِي ٱلْهَمَّ فَهْوَ حَلِيفُهُ ... وَبَيْنَ جُفُونِي وَٱلرُّقَادِ حُرُوبُ

234 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن خالص الأنصاري

من أهل مراكش وبه مات قبل عام أحد وستمائة ودفن خارج باب الدباغين .

(*) من البسيط

(278) راجع الإعلام (1375) وفيه أنه تلميذ ابن القطان ، والصواب : ابن العطار وهو المترجم في الجذوة (516) . وراجع الدرر المرصعة ، ص 244 وجاء فيه : «وقبره شهير بالزيارة بقرية إغْزغْ من مزْكيطة» وهي قرب أكْدز جنوبي وارْزَازَات .

(279) من الطويل .

كان من أهل المجاهدة والتجرد والزهد في الدنيا . وكان جميع مؤنته في الشهر ربع دينار لا يزيد على ذلك .

سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : حدثني أخي أحمد قال : سمعت يوما نباح كلب . فإذا هو يقول : الحمد لله . بكلام صريح . قال : ولما احتضر قلت له : يا أحمد ، اذكر الله . فانتهرني فتركته . فسمعته يقول عند آخر الرمق : خذني إليك ، خذني إليك ، خذني إليك ! فقضى نحبه رحمه الله .

قَالَتْ لِيَ ٱلنَّفْسُ أَتَاكَ ٱلرَّدَى   وَأَنْتَ فِي بَحْرِ ٱلْخَطَايَا مُقِيمْ[280]
وَمَا ذَخَرْتَ ٱلزَّادَ قُلْتُ ٱقْصُرِي   هَلْ يُحْمَلُ ٱلزَّادُ لِدَارِ ٱلْكَرِيمْ
وَاخَجْلَتِي مِنْهُ إِذَا جِئْتُهُ   وَٱلْعَبْدُ مَطْلُوبٌ بِدَيْنٍ قَدِيمْ
وَمَا أَرَى يَطْلُبُنِي إِذْ دَرَى   أَنِّيَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ عَدِيمْ
وَلَسْتُ مُحْتَاجاً إِلَى شَاهِدٍ   لِأَنَّ مَوْلَايَ بِحَالِي عَلِيمْ
وَحُكْمُهُ ٱلْمُقْسِطُ لَا يَقْتَضِي   هَلَاكَ مِدْيَانٍ بِمَالِ ٱلْغَرِيمْ

235 – ومنهم أبو العباس التُّوزُري

أقام بسجلماسة مدة ، ثم توجه إلى بلاد المشرق . فمات بها في حدود عشرة وستمائة وكان عبدا صالحا . حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال : كانت تأتي على أبي العباس التوزري الشهران أو الثلاثة وهو ساكت لا يسمع منه كلام .

بَيَانُ ٱلْمَرْءِ بِٱلْإِكْثَارِ عِيٌّ   وَعِيُّ ٱلصَّمْتِ قُرْبٌ لِلْبَيَانِ[281]
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ فَكَّرْتَ شَيْءٌ   أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانِ

سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول : حدثني أبو زكرياء يحيى بن ميمون قال : اعتكف عندي أبو العباس التوزري برابطة أَنْبْدُور[282] خارج مدينة سجلماسة فدخلت عليه بين العشائين . فدفع لي جاما فيه خبز ولحم وما رأيت أطيب

---

(280) من السريع ، وهي للفقيه الزاهد أبي عبدالله المنصف السبتي . راجع **نفح الطيب** : 1 : 181

(281) من الوافر والبيتان لمحمد بن أحمد بن جبير . راجع **الإعلام** : 4 : 175

(282) أَنْبْدُور ، ويطلق على أماكن أخرى ، ومعناه العتبة أو الحكاية أو الملحمة .

منها . فهش إلي مسرورا وقال لي : كل يا أبا زكرياء هذا الطعام ! فإن أحد أصحابي أتاني به الآن من جزيرة الأندلس . فأكلته . فما رأيت أطيب منه وقضيت العجب من ذلك .

236 – ومنهم أبو سليمان داود ابن [وَمالال] [283] الأيلاني [284]

من أهل أغمات ايلان وبها مات عام سبعة وستمائة وكان عبدا صالحا .

أخبرني بعض الثقة قال : أخبرني مخبر قال : بات أبو سليمان ليلة عند أحد أصحابه . فجاءه سارق فنقب الجدار وسرق له بعض متاعه . فجاء إلى أبي سليمان فقال له : سرقت الليلة ونقب السارق جدار داري . فأخذ أبو سليمان في التضرع والبكاء والدعاء وقال : وحقك يا رب لابرحت من مكاني هذا حتَّى ترد لصاحبنا ما سرق له . فما برح من مكانه حتَّى رمي الينا ما كان قد سرقه السارق من الدار .

237 – ومنهم أبو يحيَى أبو بكر ابن ملّول [الصنهاجي] [285] الأسود [286]

من أهل قرية [تانْسْغَرْتْ] [287] من بلد دادس [288] من بلاد القبلة وبها مات عام خمسة وستمائة وكان عبدا صالحا . أخبرني الثقة أن بعض الأمراء قصد أبا يحيَى يزوره . فسمع به أبو يحيَى فقال : اللهم ، حل بيني وبينه ! فلما قرب الأمير من موضعه كر راجعا ولم يصل إليه وقال : أنا في حالة أكره فيها الاجتماع بهذا الرجل

---

(283) معنَى أمَالاَلْ : من البياض . والواو مكان الألف لتخفيف الوصل .

(284) راجع **الإعلام** (436)

(285) زيادة في س .

(286) ضريحه معروف بدادس . وهو مزارة إلى الآن (تفضل الأستاذ الزميل أيت حمزة فتحقق من ذلك أثناء أبحاثه الجغرافية في المنطقة وكتب إلي في الموضوع) .

(287) شكلها كذلك . وموقعها بفرقة أيت حمو قرب قلعة مكّونة .

(288) المجرَى الأعلى لوادي درعة بين ورزازات وبولمان (**الموسوعة المغربية** . ملحق 2 ص 190)

الصالح . وحدثني موسَى بن ميمون الدرعي عن أحمد بن عبد الله قال : شكا رجل إلى أبي يحيَى دينا لزمه . فقال له أبو يحيَى : كم عليك ؟ فقال له : عشرة دنانير . فقال له : ارفع ذلك الحجر . فرفعه ، فوجد تحته عشرة دنانير . فحملها وقضَى بها دينه .

238 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن ميمون الصنهاجي الأسود

من أهل [رباط ايبسين][289] من بلد أزمور وبه مات عام أحد وستمائة . خدم أبا شعيب أيوب السارية وكان يقول : سألت أبا شعيب أن يتفل في فمي . فلم أزل به إلى أن فعل . فكان يبرئ العلل بالتفل عليها واشتهرت عنه إجابة الدعوة ولذلك سمي يحيَى [المزبرة][290] لسرعة إجابة دعوته . وكان الناس يتقون دعاءه لما جربوه من دعائه . وأخبرني الثقة قال : رأيت أبا زكرياء قدم من مراكش وكان يحفر التراب من الأرض ويصنع منه القدور فيبيعها ويشتري بثمنها شعيرا فيطحنه بيده ويأكله . وكان يقول : خدمت الشيخ أبا شعيب أحد عشر عاما أطحن له قوته بيدي .

239 – ومنهم أبو عثمان سعيد الصنهاجي

من أهل قرية [تاكدورت][291] من بلد أزمور وبها مات عام أحد وقيل عام اثنين وستمائة وكان من الأفراد إلا أنه كان من الشعث الغبر الذين لا [يؤبه][292]

---

(289) إيبسينْ أو إيسَانْ تعني الخيل ، فهو رباط الخيل ، ولم يعد معروفا بهذا الاسم .

(290) س : المدبر ، ولا معنَى له هنا . وفي بعض نسخ ف : المزبرة وهو الصواب . راجع معناها في المستدرك على المعاجم العربية لدوزي . وهي ترجمة التسمية المحلية : تاشاقُورْتْ وهي آلة قطع الشجر الحادة . ويكنون بها من يعتقدون في مضاء دعوته على من يعاديه أو يؤذيه .

(291) تاكْدُورْتْ . وفي ح : تاكُرورْتْ ، والاسمان معا من أسماء الأماكن . ولم يعد لها وجود

(292) س : لازينة

لهم ولم يكن عنده من الدنيا شيء . فنبه عليه أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله بن أمغار بعض أصحابه فكانوا يصلون أهله بما يترمقون به . ولما مات أخبرني أبو يعقوب بموته ، وكان مريضا . فقال : لو قدرت على حضور جنازته لحضرتها . ثم قال : وما يبالي أبو عثمان بمن حضر جنازته . وكان ، والله ، يواصل خمسة عشر يوما ثم أمر معه إلى البحر . فيتناول غرفات من ماء البحر بيده فيشربها إلى أن يروى . ثم يواصل على ذلك الماء خمسة عشر يوما وكان ينظر إلى القلوب فيرى قلوبا سوداء كلها ويرى قلوبا خالطها السواد وكنت أخلط له وهو غائب خبزي بخبز غيري فيميز خبزي ويقول لي : هذا خبزك وهذا ليس بخبزك . وأخلط له عنبي بعنب غيري . فيفرق بين عنبي وعنب غيري ويقول لي : هذا عنقود من عنبك وهذا العنقود الآخر ليس من عنبك . سمعت [أبا علي بن وزجيج][293] يقول : سمعت أبا يعقوب يحدث بذلك.

وحدثني أبو علي الحسن بن وزجيج الصنهاجي قال : سمعت أبا عثمان يقول : كنت في ابتداء أمري في غار في البرية لا أخرج منه إلا في نصف الليل . فأؤذن . ثم أعود إليه وأقمت على ذلك خمسة أعوام .

قال أبو علي : وجاء أبو عثمان يوما إلى دار أبي يعقوب . فقيل له : أتعلمه بوصولك ؟ فسكت . ثم قال لنا : مرَّ إلى بستانه . فانصرفنا وسألنا عن أبي يعقوب فقيل لنا : إنه ذهب إلى بستانه في الساعة التي جاء إليه أبو عثمان .

240 – ومنهم أبو الصبر أيوب ابن عبد الله الفهري[294]

من أهل سبتة : قدم مراكش واستشهد في وقع العقاب[295] منتصف شهر

---

(293) أبا علي بن وزكيك . سبق شرحه وضبطه .

(294) راجع **التكملة** : 1 : 202 **ودعامة اليقين** (ذكر فيها مرات) والمعزى **وجذوة الاقتباس** . ص 168 (نقل عن **الذيل** لابن سعادة) **والإعلام** : 3 : 71 **ومجلة المناهل** : 22 : 710.

(295) جرت في الأندلس سنة 609هـ في مكان بين جيان وقلعة رباح وانهزم فيها جيش محمد الناصر الموحدي . وكانت شؤما على دولته .

صفر عام تسعة وستمائة . صحب أبا يعزى وأبا مدين وابن غالب ورحل إلى المشرق ، فلقي العلماء والفضلاء .

سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول : قال لي أبو الصبر : رأيت أبا محمد عبد الله البكري المجاور بالحرم الشريف ينظر إلى السماء ويقول : ألا تنظرون أبواب السماء مفتوحة ؟ ما لكم لا تنظرونها ؟

قال أبو الصبر : وأخبرني أبو محمد قال : غُلبت في ابتداء أمري ، فإن تكلمت هلكت وإن سكت هلكت . فذهبت إلى بلاد العجم فأتكلم بتلك الأشياء . فلا يفهمونها لعجمتهم . فلما سكن ذلك عني عدت إلى الناس[296] .

سمعت أبا علي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول : جاء أبو الصبر بصحفة كبيرة من عود من [عمل][297] الروم من مدينة سبتة إلى جبل إيروجان وهي على رأسه . فأعطاها أبا يعزى . فكان أبو يعزَى يقري فيها الضيفان الواصلين إليه . وحدثني أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف قال : حدثني ابن راضية قال : كانت لأبي الصبر [أمة][298] من الصالحات ، فإذا غاب عنها وجاءها أخبرته بكل ما جرَى له في مغيبه .

241 – ومنهم أبو محمد [عبد الجليل][299] ابن موسَى

تلميذ أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي من أهل قصر كتامة . قيل إنه مات بمدينة سبتة عام [ثلاثة عشر وستمائة][300] . كان عبدا صالحا كثير الاجتهاد في العمل ، دائم العبرة . وكان بقصر كتامة مأوًى للمريدين . فنالته محنة أخرجته من بلده . فاستقر أخيرا بمدينة سبتة .

---

(296) يقصد غلبة حال المشاهدة عليه فلا يسري عنه إلا إذا عبر عنه بما قد يوخذ به من قومه فغادرهم وحل بمن لا يفهمون لغته حتَّى فرج عنه .

(297) سقط من ف .

(298) في ف : أم

(299) ز : عبد الحليم . والصحيح عبد الجليل . راجع **التكملة** ص 603 ودعامة **اليقين** ص 108 ومفاخر **البربر** ، ص 63 ، ونيل **الابتهاج** ، ص 184

(300) ف : عام ثلاثة وستمائة . وفي **التكملة** أن وفاته سنة 608هـ .

يَا صَاحِبَيَّ سَلاَ ٱلْأَوْطَانَ وَٱلدِّمَنَا
مَتَى يَعُودُ إِلَى عُسْفَانَ مَنْ ظَعَنَا[301]
إِنَّ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي كُنَّا نُسَرُّ بِهَا
أَبْدَى تَذَكُّرُهَا فِي مُهْجَتِي حَزَنَا
أَسْتَوْدِعُ ٱللَّهَ قَوْماً مَا ذَكَرْتُهُمُ
إِلاَّ تَحَدَّرَ مِنْ عَيْنَيَّ مَا خُزِنَا
كَانَ ٱلزَّمَانُ بِنَا غِرّاً فَمَا بَرِحَتْ
أَيْدِي ٱلْحَوَادِثِ حَتَّى فَطَّنَتْهُ بِنَا

242 – ومنهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن [موسَى][302] المعروف بابن [حمودة][303]

من أهل سجلماسة وبها مات في حدود اثني عشر وستمائة ؛ من أهل البيت . وسلفه أهل خير وصلاح وعلم . وجده محمد بن موسَى ممن أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني وكان عبد الله بن عبد الرحمن عبدا صالحا ، من أهل الاجتهاد في العمل .

سمعت أحمد بن يوسف يقول : بعث بعض العمال إلى ابن [حمّودة][304] وكان [بأرضه][305] بساقية [القطف][306] خارج سجلماسة ؛ فوجده رجال العامل في مسجده يصلي . فهموا به ؛ ثم قال بعضهم لبعض : ننتظره إلى أن يسلم من صلاته . فأطال الصلاة وهم في قلق كثير ينظرون إليه المرة بعد المرة وهو في

---

(301) من البسيط . نسبه في تاريخ بغداد : 10 : 367 لابن معروف .
(302) س : يوسف
(303) س : حمزة
(304) ح : حمود
(305) س : في أرض له .
(306) م وس : العطف

صلاته . فلما طال انتظاره عليهم ، قاموا اليه ليخرجوه من المسجد . فدخلوا عليه فلم يجدوه . فبحثوا عنه . فقيل لهم : انه قد خرج عليكم من المسجد وأنتم قعود عند الباب . فقالوا : ما رأينا أحدا مر بنا . فانصرفوا ولم يجدوه .

وحدثني أبو عبد الله بن أبي القاسم قال : حدثني يحيى بن أبي محمد بن المعتصم قال : نقب السارق جدار دار ابن حمودة وحمل سليخة تمر . فمشى بها إلى أن عثر . فاندقت عنقه . فوجدوه غدوة وهو ميت والسليخه عنده . قال ابن المعتصم . وسرق له السارق نعجة ، فذبحها وحمل جلدها ليبيعها . فطاف به على الديار إلى أن دخل به دار ابن حمودة وهو لا يشعر . فعرفها واستحيا وقال لابن حمودة : استرني واغفر لي . فخلى سبيله وانصرف .

إِذَا أَرَادَ ٱللَّـهُ أَمْراً بِامْرِئٍ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ[307]
وَحِيلَةٍ يَعْمَلُهَا فِي دَفْعِ مَا يَأْتِي بِهِ مَكْرُوهُ أَسْبَابِ ٱلْقَدَرْ
غَطَّى عَلَيْهِ سَمْعَهُ وَعَقْلَهُ وَسَلَّهُ مِنْ ذِهْنِهِ سَلَّ ٱلشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ عَلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ

243 — ومنهم أبو علي وتبير ابن يرزيكن الرجراجي[308]

تلميذ أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه . تفقه عليه ثم تنسك فانفرد في مغارة إلى أن مات عام اثني عشر وستمائة .

سمعت عبد الواحد بن سالم الصودي قال : كانت بيني وبين أبي علي وتبير صحبة قبل انقطاعه . فأتيته أزوره في المغارة . فجلست مع جماعة على فم المغارة ننتظره إلى أن فرغ من صلاته . فخرج إلينا ودعا لنا وليس عليه ما يواريه إلا خرقة تواري عورته وخرقة على كتفيه . فقال لنا : يا إخوتاه ، اصبروا ، فإنها أيام قلائل وحافظوا على الصلوات الخمس وما خف من النوافل .

---

(307) من الرجز . راجع **يتيمة الدهر** : 4 : 418

(308) أتبير معناه طائر الحمام . بن يرزيكن : بن سعود

إذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ[309]
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ

سمعت علي بن عبد الجبار يقول : عهدت أبا علي ناعم البدن جميل الصورة . فانقطع في مغارة على ساحل البحر من بلد رجراجة . فأتيته وهو محلوق الرأس ناحل البدن قد لصق جلده بعظمه . فلم أعرف منه إلا كلامه . قال : وكان قد زهد في كل ما كان عنده . فكان يعمد إلى أوراق الشجر فيجففها ويطحنها ثم يقتاتها وكان لا يجلس إلا مستقبل القبلة . فإذا جن عليه الليل خرج من المغارة إلى البحر فيصلي إلى طلوع الفجر . قال علي بن عبد الجبار : زرناه يوما فقال لنا : تحفظوا من حيوان كالأسد رأيته بالليل وكنت أصلي فأقبلت على صلاتي وتركته ؛ فجثم قريبا مني إلى آخر الليل فولى عني [فاحذروه][310] ! فطلبناه في جمع كثير فإذا هو نمر فما قدرنا على قتله حتى قتل منا جماعة .

244 – ومنهم أبو علي منصور ابن [صفية][311] الصنهاجي

من قرية [وُرْتُوَصْفْ][312] من بلد أزمور تلميذ عبد الحق بن [يلتونا][313] . كان أبو علي مسرفا على نفسه يغني في الأعراس ويلعب فيها . ثم نزعت به إلى الله همة عالية فلحق بالصالحين وتوجه من بلده إلى مكة كرمها الله على قدميه ثلاث مرات .

(309) من الطويل . نسب البيتين في **المدهش** (ص 180) للسموأل . وينسبان لذكين بن رجاء .

(310) س : فازجروه

(311) م : عبد الله .

(312) س : وُرْتُوصُوفْ : غير موصوفة بمعنى : فوق الوصف . وعند صنهاجة أسماء مركبة بهذه الصيغة وكذلك رسمها كما ورد في **البيان المغرب** : 3 : 449 (ط . تطوان) ويفهم من السياق أنها قريبة من أزمور وعلى مقربة من واد أم ربيع .

(313) كذا في ف . وفي م : يِلْتُونَارْ ؛ وهو الصواب ؛ ومعناه : ذو السعود .

وأخبرني بعض الثقة قال : أخبرني واجاج بن أبي علي منصور قال : أتيت مع أبي إلى وادي أزمور . فأتيت القارب لأدخل فيه وأجوز إلى العدوة الأخرى ، فلم أدر متى عبر أبي الوادي ورأيته يمشي في العدوة الأخرى دون أن يركب في القارب .

245 – ومنهم أبو حفص عمر ابن [كَرّام][314] الصنهاجي

من قرية [تيصرْصام][315] من بلد أزمور وبها مات في رمضان عام [خمسة عشر وستمائة][316] . من أقران أبي علي منصور وكان من أهل الجد والاجتهاد في العمل :

سمعت عبد الرحمن بن علي يقول : قال ويعزان : لما احتضر أبو حفص أغمي عليه ، فقال بعضنا لبعض ، نذكره بالله تعالى . ففتح عينيه وقال لنا «إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[317] . فمكث ساعة ومات رحمه الله .

246 – ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ابن أبي عبد الله المعروف بأصاصايْ[318]

من أقران إبراهيم بن هلال ، مات بدكالة في حدود خمسة عشر وستمائة وكان

---

(314) ح : واكْرام . س أكْرام ، وهو الصواب . وأكْرّام كما سبق شرحه هو الفقير في طريق القوم أو الرجل المعتقد فيه صلاح وبركة . والكلمة ومدلولها على ما يبدو تعود إلى ما قبل الإسلام . ويقال لأول حلاقة شعر الصبي على هيئة مخصوصة : أسكُورَّم ، وتتم على يد أكرام من بيت صلاح تستند إليه الفرقة أو الأسرة .

(315) تيصْرْصامْ ، بإشمام الصادين زايا .

(316) في ف : «خمسة وستمائة» والتصحيح من م وس .

(317) سورة محمد : 7 .

(318) هذه الترجمة وما بقي من التراجم غير واردة في مخطوط الخزانة الزيدانية (ز) . وأَصَاصَاي . بإشمام الصادين زايا معناه الثقيل ، أو الأطرش أو المتأخر في نموه العقلي .

عبدا صالحا مجاب الدعوة ؛ دعا على عيسَى بن داود الفقيه[319] ، وقد أنكر عليه كرامات الأولياء ، أن يختل عقله الذي يؤديه إلى انكار الكرامات ، فحمق عيسَى بن داود . وشكا الناس اليه جور العامل . فجمع خلقا كثيرا على الساحل وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ألف مرة وحمد الله ألف مرة وتشهد ألف مرة وصلى على سيدنا محمد ﷺ ألف مرة ، ثم دعا على العامل ألف دعوة . فلما فرغ قال لهم : ابعثوا من يأتيكم بخبر هذا العامل ، فإني لا أشك أن الله قد أجاب فيه الدعاء . فذهبت جماعة يتعرفون خبره ؛ فوجدوه قد نكب في ذلك اليوم .

247 – ومنهم أبو يِنُّور ووران[320] ابن يَكْطِيف الدغوغي

من كبار المشايخ ، مات بدكالة عام ثلاثة عشر وستمائة وقد عاش نحوا من مائة وعشرين سنة كان عبدا صالحا .

سمعت بركة بن [وزجيج][321] يقول : سمعت إسماعيل بن [ووران][322] يقول : ذهبت إلى أبي في الغلس ، فسلمت عليه فرأيت على برنوسه أثر الندى ورمل البحر . فقلت له : يا أبت ، أين غبت اليوم ، فإنك لم تصل معنا في المسجد اليوم صلاة الصبح ؟ فقال لي : دع السؤال عما لا يعنيك . ثم طال جلوسي معه نتحدث إلى أن قال لي : يا بني ، إن لله عبادا يمرون بين النجوم كما يمر الإنسان بين الجبال إذا بركت في الرحاب وإن لله عبادا طيارين في الهواء إلى أن يدخلوا لجج البحر فيصلون فيها ثم يرجعون . ففهمت أنه يعني نفسه وهبتُ أن أستفسره .

---

(319) ذكره في **بهجة الناظرين** ، ص 96 ، ووصفه بالفقيه الصالح .
(320) س : ورارْ ، وفي بعض نسخ ف : وزران .
(321) س : ورجيج . والصواب : وازكيگ أو واذكيگ .
(322) م : ووراز ، س : ورار .

248 – ومنهم أبو علي مالك
ابن [تماجورت][323] الهزميري[324]

من بلد نفيس ، مات بمراكش عام اثني عشر وستمائة وحمل إلى بلده ودفن فيه . شيخه عبد الخالق بن ياسين وكان عبدا صالحا من كبار المشايخ وكان الشيخ أبو يعزى يقدمه للصلاة به . مات أبو علي وقد زاد على المائة ؛ زرته ببلده ؛ فلما دخلت عليه رفع صوته وقال : الناس سكارَى من حب الدنيا . فلا يصحون من سكرتها إلا في يوم القيامة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت أبا علي يقول : توجهت من المغرب إلى مكة وكنت أواصل يومين وليلتين ؛ فضللت بصحراء عيذاب[325] عن الركب . فأقمت طاويا يومين وليلتين وأنا مع ذلك أسير سيرا ضعيفا من الجوع . فاشتد ضعفي في اليوم الثالث فأقمت كذلك يومين وليلتين . فسقطت قواي وبقيت في الصحراء طريحا لا أبصر شيئا من شدة الجوع ويئست من الحياة . فجالت يدي فوقعت على طعام دفيء ، فعالجت يدي إلى أن قربتها من في فلعقت أصابعي وفعلت ذلك مرة ثانية وثالثة فتقويت وفتحت عيني فأبصرت ثم قعدت لأنظر الصحفة التي تناولت منها الطعام ، فلم أر شيئا . فقمت ومشيت فإذا بي قد سبقت الركب . فلما أدركوني سرت معهم .

وحدثني أن أبا علي قال : حججت أربعين حجة وما فيها حجة يعرفها الناس إلا الحجة التي مشيت فيها على قدمي .

---

(323) راجع الهامش : 267 أعلاه .

(324) راجع **الإعلام** (467) **والمعزى** ، ص 9 . وجاء في طرّة غ : «قبره معروف بحوز مراكش بقرب واد نفيس» .

(325) من مرساها المسمى عيذاب كان الحجاج المغاربة يجوزون البحر الملح إلى جدة وكانوا يلقون من أهلها الأمرين . قال الحميري في **الروض المعطار** ص 424 : «قالوا : والأولى لمن يمكنه ألا يراها ، وأن يكون طريقه على الشام إلى العراق» .

249 – ومنهم رجلان مجهولان

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت أبا علي مالك بن تماجورت يقول : نهضت من بلد نفيس إلى [تيمغْرِيوين][326] من بلد هسكورة لزيارة اخواني في الله تعالى . فلقيت رجلين قد خرجا من مراكش وعليهما خلقان من الثياب وهما يتحدثان ويذكران أنهما شربا المسكر بكل ما اجتمع عندهما من الأجرة . وما لهما حديث غير ذلك . فوعظتهما وقلت لهما : يا هذان ما لكما حديث غير هذا ؟ وأنشأت أعظهما إلى أن أثرت الموعظة في قلوبهما . فبكيا ودعوت لهما . فافترقنا وذهبت إلى بلد هسكورة وذهبا إلى قرية ايجيسْل[327] لينظرا في الخدمة عند من يستأجرهما وعزما على الإقلاع عن شرب المسكر . ففتح لهما في دراهم . فقالا : والله لنقبلن على خدمة الخالق ولنتركن خدمة المخلوق ! وأقبلا على عبادة الله تعالى حتّى لحقا بالأفراد . قال أبو علي : فاتيتهما إلى أن صارا يمشيان على الماء وكانا يكتبان الي في أكثر الأوقات .

250 – ومنهم أبو الحسن علي بن [يِسْمور][328] الدكالي المعروف بالعربي[329]

من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام اثني عشر وستمائة ودفن خارج باب الدباغين . وكان عبدا صالحا وكان سبب وفاته أنه بات في سماع فأصابه وجد شديد مرض منه فمات رحمه الله .

---

(326) تيمْغْرِيوينْ ، معناها : الأعراس . والقرية المعروفة في جبال هسكورة هي : تيمْغارينْ ، بأيت أومديس من فطواكة .

(327) إيگيسل : مركبة من ايك . ومعناه : فوق ، ومن إسِيلْ ، وهو المجرى المائي . ويطلق على موقع مطل على مجرى أو على ساقية مرفوعة فوق حنايا أو غيرها . وهو اسم مكان وارد في عدة مواطن . والمكان المقصود هنا صعب التعيين . وهناك إيگيسْلْ الذي اشتهر في ذلك العصر بتامسنا (الشاوية اليوم) وقد تعرف اسمه قصار كيسّرْ ، وبينه وبين سطات 28 كلم في طريق البروج . وبه أطلال كثيرة لتلك العمارة القديمة .

(328) م وس : يِسُّمُورْ ، وهو الصواب . ومعناه : السائح ، على ما جاء في قاموس لغة التوارك .

(329) راجع الإعلام : 9 : 66

سمعت أبا الحسن العربي يقول : رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ورجلان متقابلان يناديان : أين حملة القرآن؟ فيمرون بينهما . فأردت أن أمر بينهما . فمنعاني . فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ان لي كذا وكذا صاحبا من حملة القرآن ، فكيف لا أعد فيهم ! فتبسما وتركاني . فررت بينهما .

وحدثني أبو الحسن علي العربي قال : لما رجعت من المشرق إلى بلاد المغرب دخلت الصحراء من الاسكندرية ، فعضني كلب بالصحراء فلم أتألم بذلك إلى أن دخلت طرابلس المغرب . فانتفخت رجلي ومرضت بها مدة إلى أن استرحت . وبت معه ليلة في جماعة من الإخوان في الله تعالى فذكرت قوله تعالى : «وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»[330] . وذكرت الحديث الذي خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : ان نملة قرصت نبيا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت . فأوحَى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ! فقال لي أبو الحسن العربي : اعتكفت في رابطة مدة وواصلت أياما . فخرجت أنظر إلى السماء فسمعت كل شيء يسبح حتَّى الحجارة والقرمد والآجر والتبن الذي في الحيطان . فقلت له : وأنت تحقق تسبيحها؟ فقال لي : نعم . ومازال كذلك إلى أن دخلت في البيت وهو على حالته .

سُبْحَانَ مَنْ بَهَرَ ٱلْعُقُولَ جَمَالُهُ ... وَبَدَتْ بِهِ أَسْرَارُ كُلِّ كَمَالِ[331]
فَـالْوَاصِلُونَ رَأَوْا بِهِ أَفْعَالَهُ ... وَٱلسَّالِكُونَ رَأَوْهُ بِالْأَفْعَالِ

251 – ومنهم أبو محمد عبد الله ابن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني[332]

وكانت أمه زرهونية ، فغلب عليه النسب إليها . مات بمراكش عام اثني عشر وستمائة وكان من العلماء بطريق التصوف حافظا لأخبار الصالحين. أدرك ابن حرزهم وأبا شعيب وأبا يعزى وغيرهم من صالحي المغرب. سمعت أبا عبد الله محمد

(330) سورة الإسراء : 44
(331) من الكامل
(332) راجع الإعلام : 8 : 211 .

بن خالص يقول : سمعت أبا محمد الزرهوني يقول : أقمت برباط شاكر أياما فأصابني الجوع بالليل وأنا في المسجد . فأحسست شخصا مد إلي خبزة درمك ليست مما يعمل بذلك المكان ولا عرفت من مدها إلي .

وسمعت ابن خالص يقول : مر علي وقت أتذكر فيه الموت عند النوم وغلب ذلك علي فلقيت الزرهوني . فذكرت له ما أنا عليه من البطالة فقال : يكفي الإنسان ذكر الموت عند النوم .

252 — ومنهم أبو محمد عبد الله ابن محمد القنّاع [333] .

من أهل مراكش وبه مات في أعوام عشرة وستمائة . سمعت أبا عبد الله محمد بن خالص الأنصاري يقول : لقيت أبا محمد القناع ، فقال لي : أنت الآن على غير وضوء ، فقلت له : نعم . فقال لي : وأنت غير صائم . فقلت له : نعم . فعتبني على ذلك . ثم أمرني أن أصحبه إلى منزله . فذهبت معه اليه . فصعد على السطح وصعدته خلفه . ثم مر ليأتيني بالطعام . فقلت في نفسي : لعل الشيخ كوشف بأني على غير وضوء وأني غير صائم فإذا أنّي قصصت عليه الرؤيا التي رأيتها البارحة فقال لي أي شيء كانت الرؤيا ، فتحققت أنه كوشف بذلك كله .

253 — ومنهم أبو عمران موسَى بن يامصل [الزمراني] [334] النعال الأسود [335]

من أهل أغمات وريكة وبها مات عام عشرة وستمائة . من أهل الاجتهاد والورع والصيام والقيام .

---

(333) راجع الإعلام : 8 : 212 والسعادة الأبدية : 2 : 112

(334) يامْصِلْ ، ومعناه : الحسن أو الجميل . وفي ح وس : الزمراتي ، وهو الصواب ، نسبة إلى إِزْمْراتْنْ .

(335) راجع الإعلام : 7 : 294 .

سمعت أبا بكر بن إبراهيم الهزرجي يقول : مات أبو عمران النعال فكنت أتمنّى أن أراه في النوم . فأقمت بعد وفاته خمسة أعوام أو ستة ، فرأيت بعد ذلك رجلا من أهلي في حالة سيئة . فقلت له : كيف حالك ؟ فقال لي : حال سوء . فإذا شخصان موكلان بعذابه قد ذهبا به . فرأيت جماعة من الملائكة فقلت لهم : كان لي في الدنيا صاحب يعرف بموسَى النعال . فأشاروا إلى قصور عالية في الهواء وقالوا لي : هو في تلك القصور . فجعلت أنظر إلى تلك القصور حتَّى انتبهت من نومي . فتأسفت على أن لم أره . فأقمت سنة ، فرأيته في النوم على حالة حسنة وعليه ثياب نفيسة . فسألته عن حاله . فقال لي : أنا على أحسن حال . فقلت له : وكيف أحوالنا عندكم ؟ قال : الله أعلم ، فإن ذلك لا يدرى إلا بعد الموت . فلقد كنت عرفت في الدنيا أقواما على أحوال أهل الدين والصلاح وقد ماتوا فلم أرهم ولا وصلوا إلينا .

254 — ومنهم أبو يعقوب يوسف ابن محمد بن أمغار الصنهاجي

من أهل رباط [تيطنفطر][336] من بلد أزمور وبه مات في الثاني من شوال عام أربعة عشر وستمائة وأبوه أبو عبد الله محمد وجده أبو جعفر أمغار من كبار الصالحين ومن بيت الخير والصلاح . وكان أبو يعقوب كبير الشأن جليل القدر ولما مات جاء الناس من الجهات لحضور جنازته وأخذوا من الأرض مد البصر ويقال إنهم كانوا نحوا من خمسة عشر ألفا .

سمعت عبد الرحمن بن يوسف بن أبي حفص يقول : سمعت أبا عبد الخالق بن أبي عبد الله محمد بن أمغار يقول : رأيت أخي يوسف في نومي بعد موته فقلت له : ما فعل بك ؟ قال : غفر لي وبشرني أنه قد غفر لكل من حضر جنازتي .

وحدثني الحسن بن [وزجيج][337] الصنهاجي قال : أتيت أبا يعقوب فوجدت تيفاوت بن عثمان قد قام من عنده وهو متغير الوجه. فقلت له : ما لك ؟ فقال

(336) رسمها : تيطْ نْ فْطَرْ .
(337) وَازْگِيگْ أو وادْگِيگْ .

لي : قال لي أبو يعقوب : لم أضفت قوما يحملون في أوعيتهم الخمر وهو الآن في بيتك ! فقم معي حتى ترى حقيقة ذلك . فذهبنا في جماعة حتى دخلنا داره . فوجدنا البيت الذي نزل فيه أضيافه مغلقا ، ففتحناه وفتشنا رحال أضيافه فوجدنا فيها وعائين من المسكر فحققنا فراسته لذلك .

255 – ومنهم أبو علي واديف ابن تونارت الصنهاجي[338]

أصله من بلد أزمور ومات بمدينة الرسول ﷺ في اليوم الخامس من شوال عام أربعة عشر وستمائة . من أصحاب أبي يعقوب بن أبي عبد الله بن أمغار وكان عبدا صالحا .

حدثني أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد العزيز الأيلاني قال : حدثني عمر الصنهاجي[339] قال : كنت مع أبي علي واديف بمدينة الرسول ﷺ ، فقال لي : إن جنازة أبي يعقوب بن أبي عبد الله بن أمغار قد أخرجت للصلاة عليها وقد شاهدتها الآن . ثم جاء إلى قبر النبي ﷺ ، فودعه ، ثم رجع إليه فودعه ورجع إليه إلى أن ودعه ست مرات . ثم مكث بعد ذلك ثلاثة أيام ومات رحمه الله ، ثم وصلت المغرب ، فوجدت أبا يعقوب توفي اليوم الذي أخبرني به أبو علي رحمه الله .

لَوْ كُنْتَ سَاعَةَ بَيْنِنَا مَا بَيْنَنَا ... وَحَضَرْتَ حِينَ نُكَرِّرُ ٱلتَّوْدِيعا[340]
لَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ ٱلدُّمُوعِ مُحَدِّثًا ... وَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ ٱلْحَدِيثِ دُمُوعَا

---

(338) وادِيفْ بن تُونَارْتْ

(339) لعله عمر بن عبد الحق الصنهاجي المراكشي المترجم في **الذيل والتكملة** (سفر الغرباء ، ص 61) **والإعلام** : 9 : 282 .

(340) من الكامل .

256 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى ابن علي الزواوي*

من أهل أمْسِيون[341] خارج مدينة بجاية وبه مات بعد صلاة العصر من يوم الجمعة منتصف رمضان عام أحد عشر وستمائة. رحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء. ثم عاد إلى المغرب وكان عبدا صالحا زاهدا ورعا شديد الخوف من الله تعالى. وكان إذا أهل هلال رجب انقطع في جبل [رجراجة][342] إلى أن ينصرم شهر رمضان. ولما كان اليوم الذي مات فيه وعظ الناس وصاح وضرب في صدره وقال: يا أيها الناس إني راحل عنكم. فظنوا أنه يسافر عنهم، فقالوا له: ولم ترحل عنا يا أبا زكرياء؟ فقال: لأنكم تشاهدون المناكر فلا تغيرونها. ثم أخذ يعظهم ويصيح إلى أن بح صوته وانقطع. ثم صلّى صلاة الجمعة وجلس يقرأ عليه [كتاب][343] الرقائق ثم قام ودخل في موضع خلوته، ثم دخلوا عليه فوجدوه ميتا.

وحدثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري قال: سمعت أبا مدين يقول لأبي زكرياء: لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله. فقال له أبو زكرياء: لا أقدر إلا على هذا.

لَا تَلْحِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ سُمَرَائِهِ ... عَذْلُ ٱلْمُحِبِّ يَزِيدُ فِي إِغْرَائِهِ
وَدَعِ ٱلْهَوَى يَقْضِي عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ ... مَا شَاءَ فَهْوَ مُسَلِّمٌ لِقَضَائِهِ
فَشَقَاؤُهُ فِيمَا تَرَاهُ نَعِيمُهُ ... وَنَعِيمُهُ فِي ذَاكَ غَيْرُ شَقَائِهِ
كُحِّلَتْ مَآقِيهِ بِطُولِ سُهَادِهِ ... وَحَنَتْ أَضَالِعُهُ. عَلَى بُرَحَائِهِ

(*) في بعض نسخ ف: يحيَى بن أبي علي. وله ترجمة في **عنوان الدراية** (27): 127، وهو فيها: يحيَى بن أبي علي. وقال: ولد في بني عيسَى من قبائل زواوة وقرأ بقلعة بني حماد.

(341) في **نزهة المشتاق**، أنه جبل من جهة شمال بجاية، سامي العلو صعب المرتقى ص 62 (ط الجزائر). وورد في **الروض المعطار** هكذا: أمسيول، والصواب أمْسِيُّونْ أو أمْسِيوانْ، ومعناه: العقبة الكأداء.

(342) س: رجوجة

(343) م: كتب.

دَنِفٌ بِبَابِلَ جِسْمُهُ وَفُؤَادُهُ ... بِٱلْخَيْفِ وَاعَجَبًا لِطُولِ بَقَائِهِ

سمعت محمد بن إبراهيم الأنصاري يقول : حضرت مجلس أبي زكرياء يوما . فأخذ في ذكر النار وأهوال يوم القيامة . فقال له بعض الحاضرين : شوقنا إلى الجنة وما أعد الله فيها لأهلها . فصاح أبو زكرياء : أما تسمعون قول هذا الانسان ؟ متَى خرجنا من النار حتَّى [نذكر][344] الجنة وما فيها ! [أتنكشف][345] على حرم المسلمين؟ وما زال يعيد هذا الكلام ويصيح إلى أن غشي عليه .

حدثني أبو علي عمر بن يحيَى الزناتي عن مخبر أخبره قال : كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدة . فر أبو زكرياء إلى العامل فاكترَى منه فندقا كبيرا بنحو ثلاثمائة دينار . ثم مر إلى أعيان بجاية . فكلمهم واحدا بعد واحد في معونة المساكين فيدفع له كل واحد منهم ما يطيقه . فلما اجتمع عنده مال كثير دفع إلى العامل كراء الفندق بعد أن رغب اليه العامل أن يحتسب عليه بكراء الفندق فأبَى عليه . ثم مشَى بطرقات بجاية فكلما مر بمسكين دفع له ما يقيه وقال له : اذهب إلى الفندق الفلاني . فلما اجتمع المساكين بالفندق اشترَى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترَى لهم ما يقوم بهم من الطعام وجعل عليهم قيما يقوم بهم وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس في العام الثاني فانصرفوا إلى مواضعهم .

257 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن مُوَفَّق[346]

أصله من بجاية . قدم مراكش وبها مات ودفن خارج باب يِنتان[347] .

سمعت موسَى بن يوسف الخراز[348] يقول : حدثني أبو عبد الله محمد بن موفق في ابتداء أمره فذكر أنه كانت لديه دنيا عريضة وكان من أهل الرفاهية والنعيم .

---

(344) س : ندخل

(345) م : أما تنكشف ، ح : أتنكشف .

(346) راجع الأعلام : 4 : 166 والسعادة الأبدية : 1 : 133

(347) س : إيتان

(348) س : الحرَّار .

فنام ليلة ، فقيل له في نومه : اذهب إلى جبل أَمْسيون[349] تر الشيوخ . فلما أصبح تجرد من أثوابه ولبس أثوابا دونها وذهب عشيا إلى الجبل وقعد بموضع منه . فرأى جموعا من الناس يمرون عليه ويصعدون إلى أعلى الجبل . فذهب إليهم وحضر سماعهم فاستحسن أحوالهم . فزهد في حالته من الدنيا وتجرد منها .

خَرَجْتُ مِنَ ٱلْمَنَازِلِ وَٱلْقِبَابِ ... فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَى أَحَدٍ طِلَابِي[350]
فَمَنْزِلَتِي ٱلْفَضَاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي ... سَمَاءُ ٱللَّهِ أَوْ قِطَعُ ٱلسَّحَابِ
فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِي ... عَلَيَّ مُسَلِّماً مِنْ غَيْرِ بَابِ
لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِصْرَاعَ بَابٍ ... يَكُونُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلتُّرَابِ
وَلَا خِفْتُ ٱلْإِبَاقَ عَلَى عَبِيدِي ... وَلَا خِفْتُ ٱلْجِيرَانَ عَلَى دَوَابِي
وَلَا حَاسَبْتُ يَوْماً قَهْرَمَانِي ... مُحَاسَبَةً فَأَغْلَطَ فِي ٱلْحِسَابِ
وَلَا ٱنْشَقَّ ٱلثَّرَى عَنْ عُودِ تَحْتِ ... أُؤَمِّلُ أَنْ أَشُدَّ بِهِ ثِيَابِي
وَفِي ذَا رَاحَةٌ وَفَرَاغُ بَالٍ ... فَدَأْبُ ٱلدَّهْرِ ذَا أَبَداً وَدَابِي

حدثني موسى بن يوسف قال : حدثني محمد بن موفق قال : دخلت مالقة فحضرت مجلس عمر الواعظ . فأخذ في وصف الجنة وما أعد الله فيها لأهلها . فصحت وأصابني حال . فقال : صح أو لا تصح فوالله . لا رأيتها ولا دخلتها ! فأدركني انكسار وقعدت إلى الأرض أتفكر في معنى كلامه فإذا به قد كوشف بسري . وأن النفس إنما حنت إلى ما كانت فيه من نعيم الدنيا وانها لم تحن إلى الجنة . قال موسى بن يوسف : وكذلك مات ابن موفق ولم يكن عنده من الدنيا شيء بعد أن كان فيها ممكنا .

مَا تَرَانِي أَرَى مِنَ ٱلدَّهْرِ يَوْماً ... لِيَ فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رِجْلِي[351]
وَإِذَا كُنْتُ فِي فَرِيقٍ وَنَادَوْا ... أَسْرِجُوا لِلرَّحِيلِ أَسْرَجْتُ نَعْلِي
حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أُخَلِّفُ رَحْلاً ... مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي وَرَحْلِي

---

(349) ح : أَمْسِيَانْ . راجع الهامش 341 أعلاه .
(350) من الوافر .
(351) من الخفيف .

258 – ومنهم أبو ويعزان يِرْيدن ابن ويبدن[352] الأيلاني القدار الأسود

تلميذ عبد الخالق بن ياسين من أهل وقراط[353] من بلد بني سمائل من دكالة وبه مات عام عشرة وستمائة. قدم مراكش وكان عبدا صالحا وكان يستجيب بوقراط فيقال له: من ناداك؟ فيقول: ناداني الشيخ أبو محمد عبد الخالق بن ياسين بسبت بني دغوغ. فيذهب بعد العصر. فيصلي معه المغرب ثم يرجع إلى وقراط. فيصلي العشاء عند أهله وبينهما ستون ميلا[354].

وكان أبو ويعزان يصنع القدور بيده فيطبخها ويبيعها فيقتات بأثمانها وكان يشتري زبيبا فيدقه ويصنع منه كورا. فإذا كان وقت إفطاره أخذ كورة فرسها في الماء وشرب ماءها فيكتفي بذلك.

سمعت موسَى بن عيسَى الأيلاني يقول: سمعت أبا ويعزان يقول: خرجت في يوم جمعة قبل الزوال لإسباغ الوضوء من النهر، فمررت برجلين عليهما ثياب بيض وهما يحفران قبرا. فسألتهما عن صاحب ذلك القبر. فقالا: هو لرجل لا نعرفه. فتوضأت ورجعت وهما يحفران. فقالا لي: عسَى أن تقيس لنا هذا القبر بقامتك. فنزلت فيه. فوجدته على قدر قامتي. فقلت لهما: من صاحب هذا القبر؟ فقالا لي: هو قبر رجل اسمه يريدن القدار. فقلت لهما: أنا هو! فاعتنقاني. ثم مشيت معهما قليلا. فغابا عني. فنظرت يمينا وشمالا فلم أرهما. فقلت لعلهما نزلا في القبر. فأطلعت عليه. فلم أرهما. قال موسَى بن عيسَى: فجاء أبو ويعزان بأعواد. فغطى بها القبر وجعل على الأعواد ترابا وأقام أربعة عشر يوما فمات. ثم دفن في ذلك القبر.

---

(352) يِرْيدْن: السبل لعل المعني هو: السائح. يبدَّن: القائم. راجع الإعلام: 10 ص 196.

(353) وقَّراط.

(354) يستنتج منه أن وقراط كانت على ساحل البحر أو قريبا منه لأن هذه هي المسافة بينه وبين مقر الشيخ عبد الخالق بن ياسين على وجه التقريب.

259 – ومنهم أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن المعروف بالحرمل[355]

من أهل طنجة ومات بمصر عام اثني عشر وستمائة . قدم مراكش وكان لا يخرج من بيته إلا في يوم الجمعة . وجال في بلاد الأعاجم وقد نفع الله به خلقا كثيرا وكان مقامه في التوكل لا يلحق . فكان يدخل الصحراء بأهله وأولاده على التجرد وسئل عن دخوله مراكش . فقال : دخلتها لأصحح توكلي .

سمعت محمد بن أبي القاسم يقول : نزل أبو العباس الحرمل مراكش ، فسمعت أنه يتكلم على الخاطر . فدخلت عنده وجلست بين يديه . فقلت في نفسي : هلا قال لي : قم إلى دكانك ؟ فقال لي على اثر هذا الخاطر : قم إلى دكانك ! فسلمت عليه وخرجت .

لِي بِالْمَغَارِبِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانٌ
بَانَ الْعَزَاءُ وَقَلْبِي يَوْمَ هُمْ بَانُوا[356]
أَنَا الَّذِي نَاءَ جِسْمِي عَنْ دِيَارِهِمُ
لَاكِنَّهُمْ فِي فُؤَادِي حَيْثُ مَا كَانُوا
شَأْنِي مِنَ الدَّهْرِ تَذْكَارِي لِمَجْدِهِمُ
وَكُلُّ صَبٍّ لَهُ مِنْ دَهْرِهِ شَانْ

260 – ومنهم أبو محمد عبد الحق بن أبي طاهر المغيطي المعروف بأمسطوط[357]

ومعناه المجنون . كان يركب قصبة فيجري بها فسموه بالمجنون لذلك .

---

(355) راجع الإعلام : 2 : 126
(356) من البسيط
(357) س وم : بأمسوط . وفيه لغتان : أمنْطُوط وأمسوطّ . ومنه كلمة : مْنطِّي أي مختل العقل في اللسان الدارج .

نَعِمَ ٱلزَّاهِدُونَ وَٱلْعَابِدُونَا ... إِذْ لِمَوْلَاهُمُ أَجَاعُوا ٱلْبُطُونَا[358]
أَسْهَرُوا ٱلْأَعْيُنَ ٱلْعَلِيلَةَ فِيهِ ... فَٱنْقَضَى لَيْلُهُمْ وَهُمْ سَاهِرُونَا
شَغَلَتْهُمْ عِبَادَةُ ٱللَّهِ حَتَّى ... قِيلَ فِي ٱلنَّاسِ إِنَّ فِيهِمْ جُنُونَا

وكان عبد الحق بدكالة وكان أكثر دعائه : اللهم أمتني بأرض الغربة ما بين مكة والمدينة . فتوجه إلى بلاد المشرق فرئي ميتا وهو كالمتبسم .

سمعت عيسَى بن موسَى يقول : كنت مع عبد الحق بن أبي طاهر برباط أسفي في ليلة ممطرة في بيت والبيت شديد الظلمة . ثم خرج عني وغاب ساعة ، ثم دخل علي وقال لي : تعال ! فقلت له : ما الخبر؟ فقال لي : أتاني قوم من مؤمني الجن ، فأعلموني أن برابطة تامرنوت[359] الساعة رجلين من الأولياء . فأردت أن أذهب معهم إليهما . فقالوا : ارجع إلى صاحبك حتَّى تذهب معه . قال : فقمنا إلى تلك الرابطة فوجدنا فيها رجلين يصليان ، فأردت أن أركع . فأقعدني ومد يديه وشرع في الدعاء . فأوجزا في صلاتهما وسلما وقعدا يؤمنان على دعائه . فلما فرغنا من الدعاء ومسحنا بأيدينا على وجوهنا ، نظرنا فلم نرهما . ثم قال لي عبد الحق ، لو تركتك تركع لسلما وغابا عنا . فشرعت في الدعاء لأنهما لا ينصرفان عن الدعاء إذا سمعاه .

261 – ومنهم أبو علي الحسن [ابن][360] المصري النفطي

من أهل نفطة[361] من بلد افريقية ، من أهل المعرفة والإقبال على الله تعالى . كان كبير الشأن ، جليل القدر . سمعت أبا علي عمر بن عبد الله الصنهاجي يقول :

---

(358) من الخفيف .

(359) تامَرْنوت . قال في المنهاج الواضح . ص 177 (من المخطوط) : «وهو مسجد مبارك لم يزل الشيخ (أبو محمد صالح) قبل بناء الرباط يتحنث فيه دائما» . وهو قرب البحر بأسفي .

(360) زيادة في س وم . راجع **الرحلة العياشية** : 2 : 408 . وشجرة **النور الزكية** . ص 169 .

(361) من بلاد الجريد من إفريقية . **الروض المعطار** ص 578 .

نهضت مع جماعة إلى زيارة أبي علي النفطي . فنزلنا بالليل في بعض المواضع القريبة منه فنزل علينا المطر . فقلت : اللهم بحرمة هذا الرجل الذي توجهنا إلى زيارته الا رفعت عنا هذا المطر قال : فأقلع المطر عن المكان الذي كنا فيه وكان ينزل قريبا منا ونحن نسمعه إلى الصباح .

262 — ومنهم أبو زيد عبد الرحمن الزاهد

اصله من المغرب ورحل إلى المشرق واستقر أخيرا بالمسجد الأقصى وبه مات في شهر جمادى الأخرى عام ثلاثة عشر وستمائة[362] . سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الألماني[363] يقول : رأيت عبد الرحمن الزاهد بالمسجد الأقصى . فحدثني بأمره وقال : كنت بالمغرب من العمال . فوقعت التوبة في قلبي وأردت التوجه إلى بلاد المشرق فقلت : لابد من رد المظالم إلى أهلها . فاستأجرت رجلا مهذارا من الغرباء على جمع الناس بهذرته في المواضع التي كنت عملت فيها . فلما جمع الناس قال لهم : قد عزم على التوبة رجل كان فيكم عاملا . فمن كان له عنده حق فليأخذه منه ، ومن ضربه فليقتص منه . ومن شاء منكم أن يحلله فليفعل . فلما قرر عندهم أمري وأحبوا أن يروني أخذ بيدي وأوقفني بين الناس . فمنهم من يأخذ مني ما أخذته منه ومنهم من يصالحني ومنهم من يحللني حتى لم يبق علي حق لأحد إلا لرجل واحد من غمارة[364] كنت ضربته خمسين سوطا . فذهبت معه إلى موضعه وكان قريبا من مدينة سبتة . فجمع الناس وذكر لهم أمري وأمر الرجل الذي ضربته بالسياط . فقال الرجل المضروب : أنا هو ذاك الرجل المضروب ! وأين صاحبي ؟ فأخذ بيدي وأوقفني بين الناس . فقال لي : أريد أن أقتص منك . فتجردت من ثيابي وقلت له : اقتص ! فجاءني بالسوط ليضربني فرغبه الناس في العفو عني . فأبى إلا القصاص ، ثم قال لي : أنت لم تتول ضربي بنفسك وانما أمرت ضرابا يضربني . فأنا آتي بضراب يضربك . فجاء برجل يضربني . فلما رآني منقادا للقصاص

---

(362) ف : عام ثلاثة وستمائة ، والتصحيح من ح وم وس .

(363) س : الأيلاني .

(364) تعني هنا جهة منها قريبة من سبتة .

انكب علي فاعتنقني وبكى وقال لي : أنت في حل من ضربي وقد عفوت عنك وما أردت بالتشديد عليك إلا أن أتحقق صدقك في طلب القصاص منك . فقمت ولم يبق قبلي حق لأحد فتوجهت إلى المشرق .

إِذَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ قُوتاً فَلاَ تُبَلْ
بِمَنْ نَالَ مِنْهَا فَوْقَ مَا نَالَ قَيْصَرُ(365)
إِلَى غَايَةٍ يَجْرِي مُقِلٌّ وَمُكْثِرٌ
وَمُجْتَهِدٌ فِي سَعْيِهِ وَمُقَصِّرُ
تَوَدُّ مِنَ الدُّنْيَا اتِّصَالَ سَلاَمَةٍ
وَفِيهَا مِنَ الآفَاتِ مَا لَيْسَ يُحْصَرُ
وَمَا بِهَوَى الْمَلاَّحِ هَبَّتْ تَعُوقُهُ
عَنِ الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ نَكْبَاءُ صَرْصَرُ
وَكَمْ بَكَّرَتْ وَرْقَاءُ تَطْلُبُ رِزْقَهَا
فَعَنَّ لَهَا بِالْحَتْفِ بَازٌ مُصَرْصِرُ
فَلاَ تَحْسَبَنْ أَنَّ السَّلاَمَةَ سَرْمَدٌ
وَأَنَّ خُطَى الْأَحْدَاثِ دُونَكَ تَقْصُرُ

263 — ومنهم أبو الحسن علي ابن محمد المعروف بابن العطار (*)

من أهل فاس وبه مات في حدود أربعة وستمائة . من أصحاب أبي عبد الله ابن الكتاني . وكان عارفا بعلوم الاعتقادات منقطعا إلى طريقة التصوف وله منظوم محفوظ في معانيه ، أنشدني له بعض أصحابه أبياتا في شأن طائر عندهم يقول في كلامه : طاب ، فسمي بذلك ، وهي :

وَرُبَّ طَائِرَةٍ فِي نُطْقِهَا عِبَرُ
تَقُولُ طَابَ وَذَاكَ الْقَوْلُ لِي نُذُرُ(366)

(365) من الطويل .

(*) راجع جذوة الاقتباس ، ص 469 ؛ وبغية الوعاة : 2 : 204 .

(366) من البسيط . وفيها بعض الاختلاف عما في الجذوة .

إِذَا تَــأَوَّلَــهُ مِــثْــلِــي يَــقُــولُ أَنَــا
هُوَ ٱلْمُرَادُ وَعِنْدِي ذَلِكَ ٱلْخَبَرُ
قَدْ طَابَ زَرْعِي وَقَدْ آنَ ٱلْحِصَادُ لَهُ
وَشَــاهِــدَايَ بِــذَاكَ ٱلشَّــيْــبُ وَٱلْكِبَرُ

264 – ومنهم أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك[367]

من أهل تلمسان . قدم مراكش . ثم توجه إلى مكة . فغرق في بحر المشرق في حدود ثلاثة عشر وستمائة . صاحب مجاهدة وتجرد من الدنيا .

سمعت علي بن أحمد الصنهاجي يقول : رأيت عمر الحباك بتلمسان في جماعة من الفقراء وهم جلوس على السطح دون حصير في زمن البرد الشديد . فقلت له : أتأذن لي في شراء حصير تجلسون عليه ؟ فهش لقولي وأمرني بشرائه . فأتيت بحصير . فجلس عليه مع تلامذته . فدخل عليه فقير . فقال له : أفي بيتك حصير ؟ فقال له : نعم . فقال له : أيهما أجود ، هذا أم حصيرك ؟ فقال له : هذا أجود . فقال له : جئني بحصيرك وخذ أنت هذا . فجاءه بحصيره وحمل ذلك الحصير . فجاءه فقير ثان . فقال له : أعندك حصير ؟ فقال له : نعم . فقال له : أيهما أجود هذا أم حصيرك ؟ فقال له : هذا أجود . فقال له : جئني بحصيرك وخذ أنت هذا . فجاءه بحصيره وحمل ذلك الحصير . فجاءه فقير ثالث فقال له : أعندك حصير ؟ فقال : لا . فقال له : خذ هذا الحصير . فحمله وعاد إلى القعود على السطح هو وأصحابه كما كانوا .

وكان يصيح عند أبواب الديار : من أنقل له الزبل ويعطيني ما أمكن . فينقل الزبل على رأسه ويعطى كسر خبز فيحملها إلى الفقراء ويأكلها معهم .

قال علي بن أحمد : حدثني عمر الحباك بابتداء أمره فقال : لما توفي أبو مدين

(367) راجع **البستان** . ص 114 . **والإعلام** : 9 : 277 . وفي س : المعروف بابن الحباك .

حضرت جنازته بالعباد خارج تلمسان . فما رأيت أعز من الفقراء في ذلك اليوم ولا أذل من الأغنياء فقلت في نفسي : إذا كان هذا في الدنيا فكيف بهم في الآخرة . فدفعت أثوابي لفقير وأخذت منه مرقعته وحلقت رأسي ودخلت على امرأتي . فصاحت : يا ويلها ! فقلت لها : إن لم توافقيني على هذه الحالة . فعدبني ميتا . فخرجت عنها وتركت جميع مالي وغبت عن تلمسان أربعة أعوام وقد تركت ابنا لي صغيرا . فقلت لنفسي : إن كنت صادقة فادخلي تلمسان على هذه الحالة ! فأتيت تلمسان ودخلت إلى سويقة أجادير فلقيت بها امرأتي مع خادمها وابني على عنق الخادم . فقالت لي نفسي : تنح لها عن الطريق لئلا تغير قلبا بمشاهدتك على هذه الحالة . فقلت لها : والله لا رأتك الا في أسوأ حالة من هذه الحالة ! فتقدمت إلى خباز في السويقة ، فأخذت منه خبزة وقلت : من يشتري لي هذه الخبزة لله تعالى ؟ وأنا أسارقها النظر ، فرأيتها تنظرني والدموع تنحدر على خديها إلى أن جاوزتني . فرددت الخبزة للخباز ومررت .

أَدَالَ ٱلشَّوْقُ يَأْسِي مِنْ رَجَائِي ... وَأَوْحَشَ مَا عَهِدْتُ مِنَ ٱلْعَزَاءِ[368]
وَأَوْلاَنِي ٱلتَّصَبُّرُ مِثْلَ مَا قَدْ ... أَلِفْتُ مِنَ ٱلْوِصَالِ مِنَ ٱلْجَفَاءِ
كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ غِيظَ مِنِ ٱبْتِسَامِي ... فَأَبْدَلَنِيهِ مُتَّصِلَ ٱلْبُكَاءِ
فَلاَ هَطَلَتْ عَلَى بَغْدَادَ يَوْماً ... مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُعْصِرَةٌ بِمَاءِ

265 – ومنهم أبو عمران موسى ابن وجادير[369] الدكالي

من قرية أنوميْرْغن[370] من بلد دكالة وبها مات عام ثلاثة عشر وستمائة وقد زاد على المائة .

أخبرني الثقة عن أبي يعقوب بن محمد بن أمغار أنه كان يزوره كثيرا ويقول انه

(368) من الوافر .
(369) ابن وگادير : ابن صاحب الحصن أو ابن المنتسب إلى الحصن . جاء في طره يس : «المدفون الآن قرب الجديدة المدعو الآن سيدي موسى بن عمران» . وقد ذكر وفاته صاحب **الذخيرة السنية** : 49 .
(370) مركبة من أنو : البئر وميرْغنْ : الملح .

من الأبدال وكان أبو عمران يقول : اني لأرى بالليل أنوار الرجال الأحياء منهم والأموات . وأخبرني عنه مخبر أنه كان يقول : اني لأرَى أنوار الرجال بالليل من ههنا إلى بيت المقدس .

وحدثني عبد الرحمن بن يوسف قال : قال لي أبو عمران : أقمت في هذا البيت من أجل تغير الدنيا سبع السنين لا أخرج منه ، ثم رأيت المريدين يحبون الدنيا ، فقطعتهم عني .

وأخبرني بعض الثقة قال : حضرت مجلس أبي عمران ليلة . فوعظنا ثم قال لنا : ان الخضر أخبرني أن الله قد غفر لأهل هذا المجلس إلا من كان في قلبه شك .

266 – ومنهم أبو الحسن علي ابن يسْكين[371]

من أهل ساحل بني سيكتي من بلد دكالة وبه مات عام أربعة عشر وستمائة . كان عبدا صالحا شديد الخوف من الله تعالى وكان بخديه خطان للدموع من كثرة البكاء .

267 – ومنهم أبو زكرياء يحيَى بن أبي بكر ابن محمد بن مع الله بن يحياتن[372] الزناتي[373]

نزل مراكش وبها مات يوم الثلاثاء الثالث عشر من شعبان عام أربعة عشر

(371) ح وم وس وبعض نسخ ف : يَكْيين ، ولا أعرف لها معنًى . وأرجح أن تكون : يسْكِّينْ بمعنًى : الأسود .

(372) اسم جده : مع الله بن يحيَى بن يحائنْ أو يحاتْنْ الزناتي ، وهو المترجم تحت رقم (25).

(373) راجع **الإعلام** : 10 ص 215 **والسعادة الأبدية** : 1 : 127 . توفي جده مع الله سنة 536 بتادلا ، ونزل هو مراكش وقرأ عليه المؤلف القرآن في طفولته . ولاشك أنه من النازحين إثر وقعة داي إثر وفاة عبد المومن بن علي . راجع : مقدمة التحقيق .

وستمائة . ودفن خارج باب الدباغين . وكان عبدا صالحا لا يعرف شيئا مما الناس فيه ، وهو أول من قرأت عليه كتاب الله تعالى . وكان من أهل التهجد بالقرآن سريع الدمعة على سنن أهل الدين والفضل . رأيته في النوم بعد موته ، فسألته عن حاله ، فذكر خيرا .

حدثني ابنه أبو علي عمر رحمه الله قال : لما حضرت أبي الوفاة مد يديه ورجليه وقرأ : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صدق عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»[374] . ثم تبسم ورد السلام من على يمينه ، ثم رد السلام من على يساره . فلقنته الشهادة . فقال بصوت رقيق : أشهد أن لا إله إلا الله . وأشار بحاجبيه ثم خرجت نفسه . رحمه الله .

وحدثني أبو علي عمر بن يحيى قال : مر أبي لزيارة الشيخ الصالح أبي محمد صالح بن ينصارن برباط أسفي . فحدثني انه لما قرب من موضعه تلقاه بتلامذته وعليهم المرقعات وهم في وردهم من الذكر فاعتنقوه وهم يبكون وهو يبكي معهم . فقال لهم : أين الشيخ أبو محمد صالح ؟ فقالوا له : تركناه في منزله . فسألهم عن سبب خروجهم إليه فقالوا له : كنا معه جلوسا إلى أن أطرق ورفع رأسه وقال لنا : جاءكم رجل صالح ، فاخرجوا إلى لقائه . فخرجنا إليك . فاجتمع بأبي محمد صالح وخلا به من شدة انقباضه عن الناس . فلما انصرف عنه قال : ما ظننت أن بمراكش مثل هذا الرجل .

268 – ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي الواعظ المعروف بابن الحجام*

كان حسن الموعظة ، طيب النغمة دائم العبرة . وكان مجلسه كهفا للمريدين . وأهل [الخير][375] يأوون اليه وكان إذا أنشد بحسن صوته بديع الشعر شاق وراق

---

(374) سورة القمر : 55 .

(*) راجع **الذيل والتكملة** . سفر الغرباء ، ص 141 (من المخطوط) ، وراجع **الإعلام** : 4 : 173 .

(375) ف : الخيرة .

وأثار كامن الأشواق . وإذا نص صحيح الخبر لم يبق ولم يذر وكان وعظه بجامع القصر في أيام الجمع . فتاب على يديه من أراد الله به خيرا وانتفع به . ومات يوم [السبت][376] السادس عشر من شهر شعبان من عام أربعة عشر وستمائة . فطوي بموته بساط التذكير وأوحشت عرصات التخويف والتحذير . فمن شعره المأثور عنه قوله :

غَرِيبُ ٱلْوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبِ ... عَلِيلُ ٱلْقَلْبِ مِنْ حُبِّ ٱلْحَبِيبِ[377]
إِذَا مَا ٱللَّيْلُ أَظْلَمَ قَامَ يَبْكِي ... وَيَشْكُو مَا يَكُنُّ مِنَ ٱلْوَجِيبِ
يُقَطِّعُ لَيْلَهُ ذِكْراً وَفِكْراً ... وَيَنْطِقُ فِيهِ بِٱلْعَجَبِ ٱلْعَجِيبِ
بِهِ مِنْ حُبِّ سَيِّدِهِ غَرَامٌ ... يَجِلُّ عَنِ ٱلتَّطَبُّبِ وَٱلطَّبِيبِ
وَمَنْ يَكُ هَكَذَا عَبْداً مُحِبّاً ... يَطِيبُ تُرَابُهُ مِنْ غَيْرِ طِيبِ

سمعت إبراهيم بن [محمد][378] التونسي يقول : رأيت أبا عبد الله الواعظ الأعمى في النوم وهو بصير ينظر بعينيه فقلت له : كيف أنت ؟ فقال أنا في عافية .

269 – ومنهم أبو سعيد عثمان ابن مِنْغفاد[379] الوَريوي[380]

من بادية سجلماسة وبها مات في شهر رجب عام خمسة عشر وستمائة ، تلميذ أبي عبد الله الهواري الذي كان بتونس . وصحب أبا زيد بن هبة [الله][381] المزياتي وكان من الأفراد . قيل له : لمَ بقيت منفردا ولم تتزوج ؟ فقال : شغلني عن

---

(376) ح وس : الجمعة ، وكذا في **الذيل والتكملة** .

(377) من الوافر . قال ابن عبد الملك معلقا على البيت الأخير : «ورفع يطيب مع جزم يَكُ لا يستقيم» .

(378) م وس : أحمد

(379) مِنْغفادْ مركبة من مَنْغْ ومعناه : قاتل . ومن فاد ومعناه : العطش . وورد منفصلا في **المقتبس من كتاب الأنساب** . ص 29 (ط باريس) .

(380) الوَرْيوي ، نسبة إلى أيت وِيرًا ، قبيلة معروفة إلى الآن وقد وصلت إلى السفح الشمالي للأطلس .

(381) زيادة في م . وأبو زيد هذا هو المترجم (222) .

الزواج ما هو أهم منه . وكان يواصل [خمسة عشر][382] يوما حتى انحلته العبادة .

حدثني من صحبه قال : سألت أبا سعيد عثمان عن شأن ابتدائه . فقال لي بعض الحاضرين عنده أنا أخبرك بذلك : لما احتلم هام على وجهه ودخل الصحراء بالتسبيح والتقديس .

طَيِّبْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ فَاكَ فَإِنَّهُ لَأَجَلُّ مَا فَاهَتْ بِهِ ٱلْأَفْوَاهُ[383]
طَفِئَتْ مَصَابِيحُ ٱلْعُقُولِ فَكُلُّنَا يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي ظَلَامِ هَوَاهُ
كَمْ مُدَّعٍ عِلْماً لَوِ ٱسْتَخْبَرْتَهُ لَوَجَدْتَ أَكْثَرَ عِلْمِهِ دَعْوَاهُ
مَا لِلْفَتَى لَا يَرْعَوِي وَصَبَاحُهُ وَمَسَاؤُهُ يَعِظَانِهِ بِسِوَاهُ
تَلْقَاهُ تَيَّاهاً عَلَى مَنْ دُونَهُ وَلَسَوْفَ يُعْطِشُهُ ٱلَّذِي أَرْوَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ مِنْ أَمْرِهِ لَا عَصْمَ نَهْلَاناً وَلَا أَرْوَاهُ
وَٱلْعَيْشُ بَلْوَى عَاقِلٍ فَتَعَجَّبُوا مِنْ عَاقِلٍ مُسْتَعْذِبٍ بَلْوَاهُ
إِنْ زِيدَ يَوْمٌ وَاحِدٌ فِي عُمْرِهِ نَقَصَتْ عَلَى مِقْدَارِ ذَاكَ قُوَاهُ
وَكَأَنَّهُ وَٱلْمَوْتُ سَدَّدَ سَهْمَهُ فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَمَا أَخْطَاهُ
وَٱلْمَرْءُ يُنْشَرُ كَٱلرِّدَاءِ إِلَى مَدىً فَإِذَا ٱنْقَضَى جَاءَ ٱلرَّدَى فَطَوَاهُ

270 – ومنهم أبو الأمان ابن مشُّو الرفروفي

من أهل تاجنيت من بلد تادلا وبها مات عام خمسة عشر وستمائة . تلميذ أبي محمد البصير وصاحب أبي محمد يسكر وأبي صالح المسكوري .

سمعت عبد الله بن موسى[384] يقول : سمعت إبراهيم بن يحيى بن بطان

---

(382) س : خمسة وعشرين
(383) من الكامل . ونسبها في الذخيرة السنية ، ص 52 للمترجم .
(ب) ف : مشو . معناه : مأكول . ولعل الأرجح أنه : مَشُّو كما ورد في م . أي الأسود .
(384) زاد في س : بن محمد . والصواب : عبد الله بن موسى بن يحيى بن أبي بكر . انظر هامشا على الترجمة (11)

يقول : جاء أقوام من تاجنيت إلى محلة داود بن عائشة . فأخذ إسحاق بن يحيى[385] دوابهم في وظيف وظفه عليهم من الجباية ، مبلغه مائتا دينار . فشكوا إلى أبي الأمان بذلك . فكتب لهم إلى إسحاق كتابا بالشفاعة فيهم . فلم يعمل به . فأعلموا بذلك أبا الأمان . فقال لهم أبو الأمان : رد الله عليكم مالكم منه وهو في غير عقله . فاستيقظ إسحاق في ليلة مقمرة وأمر أن تصرف على القوم دوابهم . فأخذوها وسروا بها ليلتهم . فلما أصبح سأل عن تلك الدواب . فقيل له : أمرت البارحة بصرفها على أهلها . فأنكر ذلك غاية الإنكار وقال : كيف آمر بصرفها عليهم وقد أعلمت الوالي أني أمسكتها في مائتي دينار ! فقيل له : أنت أمرت بذلك . فقال : ردوهم ! فقيل له : قد سروا ليلتهم ، فلا يدركون . فعجب من شأنه وشأنهم .

271 – ومنهم رجل مجهول

سمعت أحمد بن حسن[386] يقول : حدثني يعيش بن شعيب البكري السقطي[387] يقول : أتيت من باب أيلان . فلما قربت من باب الدباغين رأيت في المقابر قبرا جديدا . فوقفت عليه أعتبر فيه . فقلت : يا صاحب القبر ، هل أنت ذكر أم أنثى ، حر أم عبد؟ فوقفت عنده ساعة ، ثم انصرفت إلى منزلي . فرأيت في النوم امرأة . فقلت لها : من أنت؟ فقالت : أنا صاحبة القبر الذي وقفت عليه بالنهار ولي إليك حاجة . فقلت لها : ما هي؟ فقالت : لي زوجي هو فلان بن فلان القطان ، له عندي حق ، فسله أن يغفر لي . فلما أصبحت سألت عن الرجل حتى اجتمعت به . فأخبرته بالرؤيا وسألته أن يغفر لزوجته . فأبى . فانصرفت عنه مغموما . فرأيتها في الليلة الثانية في النوم . فقالت لي : عسى أن تذهب إلى عمه فلان بن فلان اللجام . فلعله يقبل شفاعته . فلما أصبحت سألت عنه . فوصلت إليه وأعلمته بالرؤيا وذهبت معه إلى ابن أخيه وسألناه أن يغفر لزوجته . فأبى فانصرفنا عنه مغمومين . ثم أقمت مدة . فرأيتها في النوم على أحسن حال . فقالت لي :

---

(385) س : يعيش بن محمد . ولعله يعيش أحد عمال الناصر الموحدي .
(386) ليس ابن سيد الجراوي لأن وفاته متقدمة حتى عن زمن طلب المؤلف .
(387) لم أقف على ترجمته .

أتيتك لأبشرك بأن الله قد غفر لي . فقلت لها : بماذا غفر الله لك ؟ فقالت : دفن بجوارنا رجل صالح من أهل مراكش . فشفعه الله في كل من يجاوره من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله بأربعين ذراعا . فكنت أنا ممن حازته الأربعون ذراعا . فغفر الله لي بذلك[388] .

وَقَفْتُ عَلَى ٱلْقُبُورِ فَلَيْتَ شِعْرِي ... وَقَدْ نَادَيْتَ هَلْ سُمِعَ ٱلنِّدَاءُ[389]
قُصَارَاكَ ٱلرَّدَى يَا ٱبْنَ ٱلْأَمَانِي ... وَإِنْ طَالَ ٱعْتِصَامٌ وَٱرْتِدَاءُ
فَلَا يَغْرُرْكَ مَنْ يَفْدِيكَ مِنْهُ ... فَمَا يُنْجِي مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلْفِدَاءُ
تَرُومُ زِيَادَةً وَهِيَ ٱنْتِقَاصٌ ... وَتَرْغَبُ فِي ٱلسَّلَامَةِ وَهْيَ دَاءُ
فَدَعْ قَوْلَ ٱلْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ ... فَلَا خَبَرٌ أَفَادَ وَلَا ٱبْتِدَاءُ
وَنَحْنُ ٱلسَّفْرُ وَٱلْأَيَّامُ عِيسٌ ... تَجِدُّ وَلِلزَّمَانِ بِهَا حُدَاءُ
خَلِيلٌ غَادِرٌ وَأَخٌ مُعَادٍ ... فَمَنْ تُعْدِي وَقَدْ كَثُرَ ٱلْعِدَاءُ
عَلَيْكَ بِطَاهِرِ ٱلْأَخْلَاقِ بَرٍّ ... لَهُ بِأَفَاضِلِ ٱلسَّلَفِ ٱقْتِدَاءُ
لِيَهْدِيَكَ ٱلْمُهَيْمِنُ كُلَّ يَوْمٍ ... إِلَى مَا لَا يُظَنُّ لَهُ ٱهْتِدَاءُ

272 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن نافع الصنهاجي*

من [بلد][390] أزمور وبه توفي عام ستة عشر وستمائة . وكان عبدا صالحا صواما قواما ورعا .

سمعت يحيى بن سرغين[391] الصنهاجي يقول : حدثني عجوز قالت : أبدلت

---

(388) ذكر الغبريني في **عنوان الدراية** ، ص 50 ، أنه وقف على هذه القصة ، في كتاب **«المنتخب المقرب في ذكر بعض صلحاء المغرب»** . وهو مجهول ، ولعله للتادلي .
(389) من الوافر
(*) جاء في طرة س : «المدفون خارج أزمور بجنات كهف الحجر المدعو الآن سيدي محمد بن عبد الله» .
(390) م : أهل .
(391) سَرْغِينْ ، وفيه معنى العطاء والكرم استنادا إلى جذره في معجم التوارك ، وهو الكريم أو الشريف .

لي في السوق أربعة دراهم طيبة بدراهم نحاس. فأتيت محمد بن نافع وأعلمته بذلك وقلت له: ادع لي على الرجل الذي أبدلها لي. فأخذ مني الدراهم وجعل يقلبها من هذه اليد إلى هذه. ثم قال لي: [ما أرى دراهمك إلا طيبة. فقلت له: هي دراهم نحاس. فقال لي:][392] خذيها. فإنها طيبة. فأخذتها منه وتأملتها. فإذا هي طيبة غاية. فانصرفت وأنا أتعجب من ذلك.

273 — ومنهم أبو طالب ثالم ابن يِلْبَخْتْ المغيطي[393]

من أهل قرية يموين من بلد دكالة وبها مات يوم الأربعاء الثالث من رمضان عام ستة عشر وستمائة وقد زاد في سنه على مائة سنة. شيخه أبو العباس أحمد بن عبد السلام. وصحب أبا شعيب وكان عبدا صالحا. أخبرني مخبر عن تلميذه قال: كنت زرعت له بطيخا. فخبأت له واحدة وسترتها بالورق وقلت: إذا طابت حملتها إلى الشيخ ليأكلها. فدخلت عليه وعنده زائر. فقال لي: جئني بالبطيخة التي خبأتها ليأكلها هذا الضيف. فأتيته بها.

274 — ومنهم أبو إسماعيل الأمان الأسود[394]

من أهل مراكش وبها مات في أواخر شوال عام ستة عشر وستمائة. وكان عبدا صالحا مقبلا على الله تعالى، صحب أبا يعزى وأبا ابراهيم السفاج وغيرهما. سمعت أبا موسى عيسى بن أبي عيسى بن جعفر السوسي وكان عبدا صالحا يقول: قدم مراكش رجل من الأولياء يقال له إبراهيم بن بسطام يحدث عنه بالعجائب. فدخلت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت له: حضرت جنازة رجل صالح يعرف بالأمان. فقال لي: كنت قاعدا في مصلاي، فسمعت هاتفا يقول لي:

---

(392) زيادة في م و س

(393) يِلْبَخْتْ. أو يِلِلْبَخْتْ

(394) راجع الإعلام: 3 : 55 والسعادة الأبدية: 1 : 114

يموت اليوم ولي . وهو الذي حضرت جنازته . قال : وقلت له : يا سيدي سمعت عنك خبرا [فأريد أن أسمعه منك][395] . فقال لي : وما هو؟ فقلت له : كيف كوشفت بأبي بكر الصديق؟ فقال لي : حضرت مجلس واعظ ، فلما فرغ من وعظه سأل ، بحق أبي بكر الصديق ، وفي في درهم ليس معي سواه . فهممت باعطائه له . ثم توقفت فرأيت صورة أبي بكر الصديق وهو في عباءة واقف أمام الواعظ قد مد يده إلي ليأخذ مني الدرهم وقال : هاته . فصحت وناولته الواعظ ولم يدر أحد ما أدركني .

275 – ومنهم أبو علي عمر ابن علـي[396]

من أهل مراكش وبه مات ليلة السبت التاسع عشر لذي القعدة عام ستة عشر وستمائة . كان عبدا صالحا صواما منقبضا عن الناس دائم السكوت لا ينبسط إلى أحد وكانت آثار الولاية عليه ظاهرة .

قَالُوا نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ قُلْتُ لَهُمْ
مَا طُولُ صَمْتِيَ مِنْ عِيٍّ وَلاَ خَرَسِ[397]
أَأَنْشُرُ الْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ
أَمْ أَنْثُرُ الدُّرَّ بَيْنَ الْعُمْيِ فِي الْغَلَسِ

276 – ومنهم رجل مجهول

سمعت محمد بن أحمد الزناتي(*)يقول : أخبرني رجل من أهل افريقية قدم مراكش بزوجه وابنته قال : ماتت زوجتي . فدفنتها خارج باب الدباغين على قرب

---

(395) زيادة في س و م .

(396) راجع الإعلام : 9 : 278 .

(397) من البسيط . وانظر نسبتها لأبي الحسن البغدادي أو لابن دريد في الصلة لابن بشكوال . ص 429

(*) راجع الجذوة . ص 276 والإعلام : 9 : 278

من الوادي . وكنت أتعهد قبرها بالزيارة غدوة وعشية وأقرأ على قبرها القرآن . فرضت ابنتي . فقالت لي : يا أبت أخاف أن أموت بهذه الأرض فتتركني . فقلت لها : والله ، إن مت بهذه الأرض لأتعهدن قبرك بالقراءة عليه بكرة وعشية كما أفعل الآن على قبر أمك ! فماتت ، فدفنتها جوار أمها وكنت أتعهد قبرها بالقراءة عليه غدوة وعشية . فرأيتها في النوم وعليها أثر الكآبة والاغتمام . فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت لي : أنا وجيراني من الموتى في هم عظيم من أجل رجل من أهل النار يدفن بجوارنا . فادفعه عنا ما استطعت ، لعله يدفن بعيدا عنا ! فلما أصبحت خرجت إلى باب الدباغين أنظر من يدفن فيه من الأموات . فأقمت به إلى صلاة العصر ، فرأيت رجلين يحملان جنازة قد انتنت من طول المكث . فسألتهما عن الميت ، فقالا : لا نعرفه ، ومات بدار ؛ فلم نشعر به حتَّى شممنا رائحته ، فخرجنا به ندفنه . فأرادا دفنه بجوار قبر ابنتي . فرغبتهما أن يتباعدا عنه قليلا . ففعلا . فلما أرادا أن يوارياه في حفرته مر عليهما رجل هيلاني راكب على حماره . فقال لهما : هل صليتما على هذا الرجل الذي تواريانه ؟ فقالا له : لا . فنزل عن دابته . فتقدم ، فصلَّى عليه ووارياه في قبره وانصرف . فلما كان الليل رأيت ابنتي في النوم وهي في حالة حسنة . فقالت لي : يا أبت ، رحم الله ذلك الرجل بصلاة الرجل الصالح الذي صلَّى عليه ورحم جيرانه من الأموات .

277 – ومنهم أبو عبد الله محمد ابن علي العمراني

أصله من غمارة . نزل بفاس وتلمسان ؛ ثم توجه إلى بلاد المشرق فانقطع خبره وكان كبير الشأن ويقال إنه من الأبدال . وكان أبو الطاهر التونسي يقول : أبو عبد الله العمراني أكبر شأنا من أبي مدين .

حدثني أبو زيد عبد الرحمن بن محمد قال : حدثني أبو عبد الله العمراني قال : بت ليلة في رابطة مقفرة على ساحل البحر . فكنت أصلي بها بالليل إلى أن رأيت بالمسجد نورا عظيما ظهر منه جميع ما كان في المسجد . فإذا أنا بشخص قد دخل الرابطة ، فاستقبل القبلة وكبر للصلاة . فأقبل كل منا على تهجده إلى السحر . ثم

قعدنا نتحدث ، قال : فقلت له : من يكون ذلك ؟ فقال لي : هو الخضر ـ عليه السلام .

أَيُّ ٱلنَّسِيمِ جَرَى بِأَرْضِ خِيَامِ مُتَوَشِّحاً بِذَوَائِبِ ٱلْأَعْلَامِ[398]
وَافَى وَقَدْ عَبِقَتْ بِنَشْرِ أَحِبَّتِي نَفَحَاتُهُ[399] لِعَرَارِهِ وَثُمَامِ
فَطَرِبْتُ لَا أَدْرِي بِأَيِّ لَطِيفَةٍ وَثَمِلْتُ لَا أَدْرِي بِأَيِّ مُدَامِ
وَلِعَتْ بِقَلْبِي صَبْوَةٌ شَامِيَّةٌ وَلَعَ ٱلنَّسِيمِ بِبَانِعٍ بَسَّامِ
فَغَدَوْتُ مَشْغُوفاً بِهِ وَبِأَهْلِهِ طَرِبَ ٱلشَّمَائِلِ لِلْوَمِيضِ ٱلشَّامِي
لَوْلَا هَوًى لِلرُّوحِ بَيْنَ خِيَامِهِ مَا بِتُّ حَنَّاناً لِكُلِّ خِيَامِ
وَمُحَجَّبٍ مَا حَظُّنَا مِنْ وَصْلِهِ إِلَّا ٱلْمُنَى وَمَوَاهِبُ ٱلْأَحْلَامِ
تَهْفُو لَهُ أَلْبَابُنَا فَيَصُدُّهَا سَطْوُ ٱلْجَلَالِ وَهَيْبَةُ ٱلْإِعْظَامِ

سمعت أبا الحسن علي بن محمد يقول : حدثني عبد الحميد وطاهر ابنا الفقيه أبي الطاهر التونسي أن أبا عبد الله العمراني كان مع أبيهما أبي الطاهر في المصرية التي على مدخل الدار فأغفى أبو عبد الله فانتبه وقال لأبي الطاهر : سيطلع علينا ابنك طاهر بشراب ورد في صحفة بيضاء بمنديل أحمر فيه خبز سخن . فلبث معه ساعة فإذا بابنه طاهر صعد اليهما بذلك وقال له : يا أبت عقدت هذا الشراب . فاشتهيت أن تأكل منه بهذا الخبز .

قال : وأخبرني عبد الحميد قال : كنت أعتمر بسوق العطارين حانوتا . فزيد علي في كرائها حتى بلغ ستين دينارا فأخليتها . فتقدم إلى عامل تلمسان جماعة فيها أعيان البلد . فأقسم أن لا يضع من الكراء شيئا ورد شفاعة كل من تشفع له فيها . فدخلت على أبي ومعه أبو عبد الله العمراني فأخبرته أني نقلت كل ما كان عندي في الحانوت وبقيت عطالا . فاستفهمه أبو عبد الله العمراني عن شأن الحانوت فأخبره بأمرها . فأطرق ساعة ثم قال لي : اذهب الآن إلى دار الإشراف ولا تسلم على العامل ولا تكلمه إلا أن يكلمك فاذكر له أمر الحانوت واكترها منه بما شئت . فتوقفت خوفا من العامل لكثرة توارد الشفاعة عليه في حقنا . فأشار علي أبي أن :

(398) من الكامل .
(399) ف : نفاحته .

أذهب لما أمرك به . فخرجت وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى . وأنا أقول : إن أبصرني العامل أمر علي بأنواع العقوبة . فلم يكن بد من امتثال ما أمرني به . فدخلت دار الإشراف ووقفت بمكان يبصرني به العامل . فوقع بصره علي . فناداني فأتيته . فقال لي : أتكتري حانوتك ؟ فقلت له : نعم . فقال : بكم تكتريها ؟ فقلت له : بستة دنانير . فأمر الكاتب فرسمها لي بذلك وانصرفت . فوجدت أبي وأبا عبد الله العمراني قاعدين بمكانهما لم ينصرفا منه . فقال لي أبو عبد الله العمراني : بكم اكتريت حانوتك ؟ فقلت : بستة دنانير. قال لي : بستة دنانير ! كالعائب علي ، هلا قلت له بستة دراهم ؟ قال : فشاعت القصة بتلمسان وتحدث الناس بها وكان ذلك سبب خروجه من تلمسان .

أَللَّهُ حَسْبِي لاَ أُرِيدُ سِوَاهُ ... هَلْ فِي ٱلْوُجُودِ ٱلْحَقِّ إِلاَّ ٱللَّهُ(400)
ذَاتُ ٱلإِلَهِ بِهَا قِوَامُ ذَوَاتِنَا ... هَلْ كَانَ يُوجَدُ غَيْرُهُ لَوْلاَهُ
يَا مَنْ يَلُوحُ بِذَاتِهِ أَنْتَ ٱلَّذِي ... لاَ تَطْمَعُ ٱلأَبْصَارُ فِي مَرْآهُ
لاَ غَرْوَ فِي أَنَّا رَأَيْنَاهُ بِهِ ... فَٱلنُّورُ يُظْهِرُ ذَاتَهُ فَنَرَاهُ
يَا مَنْ لَهُ وَجَبَ ٱلْكَمَالُ بِذَاتِهِ ... فَٱلْكُلُّ غَايَةُ فَوْزِهِمْ لُقْيَاهُ
أَنْتَ ٱلَّذِي لَمَّا تَعَالَى جَدُّهُ ... قَصُرَتْ خُطَى ٱلأَلْبَابِ دُونَ حِمَاهُ
أَنْتَ ٱلَّذِي ٱمْتَلأَ ٱلْوُجُودُ بِحَمْدِهِ ... لَمَّا غَدَا مَلآنَ مِنْ نُعْمَاهُ
أَنْتَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْوُجُودَ بِأَسْرِهِ ... مِنْ بَيْنِ أَعْلاَهُ إِلَى أَدْنَاهُ
أَنْتَ ٱلَّذِي لَوْ لَمْ تَلُحْ أَنْوَارُهُ ... لَمْ تُعْرَفِ ٱلأَضْدَادُ وَٱلأَشْبَاهُ
أَنْتَ ٱلَّذِي خَصَّصْتَنَا بِوُجُودِنَا ... أَنْتَ ٱلَّذِي عَرَّفْتَنَا مَعْنَاهُ
لَمْ أُفْشِ مَا أَوْدَعْتَنِيهِ فَإِنَّهُ ... مَا صَانَ سِرَّ ٱلْحَقِّ مَنْ أَفْشَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ خَرَقَ ٱلْحِجَابَ لِعَبْدِهِ ... وَهَدَاهُ مَنْهَجَ قَصْدِهِ فَرَآهُ
سُبْحَانَ مَنْ مَلأَ ٱلْوُجُودَ أَدِلَّةً ... لِيَلُوحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱلتَّفَكُّرَ سُلَّماً ... يَسْمُو ٱللَّبِيبُ بِهِ إِلَى مَرْقَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ ظَهَرَ ٱلْجَمِيعُ بِنُورِهِ ... فِيهِ يَرَى ٱلأَشْيَاءَ مَنْ صَافَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَى قُلُوبَ عِبَادِهِ ... بِلَوَائِحٍ مِنْ فَيْضِ نُورِ هُدَاهُ

(400) من الكامل . وهي لعبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس . راجع **الإحاطة** : 3 : 475 .

فَالسَّالِكُونَ ٱلشَّاهِدُونَ لِصُنْعِهِ   مُسْتَغْرِقُونَ بِذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ
وَٱلْوَاصِلُونَ مُشَاهِدُونَ لِذَاتِهِ   حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَثْوَاهُ
يَا غَائِباً وَٱلْحَقُّ فِيهِ ظَاهِرٌ   أَتَغِيبُ عَنْهُ وَمَا شَهِدْتَ سِوَاهُ
مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ بِٱلْبَصِيرَةِ ذَاتَهُ   فَلَقَدْ أَحَاطَ بِهِ حِجَابُ عَمَاهُ
مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَلَكُوتِ يَسْرِي فِكْرُهُ   فَٱلْفَوْزُ بِٱلْحُسْنَى ثَوَابُ سُرَاهُ
مَنْ كَانَ فِي بَحْرِ ٱلْحَقِيقَةِ سَابِحاً   لَمْ يَشْكُ مِنْ ظَمَإٍ إِلَى مَوْلَاهُ
مَنْ لَا يَرَى فِي كُلِّ حَالٍ غَيْرَهُ   فَمِنَ ٱلْمُحَالِ عَلَيْهِ أَنْ يَنْسَاهُ
إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ لَمْ تَلُحْ لَكَ ذَاتُهُ   فَاضْرَعْ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ وَعَسَاهُ
مَنْ مَاتَ عَنْ شَهَوَاتِهِ مُسْتَفْتِحاً   بَابَ ٱلْهُدَى فَمَمَاتُهُ مَحْيَاهُ
مَنْ عَايَنَ ٱلْحَقَّ ٱلْمُبِينَ فَمَا لَهُ   يَأْسٌ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ دُنْيَاهُ
هَلْ بَعْدَ مَعْرِفَةِ ٱلْإِلَهِ زِيَادَةٌ   إِلَّا ٱسْتِدَامَةُ مَا يُدِيمُ رِضَاهُ
مَنْ أَحْرَزَ ٱلْعِلْمَ ٱلْيَقِينَ فَنُورُهُ   يَجْلُو ظَلَامَ وَسَاوِسٍ تَغْشَاهُ
لَمْ يَغْنَ شَخْصٌ عَنْ رُسُومِ وُجُودِهِ   إِلَّا وَعَيْنُ فَنَائِهِ بِبَقَاهُ
مَا فَازَ بِٱلْغَايَاتِ إِلَّا عَالِمٌ   مِشْكَاةُ نُورِ عُلُومِهِ تَقْوَاهُ
لَمْ يُوجِدِ ٱللَّهُ ٱلسَّمَاءَ لِذَاتِهِ   لَكِنْ لِأَجْلِ وُجُودِ مَنْ يَخْشَاهُ
مَا ٱلْحَقُّ إِلَّا حَاضِرٌ فَمَنِ ٱدَّعَى   فِيهِ ٱلْمَغِيبَ فَبَاطِلٌ دَعْوَاهُ
مَوْلَايَ عَبْدُكَ لَا يَخَافُ تَعَطُّشاً   أَيَخَافُهُ وَٱلْحَقُّ قَدْ أَرْوَاهُ
مَوْلَايَ لَا آوِي لِغَيْرِكَ إِنَّهُ   حُرِمَ ٱلْهُدَى مَنْ لَمْ تَكُنْ مَأْوَاهُ
مَوْلَايَ أَنْتَ ٱلْوَحِيدُ ٱلْفَرْدُ ٱلَّذِي   فِي حَضْرَةِ ٱلْمَلَكُوتِ شَاهَدْنَاهُ
مَوْلَايَ أُنْسُكَ لَمْ يَدَعْ لِي وَحْشَةً   إِلَّا مَحَا ظَلْمَاءَهَا بِسَنَاهُ
مَوْلَايَ جُودُكَ لَمْ يَدَعْ لِي مَطْلَباً   إِلَّا وَتَمَّمَهُ إِلَى أَقْصَاهُ
لَمْ يَنْقَطِعْ أَحَدٌ إِلَيْكَ مَحَجَّةً   إِلَّا وَأَصْبَحَ حَامِداً عُقْبَاهُ
عَجَزَ ٱلْأَنَامُ عَنِ ٱمْتِدَاحِكَ إِنَّهُ   تَتَضَاءَلُ ٱلْأَفْكَارُ دُونَ مَدَاهُ
مَنْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّكَ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي   بَهَرَ ٱلْعُقُولَ فَحَسْبُهُ وَكَفَاهُ

قال الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى . عفا الله عنه وغفر له : قد

أتيت ، بحمد الله تعالى ، على ما انتهى إلي من ذكر عباد الله وإمائه الصالحين ، نفعنا الله بمحبتهم ، وحشرنا في زمرتهم . وقد أذنت لمن وقف فيه على وهم أو غلط أن يصلحه . فإني قد تحريت في نقل ما أثبته وما أبرئ نفسي من سهو وغفلة ، وأرغب إلى الله أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصا لوجهه الكريم وقد فرغت من جمعه يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ذي القعدة من عام سبعة عشر وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله الطاهرين وعلى التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين (401) .

(401) اختلفت عبارات هذا الختم باختلاف النسخ ولا نرى فائدة في إثبات تلك الاختلافات .

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أخبار أبي العباس السبتي

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى آله وصحبه وجنده ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من غير تقييد لعهده ، أما بعد فإني لما شرعتُ في تأليف أخبار صالحي المغرب الذين جمعتهم في كتابي الموسوم بـ «**التشوف إلى رجال التصوف**» ، أشار عليّ جملة من الفضلاء أن أذكر فيهم الشيخ الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ، فتوقفت في ذلك ، إذ لا يكفي في ذكره الاختصار لما وقع فيه من الاختلاف ، فرأيت أن أفرد ذكره وأبسط أخباره حتّى يعلم منْ ذلك الواقف بذلك على مجموع عيون أخباره حقيقة أمره . وبالجملة ، فإن شأنه من عجائب الزمان ، وانما أثبت من أخباره ما ينوب عن العيان ، وكان رحمه الله قد أُعطي بسطة في اللسان وقدرة على الكلام ، لا يناظره أحد إلا أفحمه ، وكان سريع الجواب ، وكان القرآن ومواقع الحُجَج على طرف لسانه عتيدة حاضرة ، يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه . يأتيه من يأتيه للإنكار عليه فما ينصرف عنه إلا وقد سلم له وانقاد لقوله ، وسأثبت لك من أخباره ما تقضي به العجب وبالله أستعين على ما يُزلف لديه من القوة والعمل ، وأسأله العصمة من الخطأ والزلل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي[1] . مولده بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة . نزل مراكش ، وبها مات عام أحد وستمائة ، وذلك في يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة[2] ودفن بباب تَاغزُوتْ[3] . وشيخه أبو عبد الله الفخار[4] صاحب الشيخ الفقيه أبي الفضل عياض بن موسَى اليحصبي .

وكان أبو العباس جميل الصورة أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، قديرا على الكلام ، مفوهاً حليماً صبوراً ، يُحْسِن إلى من يؤذيه ، ويحلم عمن يسفه عليه ، رحيماً عطوفا محسناً إلى المساكين واليتامَى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الأسواق والطرق فيحضُّ النّاس على الصدقة ، ويأتي بما جاء في فضيلتها من الآيات والآثار ، فتنثال عليه الصدقات فيفرقها على المساكين وينصرف .

وأهلُ مراكش إلى زماننا هذا مختلفون ، فمنهم من يراه ولياً وأنه على مذهب الملامتية[5] من أجل ما يتكلم به من الكلمات المأثورة عنه التي يأتي ذكرها بعد هذا ، ومنهم من يراه قطبا من الأقطاب ، ومنهم من يكفره ، ومنهم من يبدعه .

---

(1) أورد العباس بن إبراهيم في **الإعلام** (1 : 234 ـ 325) ترجمة مطولة لأبي العباس السبتي نقل فيها جملة ما ذكره عنه في كتابه **اظهار الكمال** . وقد أثبت في الشطر الأول منها (من ص 236 إلى ص 258) **أخبار أبي العباس السبتي** لابن الزيات كاملة . ونقل في الشطر الثاني ما ورد عنه في **الفتوحات المكية** لابن عربي وفي **فضائل أبي العباس السبتي** الذي لخصه الصومعي في **المعزى** ، وهذا التأليف هو الذي أشرنا في مقدمة التحقيق إلى أنه مجهول المؤلف وإن كان صاحب **دليل مؤرخ المغرب** قد نسبه للتادلي . كما نقل صاحب **الإعلام** عن **وفيات الأعيان** وعن **أنس الفقير** لابن قنفذ **ونفاضة الجراب** لابن الخطيب **ونفح الطيب** للمقري **ونيل الابتهاج** لأحمد بابا التنبكتي **وكفاية المحتاج** له **وعدة المريد** للشيخ زروق وعن **الروض اليانع** وعن **مناقب السبتي** لليوجمعاوي وغيرها .

(2) س : جمادَى الأولى .

(3) راجع هامشا على ترجمة أبي العباس الجباب (140) في **التشوف** .

(4) أبو عبد الله الفخار من تلاميذ القاضي عياض المتصوفين . توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة وهو دفين تطوان، راجع **الإعلام** : 1 : 325 ومحمد بن تاويت : **تاريخ سبتة** : 83 .

(5) انظر هامشا على ترجمة علي بن حرزهم في **التشوف** (51) .

ومنهم مَن يراه ساحرا ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تقال فيه ، والله أعلم بحقيقة أمره .

باب في أصول مذهبه

حضرت مجلسه مرات فرأيت مذهبه يدور على الصدقة ، وكان يرد سائر أصول الشرع إليها ويقول : مَن لم يفهم معنَى الصلاة لم يصل . فإن أول الصلاة تكبيرة الإحرام ، وذلك بأن ترفع يديك وتقول : الله أكبر . والمعنَى الله أكبر من أن يُضن عليه بشيء . فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا في نفسه أكبر . فلم يُحرم ولا كبر للصلاة . ومعنَى رفع اليدين للتكبير : قد تخليت عن كل شيء لك . لم أمسك قليلا ولا كثيراً . ثم يتكلم على أجزاء الصلاة بهذه المعاني . وكان يتأول الركوع على المشاطرة ، والسلام من الصلاة على الخروج من كل شيء . وكان يقول : سرُّ الصوم أن تجوع . فإذا جعت تذكرت الجائع وقد علمت قدر ما يقاسيه من نار الجوع فتصدق عليه . فإذا صمت ولم تعطف على الجياع ولا أحدث عندك الصوم هذا المعنَى ما صمتَ ولا فهمت المعنَى المراد بالصوم . والزكاة إنما فُرضت عليك في كل عام لتتدرب على البذل والإعطاء ، وإلا ففي الأموال حقّ سوى الزكاة ، وليس المقصود أن تُعطي في وقت مخصوص وتمسك في غيره . وفرض الحج سره أن تبرز في زي المساكين بحلق الرأس والشعث ولبس الأخلاق[6] والتجرد من ثياب الرفاهية والتذلل لله تعالى وإظهار العبودية . وسر الجهاد بذل النفس في مرضاة الله تعالى والتخلي له عن كل شيء وترك التعلق بأسباب الدنيا . ومعنَى التوحيد توحيد الله تعالى بالتعظيم دون أن تجعل معه إلهاً غيره من متاع الدنيا ، وكل ما استولَى على الإنسان فهو إلهه : «**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**»[7] .

حدثني أبو علي عمر بن يحيَى الزناتي[8] . قال : حدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن إبراهيم الخزرجي[9] . قال : بعثني أبو الوليد بن رشد من قرطبة وقال لي : إذا

(6) م : لبس النعلين .
(7) سورة الجاثية : 23
(8) هو ولد أبي زكرياء الزناتي التادلي . قرأ عليه المؤلف **كتاب الله تعالى** . وهو المترجم رقم 267 في **التشوف** . وحدث عنه التادلي في مواضع منه .
(9) هو ابن الفرس الغرناطي الذي دعا لنفسه وقتله الناصر الموحدي بمراكش سنة 600هـ .

رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به . قال : فجلست مع السبتي كثيراً إلى أن حصلت مذهبه ، فأعلمته بذلك ، فقال لي أبو الوليد : هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود ، وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة . وكان إذا أتاه أحد بأي أمر أتاه ، يأمره بالصدقة ويقول له : تصدق ويتفق لك كل ما تريد . وأخباره كثيرة عجيبة اختصرت عيونها .

باب في ابتداء أمره

حدثني الفقيه أبو عبد الله بن الفقيه أبي العباس عن أبيه أنه أخبره قال : كان ابتداءُ أمري أني كنت صغيراً فسمعتَ أقوال الناس في التوكل ، فتفكرت في حقيقته إلى أن رأيت أن التوكل لا يصحُّ إلا بترك كل شيء ، ولم يكن عندي منه ذوق ، فتركت الأسباب واطرحت العلائق ولم يبق في نفسي تعلق بمخلوق ، فخرجت سائحا متوكلا وسرت نهاري كله ، فأجهدني الجوع والنصب ، وقد كنت نشأتُ في رفاهية من العيش[10] ، وما تقدم لي قط مشي على قدمي ، فبلغت إلى قرية فيها مسجد ، فتوضأت من الساقية ، ودخلت المسجد فصليت المغرب ، وأقمت في المسجد إلى أن صليت العتمة ، فخرج الناس من المسجد فقمت لأصلي فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشي ، فصليت ركعتين ثم قعدت وأنشأت أقرأ القرآن إلى أن مضى سريع من الليل ، فإذا قارع يقرع باب دار بعنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له : هل رأيت بقرتي ؟ فقال : لا ، فقال له : إنها ضلت وقد أكثر عجلها الحنين إليها . فطلباها فلم يجداها في القرية ، فقال بعضهم : لعلها دخلت في المسجد وقتَ العتمة ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدوني في المسجد ، فقال لي صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئا ، فجاءني بكسرة خبز وقدح لبن ، ثم مر يأتيني بالماء فوجد بقرته وعجلها بوسط الدار ، وكانت في مكان لم يروها فيه ، فخرج صاحبها إلى جيرانه وقال لهم : مازالت البقرة في الدار ، وما كان خروجي إلا من أجل هذا الفتى الجائع الذي بات في المسجد ، فجاء إلي ورغبني أن أذهب معه إلى منزله فأبيت ، فانصرف وتركني .

(10) **الإعلام** : 8 : 152 . وفي **الذيل والتكملة** : 6 : 22 أنه سمع من أبي الوليد بن رشد . قارن بما يأتي بعد هذا من كونه نشأ في اليتم حتّى إن أمه كانت تحمله للأشغال عند البزازين .

حدثني أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن سليمان ، قال : حدثني أبو يحيَى أبو بكر بن القاضي أبي عمران موسَى بن حماد الصنهاجي[11] ، قال : كان أبو العباس السبتي في ابتداء أمره يسكن بالفندق الذي بأجادير[12] المعروف بفندق مقبل ، وكان يُقرئ الحساب والنحو ويأخذ على ذلك أجرة ، وكان له رسم في بيت المال مع طلبة الحضر ، فكان الغرباء الواردون على مراكش من طلبة العلم يأوون إليه فينفق عليهم جميع ما يكون عنده ، وكان عليه سروال من صوف وكساء من صوف على جسده ، وكان يمسك في يده سوطاً يمشي به في الأسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة في أوقاتها ، وكان يأتينا بالطعام على رأسه ويوفر علينا أجرة الحمال ، وكثر الواردون عليه ، فبتنا عنده ليلة بالفندق فارتفعت أصواتنا بالمذاكرة فاجتاز علينا حرس الليل فسمعوا كثرة اللغط واختلاف الأصوات بالمذاكرة ، فقرعوا باب الفندق فاستجاب لهم القيِّم بخدمته ، فقالوا له : ما هذه البدعة ؟ أما تعلمون أنه من رفع صوته بالليل يقتل ؟ فقعد اثنان من ذلك الحرس عند باب الفندق ليحملانا إذا طلع الفجر لنقتل ، فجاءنا القيمُ فأخبرنا بذلك ، فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس يضحك بنا ويمزح على عادته ولا يبالي . فلما كان عند السحر خلا بنفسه ساعة ثم جاءنا فقال لنا : لا خوف عليكم ، قد استوهبتكم من الله ، وهذان الحرسيان الواقفان عليكم يقتلان غداً إن شاء الله تعالى . فقلت له : أليس الجزاءُ عندك على الأفعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يستوجبان به القتل وجزاؤهما يُرَوَّعان كما روَّعانا ؟ فقال : العلماء ورثة الأنبياء ، وترويعكُم عظيم لا يقابله منهم إلا القتل ، فمازلت أنازعه في هذا وأقول : كيف يقتلان على ترويعنا إلى أن قال لنا : فعقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط . فاجتاز بالليل عبد الله الخراز وكان صاحب الوقت بالجامع الأعظم ، فوجد حانوته مفتوحة ، ورأى الحرسيين على قرب منها فلم يشك أنهما فتحاها ، فحُملا إلى

---

(11) توفي القاضي أبو عمران بمراكش سنة 535هـ (**الإعلام** : 7 : 288) .

(12) معنَى أجَادِيرْ (بجيم مصرية) الذي به هذا الفندق : الحصن أو الحي المحصن بالسور أو المبني على مرتفع ويتحدث صاحب كتاب **الاستبصار** عن حصن بدأه أبو يعقوب وأتمه أبو يوسف قبلي المدينة ، ويرجح كاسطون دوفيردان في **أطروحته عن مدينة مراكش** من التأسيس إلى 1912 أن يكون هذا الحي هو الحي المعروف بسيدي ميمون إلى اليوم .

رحبة القصر قبل طلوع الفجر . فقال لنا أبو العباس : احضروا على ضربها كما أرادا قتلكم ، فاتبعناهما وحضرنا إلى أن ضُرب كل واحد منهما مائة سوط .

وحدثنا أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي[13] . قال : خدمت أبا العباس السبتي أربعة أعوام وأنا أعتقد فيه الكفر . فلما كان صبيحة يوم عرفة صليتُ الصبح في المسجد . فلما خرجت من المسجد لقيتُه فقال لي : ما هذا اليوم ؟ فقلت له : يوم الاثنين . فقال لي وأي يوم هو ؟ فقلت له يوم عرفة . فقال لي : أتريد أن تعرف اليوم ؟ فقلت له : نعم ، فمشيت معه إلى باب الدباغين فوجدناه مغلقاً فقال لي : إن كان معك شيء يمكنك الخروج عنه فامش معي ، وإلا فارجع . فقلت له : كلُّ ما معي يمكنني الخروج عنه ، وكانت معي سبعة دراهم ونصف درهم . فقال لي ادفعها لأول داخل من باب المدينة واقصد بذلك وجه الله العظيم ولا تتغير ولو وقعت بيد يهودي أو نصراني . فأول ما لقيت . عند فتح الباب ، عجوز . فدفعت إليها وخرجنا إلى بحيرة الرقائق[14] . فتقدمني وهو يرمق بطرفه إلى السماء ويحرك شفتيه إلى أن انتهينا في آخر البحيرة إلى الصهريج عند غابة الرمان ، فقال لي : أريد أن تنتصب[15] على أربع . فقلت له : ما هذا الكلام في مثل هذا اليوم ؟ فقال لي : إنما أمرتك بعادتك من الصلاة . فدخلت بين أشجار الرمان فاستقبلت القبلة وركعت ركعتين وهو ينظر إلي . فقلت في نفسي إن لم يقع منه استحسان للصلاة قتلته على زندقته وأرحت منه . فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأخذ بيدي وقبلها وقال لي مرحبا بقرّان[16] فهم معنَى القرون . فقلت له : لم غيرتَ قلبي بهذا الكلام ؟ فقال لي : ليس هذا الكلام شتماً وإنما تكون هذه الكلمة شتماً لو قلت لك : قرنان . وإنما أردت بقولي لك قران أنك قرنت بين الصدقة والصلاة . قال : وكان بظهر الصهريج عنصر ماء الساقية . فقال لي : إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لأنه تنشر فيه الرحمة على من تعرف إليه بالطاعات . والموضع المامور بالتعرف فيه لا يمكننا الآن الوصول إليه ، فنمثل به هذا المكان

(13) حدث عنه المؤلف بأخبار شيوخ بمراكش وأغمات وتلمسان . وله ذكر في **الاعلام** . ترجمة 1401 .

(14) انظر هامشا في الترجمة (96) في **التشوف** .

(15) س : تنصب

(16) القران : المخدوع واللئيم . وراجع معناه الدارج ببلدان المغرب في قاموس Beaussier.

ونعمل كما يعملون لعل الله يتغمدنا برحمته معهم . فتل بالعين الكعبة . وبعنصر[17] ماء الساقية الحجر الأسود ، ومثل بموضع منه مقام إبراهيم عليه السلام . فطاف بالعين سبعاً وأنا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر في كل طواف وصلى في مثل المقام ركعتين تامتين ، وأطال السجود في الثانية . ثم استند إلى شجرة وفي نفسي منه أمر عظيم لا أقدر أن أعبر عنه . فأطرق ملياً ثم قال لي : ادنُ مني . فجلست بين يديه فقال لي : اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقض لك . فإن الله تعالى وعد في هذا اليوم من تعرف إليه أن يقضي حاجاته . فقلت له : مرادي التوفيق لا غير . فقال لي ما خرجت من باب المدينة حتَّى وُفقت ، لكن اذكر غرضك من الدنيا ولا تذكر إلا ما يليق بك . فقلت له : ما أريد إلا التوفيق والعمل بطاعة الله تعالى ، وما لي غرض في شيء من أمر الدنيا . فقال لي : أفي نفسك شيء ؟ قلت بل أشياء كثيرة . فقال لي أخبرني عما في نفسك : فقلت له لا يفيدني ذلك شيئاً . فإني خلوت بك في مواضع كثيرة فلم تتحصل لي منك حقيقة . فقال : والله الذي خرجنا إليه لا أخفيت عنك ظاهراً ولا باطناً . فقبلت يده على ذلك . ثم قلت له : يا سيدي يقول الناس : إنك تبيح[18] الفروج بغير نكاح شرعي — فقال : ميز الشياطين بالافتراء[19] والكفار بالإصغاء ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال لي : حصلت بين مقامين : مقام الشياطين ومقام الكفار . فإنك أصغيت إلى من قال ثم افتريت الآن علي ، فتُب عن هذا ولا تعتقده ، ومن اعتقد تحليل فرج بغير نكاح شرعي فهو كافر . وأقوال الناس كثيرة . وقد قالوا إن لله صاحبة وولداً . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . ثم قال لي : أرأيتني أنكحت[20] محرماً أو قلت بتحليل محرم ؟ فقلت له : لا ، فقال لي : اذكر ما تحققته مني ، فقلت له : رأيتك تمر في أوقات الصلوات بالمساجد ولا تصلي فيها . فقال لي : : ما وجدت شفيعاً أقدمه للشفاعة فإن النبي ﷺ قال : **أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون**[21] . وهذا الذي قلت إنه عندك حقيقة ليس كذلك . فإني لم أقل

(17) عنصر الماء : أصله ومنبعه .
(18) س : تستبيح
(19) م : بالإغواء
(20) س : نكحت
(21) جاء في حديث ابن عمر : اجعلوا أئمتكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم (كنز العمال : 2748) .

لك بترك الصلاة ، ومن قال بتركها فهو كافر ، ولكن اذكر شيئاً إذا مثلت بين يدي الله تعالى وقيل لك : ما تعرف في هذا ؟ شهدت به . فقلت له : لا أعرف حقيقة إلا كلامك بالفحش ، وقد قال الله تعالى «**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**»[22] فقال : أتذكر حديث معاذ في ذكر الحفظة ؟ فقلت له : الحديث مشهور ، فقال لي : اذكر آخر الحديث ، فأتيت به إلى قوله : **اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد به غيري وأنا رقيب على ما في قلبه** ، فضرط لي بفيه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال لي : هذا جوابك ، فإن الملائكة شهدت له بالأعمال الصالحات ، فلم يقبل هو إلا ما عقدت عليه الضمائر.

وفي حديث إنه يؤتى يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتّى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها نودوا أن أصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها ، فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا كان أهون علينا ، قال : ذلك أردت بكم ، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني بقلبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، أجللتم الناس ولم تجلوني ، ركنتم إلى الناس ولم تركنوا إلي ، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتكم في الآخرة من الثواب[23] .

ثم قال لي : ما الذي تنكر علي من الفحش ؟ فقلت له : مما أنكره عليك قولك للناس : تيوس ، وهو كلام يغير القلوب . فقال لي : أعني به المتقدمين ، وما رأيت أحداً من الناس إلا وهو يحب التقدم ، ومن شأن التيس أن يتقدم ، فقلت له : وتقول للمخاطب : ياقِطّيم[24] ، فقال لي : القطيم عندي هو الذي يحرص على تحصيل الدنيا ويجمعها ولا يُخرج منها شيئا ، فقلت له : ومن شكا إليك بشيء أمرته بالصدقة ، فإن لم يكن عنده شيء قلت له : اجعل على ظهرك أسود ، فقال لي : ما آمر الناس إلا بما ينتفعون به ، وما من شيء ينزل بالإنسان إلا وله مدفع من الكتاب والسنة أو كلام الحكماء ، فإن لم يكن عنده ما يستدفع به أمرته أن يتحمل مشقة الصلاة بالليل ، فقلت له : هلا قلت للإنسان : قم الليل ؟ قال لي :

---

(22) سورة ق : 18

(23) ساقط من س.

(24) القطيم : الشديد الاغتلام، المتحفز للضراب.

لو قلتُ له ذلك لقبل يدي ودخلني العجب والكبر، وما طرد الله إبليس عن جواره إلا بالعجب والكبر. فسألته عن بدايته إلى نهايته وبما تنفعل له الأشياء فقال لي : هذا لا يعرف إلا بالعمل ، ثم قال لي : أول أمري أني كنت بمدينة سبتة يتيماً وكانت أمي تحملني إلى البزازين[25] فأفر منهم إلى مجلس أبي عبد الله الفخار ، فتضربني ، إلى أن قال لها أبو عبد الله الفخار : لم تضربين هذا الصبي ؟ فقالت له : إنه يتيم ويأبى أن يعمل شغله ، وليس عندي شيء ، فقال لي : يا بني : لم لا تفعل ما تأمرك به أمك ؟ فقلت له : إنما أحب هذا الكلام الذي أسمعه منك . فقال لها : اتركيه وأنا أدفع لك قدر أجرته وأدفع عنك للمعلم الذي يقرئه أجرته ، فقرأت القرآن إلى أن حفظته ، ثم قرأت الأحكام إلى أن بلغ سني عشرين عاما ، فأتيت إلى إيكْلِيز[26] ومراكش في الحصار[27] ، وقال لي ابنه أبو محمد : سمعت أبي يقول : وصلت إيكْلِيز وأنا ابن ستة عشر عاماً . قال أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي في حديث عن أبي العباس : قال أبو العباس : فوجدت آية من كتاب الله ترد على قلبي كثيراً وعلى لساني وهي قوله تعالى : **«إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ»**[28] فتدبرت ذلك وقلت : لعل هذا السبب وأنا المطلوب بهذه الآية ، فلم أزل أبحث عنها في التفسير إلى أن وقفت على غريب التفسير ، وفيه أنها نزلت حين واخَى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار[29] ، وأنهم سألوا النبي ﷺ أن يعلمهم حكم المؤاخاة فأمرهم بالمشاطرة ففهمت أن العدل المأمور به هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى قول النبي ﷺ : **تفترق أمتي على اثنين وسبعين**[30] **فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي**، وأنه قال ذلك صبيحة اليوم الذي آخَى فيه بين المهاجرين والأنصار، وأن الأنصار ذكروا أنهم شاطروا المهاجرين،

---

(25) س : القزازين

(26) إيكْلِيز : انظر هامشا عنه في **التشوف**.

(27) يقصد حصار عبد المومن بن علي الموحدي ابتداء من شهر محرم عام 541هـ . (**الحلل الموشية** : 137) .

(28) سورة النحل : 90 .

(29) الذي عليه الجمهور أن الرسول ﷺ عندما نزلت قرأها على عثمان بن مظعون فحُبب إليه الايمان ، وعثمان هاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة (انظر : **الطبقات الكبرى** لابن سعد : 3 : 393 و**أسباب النزول** للواحدي : 186) .

(30) س : ثلاث وسبعين ، وقد ورد الحديث بالعبارتين معا .

فقال لهم ذلك بإثر ذلك . فعلمت أن الذي عليه هو وأصحابه هو المشاطرة والإيثار . فعقدت مع الله تعالى نية ألا يأتيني شيء إلا وأنا أشاطر فيه إخواني من المومنين الفقراء . فعملت على هذا[31] عشرين سنة فأثمر هذا الحكمَ بالخاطر ، فلا أحكم على شيء بخاطري[32] إلا صدق . فلما أن أتت عليَّ أربعون عاماً صار لي عقل آخر ، فرجعت إلى الآية أتدبرها ، فوجدتُ العدل هو الشطر والإحسان ما زاد عليه . فنظرت الثالثة فعقدت مع الله عهدا[33] ألا يأتيني شيء قليل أو كثير إلا أمسكت منه الثلث وصرفت الثلثين إلى الله تعالى . فعملت[34] على ذلك عشرين سنة ، فأثمر لي هذا الحكمَ في الخلق بالولاية والعزل . فأولي من شئت وأعزل من شئت . ثم بعد كمال العشرين سنة نظرت أول فرض فرضه الله تعالى على العباد في مقام الإحسان ، فوجدته شكر النعمة بدليل إخراج الفطرة عن الولد قبل أن يفهم ويعقل ، ووجدت الأصناف الذين تصرف عليهم الصدقات سبعة أصناف . إلا أنها الصدقة الواجبة . ووجدت سبعة أصناف أُخر صَرْفها فيهم للإحسان والزيادة على العدل ، وذلك أن للنفس حقاً وللزوجة حقا وللرحم حقاً ، ولليتيم حقاً وللضيف حقاً . وذكر صنفين آخرين ، فانتقلت إلى هذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتيني من خير قليل أو كثير أمسك منه سُبْعَيْن حق النفس وحق الزوجة وأصرف خمسة أسباع لمستحقيها ، وأقمت على هذا أربعة عشر عاماً . فأثمر لي ذلك الحكم في السماء ، فما قلت : يا رب إلا قال لي : لبيك ![35] ثم قال لي : والله أعلم أنها نهايتي بتمام عمري ، وهو أن تنقضي ستة أعوام تكملة العشرين عاماً . قال : فأرختُ ذلك اليوم فلما مات وحضرتُ جنازته تذكرت التاريخ الذي كتبته وحققت العدد فنقصت من الستة أعوام المذكورة ثلاثة أيام خاصة . فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة ، والله أعلم .

قال أبو الحسن : قال أبو العباس كل ما يأتيني أقسمه على سبعة أجزاء ، فآخذ السبع لنفسي ، والسبع الثاني لمن وجبت عليَّ نفقته كالزوجة ومن في حكمها من ولد

---

(31) س : فأقمت على هذا .
(32) س : فلا أحكم بخاطري في شيء . وفي **الإعلام** : فلا أحكم خاطري على شيء .
(33) س : عقدا
(34) س : فأقمت
(35) س : فتي قلت : يا رب . قال لي : لبيك .

غير بالغ ومملوك ومملوكة وعددهم اثنان وثلاثون شخصاً . فنظرت فيمن أستجلب أرزاقهم فإذا هم الأيتام المهملون الذين لا والد لهم ولا أم . فأخذت منهم كعدد من تجري عليهم نفقتي ممن تقدم ذكرهم وهم المقيمون لا يُفقد أحد منهم بنكاح أو موت إلا عوضت منه غيره . ثم نظرت في ذوي الرحم فإذا هم أربعة وثمانون شخصا ، ولهم حقان حق الرحم وحق المسكنة ؛ فأستجلب أرزاقهم بالذين في كتاب الله تعالى وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف[36] ، وهم الذين لا تمكنهم المسألة . فوجدتهم في ذرية علي بن يوسف[37] وبني العزيز[38] الذين كانوا ملوكاً وصاروا فقراء . فأخذت من عددهم كعدد ذوي رحمي ؛ ومتَى فقد منهم أحد عوضت منه غيره . فأنا أؤدي هذه الحقوق أربعة عشر عاما لا أنقص من ذلك .

وحدثني أبو يحيَى أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطي وكان خاصاً بأبي العباس قال : جاء بعض السلاطين لأبي العباس وهو راكب فقال له كلاماً معناه : إلى متَى تشير ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له : هو الإحسان ، فقال له : بيِّن لنا . فقال له : كل ما أردت أن يفعله معك فافعله مع عبيده .

وحدثني أبو محمد عبد الله بن أبي العباس قال : لما احتضر أبي دنا منه أبو يعقوب الحكيم[39] وكان صديقه فقال له : أوصنا بما نفعله بعدك . فقال له : ليس إلا الإحسان . ولسانه ثقيل لا يكاد يبين الكلام . ولما مات أبو العباس رحمه الله لم يرثه أحد بأوصافه غير صديقه أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسين

---

(36) سورة البقرة : 273 .

(37) من تخلف من ذرية علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي بعد أن قضت الدولة الموحدية القائمة على ملكهم .

(38) هم ذرية أمراء بجاية الصنهاجيين . كانت لهم عصبية مع المرابطين ، ولما زال ملك هؤلاء بايع آخر الأمراء الصنهاجيين وهو يحيَى بن العزيز بن مناد الخليفة عبد المومن سنة سبع وأربعين وخمسمائة . فنقله عبد المومن إلى مراكش بأهله وخاصته ثم انتقل إلى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . ويستفاد من هذا الخبر المهمش أنه ترك هنالك من أقاربه من صارت حاله إلى ما أدركه أبو العباس السبتي (راجع القسم الثالث من **أعمال الاعلام** لابن الخطيب ص 99 **وتاريخ العبر** : 6 : 362 **والاستقصا** 2 : 121 .

(39) انظر ترجمته في **التشوف** (226) .

الأنصاري[40] رحمة الله عليها بهذه الأبيات :

لَا طَالَ ليلُ أرزاءٍ تطولُ[41] ... وأحـزانٍ تحلُّ ومـا تحولُ
دهانا من خطوبِ الدهرِ خَطبٌ ... تكاد الراسياتُ له تزولُ
لقد عَظُمتْ رزيتُنا وجلّتْ ... وعمٌّ لفقدِهِ خَطبٌ جَليلُ
فُجِعْنا بالفقيه فلا عزاءٌ ... عليه فَمَا يُعادِلهُ عَديلُ
فيالَهفتي عليه ويا عَويلي ... وما يُغنِي التلهُّفُ والعويلُ
وقد أودَى الميرّز في المعالي ... وعاجلَه من الدنيا الرحيلُ
وَغُيِّب في الثَّرى عنا كشمس ... مُغرَّبةٍ تعجَّلها أفولُ
وَكُنَّا نستَدِلُّ به فأوْدَى ... فكيف بنا وقد فُقِدَ الدليلُ
يدلُّ بنا طريقَ الحَقِّ قصداً ... فليس يعوجُ عنهُ ولا يميلُ
وعمدتُه التنزيلُ ما إن ... يُفارقُه وما قال الرسولُ
فآونةً لنشرِ العلمِ يُبدي ... غرائبَه وآونةً ينيلُ
فَمن علمٍ يُبَيِّنُه ومالٍ ... يُفرِّقُه وأيتام يَعولُ
فَيُمْناهُ سَحابٌ واكِفَاتٌ ... وَمَنْطِقُهُ ٱلْبَيانُ إِذَا يَقُولُ
فَيُوسِعُنَا نَدىً غَمْراً وَعِلْماً ... كَأَنَّهُمَا لَنَا بَحْرٌ وَنِيلُ
فَتَنعشُ مِنْ عَوَارِفِهِ جُسُومٌ ... وتنعَمُ مِنْ مَعَارِفِهِ عُقُولُ
وَيبعثُنَا عَلَى كَسْبِ ٱلْمَعَالِي ... وهِمَّتُهُ التَّنَاهِي وَالْوُصُولُ
إِلَى أَقْصَى ٱلْمَنَازِلِ لَيْسَ يَرْضَى ... بِأَدْوَنِهَا كَمَا يَرْضَى ٱلْبَخِيلُ
عَفَا رَسْمُ ٱلْمَكَارِمِ إِذْ تَقَضي ... أَبو العَبَّاسِ وَٱنْدَرَسَ السَّبِيلُ
فَحُقَّ لِفَقْدِهِ تَبْكِي عُيُونٌ ... وَتَجْرِي مِنْ مَدَامِعِهَا السُّيُولُ
فَلَوْلَا أَنَّ عَوْداً بِالتَّأَسِّي[42] ... فَعَادَ لَنَا بِهِ الصَّبْرُ الجَمِيلُ
لَسَالَتْ أَنفُسٌ مِنَّا عَلَيْهِ ... وَحُقَّ لَهَا بِفَجْعَتِهِ تَسِيلُ
ولَكِنَّ التَّصَبُّرَ فِيهِ أَوْلَى ... فَمَا لِبَقَاءِ مَخْلُوقٍ سَبِيلُ

---

(40) هو أبو يعقوب الحكيم المذكور.
(41) في الاعلام : أطال الليل أرزاء تطول.
(42) في الإعلام : فلولا أن تعودنا التأسي.

وَحُكْمُ ٱلْمَوْتِ فِينَا حُكْمٌ عَدلٍ ... قَضَاهُ فَمَا لَنَا عَنْهُ عُدُولُ
فَصَبْراً وَاحْتِسَاباً يَا بَنِيهِ ... فَحَظُّ الصَّابِرِينَ غَداً جَزِيلُ
سَقَى قَبْراً تَضَمَّنَهُ سَحَابٌ ... يُغَادِيهِ وَيَعْقُبُهُ الأَصِيلُ

باب في ذكر فضائله

حدثنا أبو يحيى أبو بكر بن مساعد اللمطي قال : ما اغتاب أحد قط أحداً من الناس بمجلس الفقيه أبي العباس السبتي ، ولقد قلت له يوماً : من أشعر ، ابن حبوس[43] أم أبو العباس الجراوي[44] ؟ فأبى عن الجواب ، وقال لي : أتريد أن أغتاب الناس . فقلت له : وما في ذلك ؟ فقال : لو فضلت أحدهما على الآخر وهما حاضران لعز ذلك على أحدهما ، والغيبة هي أن يذكر الإنسان في غيبته بما يكره . وما حضرت معه قط فأنشد أحد شعراً في الغزل إلا قال له : دعنا من هذا وخذ في مدح الله تعالى ، وسمع منشداً ينشد من أبيات : **رفعوا الهوادجَ للرحيل وسلَّموا** فقال :

رفعوا الأناملَ للصَّلاَةِ وكبَّروا ... فبدا الخشوعُ لخوفهم يترنَّمُ
وبدت سواكبُ دمعهم مسبولةً ... خوفاً لِمَا قَدْ أخَّروا أو قدَّمُوا
هاذِي صلاةُ المُتَّقِين وغيرُهم ... نائي الفؤادِ وألسنٌ تتكلَّمُ

وسمع منشداً ينشد من أبيات : **يا أخي قم تر النسيم عليلا**[45] فعارضه بهذه الأبيات :

يا أخي قُمْ تَرَ الكتابَ دليلاً ... واجعَلِ الذِّكرَ والسجودَ سبيلا
واطلبَنْ للإله جنةَ خُلدٍ ... بخضوعٍ يراك فيه ذليلا

(43) هو محمد بن حسين بن عبد الله ، عالم من شعراء البلاط الموحدي ، مولده سنة 500هـ ووفاته سنة 570هـ . (**التكلة** : 1055 **والذيل والتكملة** : سفر الغرباء ، ص 85 من المخطوط ، **الاعلام** : 4 : 110) .

(44) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي أو الكُرواني . أصله من تادلا ، من بني غفجوم كان شاعرا في البلاط الموحدي ، توفي بعد سنة ستمائة (**الاعلام** : 2 : 114) .

(45) صدر البيت الأول من ثلاثة أبيات للوزير أبي بكر بن القبطرنة ، أولها :

يا أخي قم تر النسيم عليلا ... باكر الروض والمدام شمولا

انظر **نفح الطيب** : 1 : 637 .

إن ربَّ العبادِ يدعوك ليلا إنَّ فضلي لمن يكونُ سئُولا
أسعِفْ العبد بالإجابة مني ليس فضلي عليك عبدي قليلا

وكان أبو العباس يلهج في حياته بهذه الأبيات التي لشيخه أبي عبد الله الفخار[46] :

عقدت عليك مكنات خواطري عقد الرجاء فألزمتك حُقوقا
إنَّ الزَّمانَ عدا عليَّ فزادني علماً بأنك خالقي تحقيقا
ما نالني كربٌ بوجهِ مَسَاءَةٍ إلا عبرتُ به إليك طريقا
أمْضِ القضاءَ على الرضى مني به اني وجدتك بالعبيد رفيقا

فإذا سمعها يخرُّ ساجداً ، فأنشده إياها حفيده أبو زكرياء وهو في النزع ، فمدَّ يده إليه إلى أن أخذ بيده فقبلها . قال : فقلت له : قل لا إله إلا الله . فأخذ بيدي إلى موضع قلبه كأنه يقول لي : هي في قلبي :

وأنشد أبو محمد عبد الله بن أبي العباس لأبيه :

إني أَمِنتُ طوارقَ الحدثانِ لَمَّا تعلق بالإله جِنَاني
وحصلتُ في فردوسِ نعمتِه التي كانت مثوبة أوبتي وجناني
فَلِذَاكَ أورثني مُغيَّب سره فالعلمُ علمي والبيانُ بياني

وأنشدني أيضاً لأبيه رحمه الله :

ألا يا مُنيبا بات يدعو إِلَهه لقد هاجني شوقٌ إلى ذلك الورد
تبيتُ على قطع المراحِل بالتُّقى سَبُوقاً إلى الخيراتِ في جنة الخُلد
ومثلي على فُرشِ البَطالة غافِلٌ فيا أسفي من قُربِ غيري ومن بعدي
أناى عن الفردَوسِ في جنَّةِ العُلَى ويَحظَى بها ذو الدمعِ سَكْباً على الخَدِّ

وحدثني أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف الحسني رحمه الله من أهل البيت عليهم السلام قال : رأيت النبيّ ﷺ في النوم ، فقلت له : يا رسول الله . أريد أن

---

(46) قال في **المعزى** عند ذكر أبي العباس السبتي : هذه الأبيات معروفة عن عهد التابعين وقال صاحب **الإعلام** (ج 1 ص 323) إنها منسوبة في **تلخيص معالم الايمان** لعقال بن غلبون المتوفى بالحرم المكي سنة 291هـ .

أراك في النوم كل ليلة ، فقال لي هذا لا يمكن ، فإني مطلوب في المشرق والمغرب ، فشكوت له حاجتي وفقري ، فقال لي : البخل أضرَّ بك ، فمر علينا أحمد بن دوناس وهو رجل صالح من الأولياء الأخفياء من أهل أغمات لا يمسك شيئا ، وربما تجرد من أثوابه فيؤثر بها ويستتر بالأبواب ، فسلم علينا وانصرف فقلت له : يا رسول الله ، وهذا ؟ فقال لي : البخل أضر به ، فحرت لما أعرف من كثرة إيثاره ، فقلت له : بين لنا هذا البخل ، فقال لأقولن لك فيه قولا لم ينقله إليكم علماؤكم : إذا حضر لأحدكم خاطر بالعطاء ثم عقبه خاطر آخر بالمنع فالتردد في الخاطر الأول بخل[47] ، فسألته عن أبي العباس السبتي وكنت سيء الاعتقاد فيه ، فتبسم ثم قال لي : هو من السُّبَّاق . فقلت : بيِّن لي ، فقال لي : هو ممن يمر على الصراط كالبرق ، فأصبحت وخرجت ، فلقيت أبا العباس السبتي فقال لي : ما سمعتَ وما رأيتَ ؟ فقلت له دعني ، فقال لي : والله لا تركتك حتَّى تعرِّفني ، فذهبت معه إلَى حانوت ابن مساعد ، فأنشأت أحدثه إلى أن قلت له : التردد في الخاطر الأول بخل ، فصاح وغُشِيَ عليه . ثم قال : كلمة الصفا من المصطفَى وصار متَى ما يُذكر هذا الكلام يُغشَى عليه .

حدثني أبو الحسن علي بن زكرياء قال : سمعت أبا العباس السبتي يقول : أنا هو القطب .

باب في ذكر أخباره

حدثني أبو الحسن علي بن زكرياء بن عبد الله قال : جلست يوماً مع أبي وكان معنا أبو العباس السبتي ، فجاء إلى أبي يتيم فسأل منه شيئا فأعطاه أبي نصف درهم ، فقال له أبو العباس : أعطه درهماً كاملا ، فأخذ منه أبي نصف الدرهم ودفع له درهماً كاملا ، فقال له أبو العباس : ردَّ إليه نصف الدرهم يفتح الله عليك في أربعة دراهم ونصف درهم ، فما برحنا من مكاننا حتَّى وقفت على أبي امرأة من الخدماء ، فقالت له : أتعرفني ؟ فقال لها : لا أعرفك ، فمن أنت ؟ فقالت له : كنتُ قد اشتريت منك نطعا ببلد داي بأربعة دراهم ونصف درهم ثم

(47) قال صاحب المعزَى معلقا على قول السبتي : هذه إشارة إلى قول أبي الحسن اليوسنجي وهو من أئمة هذا الشأن ، توفي عام ثمانية وأربعين وثلاثمائة . وقال العباس بن ابراهيم : هو المترجم في طبقات الشعراني (الإعلام : 1 : 286) .

طرأ على أهل داي[48] ما طرأ من الجلاء عن بلدهم وافتراقهم في البلاد عام تسعة وخمسين وخمسمائة ، فافترقنا وبقي لك عندي ثمن النطع إلى الآن فخذه ، فأخذ منها تلك الدراهم .

قال : وجلس أبو العباس السبتي يوماً بدكان صديقه أبي يعقوب الحكيم إلى أن جاءه رجل خليع فقال له : أطعمني فإني جائع ، فقال له أبو العباس : ليس عندي شيء . ثم عاد عليه ثانياً وثالثاً وهو يقول : ليس عندي شيء . ثم قال لأبي يعقوب : هل عندك ثمن خبزة ؟ فدفع له أبو يعقوب درهما فاشترَى به خبزة ودفعها إليه ، ثم قال له : لعلك قلت في نفسك كيف أُعطي ما أخذ مني هذا الخليع ؟ فقال له : لقد خطر ذلك ببالي ، فقال له : لو لم يكن خليعاً لكنت أنت ذلك الخليع ففداك ولم تعرف قدر ما أنعم به عليك .

حدثني غير واحد أن أبا العباس بات ليلة مطر فغلبه البرد فأمر أن يغطّى باللحاف ، فلم يندفع عنه البردُ فزيدت عليه اللحف والبرد لم يندفع عنه ، فقام من فراشه يمشي بالحلة التي هو فيها ويقرع أبواب الديار ولا يستجيب له أحد إلى أن قرع باب دار فاستجاب له أهلها ، فعلم أنهم لم يناموا من مكابدة البرد ، فقال : ما لكم لم تناموا ؟ فقالوا له قد ابتلت أثوابنا بالمطر فنحن نجففها على النار ، فقال من هاهنا غلبني البرد ، فقال أبو العباس لأهله أحملوا لهم هذه اللحاف فسيقت إليهم وتغطوا بها ، ودخل أبو العباس في فراشه وجعل على نفسه الغطاء التي جرت عادته أن يتغطّى بها دون تلك اللحف فزال عنه البرد ونام .

وحدثني عنه أنه قدم له أهل ليلة عشاءه فلم يستسغ الأكل ، فقال لأهله لعلكم قلقتم لحياتي وأحببتم موتي ، فقالوا : كيف ذلك ؟ فقال : لعلكم بقي منكم مَن لم يأكل ، فلذلك لم يطب لي الطعام ، فحفوا به كلهم وقالوا : والله ما بقي منا أحد إلا وقد أكل ، فقال لهم اطلبوا ففتشوا ، فلما ذهبوا لباب الدار وجدوا امرأة مسكينة نائمة لم تتعش ، فرفع إليها عشاءها فأكلته وجعل لها فراشا تنام عليه .

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي قال : احتبس المطر في بعض الأوقات فقال أبو الحسن البلنسيّ الجنان لأبي العباس : أما ترَى ما فيه الناس من

---

(48) انظر بشأن داي هامشا في الترجمة (26) في التشوف .

احتباس المطر؟ فقال له : إنما احتبس لشحّ الناس فلو تصدقوا لمطروا ، فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا ، بقدر ما أنفقتم تمطروا ، فقال له أبو الحسن : لن يصدقني أحد ، ولكن مرني في خاصة نفسي فما أمرتني به أفعله ، فقال : تصدق بمثل ما أنفقت ، فقال إذا مطرت أخرجت من ثمن الغلة مثل ما أنفقت ، فقال له : إن الله تعالى لا يعامل بالدين ! ولكن استسلفها فاحتال فيها وتصدق بها كما أمره — قال أبو الحسن فخرجت إلى البحيرة التي كنت اعتمرتها والشمس شديدة الحرارة وقد أيست من المطر ، ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك ، فأقمت ساعة فرأيت سحابة قد أمطرت البحيرة إلى أن رويت وبلت ثيابي وظننت أن الدنيا كلها كذلك قد أمطرت ، فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يجاوزها ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، سمعت أبا يعقوب الحكيم وجماعة يحدثون بها ، وكان أبو العباس يعضدها بحديث حذيفة المخرج في الصحيحين[49] .

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي قال : جلست مع أبي العباس في جماعة من المريدين وقد احتبس المطر ، فر الصبيان بنا وهم يستغيثون ويسألون المطر ، فقيل لأبي العباس : أما ترى ما أصاب الناس من القحط والجفوف فهلا استسقيت لنا ؟ فقال : قوموا ، فخرجنا من باب الدباغين ومعنا أبو يعقوب الحكيم وجماعة من المريدين والشمس شديدة الحرارة ، فقال لنا أبو العباس : من كان عنده شيء فليتصدق به ، فقلت له : أما أنا فليس عندي شيء فإن أمرتني أن آتي بشيء فعلت ، فقال : لا ، إنما أمرت من حضر عنده شيء الآن أن يخرج عنه ومعنا رجل شديد الفقر يعرف بالطراز ، فقال ليس عندي غير ثمن درهم أعددته للزيت فقال له : تصدق به، ففعل، فقال أبو العباس : في هذا جاء الخبر : **سبق درهم مئة ألف درهم**[50] ، فقال : فلقينا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن جذع الجذامي ، فنزل عن دابته وسلم على الشيخ ، فقال له : إلى أين خرجتم ؟ فقلت : خرجنا نستسق ، فضحك بنا وقال : صدقتم هذا الشيخ الأحمق ارجعوا ، فقلت له : أما أنا فلا يمكنني الرجوع ، فتقدم أبو العباس وهو ينظر إلى السماء ويحرك شفتيه ثم قال لنا : قولوا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن الخلائق يرزقون

(49) راجع **صحيح** البخاري ، كتاب صلاة الاستسقاء : 14 **وصحيح** مسلم كتاب صلاة الاستسقاء : 10 والحديث عن أنس بن مالك .

(50) راجع سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، 49 .

يهذا ، فكنا نقول ذلك ونرفع به أصواتنا وأقنا على ذلك ساعة ، ثم قال لنا : بادروا ، المطر ، وخذوا نعالكم بأيديكم ، فضحك ابنُ الجذع وقال : هذا والله هو الحمق ، يقول لكم هذا القول والشمس شديدة الحرارة ! فقلت : أما أنا فلا أكذبه ، فأخذت نعلي بيدي ، فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتَّى غيمت السماء وانهملت بالأمطار ، فبقي ابن الجذع مذعوراً ، فقال لأبي العباس : اغفر لي سيدي فإني أتوب إلى الله تعالى مما ظننت بك ، فقال له لن تقبل توبتك هكذا حتَّى تتصدق بشيء ، فأخرج خمسة دنانير وقال لي : دفعت هذه الخمسة دنانير لي امرأة من كرائم ابن مردنيش[51] ليدعى لها أن تحبب إليها الصلاة ، فقال أبو العباس : ما خرجت إلا لأخذ مائة دينار ، ولكن بهذه الخمسةُ تُؤخذ . فربطها في عمامته وانصرف ابن الجذع إلى تلك المرأة ، فأعلمها أنه دفع لأبي العباس خمسة دنانير ، فقالت له : احمل إلى الفقيه مائة دينار يضعها في موضعها ، فجاء بها ابن الجذع إلى أبي العباس ، فقال إنما طلبت هذه المائة لصبية بكر قبضت لها جدتها نقدها من زوجها فأكلته لحاجتها فطولبت بالنقد لتجهيزها له فشكت إلي ، وعلمت صدقها فخرجت أستسقي ليفتح الله لها في مائة دينار، فدفع إلى العجوز المائة وقال لها : جهزي حفيدتك بالمائة وخذي هذه الخمسة وانتفعي بها ، فقال ابن الجذع لأبي العباس : عسَى أن تعلمني بأي شيء علمت نزول المطر حين أخبرتنا بذلك ، فقال : مرت ريح باردة في خدي فلما وجدت بردها رفعت بصري إلى السماء فرأيت سحابة بطرف جبل درن فعلمت أنها سحابة مطر .

وسمعت جماعة كثيرة من خاصته منهم أبو يحيَى أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطي وكلهم يقولون : كان عيسَى بن شعيب من تلامذة أبي العباس قد أدركه عجب بنفسه ، وظن أنه قد زاد على مقام شيخه ، فغير عليه قلبه وسافر من مراكش وكانت تحته ابنة أبي العباس ، فجاءت يوما إليه ابنته فقالت : يا أبت إن زوجي غاب عني فما أفعل؟ فقال لها : ليس بزوجك ، اعتدّي فإنه مات الآن . قال أبو بكر : فأرخنا ذلك اليوم . فجاء بعد ذلك خبره بأنه مات في قرية

(51) كان بنو مردنيش يملكون بلاد شرق الأندلس عندما جاز أبو يعقوب بن عبد المومن لتطويعها سنة سبع وستين وخمسمائة ، فمات كبيرهم محمد بن مردنيش وقدم أولاده وإخوته على أبي يعقوب فسلموا إليه جميع بلادهم ، فتزوج أختهم وأحسن إليهم وأصبحوا عنده في أعز منزلة (الاستقصا : 2 : 150) .

الحدادين في ذلك اليوم ، وسمعت أبا يعقوب الحكيم يذكر هذه القصة وهي مشهورة صحيحة .

وحدثني ابن مساعد قال : أصاب الناس قحط بمراكش فدخلت مع أبي العباس دار الإشراف وكان النظر فيها لأبي يحيى أبي بكر بن يوسف الكومي[52] ، وكانت بينهما صحبة ، فسلم عليه أبو العباس وأشار له إلى السماء كأنه قال له : تصدق ليسقى الناس ، فقال له أبو يحيى : إن الله غني عنا ، فولى أبو العباس وهو يقول : سبحان الله ، هذا الرجل عزل نفسه ، ثم قال لي : أرخ هذا اليوم ، قال : فأرخته ثم قلت له : من أين قلت هذا القول ؟ فقال لي : قال الله عز وجل : **«هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ، وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»**[53] ، قال ابن مساعد : فتمت ثلاثة عشر يوما من يوم التأريخ وجاء من اشبيلية أبو محمد بن برزيجن بن عبد الصمد بعزلة أبي بكر بن يوسف عن دار الإشراف .

وحدثني أبو يحيى أبو بكر بن مساعد اللدطي قال : خرجت مع أبي العباس ومعنا رجل ثالث وأتينا إلى باب بحيرة الناعورة[54] ، وكان مغلقاً ، فلما وصل إليه أبو العباس انفتح له الباب فدخلنا البحيرة فظننا أنه فتح له رجل كان خلف الباب فنظرنا يميناً وشمالا فلم نر أحداً فعجبنا من ذلك ، فالتفت إلينا فقال : أتعجبون من انفتاح الباب ولا تعجبون من هذه السحابة التي استدعيتُها حتَّى أظلتني ، فرفعنا رؤوسنا . فرأينا سحابة فوق رأسه تظله .

قال أبو يحيى أبو بكر بن مساعد : وجئت يوما مع أبي العباس في جماعة إلى باب الدباغين وهو مغلق ونحن خارج الباب ، فقال للبواب : افتح لنا ، فأبى فقال لي : يا ابن مساعد ! فقلت له : نعم ، فقال لي : أعطه قيراطاً ليفتح لنا .

(52) كان وزيرا ليوسف بن عبد المومن بعد ابن جامع (**البيان المغرب** : 3 : 140) ولعله عزل لما كان يعقوب المنصور باشبيلية .
(53) سورة محمد : 38 .
(54) واحدة من البحيرات أي البساتين والغراسات المحيطة بمدينة مراكش ، وكانت للمرابطين والموحدين عناية بانشائها وتعهدها .
باب ايتان : انظر هامشا في الترجمة 143 في **التشوف** .

فأبى ، فقال : أعطه درهماً ، فأبى . فولى أبو العباس مغضباً وهو يتكلم ، فرأيت صبياً صغيراً رفع العمود فانفتح ، فقال أبو العباس إن هذا البواب يموت ، فأقام البواب ثلاثة أيام فمات ، قال ابن مساعد : أنا رأيت ذلك الصبي رفع العمود وهو صغير ممن لا يطيق رفع ذلك العمود لثقله ، وما أدري كيف انفتح له .

قال : وخرجت معه يوماً إلى بحيرة الطلبة خارج باب إيتان[54] ومعنا رجل يعرف بالغزال كان خفيفاً على الشيخ ، فقال له أبو العباس : يا بني اشتر لنا شواء ، فقال له الغزال ، إنه تلحقني في اشترائه من السقاية مشقة ، ثم مر فكان أبو العباس ينتظره إلى أن يئس منه ، فانقبض عنا ونحن نرى الكراهة في وجهه ، فقال له أبو يعقوب الحكيم : أعلى شهوة تتنكر هذا النكر؟ فقال والله ما تنكرت من أجل شهوة ، وإنما ذلك من أجل أني ما أحلت خاطري على شيء إلا تيسر وأنا الآن صرحت بلساني فلم يتيسر فلا أدري من أين أوتيت . فمكث ساعة فإذا بالطراز قد جاء إلينا وعلى وجهه أثر التعب ، فقال : لقد أتعبتموني في طلبكم فلم أزل أسأل عنكم إلى أن أتيتكم . فقال له أبو يعقوب : أعندك شواء؟ قال : نعم ، خرجت من باب إيتان فوجدته ولم يكن عندي غير ربع درهم فاشتريت به منه لكم . فتناول منه أبو العباس مضغتين وهو منكر ، ثم تركه .

وأخباره كثيرة عجيبة وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً وفي هذا القدر الذي ذكرته كفاية لمن أراد أن يستشرفها ، نسأل الله تعالى توفيقاً إلى مرضاته وعملا زكياً يكون ذخراً لديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

باب جامع لمنازعه

حضرت غير مرة مجلس أبي العباس وسمعت احتجاجه على منازعه ومعاهده ، وكان يقول : أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان ، وأصل الشر في الدنيا والآخرة البخل ، قال الله تعالى : **«فأما مَن أعطَى واتقَى وصدق بالحسنَى فسنيسره لليسرَى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتغنَى وكذَّبَ بالحُسْنَى فسنيسِّره للعُسْرَى»**[55] وقال تعالى حكاية عن إبليس : **«ثم لآتينَّهُم من بَيْن أيديهِم وَمِنْ خلفهم وَعَن أيْمانِهم**

(55) سورة الليل : 5 .

وَعَنْ شَمَائِلِهِم وَلا تَجِد أكثَرهُم شاكِرِين»[56] ، وفي الحديث : الأكثرون هم الأخسرون ورب الكعبة إلا من قال بماله هكذا وهكذا[57] . وذكر العطاء من هذه الجهات الأربع ، ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وأهله دعا عليهم موسَى عليه السلام بالبخل : رَبَّنا إنَّك آتيت فِرْعَون وَمَلأَهُ زينَةً وأموالاً في الحَيَاةِ الدُّنيا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِس على أَمْوَالِهِم واشْدُدْ عَلى قُلُوبِهم فلا يؤمِنُوا حَتَّى يَرَوا العَذَابَ الأَلِيمِ ، قَالَ قَدْ أُجِيبَت دعوَتُكُما فاستَقِيمَا» . وقال الله تعالى : «وَمِنهُم من عَاهَدَ الله لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْله لنصَّدَّقَنَّ ولنكونَنَّ من الصَّالحِين ، فَلَمَّا آتَاهُم من فضْله بخلُوا به وتَوَلَّوا وهُم مُعرضُون . فأعْقَبَهُم نفاقاً في قُلُوبهم إلى يَوم يَلْقَونَه»[58] ، وقال تعالى في الأنصار : «وَيُؤثِرون عَلَى أنفُسِهم وَلَوْ كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ ومَن يوقَ شُحَّ نَفْسه فأولَئِك هُم المُفْلِحُون»[59] ، وقال تعالى : «إنَّا بلَوْنَاهُم كَمَا بلَوْنا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»[60] إلى تمام القصة ، وقال عليه السلام : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ، فلم يذكر وقاية للنار إلا العطاء ، وقال تعالى : «سَارِعُوا إلَى مَغْفِرَة مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عرضُهَا السَّمَواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِين»[61] إلى قوله : «إنَّ الله يُحِب المُحْسِنِين» وقال تعالى : «لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب ، ولَكِن البِرُّ من آمَنَ بِاللَّهِ واليومِ الآخرِ والمَلائِكَةِ والكِتَابِ وَالنَّبِيئِينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ»[62] الآية .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري[63] قال : حضرت مجلس أبي العباس السبتي يوما وقد ذكر قوله تعالى : «إنَّا عَرَضْنا الأمَانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فَأَبَيْن أَنْ يَحمِلْنَهَا» إلى قوله : «جَهُولاً»[64] ، فقال : هذه الأمانة هي

(56) سورة الأعراف : 17
(57) راجع سنن الترمذي ، كتاب الزكاة : 1 وسنن النسائي : كتاب الزكاة : 2 ومسند الامام أحمد : 2 : 309 — 535 .
(58) سورة التوبة : 175 .
(59) سورة الحشر : 9 .
(60) سورة القلم : 17 .
(61) سورة آل عمران : 133 .
(62) سورة البقرة : 177 .
(63) أكثر التادلي الرواية عنه في **التشوف** ، وأخوه أحمد بن خالص مترجم فيه (234) .
(64) سورة الأحزاب : 72 .

الرزق فالسماوات أعطت ما عندها من الماء وهو المطر ، والأرض أعطت ما عندها من النبات وغير ذلك مما فيها والجبال أعطت ما عندها من المياه فأنبتت الأرض وأبرزت ثمارها وما فيها من الأرزاق وأبت من إمساكها فصار الإنسان خازنا لما يجتمع عنده فيمنع منه المساكين إنه كان ظلوماً جهولا .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : سمعت أبا العباس السبتي آخر عمره كثيراً ما ينزع بهذه الآية : **«أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وأَعْطَى قَلِيلاً وأَكْدَى»** أي وأقطع **«أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى»** إن الصواب ما يفعل **«أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرَ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»**[65] أي أعطى إلى آخر الآية، قال : وسمعته يقول قصدت أنا وحدي إلى عين الخير دون سائر العلماء والأمر كله إنما يدور على العطاء والبذل . وما تصدقت قط بصدقة لوجه الله تعالى إلا بربع درهم ، وإنما تصدقت لأجازى ، وما تصدق لوجه الله تعالى العظيم خاصة إلا سيدنا ومولانا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء الذين لم ينالوا من الدنيا إلا البلاغ[66] ، وكان يقول : كلُّ مَن قال : إن الله تعالى لا يجازي على الصدقة فقد وافق اليهود على الفرية على الله تعالى فإن اليهود قالوا : يد الله مغلولة[67] أي لا يجازي ولا يثيب ، فقال تعالى : **«غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»** أي يجازي على العطاء كيفما يشاء . وكان يقول في قوله تعالى : **«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا»**[68] إلى قوله تعالى : **«فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُم وجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُم»** قال : كويت هذه المواضع لأن الغنيَّ إنما يعرض عن المساكين بوجهه ثم بجنبه ثم يوليه ظهره ، فعوقب في هذه المواضع بالكي بالنار على الإعراض بها عن الفقراء .

حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : حدثني أخي أحمد . قال : حدثني أبو يعقوب الحكيم قال : خرجت مع الفقيه السبتي من باب الدباغين وقد أوقد فرن الجيارين والريح جوفية تهب بالدخان إلى جهتنا فقال أبو العباس :

---

(65) سورة النجم : 23

(66) س : البلاء .

(67) سورة المائدة : 64 .

(68) سورة التوبة : 34

أي ريح تريد أن تهب؟ فقلت: الريح الشرقية، فقال لي: تهب الآن، قال: فرأيت الريح قد هبت شرقية فحملت الدخان إلى جهة أخرَى.

قال وحدثني أبو الفضل العباس بن أحمد القيسي(69) قال: بات عندنا أبو العباس السبتي ليلة بباب إيلان، فمنع النوم فقام يضرب على الأبواب إلى أن وجد قوماً يتحدثون في دهليز الدار فسألهم عن حالهم فأخبروه أن قطر سقف البيوت منعهم من النوم ففروا إلى دهليز الدار فبعث إليهم شملة فتغطوا بها وانصرف وقال: من أجل هؤلاء مُنعتُ النوم.

وحدثني أبو يحيَى ابن مساعد اللمطي قال: سمعت أبا العباس السبتي يقول: والله ما بلغت نعل أبي الحسن البلنسي، وإنما أنا مومن وتاجر شحيح، إنما أفعل ما أفعل لأجَازَى. وقال له رجل وأنا حاضر: ما لك لا تتكلم على الصلاة؟ فقال إنما تكلمت على العلة العظمَى التي عمت وهي البخل، قال وإنما أودعكم السر الذي لم يطلع عليه كل واحد: بإعطاء الشطر تكون الوقاية، اتقوا النار ولو بشق تمرة كما قال عليه السلام، وبإعطاء الثلثين يحكم في المخلوقات كالاستسقاء والولاية والعزل ودخول الجنة وأمثال ذلك، وبإعطاء خمسة أسباع يستجاب الدعاء وتكون الكائنات، قال ابن مساعد وانتهَى أبو العباس إلى إعطاء تسعة أعشار والتمسك بالعُشْر وهي النهاية.

قلت: وإنما قال: وهي النهاية، لأنها الواجب فيما يبقَى للمساكين، فمن خرج عن تسعة أعشار وتمسك بالعشر فقد أخذ لنفسه الواجب للمساكين وأعطَى للمساكين ما يجب له وهو المالك.

قال ابن مساعد: وقلت لأبي العباس: أكره ما تكلم به من الفحش فإن الله تعالى يقول: «**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**» فقال لي: إذا تكلمت بالكلمة أليس الله يطلع على قلبي ما لا يطلع عليه مثلك؟ فقلت له: بلَى، فقال لي: بماذا أبالي إذا علم الله تعالى مني ما عقد عليه ضميري؟ فقلت له: لم كانت الخلافة لمعاوية دون الحسن بن علي رضي الله عنهما؟ فتغير وسكت عني ساعة ثم

---

(69) في الإعلام: 8: 107، أحمد السبتي، وهو خطأ.

قال لي : فلو كان الحسن خليفة فهل يحمل[70] أن يُحاسَب عن رعيته وجده محمد ﷺ ، أكرم الخلق على الله ، يشاهد مطالبته ومحاسبته ؟ وذكر بمحضره فعل يزيد بالحسين رضي الله عنه فمازال يصيح : يا محمد يا محمد ، ما لك أمة ! إلى أن غشي عليه .

قال ابن مساعد : وخرجت مع أبي العباس وأبي يعقوب المبتلى[71] وأبي الحسن البلنسي إلى بحيرة خارج باب أغمات وقد رغبنا أبا الحسن أن يستسق لنا وكان وقت جدب ، فأحضر لنا أبو الحسن طعاما كثيرا فجعلنا نأكل وأبو يعقوب المبتلى يقول : متّى يستسق لنا الفقيه أبو العباس ؟ فإني ما رأيته دعا . فلما رجعنا إلى المدينة قلت له : يا سيدي خرجنا للاستسقاء فلم تستسق لنا ، فقال : قد استسقينا لكم ، يعني بالطعام الذي أكلتم وقد رويت البلاد ، وسُقينا . فقلت له : متّى سُقينا ؟ فقال لي : بل سُقينا في غير هذه الأرض وغدا نُسقَى ، فقلت له : لِمَ سقي غيرنا اليوم ونسقَى نحن غداً فقال : لأن ساقيَ القوم آخرهم شرباً ! قال والله لقد مطرنا في اليوم الثاني مطراً وابلا ، وسألت عن تلك الجهات الواصلين منها فأخبروني أنهم مُطروا قبلنا بيوم . قال وخرجت معه يوماً إلى بستان خارج باب دكالة وكان قد شوقني فيه بعض أصهارنا فأتحفنا بما كان عنده من الفواكه فسر بذلك الفقيه أبو العباس ودعا العامل في البستان فقال له : ما الذي تريد أن يكون ؟ قال : يا سيدي : ما أريد شيأً وإنما نحن معاشر الجنانين قد تضررنا بالريح الشرقية فإنها أفسدت علينا النوار ولا نريد إلا أن تكون الريح غربية ، وكان إذا أراد من الله أمراً أطرق ساعة وينقبض فلا يجسر على كلامه أحد ، ففكر ساعة ثم قال لنا استنشقوا الريح فاستنشقناها فإذا هي غربية .

قال أبو يحيى بن مساعد : وحضرت معه يوما فأنشده بعض الحاضرين بيتين من قصيدة ابن عمار التي أولها : **أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى**[72] ، فقطع إنشاده

(70) س : يحتمل .

(71) في **التشوف** ، ترجمة 156 .

(72) أولها :

أدر المدامة فالنسيم قد انبرَى   والنجم قد صرف العنان عن السرَى

وهي لذي الوزارتين أبي بكر بن عمار المتوفى سنة 477هـ . والقصيدة في مدح المعتضد والد المعتمد . راجع **نفح الطيب** : 1 : 655 .

وكره سماع القصيدة وقال لابد أن أكفر عن هذين البيتين اللذين سمعتهما بهذين البيتين :

أَقِمِ ٱلصَّلاةَ مُهَاجِراً سِنَةَ الكَرَى وٱجْعَلْ صَبَاحَكَ عندَه حمدَ السُّرَى
واطوِ المراحلَ بالعُروج لمن له لطفٌ يَتزَّله إذا هَجَعَ الورَى

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال : حدثني أبو ابراهيم بن نجا قال : مرّ بي أبو العباس السبتي وأنا بسوق الغزالين وهو يقول : مَن يعطي درهمين يزال عنه وجع الرأس ، فناولته درهمين ، وكان يعتريني وجع الرأس ، فوالله ما أصابني بعد ذلك وجع الرأس .

وحدثني ابن مساعد قال : حضرت بمجلس أبي العباس يوماً وقد اجتمع إليه الناس فقال لهم : إنما تكلمت عليكم بقوله عز وجل : **«فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ»**(73) فإنّا من أولي بقية ، أتدرون ما هذا الفساد الذي يُنهون عنه ؟ هو إهلاك الحرث والنسل بالبخل المؤدي إلى الجدب ، قال تعالى : **«وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ، وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ»**(74) ثم قال : **«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ»**(75) إلى قوله : **«اعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»**(76) ، قال : فكأنه قيل له بماذا يحي الأرض بعد موتها فقال : **«إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ والمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً»** الآية ، ثم تلا هذه الآية : **«إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»** إلى قوله : **«ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا»** إلى قوله : **«إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ»**(77) أي مطره ، فذكر كيف ينزله فقال : **«هُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ نُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»** إلى آخر الآية .

---

(73) سورة هود : 116 .
(74) سورة البقرة : 305
(75) سورة الحديد : 16 .
(76) سورة الحديد : 17 .
(77) سورة الأعراف : 54 ، 55 ، 57 .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال سمعت أبا العباس السبتي يقول تحية المسجد ركعتان ، إنما معناه أن المحي يضع أعز أعضائه وهو الوجه على الأرض ، ومن أخذ ماله الذي هو أعز الأشياء عنده فوضعه في المسكين الذي هو كالأرض لمسكنته وفقره فقد أحياه .

وسألت ابن مساعد فقلت له : أنت لازمت أبا العباس مدة طويلة وخلوت به فأخبرني عن أعجب ما رأيت منه ، فقال : كل شأنه عجب ، وأنا أخبرك بما رأيت في نفسي من العجب ، ذلك أني مرضت وأصابني تشنج سترته عن أعين الناس في منزلي ، فبعثت إليه رضي الله عنه أن يأتيني ، فقال للذي بعثت إليه : أبو بكر رجل شحيح ، ولولا ذلك لكان شأنه عظيماً ، ووعد الذي جاءه بالقدوم علي وكنت التفتت إلى منازعه ومقاصده فقلت للذي بعثت إليه : كم عدد درج المصرية التي نحن فيها ؟ فقال لي : ثلاث عشرة درجة ، فقلت له سيطلب مني الشيخ ثلاثة عشر ديناراً على عدد الدرج ، فلما صعد إليّ قال : تعطيني ثلاثة عشر دينارا . فقلت : كذلك قلت قبلك وأمرت بعدّ الدرجات . فعجب من ذلك ، ثم سألني عن حالي فقلت له : إني أرى أحلاماً رديئة ، فقال لي : أنا أطبك ، فكم نفقتك في الشهر ؟ فقلت له : ستة دنانير ، فقال لي : أخرجها . فأخرجتها ، فأخذ مسحاة وكتب فيها حرف الزاي وقال لي : اجعلها تحت رأسك مع تلك النفقة ، فأخذت المسحاة والدنانير فجعلتها تحت رأسي فزالت تلك الأحلام الرديئة ورجعت عني ، وكنت أنفق من تلك النفقة إلى أن بقي منها ديناران فأخذتهما وعادت تلك الأحلام فرددتهما فزالت عني فأعلمته فعجب من اختباري لذلك فقلت له : داوني من هذا التشنج ، فقال لي : أعطني ثلاثة عشر دينارا . فشكوت إليه ضيق الحال ، فقال لي : أنا أحاسبك بما أنفقته على نفسك وعيالك منذ أصابتك هذه العلة ، فأعطيته الباقي بعد الحساب فقلت له متى أستريح ؟ فقال تأتيني إلى منزلي واكتب لك في الزمام فأتيته وكتبني وقد استرحت مما أصابني .

وقال أبو بكر : قلت له ما للعلماء يعادونك ويكرهونك ؟ فقال لأني موقن بخبر الله تعالى حيث قال : **﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**(78) ، وهم غير موقنين بذلك .

---

(78) سورة سبأ : 39 .

وكان يقول : ركن العلماء إلى الدنيا وبخلوا بها وغلّبوا جانب الرجاء وفيهم يقول الله تعالى : **«فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خلف وَرِثُوا الْكِتَابَ يأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سيُغْفَرُ لَنَا وإنْ يَاتِهِم عَرَضٌ مِثْلُهُ يأخُذُوهُ ، أَلَمْ يُوخَذْ عَلَيهِم مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلّا يَقُولُوا على الله إِلَّا الْحَقَّ ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ والذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»** [٧٩] .

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي وغيره أن رجلا يعرف بابن الشكاز وكان من الأغنياء ثم افتقر فحدث أنه وصل إلى أبي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته ، فشكا إليه حالته ، فأخذ بيده ومر حتّى خرج معه من باب تاغزوت وجاء إلى موضع فيه الماء يتطهر منه الناس ، قال فدخل فيه أبو العباس وتجرد عن أثوابه وناداني ، فقال لي : خذ هذه الثياب فأخذتها ، وكان ذلك بعد العصر فأردت أن أرَى ما يكون من أمره ، ثم صعدت على حائط وجلست أنتظر ما يكون من أمره ، فبقيتُ هناك إلى وقت غروب الشمس وقد رد البوابُ الباب الواحد ، فإذا بفتًى قد خرج من باب تاغزوت وهو على دابة وأمامه رزمة من الثياب ، فلما رأيته نزلت إليه فقال لي أين الفقيه أبو العباس ؟ فقلت له هو في تلك السقاية عريانا ، فقال لي أمسك هذه الدابة ، فسمعت الفقيه يقول أين تلك الثياب ؟ فأخذها منه ، فلما رآني قال لي ما لك هاهنا ؟ فقلت يا سيدي خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك ، فقال لي : أما ترَى الذي فعلت من أجله ما فعلت بتركي ، ثم سأل الفتَى عن سبب وصوله ، فذكر له أن إحدَى الكرائم أمرته أن يحمل إليه تلك الثياب ، وقالت له لا تدفعها إلا للفقيه أبي العباس [وقل له لا يلبسها إلا هو][٨٠] ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، وأخباره كثيرة عجيبة ولو استقصيناها لطال الكتاب وفيما ذكرته كفاية .

---

(79) سورة الأعراف : 169 ، 170 .

(80) م : وقل له : لا يلبها لمن أراد أن يستتر بها .

فهارس كتاب التشوف

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الحديث

فهرس القوافي

الطويل

البسيط

مخلع البسيط

الوافر

الكامل

مجزوء الكامل

الرجـز

مجزوء الرجز

الرمل

السريع

المنسرح

الخفيف

المجتث

المتقارب

فهرس الكتب

— م —

فهرس أعلام الأشخاص المذكورين في الكتاب عرضا

– ف – ق –

فهرس الطوائف والجماعات

فهرس الأماكن

ذكر أسماء أصحاب التراجم(*)

(*) تشير الأرقام بين قوسين إلى التراجم، أما الأرقام الأخرى فتشير إلى الصفحات. وعلامة ← تعني انظر.

فهارس أخبار
أبي العباس السبتي

فهرس الأعلام

فهرس الأمم والجماعات

فهرس الأماكن

مراجع التحقيق

آسفي وما إليه – لمحمد بن أحمد الكانوني – ط. مصر – 1353هـ.

الإتحاف الوجيز – محمد بن علي الدكالي – مخطوط خ.ع. رقم 1320 د.

إثمد العينين – ابن تجلات – مخطوط ح.ح. رقم 380.

الإحاطة في أخبار غرناطة – لابن الخطيب – تحقيق محمد عبد الله عنان ط. القاهرة – 1978.

أخبار المهدي – البيذق – طبعة باريس وطبعة دار المنصور بالرباط.

أزهار الرياض – المقري – ط. القاهرة – وطبعة الرباط.

الاستقصا – أحمد الناصري – دار الكتاب – الدار البيضاء.

الإصابة – ابن حجر العسقلاني – مصر – 1325هـ.

إظهار الكمال – العباس بن إبراهيم – مخطوط خ.ح. 230.

الإعلام بمن حل ومراكش وأغمات من الأعلام – العباس بن إبراهيم. تحقيق عبد الوهاب بنمنصور – الرباط – 1974 – 1984.

الأعلام – خير الدين الزركلي – ط. بيروت – 1980.

أنس الساري والسارب – ابن مليح – تحقيق محمد الفاسي – فاس – 1968.

أنس الفقير – ابن قنفذ – نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور – الرباط. 1965.

الأنيس المطرب بروض القرطاس – ابن أبي زرع الفاسي. الرباط – 1973.

إيليغ قديما وحديثا – محمد المختار السوسي – ط. الرباط – 1966.

البستان – ابن مريم – ط. الجزائر – 1908.

بغية السالك – للساحلي – مخطوط خ.ح. بالرباط – رقم ك 2630.

بغية الملتمس – للضبي – ط. دار الكتاب العربي – 1967.

بغية الوعاة ـ الحافظ السيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر ـ 1979 .

بهجة الناظرين ـ محمد بن عبد العظيم الأزموري ـ مخطوط خ.ع. بالرباط ـ د 1501 .

البيان المطرب في معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب ـ عبد الحي الكتاني ـ فاس ـ 1331هـ .

البيان المغرب ـ ابن عذاري ـ ط بيروت ـ 1980 ـ ج 3 ـ ط. تطوان ـ 1960 .

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ـ ط. بيروت .

تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزكين ـ ط. مصر ـ 1977 .

تاريخ سبتة ـ محمد بن تاويت ـ الدار البيضاء ـ 1982 .

تاريخ علماء الأندلس ـ لابن الفرضي ـ ط. القاهرة ـ 1966 .

ترتيب المدارك ـ القاضي عياض ـ ط. لبنان ومخطوط الخزانة العامة بالرباط .

الترجمانة الكبرى ـ أبو القاسم الزياني ـ تحقيق عبد الكريم الفيلالي ـ مطبعة فضالة ـ 1967 .

التعريف بالقاضي عياض ـ محمد بن القاضي عياض ـ تحقيق الدكتور بنشريفة ـ مطبعة فضالة .

تقييد في تاريخ سجلماسة ـ مخطوط خ.ح. ـ رقم 12224 .

تقييد في التعريف بسجلماسة ـ لأبي محلي ـ مخطوط خ.ح. ـ رقم 2634 .

تقييد في الرباطات ـ محمد بن علي الدكالي ـ مخطوط بمكتبة ابن غازي .

التكملة ـ ابن الأبّار ـ طبعة كوديرا وطبعة عزت العطار ـ القاهرة ـ 1955 .

جامع البيان ـ الطبري ـ ط. مصر ـ 1328 .

جذوة الاقتباس ـ لابن القاضي ـ الرباط ـ 1973 .

جذوة المقتبس ـ للحميدي ـ ط. مصر ـ 1966 .

جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ـ المطبعة الملكية بالرباط ـ 1967 .

الحلل الموشية ـ لمؤلف مجهول ـ تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ـ الدار البيضاء ـ 1979 .

حلية الأولياء ـ لأبي نعيم الاصبهاني ـ ط. القاهرة ـ 1938 ..

خلال جزولة ـ محمد المختار السوسي ـ ط. تطوان .

الدرر المرصعة ـ لمحمد المكي الناصري ـ مخطوط خ.ع.ك 265 .

دعامة اليقين ـ للعزفي ـ مخطوط خ.ح. 11759 .

دليل مؤرخ المغرب الأقصى ـ عبد السلام بن سودة ـ الدار البيضاء ـ 1960 .

الديباج المذهب ـ ابن فرحون ـ ط. القاهرة ـ 1972 .

الذخيرة السنية ـ ابن أبي زرع الفاسي ـ الرباط ـ 1972 .

الذيل والتكملة ـ لابن عبد الملك المراكشي ـ تحقيق الدكتور محمد بنشريفة والدكتور إحسان عباس . **سفر الغرباء** ـ مخطوط خ.ع ـ رقم 3784 د .

رحلة أبي بكر بن العربي ـ مخطوط خ.ع. ـ رقم د 1020 .

رحلة العبدري ـ أبو عبد الله العبدري الحيحي ـ تحقيق محمد الفاسي ـ الرباط ـ 1968 .

رسالة في التصوف ـ لأبي بكر المطوعي ـ مخطوط خ.ع. بالرباط ـ د 984 .

رسالة القشيري ـ ط. مصر ـ 1318 .

الرعاية لحقوق الله والقيام بها ـ للحرث بن أسد المحاسبي ـ تحقيق عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور ـ القاهرة ـ 1958 .

الروض المعطار ـ للحميري ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ بيروت ـ 1975 .

الروض الهتون ـ محمد بن غازي ـ الرباط ـ 1964 .

السعادة الأبدية ـ لابن الموقت ـ ط. فاس وط. الدار البيضاء .

سلوة الأنفاس ـ محمد بن جعفر الكتاني ـ ط. فاس .

سوس العالمة ـ محمد المختار السوسي ـ ط. الدار البيضاء .

سيرة ابن إسحاق ـ تحقيق وتعليق محمد حميد الله ـ فاس ـ 1976 .

صحيح البخاري ـ ط. القاهرة .

صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط. القاهرة ـ 1956 .

الصلة ـ ابن بشكوال ـ ط. مصر ـ 1966 .

طبقات الصوفية ــ السلمي ــ القاهرة ــ 1953 .

العبر ــ لابن خلدون ــ ط . دار الكتاب اللبناني ــ 1967 .

عنوان الدراية ــ أبو العباس الغبريني ــ تحقيق عادل نويهض ــ بيروت ــ 1969 .

الغنية ــ القاضي عياض ــ تحقيق ماهر زهير جرار ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ 1982 .

فتوح مصر والمغرب ــ لابن عبد الحكم ــ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ــ ط. دار المعارف .

فهرسة ابن خير ــ طبعة بيروت 1963 .

كتاب الأنساب ــ لابن عبد الحليم ــ مخطوط خ.ع : ک 1275 .

كتاب السياسة ــ لمحمد بن الحسن المرادي الحضرمي ــ تحقيق الدكتور سامي النشار ــ الدار البيضاء ــ 1981 .

كتاب القبلة ــ مخطوط خ.ع. بالرباط : ق 985 .

كفاية المحتاج بما ليس في الديباج ــ أحمد بابا التنبكتي ــ مخطوط خ.ج. رقم 681 .

المطرب من أشعار أهل المغرب ــ لابن دحية ــ ط. القاهرة ــ 1954 .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ــ للمراكشي ــ تحقيق محمد سعيد العريان ــ ط. القاهرة ــ 1963 .

معجم أصحاب الصدفي – لابن الأبار – ط. بيروت.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف – فنسينك – ليدن – 1936 – 1969.

معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ــ ط. بيروت .

المعزى ــ لأبي العباس الصومعي ــ مخطوط خ.ع. 1773 د .

المعسول ــ محمد المختار السوسي ــ الدار البيضاء ــ 1961 .

المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ــ أبو عبيد البكري ــ طبعة الجزائر ــ 1857 .

مفاخر البربر ــ لمؤلف مجهول ــ ط. الرباط ــ 1934 .

المقتبس من كتاب الأنساب ــ البيذق ــ ط. دار المنصور وطبعة باريس .

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف – عبد الحق البادسي – تحقيق سعيد أحمد أعراب – الرباط – 1982 .

المن بالإمامة – ابن صاحب الصلاة – تحقيق عبد الهادي التازي – بيروت 1964 .

المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح – أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح – طبعة مصر – 1332هـ ومخطوطات خ.ع. بالرباط .

النجم الثاقب – لابن صعد الأنصاري – مخطوط خ.ع : ك 4/ 1292 .

نزهة المشتاق – للإدريسي – ط. الجزائر – 1957 .

نظم الجمان – ابن القطان – جزء منه حققه محمود علي مكي – تطوان – المطبعة المهدية .

نفح الطيب – للمقري – تحقيق الدكتور إحسان عباس – ط. بيروت – 1968 .

نيل الابتهاج – أحمد بابا التنبكتي – (على هامش الديباج – ط. بيروت) – ومخطوطات خ.ح .

وصف إفريقيا – الحسن الوزان – ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر – نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت .

وفيات ابن قنفذ – تحقيق عادل نويهض – ط. بيروت – 1980 .

وفيات الأعيان – ابن خلكان – تحقيق د. إحسان عباس – ط. لبنان .

يتيمة العقود الوسطى – لأبي عبد الله العبدوني – مخطوط خ.ع. رقم ك 305 .

فهرس عــام





يعتبر كتاب التشوف للتادلي أهم نص في مناقب صلحاء المغرب وصل إلينا كاملا. فقد ضم أخبار سبعة وسبعين ومائتين من رجالات الولاية والعلم، عاشوا كلهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين. روى المؤلف الذي كتب عام 617هـ أخبارهم بالسند عبر جيل أو جيلين أو ثلاثة أجيال. وجاءت في ثنايا هذه الأخبار مادة تهم التاريخ الديني وتاريخ التصوف خاصة، كما تضم مادة تصلح لمؤرخ المجتمع ومؤرخ الذهنيات، بل وحتى لمؤرخ السياسة.

والنص منذ نشره محل قراءات متعددة تبين عن غناه على الصعيدين المحلي والإنساني. فهو لوحات لإعلاء قيم لا تبلى، وأسلوب نبيل صنع به المؤلف أجنحة التحليق في سماء الروحانية لضعفاء من الناس كانوا في حساب دائم مع النفس.

ويضم هذا المجلد نصاً آخر للتادلي، خصصه لأخبار أبي العباس السبتي، الرجل الذي أدار مذهبه على الصدقة، عطاء ينفعل له الوجود.

وكل عمل التحقيق الموضوع على النصين يسهم في تهييئهما للقراءات المباشرة أو قراءات الدارسين.